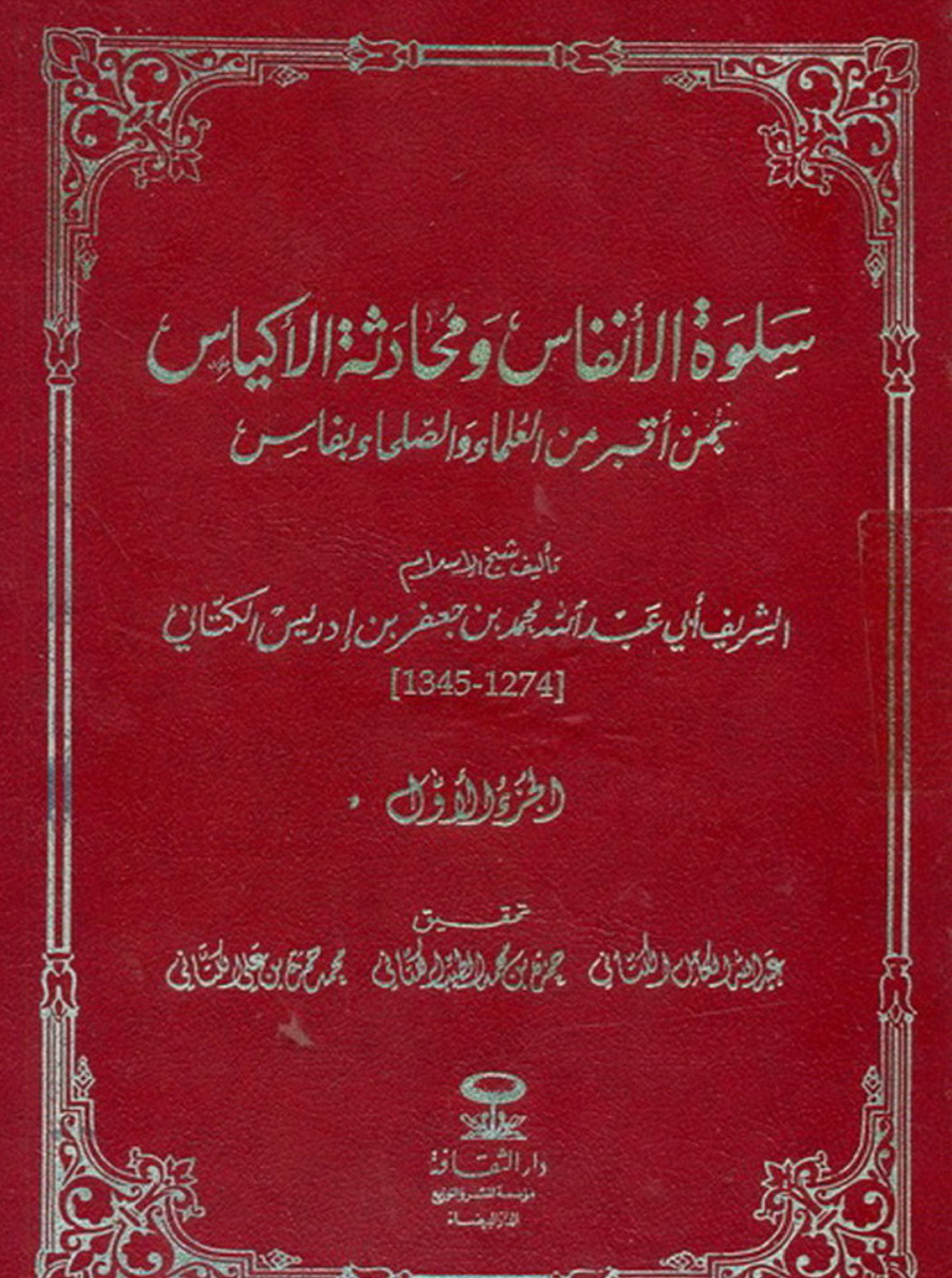

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس
بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس
تأليف شيخ الإسلام
الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني
[1345-1274]
الجزء الأول
تحقيق
عبد الله الكامل الكتاني حمزة بن محمد الطيب الكتاني محمد حمزة بن علي الكتاني
دار الثقافة
مؤسسة النشر والتوزيع
الدار البيضاء

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس

بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس

تأليف شيخ الإسلام

الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني

[1274-1345]

الجزء الأول

تحقيق

عبد الله الكامل الكتاني   حمزة بن محمد الطيب الكتاني   محمد حمزة بن علي الكتاني



دار الثقافة

مؤسسة للنشر والتوزيع

34-32 شارع فيكتور هيكو — ص.ب. 4038

الهاتف 022.30.76.44 - 022.30.23.75

فاكس 022.30.65.11 — الدار البيضاء 20500

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس

بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس

الطبعة الأولى 1425- 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم
بقلم نجل المؤلف
العلامة الدكتور إدريس الكتاني

إن تقديم كتاب من مستوى: "سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس" لوالدي أبي عبد الله الشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني – رحمه الله؛ ليعد بالنسبة لي شرفا كبيرا، وتكليفا نبيلا من قبل "جمعية الشرفاء الكتانيين" التي أخذت على عاتقها من ضمن ما أخذت: نشر فصول نادرة من التراث المغربي الأصيل، يأتي في طليعته إعادة طبع هذا الكتاب، بعد أن انتظر العلماء والباحثون والمؤرخون المغاربة وغيرهم من المثقفين عامة، أكثر من قرن من الزمن، للحصول على نسختهم المصرية منه، منذ طبعته الحجرية الأولى، التي كان المؤلف قد أشرف بنفسه على تصحيحها سنة 1316هـ/ 1897م.

وكانت الخزانة العامة للكتب والمستندات بالرباط في المملكة المغربية، قد قامت عام 1386هـ/ 1966م بإصدار فهرس عام لأجزاء الكتاب الثلاثة في مائة وثمانين صفحة، مرتبة أسماء الأعلام المترجمين فيها على الحروف الأبجدية. أشرف على إعداد هذا الفهرس وتقديمه للمهتمين به وقتها: ابن أخي العلامة المرحوم سيدي محمد الناصر الكتاني، الأستاذ، يومئذ، بدار الحديث الحسنية بالرباط.

وغير خاف على القارىء الكريم، ما يكتنف مهمة كهذه التي كلفت بها، من صعوبة تحيط بها من جميع جوانبها، العلمية والعملية والفكرية، وبخاصة إذا علم أن المؤلف كان قد تولى بنفسه هذه المهمة الشاقة حين مهد لكتابه بثلاث مقدمات نفيسات، بلغ عدد صفحاتها، في طبعتها الحالية، نحوا من سبعين صفحة، أبان فيها عن هدفه من إحياء أخبار من ترجم لهم من العلماء والصلحاء، وأوضح فيها، تصريحا وتلميحا، منهجيته في كتابة تاريخ هؤلاء الأعلام، غير ناس، بين هذا وذاك، الإشارة إلى الغايات القريبة والبعيدة التي توخاها من تأليفه للكتاب.

فأي تقديم يفيد؟، وأي نقد موضوعي يساق؟، وأي تحليل أو استقراء يمكن أن يفي بمثل ما نجده في مقدمات سهر المؤلف بنفسه على تحرير موضوعاتها، شكلا ومادة؟، واهتم – رحمه الله – اهتماما خاصا بترتيب محاورها، ونقد مادتها التاريخية، نقدا موضوعيا، معتمدا على ما هو بين يديه

من مصادر نادرة وموثوقة، باذلا في سبيل ذلك أقصى الجهود من نفيس عمره. ويشار في هذا الصدد، إلى أن المؤلف قد أمضى في تصنيف "السلوة" أزيد من خمسة عشر عاما، قضاها في البحث والدراسة المقارنة والتصنيف، ونقد الوثائق والمراجع، وجمع الشهادات.

أود الإشارة، قبل الختام، إلى أنني كنت قد بيضت عدة صفحات، لتقديم "السلوة"، ثم تبين لي، بعد إعمال شيء من النظر والفكر أن أضع ما كتبت تحت تصرف السادة المشرفين على إخراج الكتاب في صيغته الحالية، ليستعينوا به، كما يشاؤون، على إخراج "السلوة" في الحلة العلمية التي يرتضونها، وذلك لقاء ما بذلوا من جهد مشكور، في محاولات جادة لإخراجها في الشكل الميسر الأنيق الذي يجده القراء بين أيديهم اليوم.

الدكتور إدريس الكتاني

الرباط: 12: محرم الحرام 1425

04 مارس 2004

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بين يدي الكتاب

*" سلوة الأنفاس"،

*" محادثة الأكياس"،

*" بمن أقبر"،

*" من العلماء والصلحاء"،

*" بفاس ":

هكذا، ونحن في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، أواخر التاسع عشر الميلادي، يقترح علينا المؤلف الجليل، شيخ الإسلام الشريف ابو عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني (1274-1345هـ/ 1852- 1927م)، وفي خمسة مقاطع متناسقة، موضوع تقييده الشريف، ومنزعه اللطيف: سلوة لكل من هو في حاجة إلى أن يتسلى عما يعج به العصر المغربي وقته، من أزمات اقتصادية خانقة، وأحداث اجتماعية متداركة، وتطورات سياسية متسارعة.

إن "السلوة" المقترحة في هذا التقييد هي سلوة خاصة، تضاف إلى أنفاس خاصة الناس وعامتهم، مباشرة، بعد أن أصبح من شبه المتعذر على بعض الخاصة من المصلحين إشراك جمهرة الناس في مهمات التنفيس والإصلاح.

جاء دور الأنفاس، كل الأنفاس، لتحمل مسؤولية تثبيت الهوية، و تحصين الاستقلال، دفاعا عن القيم، ذبا عن الأنفس والأعراض، حفظا للأرزاق، مما يتهددها من أخطار من هاهنا وهاهناك.

* المقطع الأول من التقييد إذا، هو تنبيه إلى الخطر المباشر الذي يوشك أن يداهم الوطن، وهو من قبيل التنفيس عما يتوقع أن تواجهه أنفاس عامة الناس، من أخطار وشيكة محدقة بالزمن المغربي، ينبغي التنبيه إليها بكل ما تملكه الأفكار والعقول من وسائل وأدوات فاعلة.

* المقطع الثاني، حوار مباشر، هادئ، يقترح فتحه كيس مع أكياس من أناس عصره، على طريقة الترميز، والإشارة، تارة بالبوح الساري، وأخرى بالمعنى الجاري، شحذا للعزائم، و إيقاظا للهمم.

يتجه التقييد الشريف، في شقه الثاني، إلى إجراء حوار ضمني، وفتح محادثة مباشرة، مع فريق من الأكياس، الذين لا تزال فيهم بقية من وطنية، وحمية من حماسة، وقليل اهتمام بالشأن العام المغربي، تنبيها لما الأمة المغربية كلها، مقبلة عليه، من حوادث وأحداث، في أوائل هذا القرن الرابع عشر الهجري، أواخر التاسع عشر الميلادي.

* لا مناص لسلوة الأنفاس إذا، لا مفر لمحادثة الأكياس هذه، من أن ينصب موضوعها الأساسي، بوحا وحوارا، في المقطع الثالث، على هذه القطعة الغالية من أرض الوطن، التي هيأها القدر، لتكون، رمزا لسائر الوطن، مثوى لطائفة من أهل المغرب الأقصى، تؤويهم بين أضلعها الخافقة، معتزة باحتواء أجدائهم على صعيدها الطاهر، منذ بداية التاريخ، وإلى نهايته. أرضا عاشوا فوق ثراها الطيب، وضمت أضلعهم المغربية، أقبرها الحانية، المنبثة داخل السور، وخارجه، بل في حنايا كل دار أو درب وخارجهما، صدى عميقا، تعتمل فيه عوامل الأجساد بكوامن الأرواح، رجعا لهوى ديني، امتزج بعاطفة وطنية، تحركت لتردد مع الشاعر العربي القديم، قوله السائرة مسرى المثل، في الواقع المغربي :

يهواك، ما عشت، الفؤاد، فإن أمت ... يتبع صـــــداي صداك، بين الأقبر

ويشاء الله العلي القدير، أن يكون مؤلف *"سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء، والصلحاء بفاس"*، أحد هؤلاء السادة العلماء والصلحاء، الذين قدر لهم أن يلقوا عصى الهجرة العلمية، وينهوا رحلتهم الدينية، في مسقط رأسه، بحاضرة فاس؛ ليكون مثواه الأخير بين زقاقاتها ودروبها وزواياها، تطبيقا عمليا لنظريته التي أنفق سنوات عديدة من عمره في تقعيدها وتنظيرها، وبيانها للأجيال المغربية من بعده.

لا يمكن لنا أن نخفي أننا أحببنا هذا التقييد حبا كبيرا، ملك علينا من أوقاتنا معظمها، طيلة ثلاث سنوات أو تزيد قليلا، جهدنا فيها على إخراجه للباحثين، والدارسين، والجامعيين، والمؤرخين، وعامة القراء الذين كتب لهم، ومن أجلهم، سهلا ميسرا، محببا إلى أنفاس الجميع، محادثة تصل إلى قلوبهم وعقولهم، كما أرادها المؤلف الجليل.

وقد حرصنا في عملنا في هذا الكتاب على التحلي - قدر المستطاع - بأخلاق المؤلف، وآدابه، وحاسته النقدية التاريخية، وتواضعه، وتدينه، وروحانيته في بعض الأحيان، وفاء منا لعمله، وإنزالا له من أنفسنا المكانة التي كان ينزله مؤلفه فيها منذ ريعان شبابه عند التأليف، وفي عز كهولته في

التأليف – عندما أشار إليه أكثر من مرة وباعتزاز كبير، في كتابه المعروف بالعلم الحمدي: "كتاب جلاء القلوب من الأصداء الغينية، في بيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية" مخطوط في الصفحة ١٨٦ من الجزء الأول. . وحينما ترجم فيه للشيخ محي الدين بن عربي، ترجمه فيه على طريقته في تراجم صلحاء فاس وعلمائها في "السلوة" – إخراجا لهذه الطبعة سليمة، قدر الإمكان، من أخطاء الطبع والتنقيط، معفاة من التعليقات التي كنا نجدها، في بعض الأحيان، أكبر من حجمنا العلمي والفكري، والديني، والمذهبي، والصوفي، فلم نجرؤ على تناولها بشيء من التصرف الذي لن يصادف محله لدى أحد من محبي "السلوة"، وعشاق منهجها التاريخي، وكثير من الذين لهم تعلق خاص بموضوعاتها التاريخية والفكرية المتميزة.

لقد حاولنا، أكثر من مرة، أن نكتب لها مقدمة واحدة، فوجدنا أن صاحبها قد وضع لها من قبلنا ثلاث مقدمات. . .

أردنا أن نتحدث فيما "بين يدي الكتاب" على كثير من خصائص تراجم الكتاب، ومميزاتها، والتدقيق في بعض ملابساتها، عن طريق مراجعة الوثائق الأصلية التي رجع إليها المؤلف، حين كتب الكتاب، فوجدنا ذلك – بعد كتابته – مفضيا إلى الطول والإسهاب.

من أجل ذلك؛ آثرنا أن نوصي أصحاب الموسوعات الفرعية الصغرى التي يمكن أن تنبثق وتكتب على ضوء "السلوة" بالقيام بهذا الجهد العلمي المفيد في بابه، إن وجدوا إلى ذلك سبيلا.

إن تحقيق موسوعة في غنى وثراء "سلوة الأنفاس" يلقى عوائق عدة، خاصة وأنها طبعت عام (١٣١٦هـ/ ١٨٩٧م)، ولم تعد طباعتها بعد ذلك، نظرا لتداخل بعض تراجم أعلامها، ووفرة الموضوعات التي تطرقت إليها، وندرة المراجع التي اعتمد عليها المؤلف، وبخاصة منها ما هو مخطوط. . .

ولذلك؛ فقد رمنا تحقيق نص "السلوة" من حيث الترقيم وغيره، وإبراز العناوين والتراجم، دون التحشية والتعليق في الهوامش إلا لماما. ولا تخفي مدى صعوبة هذا الأمر، خاصة وأنه يقتضي قراءة النص مرارا من أجل فهمه واستيعابه؛ ليتم بعد ذلك شرحه للقارئ بعلامات الترقيم. بحيث نظن أن نص "السلوة" في طبعته هذه بعد من أوضح النصوص المطبوعة حديثا، وأيسرها من حيث المطالعة والفهم، وأدقها من حيث المقابلة والضبط.

أما مراحل التحقيق؛ فقد تمت كالتالي:

1. إضافة علامات الترقيم لنص "السلوة".
2. إبراز عناوين أصلية وفرعية لم يبرزها المؤلف – رحمه الله تعالى – ليمكن تمييز النص للمطالع.

3. ترقيم تراجم الكتاب، وإضافة علامة (000) للتراجم المكررة.
4. تحلية كل مترجم بألقاب تنسجم وترجمة المؤلف له؛ ليمكن تصنيفه بالنسبة للمطالع والباحث.
5. عزو الآيات القرآنية، وتمييزها بخط مخالف لخط الكتاب.
6. أثبتنا ترقيم صفحات النسخة الحجرية التي اعتمدناها في التحقيق، بين قوسين مربعين كالتالي: [ ].
7. اعتمدنا في التحقيق: الطبعة الحجرية، التي طبعت في عصر المؤلف، وعليها خطه، وتعليقات وتصحيحات بخط حفيده العلامة محمد المنتصر بالله الكتاني – رحمه الله تعالى – وأثبتنا تلك التعليقات مميزة باسمه. وقد ختمت هذه النسخة بالتعليق التالي: «ختمت دراسة هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة: غروب يوم الأربعاء 26 صفر 1357. بمرس حميان من فاس – أولاد جامع ضاحيته». (محمد المنتصر الكتاني)، ويليه: «قرأته للمرة الثانية قراءة بحث ودرس، بدار سكناي في حومة الدوح بفاس، في الساعة الثانية من ليلة فاتح شهر ذي القعدة الحرام سنة 1361. (أبو علي محمد المنتصر الكتاني)».
8. اعتمدنا جدول الخطأ والصواب الذي وضعه المؤلف في تصحيح أخطاء الكتاب.
9. أضفنا للكتاب ثلاثة فهارس: الفهرس الألفبائي للمترجمين، وفهرس أعلام النساء، والفهرس العام لأبواب الكتاب، إضافة إلى فهارس الموضوعات.
10. أشرنا إلى سنوات وفيات المترجم لهم بالتاريخ الهجري، اعتمادا على ما ذكره المؤلف في ترجماته لهم، لمعرفة الحقبة التي عاشها كل منهم.

أما مؤلف الكتاب؛ فلا شك أنه رائد من رواد الفكر الإسلامي، وعلم من أعلام الفقه والحديث والتصوف، وداعية من دعاة الجهاد ضد الاستعمار. وقبل أن نختم الحديث عن هذا الكتاب – الموسوعة؛ نرى أنه من الواجب الإشارة إلى أن التعرف بهذا الإمام الجليل يتطلب إفراده بترجمة وافية مستقلة، تبرز معالم شخصيته في مختلف الميادين. لذا نحيل المهتمين إلى بعض تلك المصادر التي ترجمت له. (انظر الحاشية أسفله) *.

---

* *مصادر ترجمة المؤلف:* "عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد"، أو: "حياتي". تأليف محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني، تنسيق وتحقيق الدكتور علي بن المنتصر الكتاني. "إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع" (2: 244)، و"سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال" (رقم 50). لعبد السلام ابن سودة، تحقيق د. محمد حجي، "رياض الجنة في معجم الشيوخ" (1: 77). تأليف عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي. "الأعلام". لخير الدين الزركلي (6/ 72)، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" (1: 436). لمحمد محمد مخلوف. مقدمة "الرسالة المستطرفة" للمترجم، بقلم حفيده محمد المنتصر بالله الكتاني، عدة كنانيش للشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني، "علماء دمشق في القرن الرابع عشر" (1: 413) لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة. "فهرس الفهارس والأثبات". (1: 515). للشيخ عبد الحي الكتاني. تحقيق د. إحسان عباس. "التاج المرصع بالجوهر الفريد في ترجمة الشيخ الإمام محمد الكتاني الشهيد" (مخطوط) للشيخ محمد الباقر الكتاني. وغيرها.

والمأمول من الله العلي القدير ألا تخيب الأجزاء الثلاثة من "السلوة"، في طبعتها الحالية المعاصرة آمال المؤلف الجليل شيخ الإسلام الشريف أبي عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله، الذي حرص بنفسه على تصحيح طبعتها الحجرية الأولى، تقديرا منه لقرائه، ومحبة في علماء فاس وصلحائها، وتخليدا لذكرهم العطر عبر العصور.

وفي الختام: لا يسعنا سوى شكر "دار الثقافة" التي شجعتنا على اقتحام هذا العمل الكبير، فجزى الله تعالى القائمين عليها خير الجزاء، وأثاب جميع من كانت له يد في إصدار هذا الكتاب - المعلمة في الصورة التي يراها القارئ. والله من وراء القصد. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين

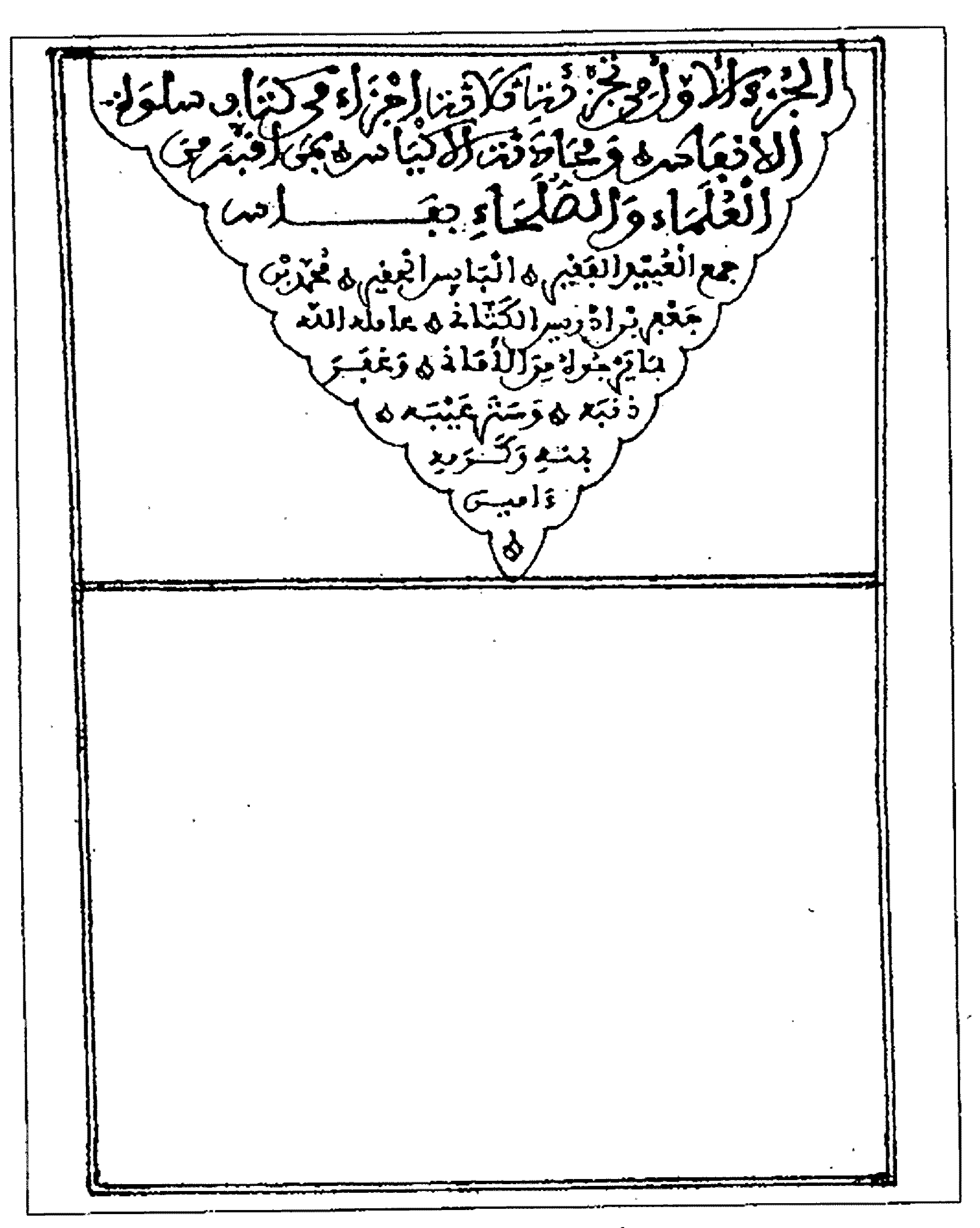
الرباط: يوم الثلاثاء عاشر محرم الحرام عام 1425.
الموافق: ثاني مارس عام 2004.

المحققون:

د. عبد الله الكامل بن محمد الطيب الكتاني
أستاذ باحث في الفكر الإسلامي

د. حمزة بن محمد الطيب الكتاني
عميد وأستاذ التعليم العالي
عضو الأكاديمية الإسلامية للعلوم

د. محمد حمزة بن محمد علي الكتاني
دكتور في الصيدلة
باحث في الدراسات الإسلامية والتراث


الجزء الأول من جزء ثلاثة الأجزاء من كتاب سلوة
الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من
العلماء والصلحاء بفاس
جمع العبد الفقير البائس الحقير محمد بن
جعفر بن إدريس الكتاني عامله الله
بلائق جوده من الامتنان وغفر
ذنبه وستر عيبه
بمنه وكرمه
آمين

صورة الصفحة الأولى من الجزء الأول من الطبعة الحجرية لـ: "السلوة"

٤٤٤

يا زائرا بزاحمك الرفاعي الهامية ... واغنم مثوبة وصل ملك إمامية

تلك الأماكن من العلي المجتبى ... ورفيقه في درج المعالي السامية

وخلفك زاوية تعلو قدرها ... بها سماء [illegible] تشكب ماميه

للشيخ عبد القادر القطب انتما ... بها بعالي الذكر [illegible]

ما شئت تطلع من بلاد تقتني ... [illegible]

وقرب [illegible] على المصطفى ... [illegible]

والشيخ عبد القادر المذكور من أعلام الأولياء، ومن كبار الأصفياء، سلطان العارفين [illegible] أبرار العالمين، محيي الدين أبو محمد مولانا عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل الشريف الحسني الحسيني المعروف بالجيلاني نسبة إلى جيلان وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان ويقال لها أيضا كيلان بالكاف ولذا يقال له أيضا الكيلاني نزيل بغداد وبها دفن، ذو المناقب المشهورة، والأحوال الجميلة المأثورة، والكرامات الكثيرة التي بلغت من التواتر، قال عز الدين بن عبد السلام ما وصلت إلينا كرامات أحد بطريق التواتر مثل ما وصلت إلينا كرامات الشيخ عبد القادر، ولد رحمه الله بجيلان سنة سبعين أو إحدى وسبعين وأربعمائة، وتوفي ببغداد ليلة السبت الثامن أو العاشر من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة وله تسعون سنة [illegible] وصلى عليه ولده الشيخ عبد الوهاب، وكان [illegible] إلى يوم القيامة، قال في الرحلة العياشية [illegible] بالسماع، وكان يقول أيضا [illegible] إلى يوم القيامة [illegible] وقال من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن نادى باسمي في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي إلى الله تعالى في حاجة قضيت، وكيفية التوسل به كما ذكره غير واحد [illegible] بالفاتحة والإخلاص إحدى عشرة مرة في كل ركعة ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة، ويتبرك [illegible] بالاستغفار ويتوب من الذنوب ثم [illegible]

[illegible] وهو تصنف [illegible] الكريم [illegible] سبحانه [illegible] من جميع الكائنات [illegible] العالي ولو [illegible] ولذا كان [illegible] الغزيرة [illegible] بخط [illegible] الانشاء [illegible] والله أعلم

ص ٨٩

صورة صفحة من الجزء الأول من الطبعة الحجرية لـ: "السلوة" وعليها إضافات بخط المؤلف

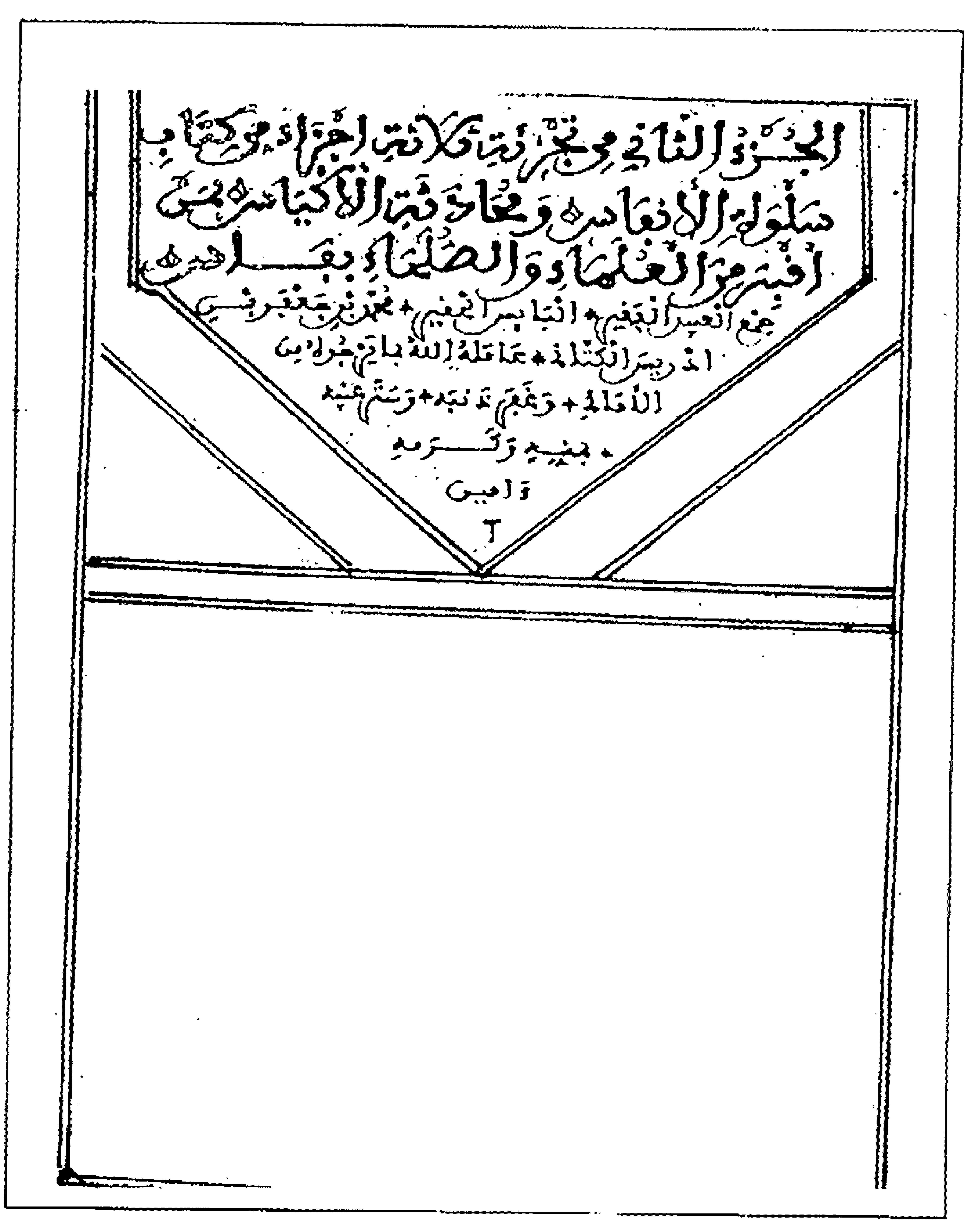
انتهى الجزء الأول بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل

ويليه الجزء الثاني أوله ذكر من اشتهر ووقفنا على التعريف به من علماء وعلماء أهل باب الشرع نفعنا الله بهم

الحمد لله بيان ما عثر عليه في هذا الجزء بعد الطبع من الخطأ وصوابه مشار إلى الصفحة والجزء والسطر والله الموفق

ص	ج	س	خطأ	صواب	ص	ج	س	خطأ	صواب
1	3	10	شيخ محمد العربي	شيخ محمد العربي	1	5	3	للاستبعاد بها	لاستيعابها
2	2	24	اوتيتهم	اوتيهم	2	6	11	المحب	المحب
2	6	26	سبس	نسجس	3	1	13	وبركة	وبركة
3	6	21	تعرف	تعرف	3	8	8	ازادة	ازادة
4	1	13	وغيرهم	وغيرهم	4	6	22	من تربيته	من تربيته
5	2	9	السروية	الحمراية	7	5	12	عز وجل	عز وجل
9	7	18	مثلا	الحمد لله	10	2	15	ولا يحسبونه	ولا يحسبونه
10	8	24	السجرالة	السجرالة	11	2	10	واستى	واسنى

صورة الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من الطبعة الحجرية لـ: "السلوة"


الجزء الثاني من تجزئة ثلاثة أجزاء من كتاب
سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن
أقبر من العلماء والصلحاء بفاس
جمع العبد الفقير ◆ إلى ربه الغني ◆ محمد بن جعفر بن
إدريس الكتاني ◆ عامله الله بما هو أهله من
[illegible] ◆ وتقبل توبته ◆ وستر عيبه
◆ بمنه وكرمه
آمين
آ

صورة الصفحة الأولى من الجزء الثاني من الطبعة الحجرية لـ: "السلوة"

بهذا الضريح بناحية القباب ومنهم الفقيه العلامة البركة الفهامة ذو الأنفاس العطرة ذو الأخلاق المستحسنة السري الصالح السالك الناصح أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الشيخ السنوسي كان رحمه الله إماما فاضلا وعالما عاملا تولى الإمامة والخطابة بالضريح الإدريسي وكانت له به وبمسجد القرويين مجالس للعلم انتفع به فيها جماعة من الأعيان ونجباء الطلبة ومما يحكى أنه كان مرة يقرأ صحيح البخاري بالضريح الإدريسي فجاء بعض الطلبة من الأغنياء وحضر مجلسه فذكر الشيخ كلاما في شرح بعض الأحاديث فقال الطالب المذكور لبعض من كان بجنبه أخطأ الشيخ في هذا التقرير فإذا بذلك الطالب أخذته سنة عقب ذلك ثم استيقظ فلما فرغ المجلس تقدم إلى الشيخ وقال له إني قلت إنما كذا وكذا وإنه أخذتني سنة وإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له كلامك وما قلت أنا فقال لي الصواب ما قاله الفقيه السنوسي فلما ذكر ذلك له قال له أو ذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتز لذلك وصار يتعجب حتى كاد عقله يذهب من ذلك وكان من عادته رحمه الله إذا أتم أبدا متن الشمائل التي يقرأها بعد العشاء يبكي مستقبل القبلة بما كتبه في ذلك الفقيه العلامة أبو محمد سيدي عبد الواحد بن أحمد بن الشيخ سيدي التاودي بن سودة الذي يقول فيه

يا أيها السنوسي الجلي ✽ ذا المجد والقدر العلي
تكبر الإبلاغ مني ✽ أقبل ولا تستقبل

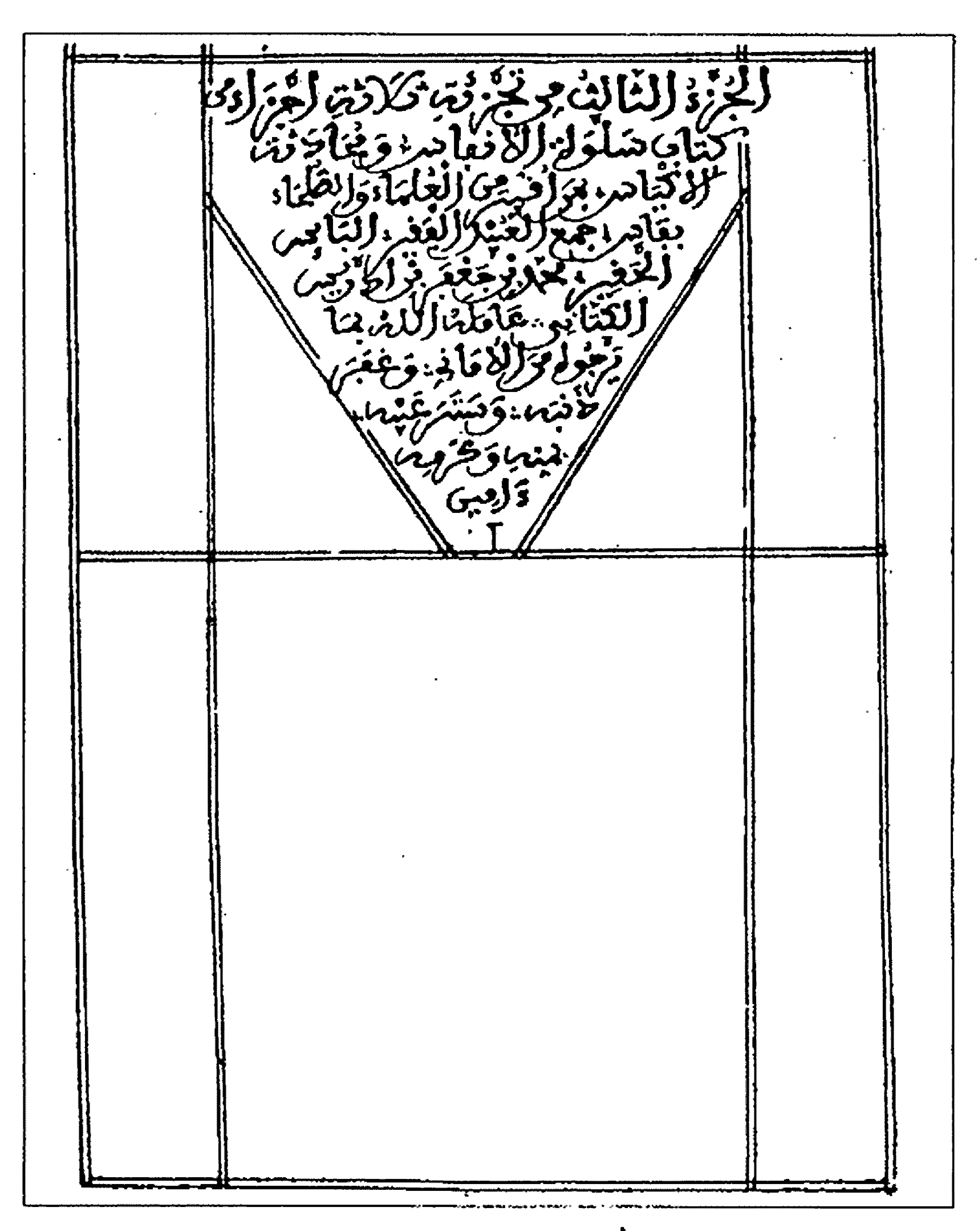
قلت: والذي شرح ختم الشمائل الإمام الخطاب رحمه الله أنه يبكي مستقبلا كما كان يفعله صاحب الترجمة فراجعه توفي رحمه الله سادس عشر ربيع الأول عام سبعة وخمسين ومائتين وألف ودفن بهذا الضريح بأعلى روضة العلماء

انتهى الجزء الثاني بحمد الله الكفيل
وحسن عونه وتوفيقه الجميل ويليه
الجزء الثالث أوله ذكر من دفن
على تسمية من أصحاب
الروضة المعروفة
بروضة
العلماء

كتاب سلوة الانفاس

47

صورة الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من الطبعة الحجرية لـ: "السلوة"


الجزء الثالث من تجزئة ثلاثة أجزاء من
كتاب سلوة الأنفاس ومحادثة
الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء
بفاس جمع العبد الفقير إلى ربه
الحقير محمد بن جعفر بن إدريس
الكتاني عامله الله بما
يرجوه من الأماني وغفر
ذنبه وستر عيبه
بمنه وكرمه
آمين

صورة الصفحة الأولى من الجزء الثالث من الطبعة الحجرية لـ: "السلوة"

بما لم انتبه له من سهو او ادبار او تغيير * فانى قد علمت انهم من ذوي نعمة ورهب * واني
لا اقوم بواجب حقهم ولا ارب * ولا ادرجوا له عليهم نظرا لنسبتهم لداعي يا سيدهم *
واستجلاب عطفهم وانتسابهم * لانهم كرام النفوس والسجايا * والكرام اذا قدروا
اجزلوا المواهب والعطايا * واصلي واسلم على سيدنا ومولانا محمد الزند
مفتاح اسكة عنديهم ومركز دائرة مجدهم وعلى آله واصحابه وخلفائه واتباعه
واحبابه صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين وآخر دعوانا ان الحمد لله
رب العالمين

انتهى بحمد الله الكبير

وعونه وتوفيقه

الجميل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

سبحان من تفضل على من شاء من خليقته بما شاء وقرب واجتبى وهدى من شاء
لما شاء من كل عبد من عباده في الارض والسماء واحصى كل شيء خلقه
ويسر لما خلق له واختار من هذه الامة فادلاها اعلاما وعلماء كالنجوم يهتدى
على الحق حتى تقوم الساعة يبعثون للدين نظاما ويجلون عن القلوب ظلاما
ويبرزون من بينهم مواهب النوابغ افراما وتنزل الرحمة عند ذكرهم وزيادة ويتسم
اخلاقا من الله [illegible] نحمده على ما جلت نعمته ونشكره شكرا يليق بما
وسعت رحمته وعم جوده الواسعة وحكمته البالغة البارعة ان جعلنا من
امة سيد المرسلين ونخبة الخلق اجمعين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وعظم بمولانا بتبريه وشرع لنا الدين الذي ارتضاه من [illegible]
ولم تزل [illegible] منذ ابرزه للوجود الى ان انتقل الى دار البقاء والشهود
خلائفه في كل زمان ومكان يشيدون لملته الشريفة الاركان وتشمل بهم سحائب
الانعام والاحسان ويشرع بهم من هذه الامة البلاد ويتم بهم كل
ازمة ويجلى كل لاواء هذا ومن اعظم نعم الله على اهل هذا العصر الا [illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث من الطبعة الحجرية "للسلوة" وعليها خط حفيد المؤلف العلامة محمد المنتصر بالله الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. ملك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾. آمين. [الفاتحة: 1-7].

أما بعد التيمن بهذه الفاتحة التي هي فاتحة أجل كتاب، وأفضل كلام وأعذب خطاب؛ فيقول العبد الفقير الجاني: محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني، ألبسه الله رداء العفو والعافية والقبول والأماني، ومنّ عليه وعلى جميع الموحدين بالنظر إلى وجهه الكريم في دار الفضل والتهاني:

هذا - بحول الله - تقييد شريف، ومنزع لطيف، أذكر فيه - إن شاء الله تعالى - بعض الصلحاء المشاهير، والعلماء الكبراء النحارير، الذين قبضوا بهذه الحضرة الفاسية، ذات الأنوار الساطعة والمحاسن الفاشية، وأشير لبيان ضرائحهم، وشيء من تراجمهم، على سبيل الاختصار، من غير تطويل ممل ولا إكثار، راجيا من الله سبحانه العون والقبول، وأن يجعله بفضله سببا في نيل المنى والوطر والسول، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة حقيق وجدير. آمين.

[فاس: دار علم وفقه وحديث]

ولتعلم أيها الواقف عليه، والناظر بعين الرضى والقبول إليه: أنه قد مر في هذه البلدة العظيمة المقدار، من العلماء والأولياء ما لا ينحصر كثرة ولا تستوعبه الأسفار، كما قال الشيخ الإمام، الثقة الثبت الماهر الحجة، عمدة أهل المغرب في التاريخ؛ صالح بن عبد الحليم في كتابه: "الأنيس والقرطاس" ما نصه: « ومدينة فاس لم تزل من يوم أسست مأوى الغرباء؛ من دخلها أو سكنها واستوطنها صلح حاله بها »، قال: « وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم؛ فهي في القديم والحديث، دار علم وفقه [2] وحديث، وعربية، وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب، ولم يزل ذلك على مر الزمان، وذلك ببركة دعاء إدريس بن إدريس رضي الله عنه، فإنه لما أراد الشروع في بنائها رفع يده وقال: اللهم اجعلها

دار علم وفقه يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالسنة ما أبقيتها. ثم أخذ المعول بيده فابتدأ بحفر الأساس ».

وقال الشيخ الإمام، الولي الصالح، العالم المتفنن أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الشطيبي الأندلسي في كتابه "الجمان في مختصر أخبار الزمان" ما نصه: « وأخبار مدينة فاس وعجائبها وغرائبها وأولياؤها وصلحاؤها لا تحصيهم العبارة ».

ولكن لقلة اعتناء أهل هذا المغرب بالتاريخ ضاع أكثرهم، وخفي على كثير من الناس جمهورهم ومعظمهم.

وفي "المحاضرات" للعلامة اليوسي، بعد أن ذكر أن شيخ مشايخه أبا عبد الله سيدي محمدا العربي الفاسي رضي الله عنه، كان شديد الاعتناء بالأخبار والوقائع ما نصه: « وكان أبو عبد الله المذكور يذكر في كتابه: "مرآة المحاسن" أنه كم مر في المغرب من فاضل قد ضاع من قلة اعتنائهم - يعني: بالتاريخ - وهو كذلك »، وعبارته في "المرآة" بعد أن ذكر فيها أن جماعة من العلماء وسموا المغاربة بالإهمال، ودفنهم فضلاءهم في قبري تراب وإخمال؛ هي ما نصه: « فكم فيهم من فاضل نبيه، طوى ذكره عدم التنبيه، فصار اسمه مهجورا، كأن لم يكن شيئا مذكورا ».

وفي كتاب "سلسلة الذهب المنقود، في ذكر الأعلام من الأسلاف والجدود" للفقيه النبيه، الحبر النزيه، الحجة الحافظ أبي العباس أحمد ابن الفقيه أبي عبد الله محمد الخياط ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي، نقلا عن الشيخ الإمام العلامة البركة أبي محمد سيدي عبد السلام القادري الحسني في تقييد له ذكر فيه التعريف بابن أبي زرع صاحب التاريخ ما نصه: « وكم عالم كبير، وولي شهير، في القطر المغربي، أهمل التعريف به المغاربة، المتقدمون منهم والمتأخرون، حتى التحق عند المتأخرين بمن جهل حاله وزمانه ».

وقال صاحب "التنبيه، على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه"، في طالعة كتابه المذكور ما نصه: « ومعلوم من شأن أهل هذه البلاد - يعني: المغربية - عدم الاعتناء بالتعريف، والتصدي لذلك بتأليف أو تصنيف، فكم من إمام مضى وسيد جحجاح، موصوفا بالعلم أو مشهورا بالخير والصلاح، لم يقع لهم به اعتناء واحتفال، بل ألقي في زوايا الإغفال والإهمال، واعتبر [3] بسيدي أبي غالب الصاريوي بفاس، ومولانا عبد السلام، وسيدي أبي سلهام، وسيدي عمر الراعي، وسيدي أبي بكر ذي الجائزة. . . وغيرهم ممن يكثر مع اشتهارهم، وشد الرحال إليهم، ومشاهدة البركات الكثيرة الظاهرة لهم، هل لهم تراجم أو وقع بهم اعتناء أو إلمام في تأليف؟!، فلا يلزم من عدم التعريف بهم نفي الخير عنهم. ومدينة فاس، أدامها الله للإسلام، مرت عليها قرون كثيرة، وفي كل قرن احتوت على

آلاف من الخلق كثيرة، وشملت أمة عظيمة، وقد كان بانيها، رضي الله عنه، يدعو لسكانها يوم حفر أساسها، حسبما هو مذكور عنه ؛ فكيف لا يكون فيها إلا ذلك النزر اليسير الذي تضمنه كتابي المذكور – يعني "الروض المعطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس" – فلا جرم أنها احتوت على خير كثير، وفضل كبير، لم يحوه غيرها من مدن الغرب)) .

((قلت – أي: قال صاحب كتاب "سلسلة الذهب المنقود" – وكيف لا تكون جامعة لأكثر من ذلك، وحاوية لما لا يحصى من الصلحاء والعلماء الذين هم على مذهب مالك، وهي مدفن الإمام إدريس – رضي الله عنه – ومحل فحول العلم والتدريس، وقد قيل في حاضرتها: يكاد العلم ينبع من حيطانها، وما ذاك إلا لكثرة من حل واديها من صلحاء الأنام، ونشأ بها من الأئمة الأعلام، الذين يستضاء بأنوارهم، ويتنعم في رياض أزهار علومهم، وذلك كله رشفة من بركة دعوة بانيها، الذي عمر الله به ناديها، وتكاثرت مزاياه حتى فاقت العد والإحصا، وتشعشعت أنواره وتفضل به المولى على أهل هذا المغرب الأقصى، فاستهل به هلال بضعته، صلى الله عليه وسلم الطاهرة البتول، وسلالة ابن عمه الهاشمي الأصول، الذي حلى الله به من هذه الأصقاع جيدها العاطل، وجلا به عن هذه البقاع الضلال والباطل، الإمام الهمام أبو العلاء مولانا إدريس ابن مولانا إدريس بن مولانا عبد الله الكامل، نفعنا الله ببركاتهم، وحشرنا تحت ظل راياتهم، وجعلنا من أهل محبتهم وشفاعتهم. . . آمين.)) .

((فظهر بهذا: أن ما ذكره المؤرخون بمدينة فاس من علمائها، بالنسبة لما أغفلوه من أئمتها وصلحائها، هو نزر يسير، وقليل من كثير، ولم يبق له بها ذكر في الغالب إلا من له تأليف يكون، باسمه موصوف، أو بناء مشيد على قبره معروف، ولم يكن للمتقدمين بكلا الأمرين اعتنا [4]. أما الثاني ؛ فلما يعرض له من المباهاة المحرمة بسبب البنا . وأما الأول ؛ فمعلوم من تحقيق المغاربة عدم التسارع للتصدي للتآليف ووضعها، اكتفاء بكتب الأقدمين لاستيعابها أصول المسائل وجمعها:

لم يدع من مضى للذي قد غبر	فضل علم سوى أخذه بالأثر

((فقد كانوا – رضي الله عنهم – مع جلالة علومهم، ووفور دياناتهم وعقولهم، كثيرا ما يتهمون أنفسهم بالعجز والتقصير، ويرون أنهم ليسوا أهلا للتأليف والتصدير، ركونا منهم لزوايا الخمول، وإيثارا للنجاة خوف أن يكون العمل معلولا، وسلوكا لطريق السلامة، الذي هو دليل على متانة الدين وعلامة، ولذلك قلت لهم المؤلفات، التي هي سبب للشهرة في الحياة، وبقاء الذكر بعد الممات، فتجد العالم إذا لم يؤلف وأدركته الوفاة؛ ينقطع ذكره كأن لم تتقدم له حياة، فكم شاهدنا من عالم كبير من شيوخنا وغيرهم زين الله الدنيا بزاخر علومه، لم يبق له بعد موته ذكر يحيي ميت رسومه، ولا أمر يدل على مطالع نجومه))، انتهى كلامه بلفظه.

[بعض أخبار الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش]

قلت: وما نقله عن صاحب "التنبيه" وأقره، من أن جميع الخمسة المذكورين في كلامه لم توضع لهم ترجمة، معناه – والله أعلم – أنه: لم يتعرض أحد من المؤرخين ولا من الإخباريين للتعرف بهم على حسب ما يكفي في الاطلاع على ذاتيات حقائقهم، من الحد الجامع المانع ؛ وإلا فقد جرى ذكرهم في كلام بعض المؤلفين، وسطروا البعض من أخبار بعضهم، كالشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش – رضي الله عنه – فإنه أجرى ذكره بعض من ألف في التعرف بتلميذه الشاذلي، كابن عطاء الله في "لطائف المنن" وابن الصباغ في "درة الأسرار"، وناهيك بهما، وكذلك ذكر بعض أخباره تقي الدين أبو عبد الله محمد الإسكندري، سبط القطب الشاذلي في كتابه: "النبذة المختصرة المفيدة"، وذكر أنه سلك طريق القوم وهو ابن سبع سنين، وظهر له من الخير والكشف أمثال الجبال، ثم خرج إلى السياحة، وأقام بها ست عشرة سنة، وتقطب فبقي قطبا عشرين سنة، وكان إذا صلى يصلي خلفه أولياء الله من كل قطر نساء ورجالا، وكان صاحب جذب لا يصل إليه مريد صادق ويتجرد من علمه وعمله إلا رقاه ووصله إلى ربه، إلى غير ذلك، فلينظر.

وقد ذكر في "الروضة المقصودة" [5] أنه: أجمع أهل البصائر على أنه تنبغي زيارته بقدر الاستطاعة والإمكان في كل يوم، أو في كل أسبوع، أو في كل شهر، أو في كل سنة، وتتأكد تعيينا ليلة الجمعة، ويوم عرفة، وصبيحة العيدين، والمولد النبوي وسابعه.

[الشيخ العارف سيدي أبو سلهام]

وكالشيخ الولي الكبير، العارف الشهير، سيدي أبي سلهام – رضي الله عنه – فإنه أجرى ذكره بعض أهل الأخبار ؛ كالشيخ أبي زيد عبد الرحمن التادلي في كتاب "التشوف" له، وهو غير كتاب "التشوف" الشهير، لأبي الحجاج يوسف بن يحيى التادلي المشهور بابن الزيات، وذكر أنه: شريف النسب حسني، وأن اسمه: عبد الله بن أحمد بن ناصر بن سليمان، وأنه دفين ساحل البحر بقرب مشرع "لخضر"، من مسايف، من طنجة، وأنه كان مجاب الدعوة. قال: « وهو الذي أشار إلى البحر فتبعه في الحين. نفعنا الله به ».

ووفاته – رحمه الله – فيما قيل، سنة نيف وأربعين وثلاثمائة. وقد شهد له غير واحد من أرباب البصائر، بجلالة المنصب وعلو القدر وكبر المقام، منهم: الشيخ سيدي محمد ابن عبد الله مَعَنْ الأندلسي، دفين خارج باب الفتوح؛ فانه قال عندما زار ضريحه مرة: « هذا الرجل قوي في السلوك »، أو قال: « ما أقوى هذا الرجل في السلوك ».

وذكروا أن زيارته نافعة غاية، سيما للأمور الدنيوية، وأنه أحد الذين جرت العادة باستعمال الرحلة لزيارتهم، في كل عام بالمغرب، نفعنا الله به، وتوجد بيد بعض الناس أوراق في بعض ما له من المناقب والكرامات، الغالب عليها أنها مصنوعة.

[الشيخ سيدي أبو بكر ذو الجائزة]

وكالشيخ سيدي أبي بكر ذي الجائزة، وهو نزيل مدشر الجائزة من قبيلة سريف ودفينه، فإنه ذكره في "دوحة الناشر" وأثنى عليه، فراجعه.

ثم إنك إذا تأملت اليوم؛ وجدت كثيرا ممن عرف به من أهل المقابر والروضات، اندرست أضرحتهم وضاعت، من قلة الدين وعدم المبالاة، مع أنه كان يتعين على جميع الناس، ولا سيما الملوك والحكام، حفظها ورصدها، ودفع أهل الفساد والزيغ عنها، وإصلاح ما انهدم منها من بناء ونحوه؛ لأن ذلك كله من تعظيم الحرمات: ﴿ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾. [الحج:30].

ومن جواب لشيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي – رضي الله عنه – أجاب فيه من سأله عن البناء في ضريح الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش – رضي الله عنه – ما نصه: « لم يزل الناس يبنون على مقابر الصالحين وأئمة الإسلام شرقا وغربا، كما هو [6] معلوم، وفي ذلك تعظيم حرمات الله، واجتلاب مصلحة عباد الله لانتفاعهم بزيارة أوليائه، ودفع مفسدة المشي والحفر وغير ذلك، ومحافظة على تعيين قبورهم وعدم اندراسها، ولو وقعت المحافظة من الأمم المتقدمة على قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم تندرس وتجهل، كما اندرس أيضا كثير من قبور الأولياء والعلماء لعدم الاهتبال بهم، وقلة الاعتناء بأمرهم ». وأشار بقوله: « واجتلاب مصلحة عباد الله لانتفاعهم... إلخ »؛ إلى أن الولي إذا عرف قبره بسبب تمييزه ببناء ونحوه؛ لم يخل من مر به ووفقه الله من زيارته، وحلول حرم مقامه السعيد وجنة روضته، فينتفع به النفع الكبير، ويحيى فؤاده وقلبه بإذن السميع البصير؛ إذ لا شيء أنفع للقلوب من زيارة الصالحين، والعلماء العاملين المفلحين، كما يأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

[من فوائد التعرف بالعلماء والأولياء]

واعلم أن في التعرف بالعلماء والأولياء والوقوف على حقائقهم فوائد كثيرة، ومهمات كثيرة:

منها: معرفة مناقبهم وأحوالهم؛ فيتأدب بآدابهم، ويقتبس من محاسن آثارهم.

ومنها: معرفة مراتبهم وأعصارهم؛ فينزلون منزلتهم حتى لا يخفض العالي عن درجته، ولا يرفع غيره فوق منزلته، لأنهم مراتب بعضها فوق بعض ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾. [يوسف : 76].

ومنها: أنهم هداتنا وأئمتنا وأسلافنا الذين هم أشد شفقة علينا من والدينا لنا، وأهدى لنا في آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا بما هو أعود علينا، فيقبح بنا أن نجهلهم، وأن نهمل معرفتهم.

ومنها: أن يكون العمل والترجيح بعدهم بقول أعلمهم وأكبرهم وأورعهم وأفضلهم إذا تعارضت أقوالهم واختلفت آراؤهم.

ومنها: بيان بعض مصنفاتهم، وذكر بعض كلامهم وأشعارهم، ليهتدى إلى الانتفاع بها فتعم الفائدة، ويحصل الموصول من صلته على العائدة.

ومنها: اغتنام زيارتهم، واستمطار سحائب البركات من ناحيتهم وجهاتهم، إذ ببيان أحوالهم وأضرحتهم تشتاق النفوس لذلك، وتتسارع إلى التماس الفضل هنالك.

ومنها: أن بذكرهم - فأحرى بنشر مزاياهم وفخرهم - تتنزل الرحمات الإلاهية، وتنتشر على القلوب مواهب الفضل الإحسانية. . . إلى غير ذلك من الفوائد الجليلة، والله أعلم.

[ذكر من ألف في أعيان علماء فاس وصلحائها من المؤرخين]

ثم الذين ألفوا في خصوص أعيان فاس وعلمائها وصلحائها قليلون:

ومنهم: الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ [7] أبو العباس أحمد ابن القاضي؛ فإنه ألف "جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعيان مدينة فاس". في سفر وسط.

- والفقير الخير المرابط المحب لأولياء الله تعالى، المتلذذ بذكرهم، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن محمد ابن عيشون، به دعي، الملقب بالشراط، المتوفى سابع صفر عام تسعة ومائة وألف، وكانت ولادته عام خمسة وثلاثين وألف، فإنه ينسب له التأليف المسمى بـ "الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس"، وكان هو أيضا ينسبه لنفسه، ونص غير واحد من الثقات كصاحب "النشر" فيه، وفي "الزهر الباسم"، وصاحب "السر الظاهر"، على أنه ليس له، وإنما هو للعالم العلامة المؤرخ الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد العربي بن الطيب القادري الحسني، ويأتي - إن شاء الله تعالى - التنبيه على هذا مبسوطا في ترجمته، عند التعرض لأولياء القباب، بخارج باب الفتوح.

- نعم: لابن عيشون ذيل التأليف المذكور، وهو المسمى "بالتنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه"، يذكر فيه صالحي فاس، من غير ترجمة لواحد منهم غالبا، وإنما يسردهم سردا، ويعين مواضع دفنهم ومستنده فيه، كما قاله العلامة سيدي العربي القادري المذكور، حسبما وجد بخطه: أنه يأتي حومة من حومات فاس، ويسأل أهلها: كم عندهم هنا من الصالحين؟، فيذكرون له ذلك، على حسب ما يذكر على ألسنة العوام، فيذكر كل من ذكر له ممن هو معلوم أو مجهول. وقد أشار هو في أول "التنبيه" لشيء من هذا، واعتذر عن نفسه بأنه لا علم له بحالهم وسيرهم. والزائر لهم على نيته، وإذا لم يحصل له منهم نفع ؛ لم يحصل ضرر، وعلى كل حال ؛ فلا يخلو جمعهم من الصالحين والصادقين والعلماء والأخيار، سيما وفيهم من شهد أهل البصائر بخصوصيته وقوة حاله.

قلت: وهو جامع لعدد كثير ممن اشتملت عليه فاس وما والاها، وربما تعرض فيه لذكر وفاة بعضهم أو بعض كراماته.

- وللولي الصالح الأديب الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد - المدعو: المدرع. الأندلسي الفاسي نظم جيد في صالحي فاس، اختصر فيه ابن عيشون، وزاد عليه بعضا، ونقص بعضا، وهو مشتمل على أزيد من خمسمائة بيت من الرجز. وقد وقفت عليه، كما وقفت على التآليف المسطرة قبله.

- وللأمير المشهور الفقيه العلامة إسماعيل بن السلطان أبي الحجاج يوسف الأنصاري الخزرجي المعروف بابن الأحمر، نزيل فاس، [8] المتوفى بها سنة سبع وثمانمائة، تأليف في "أعيان مدينة فاس وأهلها"، ذكره في "الجذوة"، ولم أقف عليه.

- لكني وقفت على اختصاره، للشيخ أبي زيد عبد الرحمن ابن سيدي عبد القادر الفاسي، وقد زاد فيه على ما في الأصل تكميلا له من كان بها من الأعيان من التاريخ المذكور إلى عصره، وهو في نحو الكراسة، يذكر فيه بيوتات فاس في القديم، ويتعرض عند ذكر كل بيت لذكر بعض أعيانه.

- ووقفت في ذلك أيضا على تأليف لبعض علماء القرن التاسع، وهو أوسع من تأليف أبي زيد المذكور وأفيد.

- وللشيخ أبي زيد هذا قصيدة ثانية في صلحاء فاس، عارض بها سينية ابن باديس في أهل بغداد، ذكروها في جملة تآليفه. ولم أقف الآن عليها.

- وللإمام أبي العباس المقري مؤلف "نفح الطيب" كتاب سماه: "بروضة الآس، العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس"، أشار له في "نفح الطيب" ولم أقف عليه.

- وفي "تحفة أهل الصديقية" أن بعض المشايخ ممن صحب الشيخ أبا مدين ورأى سيدي أبا يعزي، وتردد إلى سيدي علي ابن حرزهم واستفاد منه، ألف في أخبار الصالحين من أهل فاس. قال فيها في موضع آخر: ولعله الشيخ أبو عبد الله الفندلاوي أو الشيخ أبو عبد الله التميمي. قلت: يشير والله أعلم، إلى التأليف المعروف "بالمستفاد في مناقب الصالحين والعباد من أهل مدينة فاس وما والاها من البلاد". وهو لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي؛ المعروف بالكتاني، نسبه له الجزنائي في كتابه: "جنا زهرة الآس"، وابن القاضي في ترجمته من "الجذوة" ووقع في مواضع من "الروض العطر الأنفاس" نسبته لأبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، وكذا نسبه له أيضا تلميذه ابن فرتون، نقل ذلك عنه في "الجذوة" في ترجمة أبي عبد الله البيري ونسبه له أيضا ابن عبد الملك في "الذيل والتكملة"، وابن عربي الحاتمي في "الفتوحات" آخرها في باب الوصايا، بل ذكر أنه سمعه عليه بقراءته. قال: « أظن سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ». ولعل هذا هو سبب تردده في "التحفة" والله أعلم.

[منهج المؤلف في الكتاب]

وقد كان الغرض - أولا - ذكر كل من اطلعت عليه من أولياء هذه البلدة وعلمائها بعد البحث الشديد، والتنقيب البالغ الأكيد، وكنت قد عزمت على الشروع في ذلك كذلك، فإذا به عاقني عنه بعض الموانع هنالك، فاقتصرت على من وقفت على التعريف به، أو له ظهور واشتهار فأذكره بسببه، وتركت كثيرا ممن اشتملت عليه الدور [9] والبساتين والرحاب، لما عرض لي في بعضهم من الخلاف المفضي إلى الوهم والشك والارتياب، وربما تعرضت لبعض أهل هذه الأزمان، ممن وصل إلي من أحواله أو خالطته في حين من الأحيان، تتميما للغرض، وأداء لبعض ما يجب لهم من الحق المفترض، ولا يصدنك عن بعضهم ملابسته في الظاهر لبعض ما لابسه أهل زمانه، فإن الولي - كما في "المرآة" عن أبي المحاسن: لا يكون إلا على شكل أهل وقته وأوانه.

وذكرت - أولا - من بداخل المدينة والسور. ثم انتقلت لمن حولهم من أرباب الروضات التي بالمدينة تدور. ورتبتهم في الذكر على حسب الرحاب والبقاع والأمكنة، من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة، وذكرت الأول فالأول في الطريق، لأن ذلك أسهل إلى الزائر الطالب للتحقيق، لكني جهلت الكثير من الأضرحة هنالك، فكان ذلك سببا لترك سلوك هذه المسالك، فذكرتها على حسب التيسير والإمكان، وقاربت بينها على مقتضى إشاراتهم في المكان، ومن علمت ناحيته إجمالا ولكني جهلت مكانه منها؛ أخرته، وبعد المعلوم مكانه - ولو علما - ما ذكرته.

وختمت الكتاب بتكملة ذكرت فيها بعض من توفي بهذه البلدة المعمورة، ولم أطلع على تعيين محل دفنه منها في شيء من الكتب المشهورة؛ ليكون الكتاب - إن شاء الله تعالى - جامعا مانعا، ولمطالعه بحول الله وقوته موفيا بالمقصود نافعا.

وقد سميته بـ:

"سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس"

وتحريت فيه الصواب جهدي وغايتي، واستعملت من التثبت ما يمكن بحسب وسعي وطاقتي، وما وقفت عليه من حسن ذكرته، ومن سوء طويته وسترته، لأن لحوم العلماء، كما قاله الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر، ونقله عنه النووي في "التبيان" والمقري في "أزهار الرياض" وغيرهما - مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم مشهورة معلومة، ومن أطلق لسانه فيهم بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾. [النور : 76].

على أن العصمة لغير الأنبياء محال، ومن غلب كماله على نقصه فهو من الرجال، وأنا أسأل من جانبهم الأقدس، ومكانهم العطر الأنفس، أن يعاملوني بالسمح فيما [10] ارتكبته في حقهم من التقصير، وتركته من التعظيم والتكثير، فإني ما قصدت الإطناب والإسهاب، بل قصدي سلوك سبيل الإيجاز حرصا على الصواب، وأسأل المولى تبارك وتعالى بمنه وفضله، وجوده وطوله، محبتهم ورضاهم، والدخول تحت لواهم، وأن ينفع به النفع العميم، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، من غير رياء ولا سمعة، ولا تقرب لأحد من أرباب الإمارة والرياسة والرفعة... آمين، والحمد لله رب العالمين.

مقدمات الكتاب

وأقدم قبل الشروع في المقصود بالذات ثلاث مقدمات:

الأولى: في الحث على التبرك بذكر الصالحين، والعلماء العاملين، والاستماع لخبرهم، والتلذذ بجميل سيرهم.

والثانية: في حكم الزيارة، وذكر بعض فضائلها وفوائدها المختارة، وفوائد وجود الأنبياء بيننا، وظهورهم وظهور أضرحتهم لنا.

والثالثة: في كيفية الزيارة وبعض آدابها، وما ينبغي للزائر أن يفعل بسببها.

فأقول وبالله المستعان، وعليه لا على غيره التكلان:

[المقدمة الأولى]

[في الحث على التبرك بذكر الصالحين، والعلماء العاملين، والاستماع لخبرهم والتلذذ بجميل سيرهم]

اعلم – هداك الله تعالى – أن أحسن ما يطرق الأسماع، ويحسن الإلمام به والإلماع، ويطلب خبره وحديثه، ويقص منه قديمه وحديثه: محاسن أهل الله وشمائلهم، وفواضلهم السنية وفضائلهم، ومزاياهم العظيمة الفاخرة، ومواهبهم الجسيمة الوافرة، إذ بذكرهم تتنزل الرحمات، وتنزل سوابغ النعمات، وتستمطر سحائب البركات، وتستصحب السعادة في السكنات والحركات، وببركاتهم تنعقد العزمات، وتنحل عرى الشدائد والأزمات، وبنفحاتهم تحيى القلوب، وتنبعث هممها إلى المطلوب، وتستيقظ من منامها، وترتوي بعد أوامها [1].

وقد أخرج الديلمي في "مسند الفردوس" عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا: « ذكر الصالحين كفارة للذنوب ». ذكره جماعة منهم ابن عسكر في دوحته، وهو قطعة من حديث أورده

[1] الأوام (بالضم): حر العطش. (مختار الصحاح الرازي).

جلال الدين الأسيوطي في "جمع الجوامع" أوله: « ذكر الأنبياء من العبادة، وذكر الصالحين. . . » الحديث.

وفي "الطبقات" للشعراني من كلام معروف الكرخي- رضي الله عنه - قال: « عند ذكر[11] الصالحين تنزل الرحمة ».

وقال المواق أول كتابه "سنن المهتدين": « قال سفيان: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة »، وفي صدر "المدارك" لعياض، والتشوف للتادلي، و"جنا زهرة الآس" للجزنائي، و"الروض والابتهاج": « قال سفيان بن عيينة رحمه الله: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة »، زاد في "الروض": « ومثله روي عن معروف الكرخي، نفعنا الله به »، وفي "الدوحة" لابن عسكر: « وقال سفيان الثوري وابن عيينة: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة »، وقال العلامة ابن زكري في شرح همزيته: « قد جاء عن سفيان ابن عيينة وغيره أنه: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة »، وذلك لأنهم عبيد الله القائمون بأمره ونهيه، الدالون عليه؛ فالمقصود من تعظيمهم تعظيم الله، ومن الثناء عليهم الثناء على الله، ومن ذكر أقوالهم التعرف إلى الله، فالمراد من ذكرهم ذكر الله، فألحقوا به، وحكم لهم بحكمه من نزول الرحمة والسكينة عنده ».

وفي "غنية اللبيب في شرح التقريب" أي تقريب النووي لأبي الخير السخاوي، ما نصه: « ابن الصلاح: من أقرب الوجوه في إصلاح النية في الحديث: ما رويناه عن أبي عمرو بن نجيد أنه: سأل أبا جعفر بن حمدان، وكانا من الصالحين، بأي نية أكتب الحديث؟، فقال: ألستم ترون أن عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة؟!، قال: نعم. قال: فرسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الصالحين ».

قلت: وقوله: « ترون »، ربما يوهم أنه حديث مرفوع. وليس كذلك، فقد نص الحافظان العراقي وتلميذه ابن حجر العسقلاني، كما نقله عنهما السيد السمهودي "في الغماز" على أنه: لا أصل له، يعنيان من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي شرح "النصيحة" للعلامة ابن زكري ما نصه: « وحديث: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. ذكره أبو حامد في كتاب "العزلة". قال العراقي: وليس له أصل في الحديث المرفوع، وإنما هو قول سفيان ابن عيينة. كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة "صفوة الصفوة" ».

وفي صدر "المدارك" لعياض، نقلا عن أبي حنيفة الإمام - رضي الله عنه - قال: « الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم ». هكذا رأيته فيها بلفظ: العلماء، وهكذا نقله المواق في أول "سنن المهتدين"، والمقري في أول كتابه "أزهار الرياض"، ونقله في "الابتهاج" بلفظ: « الحكايات عن الصالحين »، وفي صدر "المدارك" أيضا وكتاب "جنا زهرة

الآس للجزنائي". قال بعض المشايخ [12]: « الحكايات – أي: عن الصالحين – جند من جنود الله تعالى، يثبت بها قلوب أوليائه، قال: وشاهده قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾. [هود: 120]. وقال بعضهم: كان الإمام المازري كثير الحكايات في المجلس، ويقول: ((هي جند من جنود الله))، حتى كان لا يخلو مجلسه عنها.

وقال في "سنن المهتدين" ما نصه: « وحدثني شيخنا المنتوري بسنده إلى أبي العباس ابن العريف قال: كنت جالسا في مجلس أستاذي أبي علي الصدفي أقرأ عليه الحديث، فقرأ يوما الحديث ثم أغلق الكتاب، وجعل يحكي حكايات الصالحين، فوقع في نفسي: كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكي حكايات الصالحين؟، قال: فما تم لي الخاطر حتى نظر إلي الشيخ شزرا وقال لي: يا أحمد؛ الحكايات جند من جنود الله، يثبت الله بها قلوب العارفين من عباده. قال: فما بقي في جسدي شعرة إلا قطر منها العرق، فلما رآني دهشت، قال لي: يا أحمد ؛ أين مصداق ذلك من كتاب الله؟، قلت: الشيخ أعلم، قال: قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾. [هود : 120]» .

« وقال الجنيد: الحكايات جند من جنود الله يقوي الله بها أبدان المريدين. و كان سيدي المنتوري – رحمه الله – لم يزل ينشدنا:

اسرد حديث الصالحين وسمهم ... فبذكرهم تتنزل الرحمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهم ... وقبورهم زرها إذا ما ماتوا »

وفي "المرآة" و"تحفة أهل الصديقية" و"الروض" وغيرها: أن الشيخ أبا العباس المرسي – رضي الله عنه – كان كثيرا ما ينشد:

لي سادة من عزهم ... أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي ... في ذكرهم عز وجاه

ولبعضهم:

كرر حديثهم فما أحلاه ... وألذُّه عندي وما أهناه
روّح به روحي وحدث عنهم ... فحديثهم للقلب ما أشهاه
بالله واهتف مرة أخرى بهم ... فعسى ينال الصب منه مناه

وفي "تحفة الأخوان" للشيخ أبي العباس المرابي نقلا عن بشر الحافي أنه كان يقول: « حسبك بقوم موتى تحيى القلوب بذكرهم، وبقوم أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم »، وقال التادلي في "التشوف":

« قال يونس بن محمد: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين، وقال سفيان [13] الثوري: إن لم نكن صالحين فإنا نحب الصالحين ».

وقال الشيخ الإمام أبو عبد الله سيدي محمد الصغير اليفرني في أول كتابه المسمى "بصفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر" ما نصه: « في مناقب الصالحين فوائد كثيرة، وفي جمع كراماتهم أمور أثيرة، وقد قال بعض العلماء العارفين: إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة، ويخلق الله من هذه الرحمة سحابة تمطر في أرض الكفار، وكل من شرب من مائها أسلم ».

وقال الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: « وإذا تعذرت رؤيتهم ومصاحبتهم؛ فلا شيء أنفع للقلوب والنفس من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا عليه من الجهد الجهيد في العبادة، وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الأبد لا ينقطع، فما أعظم ملكهم، وما أشد حسرة من لم يقتد بهم ». نقله صاحب "الروض" وغيره.

وقال الشيخ الإمام الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد المهدي الفاسي في "تحفة أهل الصديقية" ما نصه: « وإذا فات المحب لهم العثور عليهم ومشاهدة طلعتهم؛ فليستطب حديثهم، ويقتبس من أشعتهم، ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾. [البقرة : 265]؛ ﴿ فإن لم تجدوا ماء فتيمموا ﴾. [المائدة : 7]، وإذا أعوزه مجالسة أشباحهم، فليستنشق نسمة أرواحهم، وهم القوم لا يشقى جليسهم، ومن أحب قوما حشر معهم، وإذا صح ارتباط الأرواح فلا عبرة بالأشباح، وفي عالم الأرواح يتحد المكان والزمان، إذ الأرواح لا قرب عندها ولا بعد، فهي غير مقيدة بمكان، ومددها واصل في كل زمان، ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء ﴾. [آل عمران : 169] وعند ذكرهم تتنزل الرحمة، والرحمة إذا نزلت عمت، ومن رحم فقد فاز، وعسى أن يكون من ذلك ومن بركته أن يجمعك الله بولي في وقتك، فيأخذ بيدك ويفتح بصيرتك، فإنه على ما يشاء قدير ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾. [إبراهيم : 20] ».

وقال العلامة ابن زكري في شرح "النصيحة"، لما تكلم على قول سفيان بن عيينة: « عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة »، وذكر أنه ليس بحديث مرفوع؛ ما نصه: « لا شك أنه مؤيد بالنصوص، فلازم زيارتهم وذكرهم ومحبتهم تفتح لك الباب، ويرفع عن قلبك الحجاب، فإن من شيمهم الفاضلة، وأخلاقهم الكريمة: أن يقبلوا من قصدهم، ولا يخيبوا من التجأ إليهم وأحبهم، ويرحم الله سيدي رضوان حيث قال:

فنحن كلاب الدار طبعا ولم نزل	نوالي مواليها ونحرس بابها
نسبن لهم إذ كانوا أهل عناية	فإن كرام العرب تحمي كلابها

[14] إذا طردت يوما كلاب قبيلة فقومي كرام لا تهين كلابها

يشير إلى أن الأولياء قوم كرام لا ينكب من أقبل عليهم، ولا يضام من استند إليهم ».

وبالجملة ؛ فذكر الصالحين وأخبارهم وأحوالهم ومحاسنهم وسيرهم يجمع خصال الخير كلها، وبذلك يتقوى قلب المريد، وتنبعث همته لطلب المزيد، ولذلك ملأ الصوفية كتبهم به، بل لأجله جمعت، وفيه ألفت، وعليه دارت. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[المقدمة الثانية]

[في حكم الزيارة، وذكر بعض فضائلها وفوائدها المختارة، وفوائد وجود الأولياء بيننا، وظهورهم وظهور أضرحتهم لنا]

[حكم الزيارة]

الزيارة - كما ذكره بعض العلماء - تنقسم إلى خمسة أقسام، عدد أقسام الحكم الشرعي:

فتكون واجبة: كزيارة الإنسان والديه لحقهما، سيما إن كان الوالد جمع علما وعملا ومالا ؛ فيزوره على جميع ذالك، وكذا زيارة شيخه الذي يستفيد منه العلوم والمعارف، سيما إن كان عالما بدسائس النفوس ومخاتلها، بل يجب عليه إن وجد محققا ملازمته، ولا يفارقه حتى يأذن له أو تنفتح بصيرته.

وتكون مستحبة: كزيارة غير والديه من ذوي نسبه ورحمه، وغير شيخه من الصالحين.

وتكون جائزة: كزيارة غيرهم ممن لا تضر معرفته.

وتكون مكروهة: كزيارة أقران السوء الذين يخاف أن تعدو عليه مخالطتهم، وتفسد عليه دينه معرفتهم.

وتكون محرمة: كزيارة الكافرين - والعياذ بالله تعالى - أعداء الدين، على وجه الصحبة والمواصلة لهم.

قال في "معتمد الراوي": « وأدلة كل من هذه الأقسام ظاهرة وتقريرها يطول. . قال: وقد عبر ابن الحاج في مسألة: زيارة الصالحين. تارة بـ: "ينبغي" المؤذنة بالاستحباب، وتارة بـ: "تعين" المؤذنة بآكد من الاستحباب؛ فقال في مدخله: ينبغي أن لا يخلي نفسه من ورد زيارة الصالحين الذين برؤيتهم يحيي الله القلوب الميتة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر، وتنشرح بهم الصدور الصلبة، وتهون برؤيتهم الأمور الصعبة، إذ هم وقوف على باب الكريم المنان، ولا يحرم قاصدهم، ولا يخيب مجالسهم ولا معارفهم ولا محبهم، إذ هم بـاب الله تعالى المفتـوح لعباده، ومن كان كذلك فتعين المبادرة إلى رؤيته ».

وذكر الشيخ الإمام أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في شرحه "لعدة الحصن الحصين" نقلا عن الشيخ زروق في قواعده أن: « زيارة العلماء [15] والصلحاء مستحبة إن سلمت من فعل محرم أو مكروه بيّن في أصل الشرع ».

وقال في "الأجوبة الناصرية" ما نصه: « زيارة قبور الأولياء ترياق نافع للقلوب، وهي من أفضل المندوبات ».

وقال ابن الحاج في كتابه "المدخل" أيضا ما نصه: « مازال الناس من العلماء والأكابر، كابرا عن كابر، مشرقا ومغربا، يتبركون بزيارة قبور الصالحين، ويجدون بركة ذالك حسا ومعنى. . . قال: وقد ذكر الشيخ الإمام أبو عبد الله ابن النعمان – رحمه الله – في كتابه المسمى "بسفينة النجاء، لأهل الإلتجاء، في كرامات الشيخ أبي النجاء" في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه: تحقق لذوي البصائر والاعتبار، أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم، كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين ».

ثم نقل في "المدخل" عن الشيخ أبي حامد الغزالي في "الإحياء" في كتاب: آداب السفر. قال ما نصه: « ويدخل في السفر لأجل العبادة: زيارة قبور الأنبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى . لأن ذلك في المساجد؛ لأنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا؛ فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء وبين الأولياء والعلماء في أصل الفضل ، وإن كانت تتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عز وجل. . . ».

وفي "القواعد" للشيخ زروق – رحمه الله – قال: « كل من يجوز التبرك به في حياته يجوز التبرك به بعد موته. كذا قال الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله – في كتاب: آداب السفر قال: ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يعارضه حديث: لا تشد الرحال إلا للمساجد الثلاثة. لتساوي المساجد في الفضل دون الثلاث، وتفاوت العلماء والصلحاء في الفضل، فتجوز الرحلة عن الفاضل للأفضل، ويعرف ذلك من كراماته وعلمه وعمله، سيما من ظهرت كراماته بعد موته مثلها في حياته؛ كالسبتي، أو أكثر منها في حياته؛ كأبي يعزى، ومن جربت إجابة الدعاء عند قبره، وهو غير واحد في أقطار الأرض. وقد أشـــار إليه الشافعي– رحمه الله – حيث قال: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب ». [16] انتهى. نقله شارح الحصن، وكذا العلامة ابن زكري في "شرح النصيحة".

وفي "المرآة" من جواب للشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي – رضي الله عنه – قال: « الذي عليه الجمهور وجرى به العمل في سائر الآفاق: زيارة قبور الصالحين والانتفاع بهم، واقتباس بركاتهم، إذ هم أبواب الله »، ثم استدل على ذلك بكلام الشيخ أبي حامد في "الإحياء" وكلام الأبي، والبرزلي، وابن حجر العسقلاني، وأبي القاسم العبدوسي، والشيخ زروق، وصاحب "المدخل". .

ثم قال: « قول من قال: لا ينتفع بغيره صلى الله عليه وسلم. واقتصر بالزيارة عليه، مرجوح ومخالف للجمهور. وعلى كلٍ؛ قول: الانتفاع به صلى الله عليه وسلم حاصل، ولا يخفى على واصل، ويشهد لذلك النقل الصحيح. والكشف الصريح. أما النقل؛ فقوله تعالى: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾. [الشورى : 23] على القول بأن القرابة: أحباؤه، وثبت في صحيح الأحاديث كثير منه. وأما الكشف: فالمعروف عند المحققين وأرباب القلوب من العلماء المهتدين، ولا مخالف في ذلك، أن زيارة الأولياء والعلماء – رضي الله عنهم – مواصلة له صلى الله عليه وسلم، إذ كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت، وبطلعته ظهرت، وكيف لا؛ وسائر العلماء والأولياء صور تفصيله صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه ومظاهر تعيناته، فما منهم إلا وهو سـابح في نوره، ويمتد من بحره، على حـسـب مقامه، فهو الجامع لما افترق، والرســول على الإطلاق؟!! » انتهى المراد منه. وانظره.

وقد علم منه ومما سبق أنه: كما تطلب زيارة الأنبياء والصحابة والتابعين والأولياء، تطلب زيارة العلماء الأتقياء، وإن لم يشتهروا بولاية أو صلاح. وقد أخرج الرافعي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده – وهو: معاوية بن حيدة – ورفعه: « من استقبل العلماء فقد استقبلني، ومن زار العلماء فقد زارني، ومن جالس العلماء فقد جالسني، ومن جالسني فكأنما جالس ربي. . . »، والعلم مع العمل هو عنوان الصلاح، ودليل الرباح والنجاح، والاستقامة خير من ألف كرامة ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾. [الحجرات : 13] وأولاكم به أخشاكم.

وقد قال بعض الحكماء: « ليت شعري؛ أي شيء أدرك من فاته العلم؟، وأي شيء فات من أدرك العلم؟! ». وفي "تنبيه المغترين" للإمام الشعراني، نقلا عن الحسن البصري قال: « العلماء سرج الأزمنة؛ فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره، ولولا العلماء لصار [17] الناس كالبهائم ». وذكره غيره عنه بلفظه: « لولا الأبدال لخسفت الأرض بمن فيها، ولولا الصالحون لفسدت الأرض، ولولا العلماء لكان الناس في عمى مثل البهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا، ولولا الحمقاء لخربت الأرض، ولولا الريح لأنتن ما بين السماء والأرض ».

وعن أبي حنيفة والشافعي – رضي الله عنهما – قالا – حسبما نقله عنهما النووي في كتاب "التبيان" و"شرح المهذب"، ونقله عنه الحطاب أول شرح "المختصر"، وجسوس في "شرح تصوف المرشد" – : « إن لم يكن العلماء – وفي لفظ: الفقهاء – أولياء فليس لله من ولي »، وفي "الفوائد المتبعة في العوائد المبدعة" للعلامة ابن زكري ما نصه: « وقد قال الإمام الشافعي وأبو حنيفة – رضي الله عنهما – وغيرهما: إن لم يكن العلماء أولياء فليس لله من ولي ».

بل صرح الشيخ أبو إسحاق الشاطبي بأفضلية درجة العلم على درجة الولاية، وهو مأخوذ من أحاديث يطول جلبها، ومثله في "لوامع أنوار الكوكب الدري" عند قول الإمام البوصيري رضي الله عنه:

لم نخف بعدك الضلال وفينا وارثوا نور هديك: العلماء

قلت: ومراده بالعلم الذي درجته أفضل من درجة الولاية: العلم المصحوب بالخشية والتواضع، والإنابة والتقوى، المهتدى بصاحبه في الدين والدنيا . لا مجرد العلم. وبالولاية: ولاية الصلاح والانقطاع إلى العبادة والطاعة، لا ولاية التخصيص والتقريب والتعريف؛ فإنها أفضل.

وعليه: فلا ينافي ما ذهب إليه المحققون؛ كالشيخ أبي حامد الغزالي، والأستاذ أبي القاسم القشيري وغيرهما من تفضيل درجة الولاية على درجة العلم، لأن مرادهم بها: الولاية بالمعنى الثاني. . . فافهم.

ومن جواب لابن رشد ذكره في "المعيار" ما نصه: « أما تفضيل العارفين بالله على العارفين بأحكام الله؛ فقول الأستاذ وأبي حامد متفق، ولا يشك عاقل أن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال أفضل من العارفين بالأحكام، بل العارفون بالله أفضل من أهل الأصول والفروع، لأن العلم يشرف بشرف المعلوم ».

وقال الشيخ أبو علي سيدي الحسن ابن رحال المعداني في "الروض اليانع" ما نصه: « وسأل جماعة من الفقهاء الشيخ الإمام عز الدين ابن عبد السلام قالوا: ما تقول في الخضر عليه السلام، أهو حي؟، قال: فما تقولون لو أخبركم ابن دقيق العيد أنه رآه بعينه، أكنتم تصدقونه أم تكذبونه؟، قالوا: بل [18] نصدقه، قال: والله لقد أخبر عنه سبعون صديقا أنهم رأوه بأعينهم كل واحد منهم أفضل من ابن دقيق العيد . قال بعض الأئمة: وهذا هو الصحيح المختار عند المحققين من الموفقين من العلماء: أن العارفين بالله أفضل من العلماء بأحكام الله، وبهذا قال الشيخ عز الدين المذكور وغيره. . . ».

« وقال الشيخ تقي الدين بعد أن ذكر بعض الأولياء ممن رآه: هو عندي خير من القاضي ومن كذا وكذا فقيه، وذكر لبعض الأخيار من العلماء المكيين - وهو: القاضي نجم الدين الطبري - أنه: جاء خبر إلى مكة أن الإمام العارف بالله تعالى إسماعيل بن محمد الحضرمي توفي ؛ فقال السيد الإمام أحمد بن موسى ابن عجيل - رضي الله عنه - وكان حينئذ بمكة: أرجو أن يفديه الله بمائة فقيه، ثم جاء الخبر الصحيح أنه حي، ولم يمت إلا بعد مدة بعيدة » . انتهى كلام أبي علي.

وقال الشيخ أبو العباس ابن عجيبة في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾. [المجادلة : 11] ما نصه: « فالعلماء المخلصون الذين عرفوا الله من طريق البرهان تلي درجتهم درجة الأولياء الذين هم أهل الشهود والعيان، ثم الصالحون الأبرار، ثم عامة المؤمنين. ومن قال غير هذا فهو جاهل بمرتبة الولاية. والله أعلم ».

فإن قلت: ما تقول في قول القاضي أبي بكر ابن العربي: « لا يزار قبر ينتفع به غير قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم». وكذا قول الشيخ أبي محمد الشارمساحي: « زيارة الموتى بترحم الأحياء، وقصد الانتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين »، وقول ابن ليون في "اختصار الرسالة العلمية للششتري": « إن زيارة الموتى ليست من طريق القوم »، وفي نقل بعضهم عنه قال: « ليس من شأن الفقراء شد الرحال للزيارة، وقل من اشتغل بذلك فنفعه. . . » ؟؟.

قلت: تقدم جواب الشيخ أبي المحاسن عن هذا بأنه مذهب مرجوح مخالف لما عليه الجمهور. وكذا قال في "شرح عدة الحصن الحصين" عند قول الأصل: « وجربت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة »: « هو خلاف مذهب الجمهور وما عليه عمل الأئمة. . . ». ثم قال:

« قال شيخ شيوخنا الإمام العارف أبو زيد عبد الرحمن: لعل ما نقل عن ابن العربي ينظر إلى سد الذرائع وحسم مادة البدع الحدثة المتطرقة في ذلك، ومع هذا؛ فلا معول عليه ولا التفات إليه، وعمل [19] الأئمة على خلافه، والإنكار جحد للضروريات. والله أعلم ».

« وفي النوازل – يعني: نوازل "المعيار" – من فتاوي المتأخرين: جواز أخذ التراب منهم للاستشفاء كما يفعله أهل هذه البلدة – يعني: فاسا – بتراب سيدي أبي غالب وغيره. قال: ودليلهم فعل السلف ذلك في قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه، وإنما لم يقع في زمانه – عليه السلام لأنه لا معدل عنه إلى التماس البركة من غيره »، وفي القصيدة السينية لابن باديس:

لا تسمعن من قاصر النفع فيهم ... على من يكن حيا فذاك من الطلس
فإن شهود النفع ينفي مقالـه ... ولا سيما والقوم نصوا على العكس. انتهى.

وقد نقل الشيخ زروق في شرحه للمباحث كلام الشيخ أبي حامد الغزالي المتقدم في إثبات الزيارة وطلبها؛ ثم قال عقبه ما نصه: « وقد نقله ابن الحاج في مدخله واعتمده بنصه وحروفه، وظاهر كلام المتأخرين وأحوالهم العمل عليه. وقد ظهرت بركاتها على خلق كثير في أمور شتى، لو اشتغلنا بها لاستدعت أسفارا عديدة، ووقع لنا منها غزير ».

وقد ذكر الناس لها فضلا عظيما، وخيرا كبيرا جسيما، حتى قال صاحب كتاب "المرقى في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي" ما نصه: « فيها من الخير المشاهد ما تكل عن إحصائه الألسن، وتعترف بوجوده المسامع والأعين، وما جرب من نفعها وتأثيرها أمر شهير، وبلوغ الدرجات بها وتسهيل المعوصات أمر ظهير، ودفع الشدائد والمصائب، بعد تراكم الأحزان والنوائب، مشاهد لملازمها، ظاهر لفاعلها ».

وقال أيضا ما نصه: « قال بعضهم: وأما زيارة موتى الصالحين والعلماء والشهداء والأولياء؛ فمن غنائم أهل الدين، لأنه يحصل له محبتهم ومعرفتهم ومواصلتهم، وذلك من الغنائم العظام ».

وفي "تحفة الأحباب وبغية الطلاب" للإمام السخاوي – رحمه الله – ما نصه: « واعلم أن قبور الصالحين لا تخلو من بركة، وأن زائرها والمسلم على أهلها والقارئ عندها لمن فيها لا ينقلب إلا بخير، ولا يرجع إلا بأجر، وقد يجد لذلك أمارة تبدو له، أو بشارة تنكشف له، فمما روي عن يحيى بن سعيد عن شعبة بن الحجاج قال: فتن الناس بقبر عبد الله بن غالب. فأخذت من ترابه فإذا هو مسك، أو تحته مسك. وقصة هذا القبر مشهورة، ولما خيف على [20] الناس منه الفتنة سوي. وذكر ابن إسحاق وقال: حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها قالت: لما مات النجاشي؛ كان يتحدث أنه لا يزال على قبره نور ».

وفي "تحفة الإخوان" للإمام المرابي عن بعض الصالحين أنه: رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال له: ما أفضل الأعمال يا رسول الله؟، قال: « جلوس العبد بين يدي ولي من أولياء الله تعالى مقدار حلب شاة »، قيل: حيا كان أو ميتا ؟، قال: « حيا كان أو ميتا !!. . . ».

وفي "الصفوة" للعلامة اليفرني قال: « حدثنا شيخنا الفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن قال: حدثنا أبو سالم العياشي عن أبي العباس الأبار عن ابن القاضي عن أبي زكرياء الحطاب عن والده محمد بن عبد الرحمن الحطاب شارح "مختصر خليل" عن الشيخ العارف بالله أبي العباس سيدي أحمد زروق قال: حدثنا الشيخ أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي أنه روى أن بعض الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: يا رسول الله؛ ما أدركناك حتى نسألك عن أفضل الأعمال!!، فقال له عليه الصلاة والسلام: « أفضل الأعمال: وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله تعالى قدر حلب شاة أو ساعة ». قلت: يا رسول؛ الله حيا كان أو ميتا ؟، قال: « حيا كان أو ميتا ».

ونقل هذه الحكاية أيضا الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله الخياط الهاروشي في كتابه المسمى "بالفتح المبين" عن الشيخ زروق، وقال عقبها ما نصه: « قال الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي في أجوبته: وهذا أقل ما ينبغي أن يمكث الزائر بين يدي الولي أي: مقدار حلب شاة – وما زاد فهو خير ».

قلت: وسمعت الفقيه سيدي أبا بكر بن الفقيه سيدي محمد الرضى المكي بهذه الحضرة الإدريسية بعد قدومه لها يقول: سمعت والدي المذكور ورجلا آخر من أبناء عم الشيخ أبي بكر الحضرمي – وكان أبو بكر هذا يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة، قالا: سمعنا الشيخ أبا بكر المذكور يقول: قلت مرة: يا رسول الله؛ حدثني كما حدثت أصحابك!. فقال عليه السلام: « من حمل السبحة – أي: بقصد ذكر الله عز وجل فيها – كتب من الذاكرين الله كثيرا وإن لم يستعملها، ومن شرب القهوة – يعني: ليستعين بها على السهر في طاعة الله تعالى – لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام طعم القهوة في فيه، ووقفة على ولي حي أو ميت خير من عبادة سبعين سنة. . . »، أو كما قال. . .

ومن كلام العارف بالله تعالى أبي حامد [21] مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي – رضي الله عنه – قال: « ما نفع القلب شيء مثل: الزهد في الدنيا، والجلوس بين يدي الأولياء ». يعني: أحياء كانوا أو أمواتا.

وفي حواشي العلامة الشيخ يوسف السفطي على "شرح العشماوية" لابن تركي، نقلا عن الأجهوري قال: « من زار وليا ؛ فإن التراب الذي يضع قدمه عليه ينقل إلى بلاد الكفار، فكل كافر يمشي عليه ؛ فإن الله تعالى يهديه للإسلام. قال: وهي فائدة حسنة ».

وفي "الفتح المبين" لسيدي عبد الله الخياط الهاروشي ما نصه: « قال شيخنا العياشي حفظه الله: رأيت منصوصا أن الزائر إذا رجع من زيارته ونفض نعله مما يعلق به من الغبار ؛ فإن لله ملائكة موكلين بذلك الغبار يلتقطونه ويرفعونه إلى بلاد النصارى – دمرها الله – فيذرونه على رؤوس الأسارى ؛ فيقذف الله بسبب ذلك رحمة في قلوب النصارى حتى لا يكلفون الأسارى مالا يطيقون ولا يقتلونهم. فقلت له: إذا ينبغي للزائر أن ينفض نعله كلما زار بقصد منفعة إخوانه المسلمين. فقال لي: ما أحسنه!! ».

وفي "المنح البادية": « وكان أبو عبد الله الشَجَري يقول: أنفع شيء للمريد: صحبة الصالحين، والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وشمائلهم، وزيارة قبور الأولياء، والقيام بخدمة الأصحاب والرفقاء ».

وفي "دوحة البستان": « قال الشيخ الجزولي – رضي الله عنه –: الأولياء باب، وزيارتهم مفتاح، ومحبتهم دخول ؛ فإذا أحببتهم أحبوك، فإذا أحبوك سبغوك، فإذا سبغوك بلغوك »، أي: وصلوك إلى المقصود، ورجعوا عنك وتركوك، أي: إلى مولاك. وفيها أيضا نقلا عنه أيضا قال: « كان شيخنا سيدي محمد أمغار – رضي الله عنه – يقول: عليكم بذكر الله العظيم، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، وزيارة أولياء الله؛ فبذكر الله تطمئن القلوب، وبزيارة أولياء الله تعرف الطريق إلى الله. وكان الشيخ العارف أبو الحسن سيدي علي الحارثي دفين الجبيل من حومة الرميلة يحض عليها – أعني: الزيارة – كثيرا ويقول: إنها شفاء القلوب ونورها. وكان تلميذه سيدي محمد بن عطية يحض عليها أيضا ويقول: الزائر لله يطهر قلبه وقالبه كما يطهر الثوب الأبيض من الدنس. وقال بعضهم: فيها النور الموهوب، والعلم المكسوب، والشفاء للقلوب. وقال آخر: فيها شفاء للقلوب، وراحة للأبدان، ومقمعة للشيطان، ومرضاة للرحمن [22] وقال الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي التادلي دفينها: لو يعلم الزائر ما في الزيارة لجعل عمره كله زيارة ما لم يطلب الدنيا. وكان الشيخ سيدي أبو مدين – رضي الله عنه – يقول: اتفق ثمانون شيخا من مشايخ الصوفية على زيارة الصالحين واكتساب الأحوال منهم» .

وبالجملة: فالزيارة ركن من أركان القوم، بل هي عمادهم واعتمادهم، ومازالوا يتواصون بها ويحضون عليها .

[من فوائد زيارة قبور الصالحين]:

وقد ذكروا [لها] أسرارا عديدة وفوائد جديرة:

منها: الاتعاظ والتذكر برؤية مقابرهم وروضاتهم، والعلم بأن الموت سبيل مسلوك لا يتخلف عن سلوكه أحد، لأنه إذا كان هؤلاء – وهم من هم في القرب من مولاهم والمكانة منه – سلكوه، فكيف بمن سواهم؟!!. وبالتذكر لهذا والاعتبار به تنجلي عن القلب القسوة، وتنكشف عنه البلوة، ويحصل لصاحبه الرغبة عن الدنيا والإقبال على الآخرة، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور ؛ فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة ». وفي رواية: « ألا فزوروها ؛ فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة »، وأنشدوا:

إن القساوة لا دواء لضرها	إلا زيارة ساكن الألحاد
ولرب زورة عارف أربى الفتى	منها على العباد والزهاد
ولخير أعمال العباد جلوسهم	عند الولي هنية للصاد

قلت: وهذه الأبيات للفقيه الأديب الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد الطيب بن مسعود المريني، من جملة قصيدة له في الحث على زيارة الشيخ أبي المحاسن الفاسي وحلول ضريحه، وهي مكتوبة في جدار قبته.

ومنها: الاستمداد من بحر جودهم وكرمهم، والاغتراف من فيض نوالهم وعطائهم.

ومنها: التعرض لنفحات الرحمة الإلهية، والتطلب لعوارف المعارف الإحسانية، إذ هم أبواب الله تعالى وبواب حضراته، ويوجد عند أضرحتهم من الرحمات والبركات ما لا يوجد عند غيرها.

ومنها: التوسل بهم إلى الله تعالى، والاستشفاع بهم إليه ؛ فإن شفاعتهم مقبولة، وجاههم عند الله عظيم، فلا يكاد يستشفع بجاههم أحد ويخيب. ومن جواب للشيخ التاودي – رحمه الله – مذكور في نوازله ما نصه: « وأما السر في زيارة الصالحين ؛ فلأنهم عباد الله المخلصون، وأولياؤه المقربون، فهم باب من أبواب رحمته، وخلائف النبوءة، وسر من أسرارها، وانبسط عليهم [23] جاهها فيتوسل بهم إلى الله تعالى... ».

وفي "منهاج الفلاح" لابن عطاء الله: « وإياك أن تعتقد أنه لا يتوسل بالأنبياء والصالحين ؛ فإنهم جعلهم الله وسيلة إليه، وكل كرامة منهم تصديق للنبي صلى الله عليه وسلم ».

وللشيخ الشهير، الولي الكبير، العالم العلامة، الزاهد الورع، أمير أولياء الله تعالى في وقته: أبي سالم وأبي إسحاق سيدي إبراهيم بن محمد بن علي التازي، نزيل مدينة وهران، ودفين زاويته منها، المتوفى سنة ست وستين وثمانمائة:

زيارة أرباب التقى مرهم يبري ... ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث في القلب الخلي إرادة ... وتشرح صدرا ضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلوما وترفع خاملا ... وتكسب معدوما وتجبر ذا كسر
وتبسط مقبوضا وتضحك باكيا ... وترجع بالبر الجزيل وبالأجر
عليك بها فالقوم باحوا بسرها ... وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر
فكم خلصت من لجة الإثم فاتكا ... فألقته في بحر الإنابة والبر
وكم من بعيد قربته بجذبة ... فجاءه الفتح المبين من البر
وكم من مريد أظفرته بمرشد ... حكيم خبير بالبلاء وما يبري
فألقى عليه حلة يمنية ... مطرزة باليمن والفتح والنصر
فزر وتأدب بعد تصحيح نية ... تأدب مملوك مع المالك الحر
ولا فرق في أحكامها بين سالك ... مرب ومجذوب وحي وذي قبر
وذي الزهد والعباد فالكل منعمٌ ... عليه ولكن ليست الشمس كالبدر
وزورةُ رسل الله خير زيارة ... وهم درجات في المكانة والقدر
وأحمد خير العالمين وخير من ... تيممه العافون في العسر واليسر
وأمته أصحابه الغر خيرهم ... وأفضل أصحاب النبي أبو بكر
ويتلوه فاروق أبو حفص الرضى ... على رأي أهل السنة الشهب الزهر
وبالوقف قالوا في الحزبر أخي العلا ... علي وعثمان الشهير أبي عمرو
وقالوا كترتيب الخلافة فضلهم ... وقد تم نظمي في المزور وفي الزور
على أنبياء الله مني ورسله ... وخاتمهم أزكى سلام مدا الدهر
وقرباه والصحب الكرام وتابع ... لهم في التقى والبر والصبر والشكر

[من فوائد وجود الأولياء في أرض ما]:

واعلم أن من أعظم نعم الله علينا، وأكبر أياديه لدينا: وجود الأولياء وظهورهم، وظهور أضرحتهم، وفي ذلك من المنافع والفوائد ما لا يدخل تحت حصر ؛ فمن الفوائد في ذلك:

وجود البركة بالأرض، وكثرة النفع، وإدرار الرزق، إذ لولاهم ما أرسلت السماء قطرها، ولا أبرزت الأرض نباتها، ولصب البلاء على أهل الأرض صبا؛ لحديث الطبراني في "الأوسط" عن أنس [24]

رفعه: « لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن؛ فبهم تسقون وبهم تنصرون. . . »، الحديث، وسنده حسن. وفي لفظ آخر أخرجه ابن حبان في تاريخه عن أبي هريرة مرفوعا: « لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن، فبهم تغاثون وبهم ترزقون، وبهم تمطرون »، وأخرج الطبراني في "الكبير" عن عبادة بن الصامت مرفوعا: « الأبدال في أمتي ثلاثون؛ بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون، وبهم تنصرون »، وورد من طرق مرفوعا: « لولا عباد لله ركع، وصبية رضع، وبهائم رتع؛ لصب عليكم البلاء صبا، ثم لترضّن رصا ».

ومنها: أنهم أحباء الله وأصفياؤه من خلقه، ومظاهر أنواره وأسراره، وهم أساس الدين والدنيا، وورثة الأنبياء، فإذا عرفوا، وتعلق بهم أحد أو احتمى بجنابهم؛ ورث مما ورثوا، وظفر بشيء مما ظفروا، لحديث الصحيحين وغيرهما: « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ».

ومنها: أن من أحبهم وواصلهم ووالاهم؛ كان منهم، واستوجب محبة الله ودخول الجنة، للحديث المتواتر: « المرء مع من أحب »، وحديث أحمد وغيره بسند صحيح عن عبادة بن الصامت مرفوعا قال: قال الله تعالى: « حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في؛ المتحابون في على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء ». وحديث البخاري في "الأدب"، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في "الشعب"، وغيرهم عن أبي هريرة رفعه: « إذا عاد الرجل أخاه أو زاره في الله؛ قال الله له: طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة ».

وفي كتاب "بذل المناصحة": قال الشيخ زروق رضي الله عنه: « اعلم أن روح الإسلام: حب الله، وحب رسوله، وحب الآخرة، وحب الصالحين من عباده ».

وفي "شرح النصيحة" للعلامة ابن زكري ما نصه: « وعن سيدي عبد الرحمن الثعالبي بسنده إلى الإمام الطبري قال: مات غريب عندنا بمكة، فأخرجناه إلى باب المعلا، وجلسنا لإصلاح دفنه، فاستوى جالسا. قلنا: أليس قد مت؟!. قال: بلى؛ ولكن رجعت لأبشركم وأحدثكم: أنفع ما عندنا: محبة الصالحين وموالاتهم، ثم رجع ميتا ». وفي وصية للشيخ أبي علي سيدي الحسن اليوسي: « وأكثروا من محبة الصالحين؛ فإنها شفاء ودواء ».

وفي الحديث عنه عليه السلام أنه قال: « يوتى بالعبد يوم القيامة، فيقف بين يدي الله تعالى، فيقول له: يا عبدي؛ هل أحببت لي وليا فأحبك له؟ ». وقال الشيخ أبو طالب المكي: « إن لم تكن من الصالحين فتحـــبب إليهم، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوبهم فلعله يراك فيها فيلحقك بهم ». وفي رواية: « فلعله ينظر إلى اسمك فيها فيغفر لك ».

ومما ينسب للإمام الشافعي رضي الله عنه [25]:

أحب الصالحين ولست منهم ... وأرجو أن أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي ... وإن كنا سواء في البضاعة

ومنها: أن برؤيتهم والجلوس بين أيديهم تصفو القلوب وتمحى عنها الذنوب، وتجدُّ في طلب رضى المحبوب، وهم سبب سعادة ابن آدم في الدنيا والآخرة. وقد قال في "المقصد الوريف" ما نصه: « ولا يقع نظر إنسان على الولي من غير معرفة إلا غفر الله له ولوالديه إن كانا مؤمنين ولسبعين من أهل بيته، هذا لمن لم يعرفه، فكيف بمن عرفه على وجه الميراث والاقتباس؟، وذلك على قدر قسم الله تعالى لعبده ».

وفي "جواهر المعاني": « قلت للشيخ أبي العباس أحمد التجاني، رضي الله عنه: يا سيدي؛ ما أفضل: هل النوافل والأذكار وغير ذلك، أم مجالسة الأشياخ؟، فقال: بل مجالسة الأشياخ أفضل؛ لا يعادلها شيء، وجلستك بين يدي ولي أفضل من الدنيا وما فيها . . . ».

وذكر في "تحفة الإخوان" أن الشيخ العارف بالله سيدي قاسم ابن رحمون أخذه الحال مرة فقال: « إن نظرة واحدة في وجه مولاي الطيب – يعني: الوازاني – خير من عبادة ثلاثين سنة ». وأقسم على ذلك ثلاث مرات.

وللشيخ العارف بالله سيدي الحسين بن عبد الشكور البكري الطائفي، المدفون بالمدينة المنورة:

فجالسهم تجانسهم وتضحى ... سعيدا في الحياة وفي الممات
وصاحبهم على ما يرتضوه ... وكن عبدا على قدم الثبات

ومنها: أنهم مفزع الخائفين، ومستراح العاصين والمذنبين، إليهم يلجأ كل مكروب، وبهم يسلو كل محزون، وكل من نزل به أمر أو شدة، توجه إليهم، وتوسل إلى الله بجاههم، لأنهم أبواب الله في الأرض.

ومنها: أنهم أمان البلاد والعباد، ورحمة من الله الكريم الجواد. وقد ورد في حديث قدسي أن الله عز وجل قال: « أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا؛ ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم ».

ومنها: أنهم يشفعون في الآخرة كل على قدر رتبته مع الله عز وجل، وقد جاء أن الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء والشهداء والأولياء وآل البيت يشفعون يوم القيامة، بل ورد أنه: ما من مؤمن إلا وله شفاعة، أخرج ابن النجار في تاريخه عن أنس مرفوعا: « استكثروا من الإخوان؛ فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة ».

وقد حكي عن بعض الصالحين - كما ذكره الإمام المرابي [26] في "التحفة"، وابن زكري في "شرح الصلاة المشيشية" وغيرهما أنه: « رأى رجلا بعد وفاته في النوم؛ فقال له: ما فعل الله بك وماذا لقيت؟، فقال له: لما دخلت القبر جاءني زبانية العذاب وأرادوا الانصراف بي إلى جهنم، فقلت لهم: أما تعرفونني؟، فقال لي واحد منهم: ومن أنت؟ فقلت: أنا خديم أبي يزيد البسطامي، فقال لأصحابه: دعوه حتى نرى أبا يزيد، فإن كان كما قال خلينا سبيله، وإن كان غير ذلك أخذناه. فأتوا أبا يزيد وقالوا له: إن هذا الرجل ادعى صحبتك. فقال لهم: لم أعرفه وليس كما قال. فقال له الرجل: سبحان الله؛ ما أسرع ما نسي الناس، أما تذكر يوم كنت خارجا من المسجد الفلاني وتحت إبطك ثوب، وأردت أن تنتعل نعلك فمنعك الثوب من ذلك، فناولتنيه وانتعلت؟!!. فقال له: نعم. فخلي وترك ومضوا عنه »، قال العلامة ابن زكري عقب هذه الحكاية: فأدنى انتساب لهم، وأقل قرب منهم نافع غاية النفع، حتى مصافحتهم وملاقاتهم ».

ولله در القائل:

شابكتهم متبركا بأكفهم	إذ شابكوا كفا علي كريمة
ولربما يكفي المحب تعللا	آثارهم وبعد ذاك غنيمة

وذكر صاحب "إثمد العينين في مناقب الأخوين" وغير واحد أن: الولي يوم القيامة يكون في موكبه ذاهبا إلى الجنة، فينظر وإذا ببعض العصاة يساق إلى النار - والعياذ بالله تعالى -، فيقف ويأتيه، فيسأله: « هل رأيتني في دار الدنيا ؟ »؛ فيقول: « لا »؛ فيقول: « هل زرتني؟ »، فيقول: « لا ». فيقول: « هل سمعت بذكري؟ ». فيقول: « نعم؛ كنت أسمع الناس يقولون: سيدي فلان ». فيقول ذلك الولي: « امض إلى الجنة حتى لا يمشي للنار من سمع اسمي في دار الدنيا! ». فإذا النداء من قبل الباري جل جلاله: « خلوا سبيله »، فيمضي مع ذلك الولي إلى الجنة.

وفي "المقصد الوريف" أنه: يروى أن رجلا من أصحاب أبي يزيد كان خياطا فمات، فرئي في المنام بعد موته؛ فقيل له: « ما كان من أمرك؟ »، فقال: « لما دفنت وأتاني الملكان يسألاني قلت لهما: كيف تسألاني وقد خطت فروا لأبي يزيد ؟ فانصرفا عني ».

[أيهما أقوى: مدد الولي الحي أم الميت؟]:

فإن قيل: هل مدد الحي أقوى أو مدد الميت؟.

قلت: نقل في "شرح الحصن" عن الشيخ زروق في "عدة المريد" قال ما نصه: « أما التمسك بالأموات؛ فهو من قلة الاعتقاد في الأحياء، وذلك من نقص الهمة، اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل

التعــرض لنفحات الرحمة بالزيارة لطلب الزيادة ؛ فمدد الميت أقـوى من مدد الحي، لأنه على بساط الحق [27]، ولأن التعلق به عري عن الأغراض والعوارض من الاستيناس ونحوه. كما قال لنا شيخنا أبو العباس الحـضرمي رضي الله عنه: كرامة الله لأوليائه لا تنقطع بموتهم، بل ربمـا زادت، كـما هو معلوم في كثير منهم)).

وفي "المرآة" من جواب لأبي المحاسن ما نصه: ((وقد قال الشيخ أبو العباس ابن عقبة لتلميذه أبي العباس زروق: أي المددين أقوى؛ مدد الحي أو مدد الميت؟، فقال الشيخ زروق: إنهم يقولون: مدد الحي، وأنا أقول: مدد الميت. فقال له الشيخ ابن عقبة: صدقت؛ لأنه على بساط الحق. قال: فالظاهر من كلامهما أن زيارة الميت أنفع)). لكنه نقل في "المرآة" من كلام أبي المحاسن قال: ((زيارة الحي لا تعدلها زيارة الميت؛ لأن الحي كله غلة)).

ووفق بعضهم بين القولين فقال: ((صحبة الحي وزيارته أنفع من حيث المشابهة والمخالطة، والتعليم ورؤية الأعمال والأفعال، والأقوال والأحوال. وزيارة الميت أسلم لقاصد التبرك من حيث أن الزائر لا يتصنع له ولا يأتيه بقصد الاختبار والميزان)). وهو حسن. والله أعلم.

تنبيهات

الأول: ذكر غير واحد أن الولي إذا مات انقطع تصرفه في الكون، وما يعطيه الله عز وجل لزائريه إنما هو على يد بعض أهل التصرف من الأحياء، لكن هذا محمول على غير الأفراد من الكمل، أما هم ؛ فيتصرفون أحياء وأمواتا . كما نبه على ذلك جماعة من المحققين. وفي "المعزى" ما نصه: ((قال شارح "النفحات القدسية" أبو محفوظ الكرخي ممن يمد في الحياة والممات؛ كالشيخ عبد القادر وأصحابه الأربعة. . .)).

وفي "مباحث الأنوار" للشيخ أبي العباس الولالي – رحمه الله – في ترجمة الشيخ العارف القطب أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله السوسي أنه كان يقول: ((بعثني الله لأسقي حيـا وميتـا))، قال الشيخ أبو العباس الولالي عقبه: ((وهذا المعنى – أعني: المدد في الحياة وبعد الممات – أخبر أهل البصائر أنه لم يثبت إلا لأفراد من الأولياء، مثل أبي يعزى وأبي مدين وأبي العباس السبتي والجيلاني رضي الله عنهم. قال: ولما أخبر الصالح العارف بالله تعالى الشيخ علي بن عبد الرحمن – يعني: الدرعي التادلي دفين تادلة – بذلك عن الشـيخ سلمه له، وأخبر بأنه ليس إلا للأفــراد من الأولياء،

وإلا؛ فأكثرهم لا يبقى له بعد الموت إلا التبرك بمحبته والدعاء عند قبره والتوسل به، ولذلك يقول بعض الصالحين: من لم يحي بحي لم يحي أبدا ولو زار ألف [28] ميت. يريد هذا المعنى...».هـ. والله أعلم.

الثاني: نقل ابن عرفة عن بعضهم أنه كان يقول: «إذا رأيت الطالب في ابتداء أمره يكثر من زيارة القبور ومن نظر رسالة القشيري، فاعلم أنه لا يفلح؛ لاشتغاله عن طلب العلم بما لا يجدي شيئا». وكتب عليه العارف الفاسي ما نصه: «وفيه نظر؛ بل ما ذَمَّهُ أنفع للقلب وفي الآخرة من التجرد لما ذكره، وإنما العلم: الخشية لله. لا مجرد الطلب، بل التمادي فيه قسوة...».

وتأوله الشيخ أبو العباس أحمد بن عجيبة في تفسيره عند قوله تعالى في سورة التكاثر: ﴿حتى زرتم المقابر﴾. [التكاثر: 2]، ونصه: «وقال ابن عرفة: زيارة المقابر محدودة – أي: كيوم في شهر مثلا – وكان بعضهم يقول: إذا رأيتم الطالب في ابتداء أمره يستكثر من زيارة القبور ومن مطالعة رسالة القشيري؛ فاعلم أنه لا يفلح. لاشتغاله عن طلب العلم بما لا يجدي شيئا. أي لا يفوز بعلم الظاهر، لأن علم الباطن يفر عن الظاهر، فينبغي لمن كان فيه أهلية العلم أن يفرده حتى يحوز منه ما قسم له، ثم يشتغل بعلم الباطن بصحبة أهله، وإلا فمطالعة الكتب بلا شيخ لا توصل إليه، وإنما ينال محبة القوم فقط، وفيها مقنع لمن ضعفت همته...» انتهى كلامه بلفظه.

الثالث: المدار في الزيارة على النية الصالحة الصادقة؛ فإذا عمل الزائر نيته في محل وكانت صادقة؛ فإنه ينتفع من ذلك المحل لا محالة، ولو كان صاحبه في نفس الأمر ليس كما يظن الناس فيه، وعلى هذا: فإذا اشتهر شخص في حياته بالولاية وكان خاليا منها في نفس الأمر، ثم إنه بعد وفاته دعته شهرته إلى القبة والدربوز والكسوة، وصار الناس يزورونه، فإنهم ينتفعون بزيارته بحسب نياتهم ومقاصدهم، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. ويروى مرفوعا: «لو حسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به» لكن نص ابن تيمية وابن حجر العسقلاني على أنه: لا أصل له. يعنيان من حيث اللفظ، وإن كان صحيحا من حيث المعنى.

وفي "الإبريز" نقلا عن الشيخ مولانا عبد العزيز الدباغ – رضي الله عنه – قال: «إن قلوب أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لها شأن عظيم عند الله، ولو أنها اجتمعت على موضع لم يدفن فيه أحد وظنت فيه وليا، وجعلت ترغب إلى الله تعالى في ذلك الموضع؛ فإن الله تعالى يسرع لها بالإجابة، قال: وقد يقع هذا أيضا في الأولياء الأحياء، فقد يكون الرجل مشهورا بالولاية [29] عند الناس، وتقضى بالتوسل به إلى الله الحوائج، ولا نصيب له في الولاية، وإنما قضيت حاجة المتوسل به على يد أهل التصرف...».انتهى.

بل هذا المزور الخالي من الولاية يرجى له الخير بسبب ما يهدي الناس له من الدعاء والرحمة، وثواب القراءة والذكر، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك، سيما إن دام ذلك سنين عديدة، أو قرونا كثيرة، وفضل الله تعالى واسع، ومن كرمه تعالى أنه يرحم عبده بما يعذبه به.

وقول بعض العامة تحذيرا من اعتقاد من لم تتحقق ولايته من الأموات: « كم من گرابز تحت الدرابيز[1] » . كلام بشيع غير صحيح، فلا يقبل من قائله، لما فيه من سوء الأدب، إذ موجبه سوء الظن بالله وبعباده، وفيه أيضا تحجير لرحمة الله الواسعة، والله ذو الفضل العظيم، وانظر "سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية" للشيخ الواعظ الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد المنالي الشهير بالزبادي، في ترجمة الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد جسوس نفعنا الله به.

الرابع: الشيوخ أقسام ثلاثة: منهم من كان لا يمنع مريديه من الزيارة مطلقا، بل ولا من الصحبة. كما نقل عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي - رضي الله عنه - أنه كان يقول لأصحابه: « اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري؛ فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردُوه »، وهذا عزيز الوجود جدا، وقل أن يحصل من أحد من المشايخ.

ومنهم: من كان يمنعهم منها مطلقا، لما يخاف أن يحصل في ذلك من الضرر للمريد ؛ كانحلال عقد الشيخ من قلبه، أو ما هو أعظم من انتقاله عنه إلى غيره، وقد لا يحصل له الانتفاع بواحد منهما. ولذا قال الشيخ زروق: « ولا تنتقل عنه ولو رأيت من هو أعلى منه، فتحرم بركة الأول والثاني. قال: ولذلك كان المشايخ يمنعون أصحابهم من صحبة غيرهم، بل من زيارتهم كما قال:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت بـه ... في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل».

وقال الشيخ الأكبر في الكلام على آداب الشيخ: « ينبغي له أن لا يترك أصحابه يجالسون أصحاب غيره من الشيوخ، ولا يزورون شيوخهم »، يعني: لما ذكرناه. وصاحب هذا لا ينبغي له أن يزور مطلقا، إلا إن أذن له الشيخ فيها عموما أو خصوصا لمعنى يلوح له فيه بخصوصه ؛ فلا حرج. وإلا أن يحصل له الرشد في طريق القوم فيملك أمر نفسه فيذهب حيث شاء، كما قال مالك: « إذا بلغ الرجل فليذهب حيث شاء، وإلا أن يمنع الشيخ، من تربيته مانع، إما من موته، وعدم الإذن له في التربية بعد الموت، كما [30] هو الشأن والغالب.

وإما من عدم أهلية المريد للتلقي عنه بعد الموت، حيث كان مأذونا له فيها بعده، كما هو حال بعض الخواص من الأكابر، فله أن يطلب حينئذ من الأحياء من يربيه ويسلك به إلى الله عز وجل.

---

[1] الدرابيز: جمع دربوز، قبة من خشب توضع على القبر إشهارا له.

ومنهم: من كان إذا رأى المريد وافر العقل كامل الغريزة ذكي الفطرة، لا تعود الزيارة عليه إلا بالنفع، ولا يلحقه منها ضرر، بأن يُفرّط فيستنقص شيخه، أو يُفرط فيستنقص الشيخ الذي قصده، أذن له في الزيارة، وإلا منعه منها. وهذا هو الذي جرى به عمل الشيوخ كما قاله الشيخ الحافظ أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف الفاسي في شرحه لرائية الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد البكري المعروف بالشريشي. والله أعلم.

[المقدمة الثالثة]

[في كيفية الزيارة وبعض آدابها وما ينبغي للزائر أن يفعل بسببها]

فأقول: قال العلماء – رضي الله عنهم: ينبغي للزائر أن يقعد عند رأس المزور قبالة وجهه، بحيث يستدبر القبلة ثم يقول: « التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات، الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته – يكرر السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثا أو خمسا أو سبعا ثم يقول: – السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين – وينوي بذلك: السلام على كل عبد لله صالح في السماء والأرض، ثم يقول: السلام عليك يا سيدي فلان – إن كان يعرف اسمه، وإلا؛ قال بدل: يا سيدي فلان: يا صاحب هذا القبر، أو: هذا الضريح – ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله »، فإنه إذا تشهد؛ يجلس الولي في قبره متربعا اعتناء بقضاء حاجته، ويرد عليه جميع ما يقول حتى ينصرف.

[وصول ثواب القراءة للميت]:

ثم يقرأ الزائر ما تيسر من القرآن، أو يأتي بغيره مما يجري مجراه من الأعمال اللسانية من هيللة أو تسبيح، أو صلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو غير ذلك، ويهدي ثواب ذلك لهذا الولي.

وحذار من أن يقول: صدقة عليك يا سيدي فلان. فإن فيه سوء أدب، بل يقول: « هدية مني إليك هدية الفقير للأمير ». وإن دعا بوصول ثواب ذلك للولي كان أولى، وذلك كأن يقول: « اللهم إن تفضلت علي بثواب في هذه القراءة، أو في هذا الذكر، أو في هذه الصلاة؛ فاجعله في صحيفة سيدي

فلان، أو هذا الولي هدية مني إليه [31]، هدية الفقير للأمير ». لأن الدعاء يصل للميت وينتفع به بلا خلاف، كما في "المدخل" وغيره، بخلاف ما إذا لم يدع بالوصول؛ ففيه خلاف، وإن كان المحققون على الوصول أيضا، بشرط أن ينوي قبل قراءته أن ثوابها لهذا الولي.

قال الأبي في "شرح مسلم" في الكلام على الصدقة على الميت من كتاب: الزكاة. ما نصه: « ورأيت لبعضهم أن القارئ للغير إن صرح أو نوى قبل قراءته أن ثواب قراءته للغير؛ كان ثوابها له، وإن كان إنما نوى الثواب بعد القراءة؛ فإنه لا ينتقل؛ لأن الثواب حصل للقارئ، والثواب إذا حصل لا ينتقل، وهذا المذهب هو الذي كان يختاره الشيخ - يعني: ابن عرفة ». انتهى.

وقال الشيخ أبو عبد الله الحفار الغرناطي: « إن نوى القارئ النيابة عن الميت؛ فالصحيح أن الميت لا ينتفع بذلك، لأن القراءة عمل بدني، والأعمال البدنية لا ينوب فيها أحد عن أحد، وإن نوى القراءة ويهب الثواب للميت، فهذا القسم ينتفع به الميت ».

وقال الشيخ أبو محمد بن عبد الله العبدوسي الفاسي: « ينوي ذلك عند الشروع فيه أو قبله لا بعده ».انتهى . نقله كالذي قبله الشيخ أبو حامد سيدي العربي الفاسي في شرحه "لدلائل الخيرات". ثم قال: « ويجري مجرى القراءة غيرها من الأعمال اللسانية من الأذكار الفاضلة؛ كالهيللة والتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ».

ثم بعد القراءة يدعو لنفسه بما شاء من خير الدنيا والآخرة، ولوالديه والأقربين وسائر المحبين، ولجميع أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ومن الدعاء المرجو الإجابة: « اللهم بحق الذين إذا نظرت إليهم سكن غضبك، وبحق الحافين حول العرش، وبأوليائك حيث ما كانوا شرقا وغربا جوفا وقبلة، وبحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبحق وليك هذا اقض حاجتي، واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. . . »، ويقرأ الفاتحة ثلاث مرات.

قال سيدي عبد الله الخياط الهاروشي في "الفتح المبين": « قال لي أخي في الله سيدي عبد السلام المجذوب الطرابلسي رحمة الله عليه: قالوا - يعني أولياء الله تعالى - الأولى: بيض، والثانية: أفراخ، والثالثة: ريش. وبالريش يطير الطائر، وإذا طار؛ فإنه لا يقف إلا حيث شاء الله فافهم ».

وما ذكرناه من القراءة على القبور عند الزيارة هو الذي به العمل شرقا وغربا؛ لأن الرحمة تنزل عندها. أعني: القراءة، ولما أخرجه الطبراني [32] في "الكبير" والبيهقي في "الشعب" عن ابن عمر مرفوعا: « إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب،

وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة في قبره ». وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن معقل ابن يسار مرفوعا: « اقرؤوا على موتاكم يس »، قيل: المراد به: من حضرته الموت، وقيل: من مات بالفعل وهو ظاهر الحديث. وأخرج ابن أبي شيبة وغيره عن الشعبي قال: « كانت الأنصار يقرؤون عند الميت بسورة البقرة ».

وفي كبير الشيخ ميارة على "المرشد" ما نصه: « ابن عرفة قبل عياض استدلال بعض العلماء على استحباب القراءة على القبر بحديث الجريدتين، وقاله الشافعي، وفي "الإحياء": لا بأس بالقراءة على القبر». ونقله أيضا المواق في "التاج والإكليل" زاد عقبه ما نصه: « وعن علي بن موسى قال: كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة وابن قدامة معنا، فلما دفن الميت جاء رجل صالح عند القبر يقرأ. فقال أحمد: هذا بدعة. فقال ابن قدامة لأحمد: ما تقول في مبشر ابن إسماعيل؟ قال: ثقة. قال: هل كتبت عنه شيئا؟ قال: نعم. قال: أخبرني عن عبد الرحمن أي أبي العلاء بن اللجلاج – عن أبيه أنه أوصى: إذا دفن أن يقرأ عليه عند رأسه بفاتحة البقرة وبخاتمتها، وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك. قال أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ . . . ».

وقد أطال في هذه المسألة في "سنن المهتدين"، وجلب أنقالا في هذا تدل لجواز القراءة على القبور لعدة من أئمة المالكية والشافعية، فانظره. وإن كان المشهور عندنا في مذهب مالك هو الكراهة. كما قاله العارف ابن أبي حمزة والشيخ خليل في توضيحه وصاحب "المدخل"، ونص "المدخل": « ولا يقرأ الزائر عند قبر الميت؛ لما تقدم من شغله بما ذكر من الاعتبار، وقراءة القرآن يحتاج صاحبها إلى التدبر واحضار الفكرة فيما هو يتلوه، وفكرتان في قلب واحد في محل واحد لا يجتمعان ». وما ذكرناه أيضا من أنه: يهدي ثواب قراءته للولي المزور. هو مفاد غير واحد من الفقهاء وغيرهم.

وذكر العارف الشعراني في "عهود المشايخ" ما حاصله: « إنه ينبغي للقارىء ونحوه إذا قرأ بقصد زيارة ولي من أولياء الله تعالى أن يقول بعد الفراغ من القراءة: اللهم اجعل نظير ثواب ما قرأته في صحائف فلان الولي أو الصالح. ولا يقول: اللهم اجعل ثواب ما قرأته. قال: لأن من أخرج عن ذاته الفاعلة عملا من أعمالها، فقد ظلمها، وأيضا: أنى له أن الله يثيبه [33] على ذلك العمل؟ . وبتقدير الثواب؛ فهيهات أن يكفر عنه ما جناه من الزلل. ولا ينبغي لعبد أن يجعل ثواب عمله لغيره وهو محتاج إليه، إلا إذا فاض الثواب على الذات وعمها بأجمعها، فله حينئذ أن يتصدق على غيره بالزائد، كما في الأموال الظاهرة، وأنى له بذلك؟، إلا إن كان من أهل الكشف الصحيح. . . ؟».

« نعم، يستثنى من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دله على ذلك العمل من العلماء الأشياخ، فله أن يهدي ثواب عمله في صحائفهم. . . ». هذا كلامه.

وأقول: العلماء والصلحاء خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ونوابه فينا، ومهدي ثواب عمله لهم إجلالا لهم وتعظيما من حيث إنهم خلفاؤه ونوابه، مهد في الحقيقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا لهم، ولا يبعد أن يثيبه الله تعالى بسبب هذا القصد بأعظم من الثواب المهديه إياه.

وأيضا: فيرجى له بسبب ذلك ما هو أعظم من عطف هذا الولي ورضاه، مدده وشفاعته له عند المولى سبحانه وعند الرسول صلى الله عليه وسلم، كما هو اللائق بأهل الكرم والجود أنهم يقابلون الشيء اليسير التافه الذي قصد صاحبه به التعظيم بالأشياء العظيمة النفيسة، فيكون حينئذ رابحا لا خاسرا، وساعيا في تكثير الثواب لا في تنقصيه، والساعي في مثل هذا لا يقال فيه: إنه ظالم لنفسه. والثواب وإن لم يكن محققا، فهو يطلبه من باب الفضل والمنة لا من باب الاستحقاق، والله ذو الفضل العظيم.

ولذا يعلق الإهداء على المشيئة والفضل، ويقول: « اللهم إن تفضلت علي بثواب. . . إلخ »، وهو – و إن كان محتاجا له ؛ لكنه يدفع شيئا قليلا ؛ فيأخذ فيه شيئا كثيرا بسبب تعظيمه لهذا الولي وسعيه في خدمته، وإهداء ما من الله به عليه من عظيم الثواب له، ولا يستوي عند الولي من آثره بشيء هو له بالأصالة بفضل الله تعالى، ومن شح به عليه وصار يدعو له بنظيره.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في قراءة بعض القرآن وإهداء ثوابه وأجره لمطلق الأموات، فكيف بالأولياء والعلماء ؟.

وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في "شرح الأربعين النووية" ما نصه: « قال الطوفي: وذكر عن بعض العلماء الصلحاء أنه كان يقرأ ويذكر ويسبح ويهدي ثوابه لكل عبد صالح في السماء والأرض، فينبغي لمن وفق فعل ذلك.. قال: وقد صح عن بعض من كان يفعل ذلك صحة قاطعة لا ريب فيها؛ أنه رأى ليلةً في نومه، بعد أن أهدى ثوابه إليهم – أنه عرج به إلى السماء، وخرج للقائه كل من فيها [34] من الأنبياء والملائكة، فكان يرى أن ذلك دليل على صدق أنه يصل إليهم ما أهداه لهم. . . قال: فلا يكسل الإنسان أن يقرأ الإخلاص مثلا ؛ فإنها تعدل القرآن، أو يسبح أو يحمد، أو يكبر أو يهلل، ثم يقول: اللهم أثبني على ما قرأته وذكرته، واجعل ثوابه هدية مني لكل عبد صالح في السماء والأرض، فإنه إذا قبل وصل إليهم إجماعا . . . ».

وقال أيضا في محل آخر ما نصه: « كان بعض مشايخنا الصوفية يقول: ينبغي للإنسان كلما مر بقبر ولي أو عالم عامل أن يقرأ له الفاتحة ويهدي ثوابها إليه، ويجعل ذلك معاملة بينه وبين ذلك الولي ؛ فإن ذلك الولي يتعرف إليه إذا نزلت به شدة، ويمده بمدده ؛ فيظهر أثر ذلك عليه».

وقال في "ممتع الأسماع" بعد أن استطرد فيه ذكر الشيخ أبي عبد الله الأمين العطار دفين جبل زرهون، ما نصه: « ينتسب لسيدي عبد القادر الجيلاني وسيد أبي يعزى صاحب تاغيا، ورآهما في المنام فأمداه، وكان عقد مع الله أن كل نافلة يعملها فثوابها لهما، فرءاهما بعد ذلك وهو عند قبر سيدي أبي يعزى ؛ فأعطياه، وظهرت له الخوارق والكرامات والمكاشفات، وهو من الرجال الذين عدهم الشيخ زروق فيمن لقي ».

ثم وجدت العلامة ابن زكري في شرحه لصلاة القطب مولانا عبد السلام – رضي الله عنه – بعد ما نقل عن سيدي عبد الوهاب الشعراني أنه سأل شيخه سيدي عليا الخواص: « هل أقرأ وأصوم وأجعل ثواب ذلك لآدم عليه الصلاة والسلام؟ ». وأنه أجابه عن ذلك بقوله: « لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبدا من نبي أو غيره. . . » إلخ، قال ما نصه: « قلت: لا يهولنك أمر هذا الكلام مع ما حققناه، أما مسألة إهداء الثواب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء: فقد تقدمت أدلتها من الحديث وفعل الأئمة المقتدى بهم، وتقدم ما قاله الشيخ زروق والكلام معه بالمناقشة والتوفيق في آخر شرح قوله: صلاة تليق بك منك إليه. وأما الاستغناء عن وساطته صلى الله عليه وسلم فلا سبيل لأحد إليه وإن وصل ما وصل ». انتهى المراد منه، وهو من أعظم شاهد لما ذكرناه.

والحاصل: إن هذا الذي ذكره الشعراني – رضي الله عنه – طريقة له، وقد تقدم توجيهه لها، وطريقة غيره – وهم جمهور العلماء والصوفية – جواز إهداء نفس الثواب للولي المزور، وقد سمعت توجيهها والله أعلم.

ورضي الله عن إمامنا مالك إمام دار الهجرة، حيث قال: « كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام صاحب هذا القبر. . ». وأشار إلى قبره عليه السلام. [وفي تأليف لبعضهم]: « نهى سيدي علي الخواص تلميذه سيدي عبد الوهاب الشعراني – رضي الله عنهما – بقوله: لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبدا، من نبي أو غيره!! ... ». ومن جملة الأنبياء: سيد الوجود ؛ إذ هو داخل في عموم الكلام، حيث لم يستثنه، مع أنه لا سبيل لأحد – أيا كان – الاستغناء عنه عليه السلام، وعن وساطته صلى الله عليه وسلم ولو بلغ ما بلغ[1].

---

[1] هذه الفقرة مضافة عن نسخة المؤلف بخط يده.

آداب الزيارة

ثم الزيارة لها آداب كثيرة:

منها: أن يذهب لها في الوقت الذي يكون فيه فارغا من الأشغال الضرورية التي يضر تركها به في دنياه ومعاشه، وغير مطالب أيضا [35] بأداء حق من حقوق الله تعالى، أو حق من حقوق عباده الواجبة فلو كان غير فارغ من الأشغال الضرورية، أو كان مطالبا بحق من الحقوق الواجبة عليه في الحال، لله أو لعباده؛ لم تشرع. وقدم ما ذكر عليها تقديما للآكد فالآكد، قالوا: ومن المعاصي التي يجب على صاحبها أن يتوب منها: زيارة الصالحين، وعلى الزائر دين فرض كعدد صلوات وجب قضاؤها عليه، فيترك قضاءها الذي هو واجب عليه على الفور، وهو حق الله، وفيه نور الله وسره الذي يرحمه به ويذهب إلى زيارة الصالح.

وممن أشار لإنكار هذا: صاحب "الإبريز" نقلا عن الشيخ مولانا عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه، وعده من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل، الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها، وقال: « إنه لا يخفى ما فيه من الانقطاع والظلام، وقال بعضهم: زيارة الأحياء والأموات من الصالحين والأولياء مأمور بها ما لم تؤد إلى تضييع واجب أو أدائه على غير الوجه الكامل؛ فإن أدت إلى هذا؛ فلا خير فيها، إذ ليس ما اشتغلت به بأولى مما تركت. . . ».

وقد نصوا على أن المندوب إذ أدى لترك واجب أو أدائه بعد خروج وقته المقرر له شرعا فإنه يجب تركه، والله أعلم.

ومنها: أن يقصد بزيارته وجه الله العظيم لا طلب الجاه والدنيا، قال في "الدر النفيس": « قال القرطبي: ينبغي لمن عزم على زيارة القبور أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركه فيها البهيمة، بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح قلبه. . . »، انتهى المراد منه. وقد نقله الحطاب أيضا في "شرح المختصر" عند قول المصنف: «زيارة القبور بلا حد ».

وكذا لا ينبغي له مخالطة الدنيا فيها، ولا أن يحمل معه شيئا منها، إلا إن كانت الزيارة تحتاج لسفر؛ فلا بأس أن يحمل معه ما يحتاج إليه في أثناء الطريق؛ كالزاد ونحوه. وقد كان الشيخ سيدي محمد بن عطية الأندلسي - دفين الجبيل من عدوة فاس الأندلس - يقول: « إن الزائر لله تعالى إذا كان في زيارته لا يكتب عليه الملك صاحب الشمال خطيئة إذا لم يضيع حق الله تعالى ولم تصحبه دنيا ولا سمعة ولا رياء ».

ومنها: أن يكون متطهرا طهارة صغرى، لأنها مطلوبة في الدخول على الملوك والعظماء، فأهل الله أحرى؛ ليكون على حال كمال، وأكمل حال عند ملاقاة أهل محبة الله ورواده، وأوليائه المصطفين من عباده، مهيأ لكل [36] خير؛ إذ طهرة الظاهر لها أثر في طهارة الباطن، ممّحصنا من كل شر؛ كفتور عزمه ونحوه، إذ الوضوء سلاح المؤمن يدفع به عنه الشيطان، وفيه من التعظيم في هذا المقام ما فيه. قال في "معتمد الراوي": « وقد نص غير واحد من الفقهاء على استحباب وضوء زيارة الصالحين ».

ومنها: أن يلبس نظيف ثيابه، تعظيما لشأن الذاهب له منهم نص على ذلك في "معتمد الراوي".

ومنها: أن يفرغ الزائر قلبه عن كل شيء من أمور الدنيا الدنية، وما لا تعلق له بالزيارة، حتى يصلح قلبه للاستمداد من ذلك الولي. إذ من المعلوم المقرر عند أرباب القلوب: أن القلب المشغول بقاذورات الدنيا من الشهوات والإرادات لا يصلح أن يصل إليه شيء من المدد، مع ما في ذلك من سوء الأدب. فإن فرض أنه اجتهد في إزالة شيء من ذلك من قلبه فلم يزل؛ فلا لوم عليه، وليطلب من سعة عطف ذلك الولي المسامحة والتجاوز عن التقصير على كل حال. إذ لا يمكن استقصاء ما يجب له من الآداب والحقوق.

ومنها: أن يقدم زيارة الأحياء على الأموات حيث كان مسافرا أو في حكمه. وفي "المدخل" ما نصه: « وكذلك ينبغي له - يعني: للمسافر- زيارة قبور العلماء والصلحاء والأولياء في كل موضع مر به أو دخله إن تيسر عليه ذلك، لكن يقدم زيارة الأحياء على زيارة الأموات، إذ إن حقهم متعين في وقتهم دون غيرهم، فلو مر بالقبور أولا؛ بدأ بزيارة أهلها ». ومثل المسافر في هذا الحاضر إذا طال عهده بزيارة الأحياء وأراد زيارة الأموات، فينبغي تقديم الأحياء. والله أعلم.

ومنها: أن يذهب ماشيا لا راكبا، تواضعا لله تعالى واغتناما للثواب الوارد في ذلك؛ كحديث: « من أغبرت قدماه في سبيل الله - أي: في طريق يطلب فيها رضى الله - حرمه الله على النار »، أخرجه البخاري وغيره عن أبي عبس.

وإذا اضطر إلى الركوب لبعد الطريق أو لعجزه عن المشي لضعفه بمرض أو كبر، وكان المزور بين مقابر؛ تأكد عليه إذا وصل إليها النزول وأن لا يمشي فيها راكبا، بل وأن يترك إدخال الدابة إليها رأسا، لأنها تبول وتروث، وفي ذلك من الإذاية لأهل القبور ما لا يخفى. وقد قال العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني في اختصاره لتذكرة القرطبي ما نصه: « وإياك والمشي على قبور المسلمين بنعل أو بهيمة، لا سيما إن بالت أو راثت، فإن ثواب زيارتك كلها قد لا يساوي بول دابتك على مسلم واحد ».

ومنها: أن يقول إذا [37] أشرف على روضته: « اللهم هذا حرم ولي من أوليائك فاجعله لي وقاية من النار وأمنا من العذاب »، أو ما تيسر من الدعاء، قياسا على ما يقوله إذا رأى المدينة المشرفة. قاله في "معتمد الراوي" قال: « وإذا كان عليه مسجد؛ فإن وقف بالباب زائرا فلا بأس، وإن أراد الدخول – وهو أولى – مستحب له أن يقدم يمناه، وأن يقول: بسم الله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك. كما يستحب له كل ذلك عند الدخول لكل مسجد ».

ومنها: تقديم تحية المسجد على السلام على الولي إن كان في مسجد؛ لأن ما لله مقدم على ما لغيره من الخلق، وهذا مطلوب في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، فكيف بزيارة قبر غيره؟!. بل نصوا على أن داخل المسجد يقدم التحية على السلام على من به من الناس، فإن وجد الناس في صلاة فريضة لم يصلها؛ دخل معهم فيها وكفاه ذلك وحصل له أداء الفريضة والتحية وثوابهما معا. إن نوى كل ذلك. . .

ومنها: أن يأتي من عند رجلي القبر حتى يصل إلى محل جلوسه. نص على ذلك الشيخ زروق في كتاب: الجامع. من "شرح الوغليسية"، وعلله بعضهم بأنه أبلغ في الأدب من الإتيان من عند الرأس.

ومنها: أن يجلس عند رأس الولي قبالة وجهه حيث تيسر عليه ذلك. نص عليه غير واحد من المالكية والشافعية وغيرهم.

وفي "المدخل" في الكلام على صفة زيارة الموتى والسلام عليهم ما نصه: « ثم يجلس في قبلة الميت ويستقبله بوجهه، وهو مخير في أن يجلس في ناحية رجليه إلى رأسه أو قبالة وجهه. . ». ولعل الجلوس قبالة الوجه أولى؛ لأنه أبلغ في استقبال المزور، ولاقتصار غير واحد عليه.

وقد ذكر صاحب "الروضة المقصودة والحلل الممدودة" عن شيخه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد التاودي ابن سودة المري أنه: « كان يتعاهد زيارة ضريح سيدي أحمد الشاوي بالجرف من عدوة فاس الأندلس، وكانت عادته أن يزوره من ناحية المحراب، بحيث كان يستقبل وجه الشيخ ويستدبر القبلة، فزار ذات يوم من ناحية السقاية المقابلة للضريح بحيث استدبر الشيخ فرآه في آخر النهار وهو يقول له: يا فلان؛ ما رأيتك اليوم!!. قال: فقلت له: يا سيدي؛ قد جئتك والله. فقال: ما رأيتك!!. يشير إلى أن زيارته ليست من ذلك المحل، وإنما هي من ناحية المحراب، بحيث يستقبل وجهه. . ».

وفي "الفتح المبين" لسيدي عبد الله الخياط الهاروشي المغربي [38] الفاسي ما نصه: « حكى لنا شيخنا العياشي – حفظه الله – عن الشيخ سيدي أحمد الشاوي – أحد صلحاء بلادنا فاس. أنه: جاء لضريحه رجل ممن دهمته بعض الدواهي، وأقام عنده أياما وهو في كل يوم يأتي الشيخ من خلفه، وطالت مجاورته هنالك، فاتفق له يوما المجيء من أمام الشيخ، فدعا على عادته والتجأ للشيخ، فأخذته سنة ؛ فرأى الشيخ، فقال له: فلان!. فقال: نعم يا سيدي ؛ هذا لي مجاورٌ عندك كذا وكذا. فقال له الشيخ: ما رأيناك إلا الساعة!! ».

وكيف يعدل الزائر عن استقبال المزور وهو قد أتى إليه سائلا وزائرا ومستعطفا، وأحدنا إذا أتاه طالب حاجة من خلفه. انتهره وعد ذلك من سوء أدبه وقلة عقله؟!، مع أن استقبال مطلق المؤمن – فضلا عن كامل الإيمان – خير من استقبال الكعبة ؛ لأن حرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمتها، وتعظيمه خير من تعظيمها، والوقوع فيه أشد من هدمها ونقضها.

ومنها: أن يجلس كجلوسه للصلاة أو جاثيا على ركبتيه لأنه أليق بالأدب من التربع والاتكاء ونحوهما. . .

وفي "المعزى" ما نصه: « وينبغي أن يتأدب مع الأموات كما يتأدب مع الأحياء، فيجلس كجلوسه للصلاة، ولا يجلس متربعا. قاله بعض العلماء ».

[هل الأفضل عند الزيارة القيام أو الجلوس؟]:

وهل تجوز الزيارة من قيام؟. نقل النووي في مجموعه عن أبي موسى الأصفهاني أن الزائر له عليه السلام: يخير بين الجلوس والقيام. وسكت عليه. واختار ابن حجر الهيثمي في "الجوهر المنظم" الوقوف لمن لا يريد الطول. والظاهر أنه يقال هنا كذلك.

لكن الأدب يتبع العرف، وعرف المغاربة: أن الجلوس أبلغ في مراعاة الأدب من القيام. ولذا يؤثرونه عليه غالبا، إلا إذا كان المحل لا يحتمل الجلوس فيه لعدم نظافته، أو كان الزائر يريد التخفيف لما يعرض له في الوقت من الأشغال ونحوها. والله أعلم.

[هل الأفضل خلع النعلين أم لا؟]:

وإذا قلنا من قيام ؛ فهل الأولى له خلع نعليه مطلقا تواضعا وأدبا وتعظيما – وإن كانتا غير نظيفتين – لئلا يكون حاملا بهما حال زيارته نجاسة، وهو خلاف المطلوب، أو لا يؤمر بخلعهما مطلقا؟. الظاهر: هو الأول، وهو الذي جرى به عمل كثير من أهل الخير والدين ؛ لأن الخلع مطلقا أقرب إلى التواضع المطلوب في هذا المحل، وأدعى للتعظيم، وأبلغ في الأداء.

ويؤيده: ما ذكره ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾. [طه : 12] ونصه: « قيل إنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة. واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب [39] ويعظم البقعة المباركة، ويتواضع في مقام مناجاة الله، وهذا أحسن. . . ».

ثم وجدت في حاشية العارف الحفني على "الجامع" في شرح قوله عليه السلام: « تَمَعْدَدُوا واخشوشنوا، وانتضلوا وامشوا حفاة »، ما نصه: « ولا بأس بالحفاء في القدوم على قبر ولي أدبا معه وتواضعا لله تعالى »، وهو موافق لما ذكرناه، لأنه إذا جاز الحفاء في القدوم على قبور الأولياء – أي: في الطريق عند الذهاب لزيارتهم – فأولى عند مقابرهم وروضاتهم، ومراده بلا بأس: الاستحباب. بدليل تعليله، فتأمله.

وفي حديث رواه الطبراني في "الأوسط" والخطيب والديلمي عن ابن عباس مرفوعا: « إذا تسارعتم إلى الخير فامشوا حفاة؛ فإن الله يضاعف أجره على المنتعل »، لكن قال المناوي: وإسناده ضعيف، بل قيل بوضعه.

وقال العارف الحفني: « هذا الحديث موضوع؛ وما قيل: إنه قواه حديث غيره ، مردود بأن ذلك الغير موضوع أيضا . لكن معناه صحيح؛ لما ورد من طلب التواضع وقمع النفس فيسن المشي مع الحفاء في القرب بالشرط المتقدم إذا قصد به التواضع، لا بخصوص هذا الحديث. بل لعموم طلب التواضع ». والشرط المتقدم هو قوله: « إن أمن تنجيس القدم وكانوا في محل لم يُزر الحفاء بهم فيه ». ويزاد شرط ثالث: وهو أن لا يكون في الطريق ما يؤذيهم في أقدامهم. . . والله أعلم.

ومنها: أن يدنو من القبر بحيث يكون بينه وبينه ذراع ونحوه، ولا يبعد منه جدا ولا يلتصق به.

وفي "المعزى" ما نصه: « وصفة الجلوس بين يدي الولي؛ أن يجعل بينه وبين رأسه ذراعا أو ذراعا ونصف ذراع إلى ذراعين، ولا يلتصق بالقبر، بل يجعل بينه وبينه أيضا نصف ذراع أو ذراعا ، وليجلس بينه وبين القبلة؛ يجعل القبلة في قفاه، ويتوجه بوجهه إلى الشيخ. هكذا ذكره الأئمة المحققون ». انتهى.

وهذا هو الذي في كتب غير واحد من المالكية، والمعتمد عند الشافعية: أن البعد أولى. واختلفوا: هل بنحو أربعة أذرع كما في إيضاح النووي، أو ثلاثة كما عبر به ابن عبد السلام؟ .

وقال ابن حجر الهيثمي في "الجوهر المنظم": « كلما بعد كان أولى؛ لأنه الأليق بالأدب ». قال في "معتمد الراوي": « وإذا كان القبر متصلا بحائط أمامه بحيث لا يجد الزائر متسعا لجلوسه على

الوصف المذكور، فليجلس متصلا بالقبر، تحصيلا لأفضلية التوجه إلى وجه الشيخ ؛ فإن لم يسعه المكان للجلوس أصلا ؛ فلا يجلس على طرف القبر ؛ لما فيه من سوء الأدب المؤدي إلى المقت والعياذ بالله تعالى ولينتقل إلى وراء [40] عند رأس الشيخ ؛ فإنه على كل حال بمرأى منه ومسمع، وليجعل بينه وبينه حينئذ ما كان يجعله لو جلس أمامه)).

ومنها: اتقاء وطء قبره والجلوس عليه. لأنه محل أدب ووقار، وتعظيم وإكبار. ونص على ذلك غير واحد. ومن هنا كره غير واحد من العلماء وغيرهم دخول القبة الإدريسية من هذه الحضرة الفاسية ؛ لما يترتب على ذلك من وطء قبور العلماء والأشراف والصالحين بها، والجلوس على مقابرهم، وفي ذلك سوء أدب معهم.

وقد ذكرنا في تقييد لنا جمعنا فيه بعض مناقب الإمام إدريس باني فاس – رضي الله عنه – أن المختار هو: جواز الدخول لها، لأن محل ما ذكر من كراهة وطء قبر الرجل الصالح والجلوس عليه إذا لم تدع إلى ذلك ضرورة شرعية، ولم يتعلق به غرض ديني ندب الشرع إلى فعله في محله: من طواف وصلاة. . . ونحوهما وإلا جاز، وهذه القبة تعلق بدخولها ووطء مقابرها غرض ديني ندب الشرع إلى فعله بها وهو الصلاة والذكر والعبادة، لأنها كانت قبل الدفن بها مسجدا فكان الحكم له. وقد قال تعالى: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. . ﴾. [النور : 36]، وقال عليه السلام: ((المسجد بيت كل مؤمن))، وقال: ((لا صلاة لجار المسجد إلا بالمسجد))، وقال: ((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)).

وأيضا: فهذه القبة محل خير وبركة، وفضل وقبول دعاء وغير ذلك، ولا تخلو غالبا ممن هو من أهل الخير والدين والصلاح ؛ فلا تطيب نفس المشتاق إلا بالدخول إليها، ولا يمكن منعه منها.

وأيضا: فإن مولانا إدريس – رضي الله عنه – يحب الدخول لها، كما شهدت بذلك رؤيا بعض أكابر العارفين حيث قال له الإمام إدريس – رضي الله عنه – فيها: ((ادخل لقبتي ومر الناس بالدخول لها، ولا تقل: كيف أدخل وأطأ بقدمي قبور الأشراف والعلماء ؟!؛ فإنهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ولا يترك الدخول لها إلا محروم!)). وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة في التقييد المذكور. فراجعه.

ومنها: أن يستحضر حياة ذلك الولي في قبره وأنه عالم بزائريه. لآية: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء ﴾. [آل عمران : 169]. ويستعمل معه من الأدب والوقار والسكينة ما يستعمله لو أتى إليه وهو حي حياة دنيوية.

ومنها: أن يعتقد استمداده من حضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام. إذ هو المزور على الحقيقة، وهؤلاء إنما هم أبوابه ونوابه وخدام بساطه وحضراته، وهو - صلى الله عليه وسلم - المد لجميعهم، والمعطي لكل واحد منهم ما يمد به زواره وقصاده [41] على حسب الزائر والمزور.

وفي "شرح الشمائل" للعلامة سيدي محمد جسوس نقلا عن بعض العارفين قال: « ينبغي لمن زار وليا من أولياء الله تعالى أن يستحضر استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم، فيكون بذلك زائرا له صلى الله عليه وسلم. . . ». انتهى.

ومنها: أن يقدم السلام على الولي على الدعاء؛ لأنه عليه السلام أمر بالسلام على الشهداء عند زيارة قبورهم، وحكم هؤلاء الأولياء حكمهم؛ لأنهم أحياء أيضا، فيجعل السلام عليهم قبل كل شيء يريد طلبه، وليقل: « السلام عليكم دار قوم مومنين، وأتاكم ما توعدون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ». فكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا أتى البقيع حسبما أخرجه مسلم من حديث عائشة. وليقرأ قوله تعالى: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾. [يونس : 62 - 64] قال في "معتمد الراوي": « فكذلك فعل من يقتدى به علما وبصيرة ».

ومنها: أن يطلب الرحمة وزيادة النعمة والبركة للمزور، إذ لا نهاية لفضل الله تعالى. نقل ذلك في "معتمد الراوي" عن بعض العارفين.

ومنها: أن ينظر إلى الأرض، ويغض الطرف عما عساه يكون هناك من الزينة، وعمن هو هناك من الناس. لأن ذلك يشغله عما هو بصدده من الزيارة، مع ما فيه من سوء الأدب.

ومنها: أن يتقي رفع صوته؛ فلا يجهر للولي بالقول كما لا يجهر له به لو كان حيا، وكذا يتقي ما لا يعنيه؛ لأن مجالسهم لا تحتمل الجسارة وقلة الأدب، بل يكون بين أيديهم خاشعا خاضعا متذللا، ولا يكون عزيز النفس مفتخرا؛ لأن الزائر ينال بالذل والانكسار ما لا يناله بالعز والافتخار والاستكبار، والمواهب الربانية لا تستقر إلا في القلوب المنكسرة، والنفوس المنحدرة.

ومنها: أن يتقي دخول الحجرة - أعني بها: محل قبر الولي الخاص به؛ كالدربوز الذي يكون على قبره - لأن ذلك المحل محل تعظيم واحترام، وأدب وحشمة. وفي "شرح الحصن" نقلا عن الشيخ أبي عبد الله البلالي، قال: « ويُحْتَرَمُ الصالح جدا؛ حيا وميتا، فلا تُهْجَمُ حجرته ولا يُمَسُّ قبره، ولا يُسْتَدْبَرُ، ويتقي رفع صوته وما لا يعنيه، ونوما بقبره ومد رجليه، وبصقا ونحوه، ونبش قبره ولو بلى. متأدبا ما أمكنه. . . ».

ومنها: عدم إدخال إصبعه أو يده بداخل الدرابيز التي تكون على أضرحتهم. وقد ذكر في "الدر النفيس" أن شخصا فعل ذلك في ضريح مولانا إدريس رضي الله عنه، فأحس بشيء قرصه أو جرحه، فأخرج يده [42] وهي تقطر بالدم، ثم عاوده مرة أخرى؛ فأخرج يده وهي مجروحة في موضع آخر. وفعل ذلك آخرُ مرةً أخرى؛ فلدغتْه عقرب تأديبا له ولمثله عن المعاودة لمثل ذلك، لما فيه من الجرأة وقلة الأدب ومخالفة السنة.

ومنها: عدم ضرب الدرابيز. كما يفعله كثير من الجهال الأغبياء، فيضربونها ضربا عظيما تكاد تنكسر منه، وفي ذلك من سوء الأدب وقلة الحياء والوقار والحرمة والجرأة على أولياء الله تعالى ما لا يخفى.

ومنها: عدم إلصاق ظهره وبطنه بجدار القبر ونحوه. على ما ذكره غير واحد، ويدل للجواز من غير كراهة ما ذكره الحافظ أبو عمر ابن عبد البر من أنه عليه السلام: كان يلصق صدره ووجهه بالملتزم. نقله الشيخ بناني في حاشية الزرقاني عند قول المتن في الحج: « ودعاء بالملتزم ».

وفي "الجامع الصغير" في باب: كان ما نصه: « كان يعني النبي صلى الله عليه وسلم يلزق صدره ووجهه بالملتزم ». أخرجه البيهقي في "الشعب" عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. انتهى. المناوي: « واسناده فيه لين ». قال: « والملتزم: ما بين الكعبة والحجر الأسود. سمي به لأن الناس يعتنقونه ويضمونه إلى صدرهم. وصح: ما دعا به ذو عاهة إلا برئ ». وذكر قبله أنه إنما كان يفعل ذلك تيمنا به أي تبركا.

وبلغني عن بعض العلماء من أهل عصرنا أنه مر بمزارة مولانا إدريس – رضي الله عنه – بفاس، وجعل يمسح صدره وظهره بحائط مزارته: فرآه. بعض الناس؛ فسأله عن فعله ذلك؟!، فقال له: « أحُك عني هذه الذنوب كي تسقط ببركة هذا الولي »، والأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى لكن الترك أولى لمن ملك نفسه، سيما إذا كان مقتدى به، والله أعلم.

[حكم تقبيل القبور والتمسح بها ومسها]:

ومنها: عدم التمسح بالقبر، وعدم تقبيله ومسه؛ لأنه من فعل النصارى. وقد نص على كراهته غير واحد من العلماء. خصوصا المالكية.

وفي "المدخل" لابن الحاج أثناء كلام ما نصه: « فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف – يعني: قبره صلى الله عليه وسلم – كما يطوف بالكعبة الحرام، و يتمسح به ويقبله، ويلقون عليه

مناديلهم وثيابهم، يقصدون به التبرك، وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له صلى الله عليه وسلم، وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب. . . قال: ولأجل ذلك كره علماؤنا – رضي الله عنهم – التمسح بجدار الكعبة أو بجدار المسجد أو بالمصحف. . . إلى غير ذلك مما يتبرك به سدا لهذا الباب، ولمخالفة السنة؛ لأن صفة التعظيم موقوفة [43] عليه صلى الله عليه وسلم. فكل ما عظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم نعظمه ونتبعه فيه، فتعظيم المصحف: قراءته والعمل بما فيه، لا تقبيله ولا القيام إليه كما يفعله بعضهم في هذا الزمان، وكذلك المسجد؛ تعظيمه: الصلاة فيه لا التمسح بجدرانه، وكذلك الورقة يجدها الإنسان في الطريق فيها اسم من أسماء الله تعالى أو اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ترفيعه: إزالة الورقة من موضع المهنة إلى موضع ترفع فيه، لا بتقبيلها. وكذلك الخبز يجده الإنسان ملقى بين الأرجل؛ تعظيمه: أكله لا تقبيله. وكذلك الولي؛ تعظيمه: اتباعه لا تقبيل يده وقدمه، ولا التمسح به. فكذلك ما نحن بسبيله؛ تعظيمه: باتباعه لا بالابتداع عنده)).

وفي "الدر النفيس" نقلا عن كتاب "المعيار" للونشريسي ما نصه: ((ومن البدع: تقبيل قبر الرجل الصالح العالم، فإن هذا كله بدعة)). وقال الشيخ أبو العباس المقري في تأليف له في النعل الشريف سماه بـ "فتح المتعال في مدح النعال" ما نصه: ((مذهب كثير من العلماء – وخصوصا المالكية – كراهة تقبيل الأشياء المعظمة في غير ما ورد به الشرع، كتقبيل الحجر الأسود. قال: وكذا قال بعض الأئمة عند تكلمه على تقبيل الحجر الأسود، وقول عمر – رضي الله عنه –: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله وسلم يقبلك ما قبلتك!!. ما نصه: وفيه كراهة تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله من الأحجار وغيرها)).

وممن حذر من هذا وصرح بأنه من البدع ومن فعل النصارى: الشيخ زروق في "شرح الرسالة"، وقال في "عدة المريد": ((قالوا: ولا يتمسح بالقبر؛ لأنه من فعل النصارى)). وذكر العلامة سيدي الطيب ابن كيران في تأليف له في الرد على المبتدع الوهبي وجماعته: أن محل الكراهة عند المالكية: إذا لم يكن الفاعل لذلك من أهل العلم والفضل الذين يعرفون وجه النية فيه، وإلا فلا كراهة. ونصه: ((وأما التبرك بآثار الكل بالتمسح ونحوه؛ فصميم مذهب مالك رضي الله عنه فيه: الجواز لأهل العلم والفضل الذين يعرفون وجه النية في ذلك، ولا يغلطون فيه ولا يخشى منهم خلل في القصد، بخلاف جهلة العوام الذين لا يصلون إلى تصحيح النية فيه، فيكره لهم ذلك. ففي الحطاب عن الشيخ زروق رضي الله عنه: كره مالك السجود على الحجر – يعني: الأسود – وتمريغ الوجه عليه. قال بعض شيوخنا: وكان مالك يفعله [44] إذا خلا به. . .)).

قال: « ويؤيده: كلام ابن فرحون الآتي – أي: في كلامه – من أن مالكا يفرق بين من يكره له الدعاء تجاه القبر الشريف، – أي: وهو من لا يعلم ما يدعو به ولا يعلم آداب الدعاء – ومن لا يكره له – أي: وهو: من يعلم ذلك ».

قلت: وظاهر كلام غير واحد: إطلاق الكراهة، سيما وقد عللها صاحب "المدخل" بمخالفة السنة، والشيخ زروق: بأن ذلك من فعل النصارى. فتأمل. . . والله أعلم.

نعم؛ ذهب جماعة من العلماء إلى الجواز من غير كراهة؛ منهم: الإمام أحمد والمحب الطبري وابن أبي الصيف اليماني من الشافعية، واختاره غير واحد.

وفي "فتح المتعال" للإمام المقري بعيد ما مر عنه قريبا ما نصه: « وقال الحافظ زين الدين العراقي: وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك، وأيدي الصالحين وأرجلهم؛ فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية. وقد سأل أبو هريرة الحسن – رضي الله عنه – أن يكشف له المكان الذي قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سرته؛ فقبلها تبركا بآثاره وذريته صلى الله عليه وسلم، وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنس – رضي الله عنه – حتى يقبلها ويقول: يد مست يد رسول الله صلى الله وسلم. وقال أيضا – يعني: العراقي – أخبرني الحافظ أبو سعيد ابن العلاء قال: رأيت في كلام ولد سيدنا أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد: سئل عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيل منبره؛ فقال: لا بأس بذلك. قال: فرأينا الشيخ تقي الدين بن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجيب؛ أحمد عندي جليل لا يقول هذا. هذا كلامه أو معنى كلامه. قال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصا للشافعي وشرب الماء الذي غسله به، وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة، فكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟!!! . ولقد أحسن مجنون ليلى حيث يقول:

أمر على الديار ديار ليلى	أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي	ولكن حب من سكن الديارا "انتهى"

وقال المحب الطبري يمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان: جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم لله تعالى؛ فإنه إن لم يرد فيه نص بالندب لم يرد بالكراهة. [45] قال: قد رأيت في بعض تعاليق جدي محمد بن أبي بكر عن الإمام أبي عبد الله محمد ابن أبي الصيف أن بعضهم: كان إذا رأى المصاحف قبلها، وإذا رأى أجزاء الحديث قبلها، وإذا رأى قبور الصالحين قبلها . . . قال: ولا يبعد هذا – والله أعلم – في كل ما فيه تعظيم لله تعالى. . . ».

ثم قال المقري: « ولعل من فعل تقبيل المثال الشريف ممن يقتدى به من علماء المالكية – أي: مع أن مذهبهم الكراهة – قلد من يرى جواز ذلك من علماء الأمة، والله سبحانه أعلم. قال: ولولا أمرهم باللثم والتقبيل؛ لأمكن أن يقال: غلبهم الشوق ففعلوا ما فعلوا من ذلك من غير اختيار، على حد قوله. فقلت:

ومن يملك شفاهاً مشوقة   إذا ظفرت يوما بمنيتها القصوى

الأبيات المشهورة ». انتهى المراد منه. وانظره.

وفي "شرح الحصن" ما نصه: « وفي "الفتح": لابن حجر: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره؛ فأما تقبيل يد الآدمي؛ فيأتي في كتاب: الأدب. وأما غيره؛ فنقل عن الإمام أحمد أنه: سئل عن تقبيل منبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيل قبره؛ فلم ير به بأسا، واستبعد بعض أصحابه صحة ذلك. ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني – أحد علماء مكة من الشافعية – جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين. . . والله الموفق ».

وقال العلامة ابن زكري في شرح "همزيته" ما نصه: « كراهة تقبيل القبر هو مذهب كثير من العلماء، وخصوصا المالكية، وقيل: لا؛ فعن ابن عمر أنه مسح منبره صلى الله عليه وسلم بيده. وعن يحيى بن سعيد – شيخ مالك – مثله حين أراد الخروج إلى العراق وجاء إلى المنبر فمسحه، وفي كتاب "العلل والسؤالات" لعبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بمسه وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى؛ فقال: لا بأس. وروي أن بلالا وضع خديه على القبر الشريف. وروي أنه أتى القبر فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه. ونقل عن ابن أبي الصيف والمحب الطبري جواز تقبيل قبور الصالحين ».

وفي "الفتح المبين" لسيدي عبد الله الخياط الهاروشي ما نصه: « وسئل شيخنا العياشي – حفظه الله – عما يفعله العوام من تقبيل التوابيت والتمسح بالستور التي تكون هنالك – يعني عند قبور الصالحين – فقال: هذه أذيال الله وهؤلاء يتشبثون بها!! ». وشيخه المذكور هو: أبو عبد الله محمد: كان من أهل [46] العلم والعمل والورع والزهد، والمعرفة بالله تعالى. وقد ترجمه في الكتاب المذكور بترجمة حسنة، فانظر ما فيه إن شئت.

والحاصل – كما قاله في "الدر النفيس" – أنه: اختلف في الكراهة وعدمها بين الصحابة والتابعين وغيرهم، والجامع بينهما قول الخطيب البغدادي: « لا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، والقصد به التعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما في الحياة؛ فمنهم من لا

يملك نفسه فيبادر إليه، ومنهم من فيه أناة فيتأخر ». قال في "الدر النفيس": « ومن هذا قول أبي الفضل عياض رضي الله عنه:

وعلي عهد إن ملأت محاجري … من تلكم العرصات والجدُرات
لأعفرنّ مصون شيبي بينها … من كثرة التقبيل والرشفات

[حكم الانحناء للقبر]:

ومنها: عدم الانحناء للقبر كما يفعله كثير من الجهال. وهو من البدع القبيحة المستهجنة، وأقبح منه: تقبيل الأرض بين يدي الولي، وأقبح منهما وأقبح وأبشع وأشنع: السجود له بوضع الجبهة على الأرض، والمبالغة في الانحناء حتى يصل لحد الركوع، وهو شيء تشمئز منه نفوس السامعين، وتكاد تنفطر من أجله قلوب الناظرين، ويجب على من له قدرة منع الناس منه، وتأديبهم عليه.

وفي "الجوهر المنظم" لابن حجر الهيتمي ما نصه: « يكره الانحناء للقبر الشريف – يعني: قبره صلى الله عليه وسلم – وأقبح منه: تقبيل الأرض. ذكره ابن جماعة. ثم قال في "الجوهر المنظم": وهذا كله في الانحناء بمجرد الرأس والرقبة، أما بالركوع؛ فهو حرام. وأما تقبيل الأرض له – يعني: للقبر – فهو أشبه شيء بالسجود له، بل هو هو، فلا ينبغي التوقف في تحريمه ذكره بعضهم. وهو وجيه في الركوع إذا قصد به التعظيم بخلاف تقبيل الأرض، ويفرق – يعني: بينهما بأن نحو الركوع صورته صورة عبادة، ففعله للمخلوق بقصد تعظيمه يوهم التشريك، فحرم بل ربما ينتهي الحال إلى الكفر إذا قصد به تعظيمه كما يعظم الله سبحانه وتعالى. وأما نحو تقبيل الأرض مما ليس على صورة العبادة؛ فهو بنحو مس القبر، وإلصاق الظهر والبطن به أشبه، فلم يكن محرما بل مكروها، لأنه لا يوهم نظير ما تقرر في نحو الركوع، فلم يكن فيه مقتض للحرمة. فتأمل ذلك فإنه مهم ».

وما اختاره في تقبيل الأرض من عدم الحرمة هو الظاهر، وهو الذي جزم به صاحب كتاب "رسوم الخلفاء" لما تكلم على [47] تقبيل الأرض بين يدي الملوك قائلا ما نصه: « ولا بأس به من وجوه الإكرام، وليس بسجود؛ فإن السجود هو: مباشرة الأرض بالجبهة. . . »، لكن قوله: « ولا بأس به ». يفيد أنه جائز، وظاهره أنه مطلقا، وليس كذلك؛ بل الجواز مقيد بحالة الخوف، وأما حيث يأمن الشخص على نفسه وما له بتركه، فهو مكروه كراهة شديدة، كيف وقد قيل بحرمته كما سبق؟! .

وفي "شرح الشمائل" للشيخ جسوس – رحمه الله – ما نصه: « وأما السجود على الأرض بين يدي قبور الصالحين عند التبرك بزيارتهم؛ فما لا يقول بجوازه مسلم؛ فإن السجود إنما يكون لله رب العالمين، فليحذر المؤمن كل الحذر من فعل الجاهلين. . . ».

وقال في شرحه على "الرسالة" عند قولها: « والمصافحة حسنة ». ما نصه: « وقال الشيخ زروق في "كتاب البدع": وأعظم من ذلك - يعني: من تقبيل اليد ونحوها - التقبيل بوضع الجبهة - يعني: على الأرض - وهو شيء يشبه السجود، بل هو عينه؛ فيتعين تحريمه نظرا لشبهه بالسجود؛ إذ نص العلماء على تحريم ما دونه؛ وهو انحناء الرأس - يعني: إذا وصل لحد الركوع لشبهه بذلك. . . ». وقال العلامة ابن زكري في "شرح النصيحة" نقلا عن كتاب "الأشباه" ما نصه: « قال الإمام عز الدين ابن عبد السلام: لا بأس بالانحناء - أي: لا يحرم إذا لم يبلغ لأقل حد الركوع، وإلا فيحرم ».

وفي "روح البيان" عند قوله تعالى: ﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد : 15]. نقلا عن النووي قال ما نصه: « وما يفعله كثير من الجهلة الضالين من السجود بين يدي المشايخ حرام قطعا بكل حال، سواء كان إلى القبلة أو إلى غيرها، وسواء قصد السجود لله أو غفل، وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر. . . ».

والحاصل: إن الانحناء للقبر للتسليم بدعة مكروهة - إن لم يصل إلى أقل حد الركوع - وإلا؛ حرم. وكذا تقبيل الأرض بين يديه - إن لم يكن معه وضع للجبهة على الأرض؛ فهو مكروه كراهة شديدة - وإلا؛ فهو حرام إجماعا، ولا يقول بجوازه مسلم. . . والله أعلم.

[حكم الصلاة على قبر أو إليه]:

ومنها: أن لا يصلي على القبر أو إليه تبركا به أو بقصد تعظيمه. وقد قال في "شرح الحصن" نقلا عن الشيخ أبي عبد الله البلالي أثناء كلام له في آداب الزيارة، عاطفا على ما يحرم ما نصه: « وصلاة على القبر وإليه تبركا . . . ».

وقال الشيخ زروق في كتاب: الجامع. من شرح "الوغليسية" ما نصه: « وزيارة موتى الصالحين مرغب فيها، [48] وآدابها: أن يأتي من عند رجلي القبر حتى يصل إلى مقابلة وجهه، فيقرأ ويدعو وينصرف، ولا يتمسح بالقبر؛ فإنه من فعل النصارى، ولا يصلي عليه تبركا؛ لقوله عليه السلام: اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد . . . ».

وفي "الجوهر المنظم" لابن حجر الهيتمي ما نصه: « تحرم الصلاة إلى قبر نبي أو ولي تبركا وإعظاما؛ وقول النووي في تحقيقه: تكره الصلاة إلى قبر غيره صلى الله عليه وسلم محمول - كما هو ظاهر - على من لم يرد تعظيم القبر بذلك؛ وإلا حرم، بل ربما يكون ذلك كفرا والعياذ بالله

تعالى...». وذكر قبل هذا أنه: انعقد إجماع العلماء على تحريم الصلاة لقبره صلى الله عليه وسلم إعظاما له – يعني: فأحرى لقبر غيره من الأولياء وغيرهم.

قلت: وأما لو صلى شخص على قبر أو إليه إذا كان في جهة القبلة لا بهذا القصد، بل بقصد التقرب إلى الله تعالى في جوار صاحبه لفضله؛ فلا بأس به، بل هو مطلوب. وقد صرح الفقهاء بجواز الصلاة في المقبرة وإليها إذا كانت طاهرة. وتأولوا النهي عن ذلك.

وفي "شرح مسلم" للأبي في الكلام على حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد ما نصه: « قلت: قال بعض الشافعية – ويعني به: البيضاوي، كما يأتي – كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء ويجعلونها قبلة يتوجهون إليها في صلاتهم بالسجود؛ فاتخذوها أوثانا؛ فمنع المسلمون من ذلك بالنهي عنه. فأما من اتخذ مسجدا – يعني للصلاة فيه – قرب رجل صالح، وصلى في مقبرته قصدا للتبرك بآثاره وإجابة دعائه هناك؛ فلا حرج في ذلك، واحتج لذلك بأن قبر إسماعيل عليه الصلاة والسلام في المسجد الحرام عند الحطيم، ثم إن ذلك الموضع أفضل موضع للصلاة فيه...». انتهى.

قلت: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن عساكر عن ابن سابط مرفوعا: « كان النبي إذا هلك قومه ونجا هو والصالحون وأتى هو ومن معه فيعبدون الله بمكة حتى يموتوا فيها، وإن قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين الركن وبين زمزم والمقام ». وأخرج الأزرقي والبيهقي من طريق عبد الرحمن بن سابط عن عبد الرحمن بن ضمرة السلولي قال: « ما بين المقام إلى الركن إلى بير زمزم إلى الحجر قبر سبعة وسبعين نبيا؛ جاؤوا حاجين فماتوا؛ فأقبروا هنالك ». وأخرج الجندي من طريق عطاء بن السائب عن أبي سابط قال: « بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا؛ وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل في تلك البقعة ». [49].

وقد ورد الترغيب في الصلاة في مسجد الخيف بمنى، وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعا أنه: صلى فيه سبعون نبيا؛ منهم: سيدنا موسى. مع أنه ورد أن فيه قبر سبعين نبيا. أخرج البزار بسند رجاله ثقات عن عبد الله بن عَمْرو مرفوعا: « في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا ».

وبهذه الأحاديث والآثار يسقط تعقب بعضهم على البيضاوي بأن ما ذكره من أن قبر إسماعيل – عليه السلام – في الحطيم إنما ورد في حديث ضعيف فلا تقوم به حجة.

وفي "شرح الموطأ" للزرقاني في باب: ما جاء في إجلاء اليهود. من كتاب: الجامع. ما نصه: « قال البيضاوي: لما كانت اليهود يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم، ويجعلونها قبلة، ويتوجهون

في الصلاة نحوها فاتخذوها أوثانا ؛ لعنهم الله ومنع المسلمين عن مثل ذلك ونهاهم عنه، أما من اتخذ مسجدا بجوار صالح، أو صلى في مقبرته وقصد به الاستظهار بروحه، ووصول أثر من آثار عبادته إليه، لا التعظيم له والتوجه ؛ فلا حرج عليه. ألا ترى أن مدفن إسماعيل – عليه السلام – في المسجد الحرام عند الحطيم، ثم ذلك المسجد أفضل مكان يتحراه المصلي بصلاته؟!!، والنهي عن الصلاة في المقابر مختص بالمنبوشة ؛ لما فيها من النجاسة. . .)).

((لكن خبر الشيخين: كراهة بناء المساجد على القبور مطلقا – أي: قبور المسلمين – خشية أن يعبد المقبور فيها، بقرينة خبر: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. فيحمل كلام البيضاوي على ما إذا لم يخف ذلك. . .)).

وقد ذكر في "الدر النفيس" في الخاتمة التي عقدها في حكم اتخاذ قبر مولانا إدريس – رضي الله عنه – بجامع الشرفاء وحكم الصلاة فيه كلام البيضاوي هذا، وكلام غيره، ثم قال: ((فقد ظهر لك فلق البيان بأن تصلي في هذا الجامع حذاء القبر الكريم المبارك، وكن من الحرج أو الكراهة في أمان. . . قال: بل الصلاة في هذا الجامع أفضل من الصلاة في غيره في هذا البلد، أعني: فاسا؛ لأن الصلاة تتفاوت في الفضيلة باعتبار كثرة الأعداد من المصلين، وباعتبار الإمام الصالح، أو المكان الشريف الأفضل. وكما فضلت الصلاة عند الحطيم على غيرها في غيره كما ذكر ؛ فكذلك الصلاة عند الإمام إدريس بن إدريس أفضل، ويرجى قبولها ومضاعفة أجرها إكراما له ولبركته وبركة جده صلى الله عليه وسلم. . .)).

[حكم الادهان بالماء الذي هو عند قبر الصالح]:

ومنها: أن لا يدَّهن بالماء الذي يكون عليه أو عنده ؛ سدا للذريعة. لئلا يعتقد الجهال فيه شيئا من الاعتقادات الفاسدة.

وفي "شرح الحصن" نقلا عن الشيخ زروق في "عدة المريد" قال: ((ولا يدهن – يعني: الزائر – [50] بالماء الذي يكون عليه يعني على قبر المزور. . .)).

قلت: وعمل الناس اليوم على الجواز قصدا للتبرك بآثار الصالحين، لكن مع حسن الاعتقاد وسلامة النية والمراد، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، ويؤيد ذلك ما ورد من أنه عليه السلام: ((كان لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ويأخذ بعضهم من يد بعض، ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوهـــا بأكفهم ودلكوا بها وجوههم وأجسادهم، وكان الخدم يأتونه

صلى الله عليه وسلم في الغداة الباردة بالأواني، فيضع فيها يده للتبرك، وكانوا يغسلون أثره بعده للاستشفاء به. وقطعت أم سليم فم قربة شرب منها قصدا للتبرك بها، وكذلك جدة عبد الرحمن ابن أبي عمرة؛ لتتخذ ذلك المحل الذي أصابه فمه الشريف متبركا ووسيلة إلى الاستشفاء به، وتقدم عن المقري في تأليفه في النعل الشريف عن الحافظ زين الدين العراقي أنه: روي عن الإمام أحمد أنه غسل قميصا للشافعي وشرب الماء الذي غسله به.

وفي "المنح البادية" ما نصه: « وقال الربيع بن سليمان: إن الشافعي خرج إلى مصر وقال لي: يا ربيع؛ امض بكتابي هذا إلى أبي عبد الله – يعني: الإمام أحمد بن حنبل – وأتني بالجواب. قال الربيع: فدخلت بغداد؛ فوجدت أحمد في صلاة الصبح، فلما انتقل من المحراب؛ سلمت عليه وقلت له: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر. فقال لي أحمد: نظرت فيه؟، فقلت: لا. فكسر الختم فقرأ وتغرغرت عيناه؛ فقلت: إيش فيه يا أبا عبد الله؟، فقال يذكر فيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله فاقرأ عليه السلام وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم، فيرفع الله لك علما إلى يوم القيامة!. فقلت له: البشارة يا أبا عبد الله!!. فخلع أحمد قميصه الذي على جسده؛ فأعطانيه وأخذت الجواب ورجعت إلى الشافعي. فقال لي: إيش الذي أعطاك؟، فقلت: قميصه فقال: لا نفجعك، ولكن بله وادفع إلي الماء لأتبرك به... ».

والتبرك بآثار أهل الخير ومن يعظم للدين معمول به عند كثير من المشايخ المعتمد عليهم، وذلك منقول عنهم بالاستفاضة، وذلك كله مما يؤيد الجواز ها هنا. لكن لمن يريد التبرك ونحوه لا لمن يعتقد فيه شيئا من اعتقادات أهل الجاهلية. والله أعلم.

[حكم رفع التراب من القبر]:

ومنها: أن لا يرفع منه ترابا؛ لأنه حبس. قاله الشيخ زروق في "عدة المريد". قلت: وتعليله المذكور يقتضي منع حمل تراب القبر تبركا به، وبذلك صرح [51] في "شرح الرسالة"؛ فقال ما نصه: « من البدع: اتخاذ المساجد على مقبرة الصالحين، و وقدُ القناديل عليها دائما أو في زمان بعينه؛ والتمسح بالقبر عند الزيارة؛ وهو من فعل النصارى، وحمل تراب القبر تبركا به، وكل ذلك ممنوع؛ بل يحرم ». وهذا الذي ذكره من المنع بالنسبة لمسألتنا ليس بمتفق عليه:

ففي نوازل الجنائز من "المعيار" ما نصه: « وسئل أحمد بن تبوك عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرك هل يجوز أو يمنع؟؛ فأجاب: هو جائز؛ ما زال الناس يحملونه ويتبركون بقبور العلماء

والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب سيدي حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزيارة، فإذا ثبت أن تراب قبر سيدنا حمزة يحمل من قديم الزمان؛ فكيف يتمالأ أهل العلم بالمدينة على السكوت عن هذه البدعة المحرمة؟! هذا من الأمر البعيد . قال الونشريسي: قلت: ومن هذا القبيل: ما جرى عليه عمل العوام من نقل تراب ضريح الشيخ أبي يعزى وضريح الشيخ أبي غالب الصاريوي يعني: دفين حومة صاريوة داخل باب الفتوح من فاس - للاستشفاء والأمراض والقروح المعضلة. . . ».

وتقدم قول العارف الفاسي - رضي الله عنه: « وفي النوازل - يعني: نوازل "المعيار" - من فتاوى المتأخرين: جواز أخذ التراب منهم - يعني: من الأولياء - للاستشفاء كما يفعله أهل هذه البلدة - يعني: فاسا - بتراب سيدي أبي غالب وغيره، ودليلهم: فعل السلف ذلك في قبر حمزة رضي الله عنه ». نقله في "شرح الحصن" وأقره. والله أعلم.

[من آداب الدعاء والتوسل عند القبور]:

ومنها: أن يستعمل الأدب المطلوب في الدعاء إذا دعا؛ إذ لابد لزائر الأموات من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى والتوسل إليه بهم، وطلب ما يريده منه بجاههم، كأن لا يرفع به صوته، وأن لا يطلب ما لا ينبغي، وأن يعزم المسألة فيما يطلبه، وأن لا يتكلف السجع فيه. . . ونحو ذلك. وقد تعرض الغزالي في "الإحياء" لتفصيل آداب الدعاء وبيانها واحدا بعد واحد مستوفيا للكلام عليها، فلينظر ذلك فيه من أراده.

ولا يتوسل إلى الولي المزور بالله تعالى، بل يعكس ويتوسل إلى الله تعالى به كما ذكرنا، لأنه سبحانه هو الخالق الرازق المعطي المانع الضار النافع المتصرف في عباده على الحقيقة بما شاء وكيف شاء، ولا فعل لغيره سبحانه وتعالى البتة، والأولياء إنما هم مُصَرَّفون لا متصرفون، ومملكون لا مالكون، ومشفعون لا متشفع إليهم ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾. [البقرة: 254].

وفي "المدخل" ما نصه: « فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته [52] فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل به إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يعني: ولا يعكس - قال: ويبدأ في التوسل إلى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ هو العمدة في التوسل؛ فيتوسل به وبمن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، ثم بالصالحين من أهل تلك المقابر في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه، ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر، ولأموات المسلمين ولأحيائهم ولذريتهم إلى يوم الدين، ولمن غاب

عنه من إخوانه، ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم، ويكثر التوسل بهم؛ لأنه سبحانه اجتباهم وشرفهم وكرمهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم؛ فإنهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه. وقد تقرر في الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء، وذلك كثير مشهور ».

وفي "الإبريز"، أن من جملة الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل؛ الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها: التوسل إلى الصالحين بالله عز وجل ليقضوا الحاجة؛ فيقول الزائر: قدمت لك وجه الله يا سيدي فلان إلا ما قضيت لي حاجتي. قال: « وإنما كان سببا للانقطاع لأن الزائر قلب الواجب وعكس القضية؛ فإنه كان من حقه أن يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس. . . ».

قلت: وسبب هذا الجهل العظيم الصادر منهم: أنهم يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون وينفعون ويعزون ويذلون ويعطون ويمنعون، ويولون ويعزلون. . . إلى غير ذلك مما هو مختص بالباري تبارك وتعالى، ولذلك تجد أحدهم يأتي إلى ضريح الولي ويقول له: يا سيدي فلان؛ أسألك بالله إلا ما شفيتني. أو: إلا ما رفعت عني هذا الضرر. أو: إلا ما أعطيتني كذا. أو: إلا ما سهلت علي كذا . . . إلى غير ذلك من سؤالاتهم الفظيعة، وأحوالهم الذميمة الشنيعة، التي يوهمون بها وجود شريك مع الباري سبحانه.

وقائل ذلك ونحوه إن اعتقد أن الولي هو الذي يؤثر في قضاء حاجته ويوجد ما بقدرته على حسب إرادته كما يوجدها الباري سبحانه؛ كفر وكان مرتدا؛ لأنه أشرك مع الله غيره.

وإن اعتقد أنه يؤثر فيها بما جعله الله فيه من القوة والسر؛ كان مبتدعا وفي كفره خلاف.

وإن اعتقد نفي التأثير عنه رأسا وكان يرى أن الفاعل المختار في جميع الأشياء هو الله سبحانه لا غيره من جميع المخلوقات، ولكنه يرى أن هذا الولي لعظيم مكانته عند مولاه، ورفيع منزلته لديه [53]؛ رزقه الله التصرف في مملكته؛ فهو يولي فيها ويعزل، ويعطي ويمنع، ويضر وينفع بإذن منه سبحانه على حسب ما جرى به علمه تعالى، وتعلقت به إرادته في سابق أزليته، بحيث لا يولي إلا من أراد الله توليته، ولا يعزل إلا من أراد عزله. . . وهكذا؛ كان مصيبا في اعتقاده المذكور، موافقا فيه لاعتقاد أهل السنة والجماعة. إلا أنه مخطئ من جهة إسناده الفعل ظاهرا إلى من ليس له على الحقيقة، مع أن المقام لا يصلح لذلك؛ لما فيه من شدة إيهام التأثير لغيره سبحانه، سيما إن وقع ذلك بحضرة الجهال ومن لا علم عندهم بالعقائد، ووقع من شخص مقتدى به، ولو في الجملة؛ فإنه ربما

يوقعهم بكلامه في اعتقاد الكفر من حيث لا يشعر ولا يشعرون؛ فاجتنب ذلك هداك الله ووفقك ولا تنسب الأشياء إلا إلى خالقها وبارئها، ولا تسألها إلا منه سبحانه.

نعم: التوسل إليه سبحانه بأوليائه لا بأس به كما سبق، بل هو مطلوب محبوب ؛ لكونهم أبواب الله تعالى وحُجّاب حضراته ؛ فلا يخرج منها خير لأحد إلا من جهتهم وعلى أيديهم.

ثم وجدت في تأليف في الرد على المبتدع الوهبي للفقيه العدل سيدي أحمد بن عبد السلام البناني نقلا عن العلامة المحقق أبي العباس أحمد بن سعيد القسمطيني قال ما نصه: « من يتوجه إلى الأنبياء والأولياء في النصر على العدا، وقمع ذوي الردى، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، يسأل ما ذكر من الله سبحانه، متوسلا بمن أظهر الله عليه فضله وأبانه، وعظم جاهه وقدره، ونشر في الخافقين ذكره، لا أنه يطلب ما ذكر من المتوسل به والمتوجه إليه، إذ العقيدة السنية: أن الله تعالى منفرد بالإيجاد والإعدام، وأن لا معول في الحقيقة إلا عليه. وإن صدر من المتوسل عبارات، مثل: انصرني على أعدائي واقض لي الحاجات ؛ فمراده: كن وسيلة بيني وبين ربي في حصول بغيتي، والظفر بطلبتي. وهذا ليس فيه محذور، إذ هو غير مكروه ولا محظور... ».

ومراده: أنه ليس فيه محظور من جهة الاعتقاد ؛ فلا ينافي أن فيه محذورا من جهة اللفظ، من حيث إنه أسند الفعل إلى من ليس له على الحقيقة، في مقام يحصل فيه إيهام أنه له... والله أعلم.

[عدم رمي العمامة أو الثوب على قبر الولي أو الذبح عليه]:

ومنها: أن لا يلقي ثوبه أو عمامته أو نحوهما على ضريح المزور بقصد العار ونحوه. وكذلك لا يذبح عليه بقصد العار كما يفعل ذلك كثير من الجهلة الأغبياء، فإن في ذلك من سوء الأدب ما لا يخفى، إذ معنى العار لغة وعرفا [54]: ارتكاب ما لا يليق مما فيه معرة أو سب أو عيب.

قال في "القاموس": « العار كل شيء لزم به عيب ».

وقال في "المصباح": « والعار: كل شيء يلزم منه عيب أو سب ». وقال في "المختار": « والعار: السبة والعيب ». وعلى هذا؛ فمعنى قول القائل: هذا عار عليك يا سيدي فلان إن لم تقض لي هذه الحاجة ؛ فإنه يلحقك بعدم قضائها عار. أي: عيب أو سب أو نقص أو معرة... وهذا سوء أدب عظيم مع أولياء الله تعالى، وجهل كبير وغباوة شديدة، وتحكم على الأولياء بما لا يقتضيه شرع، أو إجراء لهم على مقتضى عوائد الناس التي لا سند لها.

وكيف يلزمه ذلك بعدم السعي في قضائها وهو قد خرج من دار التكليف والمشاق إلى دار النعيم المقيم التي لا تكليف فيها بشيء ؟!!، وهل يمكنه أو أحدا من العالمين قضاء هذه الحاجة والتشفع فيها حيث لم يجر علم الله بقضائها أو لم يحصل له إذن من الله في الشفاعة فيها ؟، وهل النقص والعيب إلا في مخالفة أمر الله وعدم الرضى بقضاء الله، وسوء الأدب مع أوليائه، كما هو حال هذا الشخص ؟!.

وأيضا: ففي ذلك مخالفة للشرع ولما كان عليه السلف الصالح وأهل العلم والدين؛ إذ الشرع لم يرد بذلك وإنما ورد بضده، والسلف وأهل العلم والدين لم يكونوا يفعلون ذلك بقبر أحد من الأولياء ولا من الأنبياء، والخير إنما هو في سلوك سبيل السنة، والاتباع لما جاء عن أحبار هذه الأمة.

وأما ما ذكره في "نسمة الآس" للشريف العلامة أبي العباس سيدي أحمد بن عبد القادر القادري الحسني من أن العارف الكبير، والولي الشهير: سيدي أحمد بن عبد الله مَعَنْ الأندلسي لما حج سنة مائة وألف ومر في طريقه على القرية المسماة بالمسيد؛ وهي التي بها ضريح عقبة بن نافع الفهري التابعي فاتح إفريقيا، وزاره هو وأصحابه وفرغوا من الزيارة، دنا هو - رضي الله عنه - من الضريح، وأزال عمامته ووضعها عليه، ووضع جماعة من أصحابه الذين كانوا معه هنالك عمائمهم كذلك اقتداء به، ثم فعل ذلك أيضا لما زار ضريح القطب الكبير سيدي أحمد زروق - رضي الله عنه - بأتكران، قرية من قرى مسراته التي هي آخر بلاد الجريد، وأولها قرية سيدي خالد النبي عليه السلام؛ فمحمول على أنه - رضي الله عنه - لم يقصد بذلك معنى العار، وكذلك أصحابه، وإنما قصدوا به مجرد التماس البركة واستجلاب الخير من صاحب الضريح؛ والمبالغة في استعطافه.

وكذلك ما يحكى عن بعض من يشار له بالصلاح من الذبح بضرائح [55] الأولياء؛ لا يظن به أنه يقصد به العار، وإنما يقصد به قصدا حسنا من التصدق بلحم ذلك الحيوان المذبوح على من يقبض صدقة ذلك الولي، أو نحو ذلك... فاعرف هذا ولا تظن إلا خيرا.

وقد قال العلامة سيدي الطيب بن عبد المجيد ابن كيران في تأليف له في الرد على المبتدع الوهبي وجماعته لما تكلم على ما يفعله الناس في هذه الأعصار من الذبح على الأولياء في ضرائحهم ما نصه: « نعم؛ من اختبر حالهم في هذه الأقطار، ظهر له أن جل القصد في ذلك هو العار لذلك الولي، حسبما اعتادوا فيما بينهم من أن من أراد الانتصار بوجيه أو بقبيلة يذبح عليه أو عليها؛ فيرى المذبوح عليه أن عارا عليه ومعرة أن يهمل أمر من ذبح عليه، وأن لا يقف معه جهده في نيل مطلوبه، فقصدوا بالذبح على الصالحين هذا المعنى، يضطرونهم بذلك للاهتمام بحوائجهم والشفاعة في قضائها

إلى الله تعالى، والرغبة لهم عنده لكونهم أقرب إلى الإجابة لمكانتهم عند الله تعالى . . . قال: وليس في هذا ما يقتضي شركا ولا كفرا، ولكنه جهل عظيم وغباوة؛ لإجرائهم الأولياء على مقتضى عوائدهم التي لا يقتضيها شرع ولا طبع، إذ ليس ذلك إلا مجرد عادة خالية عن مناسبة. والله أعلم)) .انتهى.

[حكم الذبح على قبور الصالحين]:

وقد كثر سؤال الناس عن هذا الذي يذبح في ضرائح الأولياء بهذا القصد، أعني العار. كما هي العادة: هل يحل أكله؛ وكذا ما يذبح للجان، وما تذبحه قبيلة على أخرى لتعينها على عدوها ؟!.

والجواب عن ذلك أن تقول: أما ما يذبح في ضرائح الأولياء بقصد العار؛ فسئل عنه الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن سليمان الرسموكي؛ فأجاب بقوله: ((الذي يقتضيه بعض النصوص أن ما يذبح عند قبور الأولياء لقضاء الحوائج ينظر فيه لاعتقاد الذابح؛ فإن اعتقد أن التأثير في قضائها لذلك الولي فقط؛ فمذبوحه حرام. وإن اعتقد أن التأثير في قضائها لله ولذلك الولي؛ فمذبوحه مكروه. وإن اعتقد أن التأثير في قضائها لله وحده، وإنما ذبح على ذلك الولي ونوى أن ثواب مذبوحه له، لجريان عادة الله بقضاء حاجة كل من فعل ذلك؛ فمذبوحه لا بأس بأكله، وذلك مع ذكر اسم الله على المذبوح في الأقسام الثلاثة. قال: ويدل على هذا التفصيل: ما نقله السنهوري عن العوفي؛ ونصه: لو ذبح مسلم ما نذره لموضع من المواضع هل يحرم أو يكره؟ . ينبغي عندي التفصيل في ذلك: إن اعتقد تأثير هذه المواضع؛ حرم؛ لخبر: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي . . . الحديث. وإن اعتقد [56] التأثير لله ولهذه المواضع؛ كره . . . انتهى باختصار. قال: فيفهم منه أنه لا حرمة ولا كراهة إذا اعتقد أن التأثير لله فقط)). انتهى المراد منه.

وما ذكره في القسم الثاني ونقله عن العوفي في الكراهة؛ محمول على أنه يعتقد أن التأثير لله بالذات ولذلك الولي بالقوة؛ لأنه حينئذ يكون فاسقا بالاعتقاد، وذكاته مكروهة على المشهور، كذكاة الفاسق بالجارحة، كما ذكره شراح "المختصر" وغيرهم.

وفي الزرقاني عند قول المصنف في الذكاة عطفا على ما هو مكروه: ((وذكاة خنثى وخصي وفاسق)) ما نصه: ((ودخل في الفاسق: تارك الصلاة وأهل البدع على القول بعدم كفرهم. . .))، والقول بعدم الكفر هنا هو المشهور كما هو مقرر في محله.

أما إن اعتقد أن التأثير للولي بالذات لا بالقوة؛ فهو كافر إجماعا، وذكاته لا توكل؛ لأنه مرتد . وفي "التوضيح" نقلا عن ابن رشد في "البيان" قال: « ستة لا تجوز ذبائحهم: الصغير الذي لا يعقل، والمجنون في حال جنونه، والسكران الذي لا يعقل، والمجوسي والمرتد والزنديق. . .» .

فإن جهل الحال ولم يعلم اعتقاد هذا الذابح؛ حمل على سلامة الاعتقاد، وأكلت ذبيحته، حيث كان من قوم الغالب فيهم العلم بالمعتقدات على طريقة أهل السنة، أو يجهل أمرهم وحالهم؛ لأن ذلك هو الأصل في المسلم والغالب من حاله.

وربما يدل لهذا: ما ذكره الرسموكي في آخر جوابه المذكور من أن: « الغالب على من صح إيمانه، وعلم أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما: عدم اعتقاد التأثير لغير الله، لا في الذبح ولا في غيره. . .» .

ويدل له أيضا: أنهم أباحوا أكل ذبيحة السارق مع الجهل بعينه فضلا عن حاله واعتقاده. قال ابن رشد في "البيان" أثناء كلامه على ذبيحة السارق ما نصه: « فمن دخل داره سارق فذبح الشاة ووجدها مذبوحة؛ فإن كان بلد فيه مجوس مع المسلمين وأهل الكتاب؛ فلا يأكلها؛ مخافة أن يكون ذبحها مجوسي، وإن كان بلد ليس فيه إلا المسلمون وأهل الكتاب؛ فلا بأس بأكلها . قال ذلك ابن حبيب في "الواضحة"، وليس ترك أكلها إذا كان في البلد مجوس بلازم في وجه الحكم؛ وإنما هو على سبيل الورع على ما مضى عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود في أول رسم من سماع ابن القاسم. . .» . انتهى. نقله العلامة الرهوني في الذكاة. . . والله أعلم.

[حكم ما يذبح للجان]:

وأما ما يذبح للجان: فإن لم يذكر اسم الله عليه كما يفعله الآن بعض أراذل الفساق عند الذبح لهم؛ لم يوكل مطلقا . لقوله تعالى: ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر [57] اسم الله عليه وإنه لفسق ﴾ [الأنعام : 121] وحكمه - حينئذ - حكم الميتة.

وإن ذكر اسم الله عليه؛ نظر لقصد الذابح؛ فإن قصد اختصاص الجان بانتفاعه بثواب المذبوح، كما لو كان الذابح يعتقد فيه أنه من صالحي الجن وأراد نفعه بالثواب المذكور ليستجلب به خاطره ويكون وسيلة بينه وبين الله في قضاء مرغوبه وحصول مطلوبه؛ كره أكل ذبيحته؛ لأن صورتها صورة المذبوح لغير الله، لكون الجن مما عبد من دون الله سبحانه، ولارتكاب صاحبها للنهي؛ لأنه عليه السلام نهى عن الذبح للجان مطلقا . ففي المواق و"التوضيح" وغيرهما نقلا عن ابن شهاب الزهري قال: « لا ينبغي الذبح لعوامر الجان؛ لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الذبح للجان. . . .» .

وإنما نهي عن الذبح لهم: لأنهم مما عبد من دون الله، فيؤدي الذبح لهم إلى اعتقاد ما لا يجوز فيهم. بل ربما أدى إلى الكفر، كما هو مشاهد. نسأل الله السلامة والعافية.

وإن قصد التقرب إليه؛ أعني: إلى الجان، والانقياد له والخضوع، كما يتقرب وينقاد إلى الله تعالى، كما لو كان الذابح يعتقد فيه أنه يؤثر في الأشياء فيوجدها ويعدمها بقدرته، وأنه قادر على نفع من شاء وضر من شاء، كما عليه كثير من جهلة النساء والعبيد؛ حرم أكل ذبيحته؛ لأن معتقد هذا كافر مرتد.

وقد أشار إلى هذا التفصيل الإمام المواق نقلا عن ابن عرفة عقب نقله لما تقدم عن ابن شهاب من أنه: « لا ينبغي الذبح لعوامر الجان. . »، ونصه: « ابن عرفة: إن قصد به اختصاصها بانتفاعها بالمذبوح؛ كره. وإن قصد التقرب به إليها؛ حرم ».

قلت: وعلى هذا القسم الأخير يحمل كلام من أطلق التحريم، وهو غير واحد: قال الشيخ يوسف بن عمر في "شرح الرسالة"، عند قولها: « ما ذبح لغير الله »، ما نصه: « فيؤخذ من هذا: أن ما ذبح للكنز أو للجنون لا يجوز أكله ». وقال الترغي في "شرح ذكاة الرقعي": « وما يذبح للمرض أو لمكان يسكن فيه لما يتقى من عمارة الجان، فلا يؤكل. لأنه مما أهل به لغير الله ». انتهى. نقلهما العلامة الزياتي في شرح ذكاة خاله سيدي العربي الفاسي، ونحوهما ما يأتي قريبا عن البُرْزلي من أن ما ذبح برسم الجان مما أهل لغير الله به. . . والله أعلم.

[حكم ما تذبحه قبيلة على أخرى من أجل أن تحالفها]:

وأما ما تذبحه قبيلة على أخرى لتعينها على عدوها مثلا؛ فقال البرزلي: « احفظ أن ما ذكي في الفتن التي تكون بين القبائل أو للفخر؛ مما أهل لغير الله به، وكذلك ما ذبح برسم الجان، وكرهه اللخمي، وكان بعض من لقيناه يقول: إذا سمي الله عليه؛ فالصواب أكله، وقصد ذلك به خارج عن نية التذكية». [58].

وقال الرسموكي في جوابه المشار إليه سابقا: « يجري في هذا أيضا التفصيل الذي ذكره العوفي؛ فيقال: إن اعتقد الذابح أن الذبح هو الذي يحدث الألفة بينهم ؛ حرم مذبوحه. وإن اعتقد التأثير في ذلك لله وللذبح؛ كره مذبوحه. وإن اعتقد التأثير في ذلك لله فقط ؛ فمذبوحه لا بأس به. . . ».
قلت: وما تقدم من التفصيل في القسم الثاني بالكراهة لابد منه ها هنا والله أعلم.

ومنها: أن يقدم رجله اليسرى عند إرادته الانصراف من الزيارة، نص على ذلك موسى بن عبد الله الزياتي في كتاب: "كراس المحبين". ونقل نصه في "الدر النفيس".

ومنها: أن لا يرجع القهقري عند الأخذ في الانصراف كما يفعله كثير من الجهلة الأغبياء، يستقبلون عند الانصراف القبر بوجوههم ويرجعون إلى وراء شيئا فشيئا إلى أن يولوا عنه، ويرون لجهلهم أن ذلك أبلغ في الأدب... وليس كذلك، بل هو من البدع المنهي عنها في الشرع. وفي مناسك الشيخ خليل - رحمه الله - ما نصه: « ولا يرجع - يعني: من طاف بالبيت - في خروجه القهقرى؛ لأنه خلاف السنة، وكثير من الناس يفعل ذلك هنا وفي مسجده عليه السلام، ولا أصل لذلك في الشرع الشريف». قال: « وأدت هذه البدعة إلى أن صاروا يفعلونها مع مشايخهم، وعند المقابر التي يحترمونها، ويزعمون أن ذلك من الأدب... ». نقله الحطاب عند قول خليل في الحج: « ولا يرجع القهقري ».

ومنها: أن يقدم يسراه عند الخروج من المحل الذي به المزور. وليقل - إن كان مسجدا: « بسم الله. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد. رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك... ».

وهذا آخر ما أردناه من هذه الآداب، وقد أطنبنا فيها بعض الإطناب، لشدة الاحتياج إليها، وتوقف الانتفاع التام بالزيارة عليها، حتى قال بعض الموفقين: « الناس إلى آداب الزيارة أحوج منهم إلى الزيارة... ». وهو كذلك؛ فإن كثيرا ممن لا أدب معه ولا معرفة له بأحكام الشريعة يطلب الربح بالزيارة، فيخسر فيها من حيث لا يدري؛ لسوء أدبه وعدم موافقة أفعاله منها للشرع... والله الموفق والمرشد.

تنبيهات

[زيارة القبور مندوبة بلا حد بيوم أو وقت]:

الأول: زيارة القبور مندوبة بلا حد بيوم أو وقت. قال مالك رضي الله عنه: « بلغني أن الأرواح بفناء المقابر، فلا تختص زيارتها بيوم بعينه، وإنما يختص يوم الجمعة لفضله والفراغ فيه... »، نقله الشيخ زروق.

وما في "الإحياء" عن محمد بن واسع من أنه: بلغه أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويوما قبله، ويوما بعده؛ [59] معناه: أنه يزيد علمهم للأدلة على دوام علمهم. كما ذكره بعض العلماء.

وقد أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن قال: « من دخل المقابر فقال: اللهم رب هذه الأجساد البالية، والعظام النخرة، التي خرجت من الدنيا وهـــــي بك مؤمنة، أدخل عليها روحا منك وسلاما

مني؛ استَغْفَرَ له كل مؤمنٍ مات منذ خلق الله آدم))، وفي لفظ لابن أبي الدنيا: ((كتب الله له بعدد من مات من ولد آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات)).

وفي "الجامع الكبير" للسيوطي أنه: أخرج الرافعي من حديث علي - رضي الله عنه - مرفوعا: ((من مر بالمقابر فقرأ فيها إحدى عشرة مرة: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : 1 - 4]. ثم وهب أجره للأموات؛ أعطي من الأجر بعدد الأموات)). وفي "مسند الفردوس" مرفوعا: ((من مر بالمقابر فقال: السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا إله إلا الله، يا أهل لا إله إلا الله؛ كيف وجدتم لا إله إلا الله؟، بحق لا إله إلا الله، اغفر لمن قال: لا إله إلا الله، واحشرنا في زمرة من قال: لا إله إلا الله. غفرت له ذنوب خمسين سنة)). قيل: يا رسول الله؛ فمن لم يكن له ذنوب؟. قال: ((يغفر لوالديه ولإخوانه من المؤمنين)). نقله الفقيه العلامة الصوفي أبو محمد سيدي عبد المجيد المنالي في رحلته.

[النهي عن اتخاذ القبور نزهة وفسحة]:

الثاني: قال العلامة ابن زكري في شرح همزيته ما نصه: ((عادة أكثر الناس في هذه الأعصار، إذا خرجوا لزيارة ولي بَعُدَ قبره، قصد الفرجة وإرادة النزهة وتسريح النظر في مساحة الأرض ونباتها وأنهارها، ويعدون لذلك لذيذ الأطعمة والفواكه، ويجتمعون على ما لا يعني من اللهو والضحك والغيبة، فيتكدر صفو مشربهم، ويتعسر الإخلاص عليهم، فلا تنجح مطالبهم؛ لفقد النية المعتبرة)).

[حكم دفع الأموال عند الأضرحة]:

الثالث: مما جربه كثير من الناس لقضاء الحوائج: الإتيان بهدية للولي من فلوس وغيرها. ويدل لصحة ذلك ما في ترجمة الشيخ أبي المواهب الشاذلي من "الطبقات الشعرانية" من أنه كان يقول: ((رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام؛ فقال لي: إذا كانت لك حاجة وأردت قضاءها؛ فانذر لنفيسة الطاهرة - يعني: الشريفة الحسنية، (بفتح الحاء)، المدفونة بمصر - ولو فلسا؛ فإن حاجتك تقضى)). انتهى. قال الشيخ سيدي عبد المجيد المنالي في رحلته بعد نقله: ((وكنت أسمع ذلك على لسان المشايخ قبل أن أقف عليه؛ فكنت أصفه للناس فينتفعون به)). انتهى.

قلت: وقد عمل الناس به في كثير من الأضرحة، وخصوصا في ضريح قطب المغرب مولانا إدريس - رضي الله عنه - بفاس، وضريح سيدي أبي العباس [60] السبتي بمراكش، فشاهدوا منه العجب. والأمر أوسع من أن تدركه المقول أو يصفه المقول.

وفي "معتمد الراوي" للشيخ أبي محمد سيدي عبد السلام القادري ما نصه: « ينبغي له - يعني: للزائر - أن يقدم بين يدي طلبه ودعائه صدقة يضعها حيث توضع، يقصد بها صلة الشيخ ونفع نفسه بها على يده، وقد جرب بالاستقراء قضاء الحاجة بذلك؛ وهو مما يدل على نفوذ العزم وصحيح النية. قال بعض العارفين: العامة أقوى نية في زيارة الصالحين من فقهائهم. ولذلك يأتون بالصدقات وتقضى حوائجهم. والحاصل لهم بذلك - إن كانوا يقصدون صلة الشيخ والهدية له، كما هو الظاهر - ستة أشياء:

أولها: التقرب للشيخ واستجلاب جزائه؛ لحديث: من أسدى إليكم معروفا فكافئوه. وأولى الناس عملا به: الأولياء.

ثانيها: تعظيم مقامه باعتقاد أن له يدا مع الله يحصل له بها النفع والدفع.

ثالثها: التقرب إلى الله تعالى بتعظيم ما عظم سبحانه واعتقاد الحرمة له. ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾. [الحج : 30].

رابعها: وضع تلك الصلة المهداة في ميزان الشيخ. حيث يأخذها وينتفع بها من له ولاية أخذها.

خامسها: قضاء الحاجة التي يقصدونها مع تلك الصلة.

سادسها: إجابة ما يدعون به في روضتهم عند الإتيان بها، والكريم إذا جازى أعطى فوق ما يؤمل الآملون.

وإنما كان تقديم الصدقات منتجا لنيل الحاجات؛ لأن فيه رحمة للخلق وإعانة لهم على المطالب؛ فرحم فاعله بحصول أربه وتيسير ما هو طالب...». انتهى باختصار.

لكن؛ ينبغي لمن أخرج شيئا من ماله لولي من الأولياء إذا لقي عنده في ضريحه أو في طريقه إليه من هو أشد حاجة وضرورة ممن يأخذ صدقته، أن يرفع ذلك إليه تقديما للأحوج فالأحوج، ناويا وصول ثوابه لذلك الولي أيضا، ويكون كمن وضع ذلك عنده، بل يكون ثوابه حينئذ أجزل، وأجره أعظم وأوفر وأكمل.

وكثير من الناس اليوم لا يفعلون هذا، ويعتقدون أنهم إن لم يطرحوا ذلك في تابوت الولي؛ لم يحصل لهم شيء من خاطره ولا من قضاء حوائجهم، فتجدهم لأجل ذلك يمرون في طريقهم على أهل الضرورات، ومن تجب أو تتأكد مواساته من الضعفاء، ولا يدفعون إليهم شيئا من ذلك. وذلك جهل، ومن الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل، كما في "الابريز" نقلا عن الشيخ مولانا عبد العزيز

الدباغ – رضي الله عنه – ونصه: « ومما يدلك على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام في ذواتهم: أنـك [61] ترى الواحد يخرج من داره بعشرين موزونة مثلا، ويذهب بها إلى ضريح ولي من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضي له حاجته، وكم من فقير محتاج يلقاه في الطريق ويطلب منه متاع الله في سبيل الله لوجه الله فلا يعطيه درهما واحدا حتى يبلغ للولي، فيطرحها عند رأسه، وهذا من أقبح ما يكون، وسببه: أن الصدقة لم تخرج لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه الكريم، ووجوده العظيم، إذ لو خرجت لذلك لرفعها صاحبها لكل محتاج لقيه، لكن لما كان الحامل عليها والداعي إلى إخراجها: هو قصد النفع لنفسه، واستكمال أغراضه وحظوظه ؛ خص بها موضعا دون موضع؛ لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعدما».

قال: «قال رضي الله عنه: وقد رأيت في هذا اليوم ما أهدي للصالحين من باب تلمسان إلى الساقية الحمراء، فإذا هو من الدنانير: ثمانون دينارا، ومن الغنم: ثلاثمائة وستون شاة؛ ومن البقر: اثنان وسبعون ثورا، أخرج هذا كله في يوم واحد للصالحين، وما أخرج لله تعالى في ذلك اليوم عشرة دراهم، وهذا سبب من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل، الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها، وهي منحصرة في ثلاثمائة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل...».

[حكم إقامة المواسم للصالحين]:

الرابع: جرت العادة في كثير من الأقطار والأمصار بعمل المواسم للأولياء والصالحين الأبرار، والغالب: عدم سلامتها من حضور النساء والشبان، ومن لا يخاف الباري تعالى من أهل الزيغ والعدوان؛ فتشتمل بسبب ذلك على عدة من المنكرات، وأمور شنيعة من المحرمات، ومع ذلك، والعلم الضروري بما يحدث هنالك؛ يتحدث الناس عن كثير من أهل الخير والصلاح، أنه يحضرها النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره ممن يرجى بحضوره النجاح والفلاح، وتجد الكثير يسأل عن حكم هذه المواسم، وعن صحة هذا الذي يذكره فيها أهل هذه المراسم؟!.

والجواب: إن حكم اتخاذها في الجملة، ومن حيث ذاتها: هو الإباحة؛ إذ هي الأصل في الأشياء حتى يرد ما يعارضها أو يخالفها، ولكنها – كما ذكر في السؤال – غلبت فيها المنكرات العظيمة، والأمور الشنيعة، وحيث كانت كذلك ؛ فيجب على من له قدرة أن يجرد فيها سوط الأدب وعصا الشريعة ؛ فيزجر من يستحق الزجر، ويؤدب من يستحق الأدب، حتى تكون سالمة من كل ما لا يرضي الله ورسوله وسائر المؤمنين، وإلا خيف [62] على الجميع الهلاك والخسران دنيا وأخرى.

وقال تعالى: ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾. [الإسراء : 16]. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنهلك وفينا الصالحون؟!»، قال: « نعم؛ إذا كثر الخبث. . . ! ». وقال عليه السلام: « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه؛ إلا عمهم الله بعقاب ».

وما يذكر من حضور النبي – صلى الله عليه وسلم – أو غيره من الأولياء هناك لا تبعد صحته، سيما وقد أخبربه من ثبتت ولايته، واتضحت عنايته في غير ما موطن من مواطن الأولياء، كمولد مولانا إدريس – رضي الله عنه – وأضرابه، وقد ذكر غير واحد من الأكابر أن أولياء الله من البحر المحيط وسائر الجبال والبلاد يحضرون مولد القطب الشريف الحسيني أبي العباس سيدي أحمد بن علي البدوي دفين طنطا بأعلى النيل، المتوفى سنة خمس وسبعين وستمائة، وولد بفاس. وفي ذلك يقول الشيخ أبو الفيض حمدون ابن الحاج في ميميته:

مازال مولده تبدو عجائبه	لمن يسير له من بُعْد أو أَمَم
وكيف لا ورسول الله يحضره	والأنبياء وما لهم منَ الدجَم[1]

وفي "الطبقات": « إن شخصا أنكر حضور مولده – يعني: تعنتا وتكبرا واستهانة – فسلب الإيمان لوقته ولم يعد إليه، حتى استغاث به وتاب من ذلك».

ولا بدع في هذا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم له تعلق معنوي ومرافقة روحانية لأمته، في سائر شؤونهم وتقلباتهم، رحمة منه لهم ورأفة بهم؛ ولا يمنعه من ذلك – كما ذكره الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته – كون بعض شؤونهم قد يلابسها ويخالطها خلاف المشروع؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان معهم في حياته، وهم على هذا الحال، فيهم المسيء والمحسن والطائع والعاصي، بل والمؤمن والمنافق، فيُعَلِّمُ جاهلهم، ويرشد ضالهم، ويرفق بالعاصي والمنافق حتى ينقاد، ولم تحمله إساءتهم، ولا عصيان بعضهم ونفاقه على مفارقتهم، والتخلي عنهم؛ إذ لو فعل لعوجل المسيء بالهلاك، وخذل المطيع في طاعته، ولم يبال الله بهم باله، فكذلك هو صلى الله عليه وسلم، معهم بعد موته على هذه الحال، ولذلك قال: «حياتي خير لكم وموتي خير لكم ».

قال في الرحلة المذكورة: « وتفهم من هذا ما يحصل من الاجتماع العظيم في محل بعض الصالحين واشتماله على بعض المناكر، ومع ذلك يحضره الأولياء، وأرباب القلوب من الصالحين، فيشاهدون حصول [63] مدده صلى الله عليه وسلم لكل زائر، وسريان سره في سر كل حاضر، وذلك كمولد

---

[1] في "القاموس": والدجم: الأخدان والأصحاب. مؤلف.

سيدي أحمد البدوي بمصر، ومولد الإمام الشافعي، وعند سيدي أبي مدين، وسيدي أبي يعزى، وسيدي أبي العباس السبتي بأرض المغرب، وعند مولاي عبد السلام بن مشيش يوم المولد النبوي. . . وغير ذلك من الأماكن الشهيرة المنسوبة لكثير من الأولياء شرقا وغربا)).

((فقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في كثير من تآليفه عن جماعة من أهل الكشف أنهم يشاهدون النبي صلى الله عليه وسلم في مولد سيدي أحمد البدوي – رضي الله عنه – وأنه يحضره كل سنة، مع اشتماله على أمور كثيرة لا تنبغي)) .انتهى. وانظره. وانظر أيضا "الطبقات" للشعراني، وكذا "عهود المشايخ" له. . . والله أعلم.

[حكم بناء القباب على القبور]:

الخامس: مما شاع وذاع، في سائر القرى والمدن والبقاع: بناء القباب على قبور الأولياء والعلماء، ووضع الثياب عليها والستور عندها، وفي ذلك بين العلماء اضطراب وخلاف، والعمل على الجواز إذا قصد به التعظيم. كما الشأن في ذلك.

وفي "روح البيان" عند قوله تعالى: ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾. [التوبة : 18]. ما نصه: ((قال الشيخ عبد الغني النابلسي في "كشف النور عن أصحاب القبور" ما خلاصته: إن البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى: سنة؛ فبناء القباب على قبور العلماء والأولياء والصلحاء، ووضع الستور والعمائم والثياب على قبورهم أمر جائز إذا كان القصد: التعظيم في أعين العامة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر، وكذا إيقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصلحاء من باب التعظيم والإجلال أيضا للأولياء، فالمقصد فيها مقصد حسن، ونذر الزيت والشمع للأولياء يوقد عند قبورهم تعظيما لهم ومحبة فيهم؛ جائز أيضا لا ينبغي النهي عنه. . .)). انتهى منه بلفظه. وانظر شراح العمل الفاسي عند قول ناظمه:

تحليـة القبـر وكسـوة الحريــر   للصالحيــن ومصابيـح تنيــر

وأما قول بعض المتأخرين في تأليف له ما نصه: ((وأما حط الكسوة على الدربوز وعلى الحائط، فأفتى المسناوي والسرغيني ومحمد بن الحسن البناني بمنع ذلك وقالوا: الحي أحق بلبس ذلك من الميت واحتجوا بأن أبا بكر أوصى بأن تغسل ثيابه ويكفن فيها، لأن المقصود من بياض الكفن هو طهارته، وخلف رضي الله عنه ما يقرب من عشرة آلاف)) .انتهى. فهو خلاف ما به العمل كما ذكرنا. والله أعلم.

/حكم تخصيص زيارة بعض الصالحين بيوم معين/:

السادس: كثيرا ما يسأل عما اشتهر بين الناس من أن: زيارة سيدي فلان مخصوصة بيوم كذا، وزيارة سيدي [64] فلان مخصوصة بيوم كذا. . . على عدد أيام الجمعة، حتى اتخذوا ذلك عادة، هل له أصل أم لا؟!.

والجواب أنه: اتخذ الناس ذلك منهاجا كما قاله الشيخ أبو زيد ابن القاضي في جواب له؛ لأن الإنسان إذا أراد أن يسأل حاجة عند أحد أتاه في حالة سروره لا في حالة غضبه، والولي لا راحة له ولا سرور أفضل من اليوم الذي لقي الله فيه، لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؛ فلذلك اتخذ الناس والسلف الصالح زيارة الولي في اليوم الذي لقي الله فيه.

وفي "شرح الحصن"، وكذا في "شرح النصيحة" للعلامة ابن زكري نقلا عن الشيخ زروق في "القواعد" قال: «كان شيخنا أبو عبد الله القوري يقول: إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين؛ فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم، ويوم قدومهم عليه بالخروج من هذه الدار، وهو يوم وفاتهم، فزيارتهم فيه تهنية لهم، وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم. . .».

وقال في "معتمد الراوي" ما نصه: «وليس لزيارة الصالحين يوم مخصوص لا يزارون إلا فيه، ولا يكون في غيره تدارك أمرها وتلافيه، بل تسوغ زيارتهم في كل يوم من الأيام، ويحصل في كل حين منهم للوافدين مزيد خير وإنعام، ولم يرد في تعيين اليوم لها تخصيص، ولا وجد في الشرع على ذلك تنصيص، وما اشتهر بالمغرب وغيره من تعيين يوم الزيارة لكثير من الأولياء بحيث تغلق أبواب روضاتهم ويسدها الخادمون لها إلا في ذلك اليوم فيفتحونها للزائرين، ويهيئونها للوافدين؛ فليس ذلك عندهم على وجه اللزوم، والاستناد لأمر الشرع مندوب أو محتوم، وإنما هو عندهم محدث الوقوع إحداثا لا ينافي المشروع؛ لأنهم ما أحدثوه معتقدين الوجوب، ولا أنه أمر من الشرع مطلوب، بل أحدثوه معتقدين الجواز والأولوية على حسبة لهم ونية، ودلالة على أولوية مرضية. وأصل عرفهم في ذلك: أن اليوم الذي يموت فيه ذلك الولي هو اليوم الذي تكون فيه زيارته؛ لأنه يوم قدومه على ربه، وكمال أنسه وقربه، ويوم تمام سعادته، وختام سيادته، ويوم الإقبال التام من الله عليه، ووقوفه مكرما بين يديه، ويوم إكرامه بالرضوان، والروح والريحان، فهو يوم مبارك لديه، سعيد عليه، وبحسب ذلك يسعد الزائر، وتكثر له البركات والذخائر. . .».

[قراءة بعض صحيح البخاري عند الضريح]:

السابع: من خواص "صحيح البخاري" - على ما ذكره بعضهم: أن من فتحه أو سفراً منه عند قبر ولي من الأولياء، وقرأ منه حديثا واحدا وقع عليه بصره، وتوسل برجال إسناده ثم بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى في حاجته [65]؛ فإنها تقضى - إن شاء الله عز وجل. وقد أشار في "الإبريز" إلى نحو من هذا؛ فقال في الباب الرابع. في ذكر الديوان ما نصه: « ذكروا أن من أخذ سفرا من سيدي البخاري وذهب به إلى ضريح ولي وفتحه وتوسل برجال سنده وبذلك الولي إلى الله تعالى ؛ فإن حاجته تقضى، ولا سيما إن كان هو السفر الأخير . . . ».

ثم ذكر أنه استفهم شيخه مولانا عبد العزيز الدباغ عن صحة هذا؛ فأجابه بقوله: « إن في كل مدينة عددا من الملائكة، فإذا رأوا العبد يطلب من الله تعالى شيئا؛ فإن رأوا القدر سبق به وكانوا معه، فيحضره التوفيق ويزول الشيطان من الطريق، وإن رأوا خلاف ذلك؛ تركوه؛ فحضر الشيطان. . . قال: وحينئذ؛ فإذا رأوا أحدا أخذ سفرا من سيدي البخاري ذاهبا به إلى ضريح، ورأوا حاجته مقضية؛ سددوه وألقوا في قلبه الإلحاح والتلهف على طلبته، وذهبوا معه إلى الضريح، هو حامل لجرم السفر وهم حاملون لأسراره، فإذا دعا؛ أمنوا على دعائه؛ فتقضى حاجته، وإن رأوا الحاجة غير مقضية؛ أخذوا أسرار الكتاب، وذهب هو بالجرم فقط، ويعرض له الشيطان في الطريق بالوسوسة وتشويش الفكر حتى لا تبقى له حلاوة في الدعاء . . . ».

[قراءة ألف من ﴿ قل هو الله أحد ﴾ لدى الضريح]:

الثامن: في "فهرسة" الأستاذ العلامة الصوفي أبي العلاء سيدي إدريس بن محمد المنجري ما نصه: « من أراد أن يقربه ولي من أولياء الله تعالى؛ فليقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : 1 - 4] ألف مرة ويهديها إليه إن كان ميتا؛ فإنه لا ينقلب عنه إلا بسرور، والمريد يقرؤها ذلك العدد ويهديها لشيخه حيا كان أو ميتا، فإنه ينال رضى شيخه. . . ».

[مما يقال من الشعر لدى زيارة الأولياء]:

التاسع: مما يقال من الشعر عند زيارة الأولياء - وهو من نظم الفقيه العلامة الصوفي أبي محمد سيدي عبد السلام بن حمدون جسوس رحمه الله:

أولياء الإله إني مريض ... والدواء لديكمُ والشفاء

أنتمُ الباب والإله كريم | من أتاكم له المنا والهناء
كم أتى لحماكمُ من سقيم | زال عنه سقامه والبلاء
كم أعنتم على الدوام مريضا | في فراش وقد كفاه النداء
فانظروا لي بفضلكم في علاجي | وامنحوني بجودكم ما أشاء

ومما يقال أيضا - وذكره الشيخ زروق في آخر "النصيحة":

يا عباد الإله إن عبيدا | لاذ من أجلكم بركن قوي
فاقبلوه بفضلكم وارحموه | واشفعوا فيه للإله العلي [66]

ومما يقال أيضا:

إلى بابكم سعيي وإني مقصر | فقير إليكم فارحموا ذلة العبد
فإن تطردوني ليس لي غير بابكم | وإن أنتمُ عني رضيتم فيا سعدي

ومما يقال أيضا:

سادتي منوا عليَّ كرما | وتلافوا بغناكم فلسي
وارحموا من جاءكم مسترحما | فرضاكم رحمة للأنفس

ومما يقال - أيضا - وذكر في "أزهار البستان" نقلا عن بعض شيوخه أن الشيخ سيدي الحسن اليوسي كان كثيرا ما ينشده عند قبور الصالحين:

أيضام عبد في حماكم قد نزل | يا سادة لهمُ السيادة في الأزل؟
إني أتيت لبابكم مستصرخا | يا من بهم كل الأماني والأمل!
أنتم حماة الحي يا غوث الورى | نصرا لنا عونا عيانا عن عجل

ومما يقال أيضا إحدى وعشرين مرة:

من أمكم لرغبة فيكم ظفر | ومن تكونوا ناصريه ينتصر

ومما يقال أيضا:

قسما بكم وبحقكم وبجاهكم | لا حُلت عن عهد لكم طول الأبد
يا ساكنين بمهجتي وبخاطري | الله يشهد أنكم لي معتمد
أنا عبد عبد عبيدكم وببابكم | أرجو القبول يا سادتي المدد المدد
متوسلا بمحمد وبنته | وببعلها وابنيهما خيري ولد

صلى عليه الله جل جلاله والآل والصحب الكرام ذوي الرَشَد

والأبيات والأشعار في هذا الباب كثيرة جدا.

[استحباب الدفن جوار قبور الصالحين]:

العاشر: قال السخاوي في "تحفة الأحباب وبغية الطلاب"، ما نصه: « ويستحب أن يقصد الإنسان بميته قبور الصالحين ومدافن أهل الخير ويدفنه بالقرب منهم، وينزله بإزائهم، ويسكنه في جوارهم، تبركا بهم، وأن يجتنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذي بمجاورته والتألم بمشاهدة حاله، وقد روي عنه عليه السلام أنه قال: إن الميت ليتأذى بالجار السوء كما يتأذى به الحي ». ونحوه لغير واحد من أئمتنا . . . والله أعلم.

[حكم الدفن بالدار أو المسجد]:

الحادي عشر: ذكر الزرقاني في: الجنائز. عند قول خليل: « ودفنه بدار وليس عيبا بخلاف الكبير ». « إنه يكره دفن الميت [67] بمسجد بني للصلاة لا لغيرها . . . ». قال: « قاله الحطاب: وأقره الشيخ البناني والشيخ سيدي محمد الرهوني بسكوتهما ». وكتب الشيخ التاودي على قوله: « قاله الحطاب »، ما لفظه: « زاد الحطاب عقبه ما نصه: وهذا على القول بجري الأحباس بعضها في بعض، وبه عمل الأندلسيين خلافا للقرويين، وعلى قولهم، لا يجوز الدفن فيه بوجه ».

قلت: قال الحطاب: « وهذا في المساجد التي بنيت للصلاة فيها، وأما لو بنيت لوضع الموتى فيها – أي: كالموضع المسمى عندنا بجامع الجنائز – صح إدخاله لها والدفن فيها إن اضطر إلى ذلك ». وجزم الخرشي والزرقاني في: فصل الكراء. عند قول المتن: « أو لم يعين في الأرض بناء وغرس، وبعضه أضر، ولا عرف بحرمة الدفن في المسجد »، وأقروه عليها. ونص الزرقاني: « فائدة: صرح جماعة بمنع الغرس في المسجد، وبمنع الحفر والدفن فيه، وأنه لعل من عبر بالكراهة أراد كراهة التحريم ». وقد نقله الرباطي في " شرح العمل الفاسي" عند قوله:

وشجر بمسجد أو مقبرة يأكل من شاء بتلك الشجرة

وأقره أيضا. ويؤيده ما يأتي – إن شاء الله تعالى – في ترجمة الفقيه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد الكبير بن محمد السرغيني الغنبري من أنه: « كان ينكر ما حدث من الدفن بجامع الأشياخ القريب من كرواوة بعدوة فاس الأندلس، وما حدث من الدفن بجامع الأشراف الذي هو محل ضريح

مولانا إدريس رضي الله عنه، ويشهد الحاضرين أنه صرح بتحريمه وتبرأ منه. . .)) . نقل ذلك عنه في "نشر المثاني" وغيره.

قلت: وعليه؛ فيتعين حمل الكراهة السابقة في كلام الزرقاني في: الجنائز. على كراهة التحـريم؛ وحينئذ؛ فيردُ أن يقال: ما وجه دفن مولانا - إدريس رضي الله عنه - بجامع الأشراف المذكور ودفن أولاده معه به بعده؟!.

ولعل الجواب: إن المباشرين إذ ذاك لدفنهم كانوا يرون الجواز؛ ففعلوا ما أداهم إليه اجتهادهم، أو أن ذلك الموضع الذي دفنوا فيه كان أولا قبل دفنهم به خارجا عن المسجد متصلا به كالرحبة له، يسمى باسمه مجازا، ثم بعد الدفن أدخل إليه وصار من جملته حقيقة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وليكن هذا آخر الكلام على هذه المقدمات، وأوان الشروع في المقصود بالذات. ولنبدأ بصالحي داخل سور المدينة كما وعدنا به سابقا، وبأهل الحرم الإدريسي منهم مطلقا، وبمن يجب تقديمه، وتعظيمه وتكريمه، وهو: سلطان المغرب وباني فاس، والمؤسس لها على أجل أساس؛ فأقول، ومن مدده الفياض استمد وبالله أعتصم وأحول [68].

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء داخل الحرم الإدريسي
صانه الله بمنه

[1- الإمام مولاي إدريس الأنور – باني فاس – رضي الله عنه]
(ت: 213)

منهم: بركة فاس والمغرب، وأمانهما وحرزهما، وواسطة عقدهما وفخرهما، سلطان الأولياء، ونخبة الصلحاء والكبراء والعظماء والأتقياء، سيد الأسياد، وقطب الأقطاب الأمجاد، الغوث الجامع، والنور الساطع اللامع، المجاهد في سبيل رب العالمين، والمؤسس لما عفى ودثر من معالم الدين، الخليفة الأصعد الأكبر، والهمام الأنزه الأنوه الأنور، منبع الأسرار والأنوار واللطائف، وعنصر المجد والكمالات وسائر المعارف، عين أعيان الخلفاء والعلماء والشرفاء، ووارث نور هديه الفضلاء، من تحلى بحلية الكمال والإرشاد والهداية، واتسم بسمة الدلالة على الله تعالى والقبول والرعاية، الغزير الوصف الذي تقصر عن تعداد أوصافه الطروس والأقلام، وتكل دون بلوغ أدناها ألسنة الأنام، العلوي الفاطمي، الحسني الكاملي، الحجازي الأصل، الزرهوني المنشأ والفصل، الفاسي الدار والقرار، والوفاة والمزار، مانح الزائرين وسائر القاصدين بأسراره الربانية المحمدية، وعقود الجمان والدر النفيس: أبو القاسم وأبو العلاء سيدنا ومولانا إدريس، المعروف بإدريس الأنور وبإدريس الأزهر، وبإدريس صاحب التاج، وبإدريس المثنى، وبإدريس الفاسي، ويعبر عنه بعض من لم يراع كمال الأدب معه بإدريس الأصغر، والعذر له أنه لم يرد بذلك تنقيصا وإنما أراد تعريفه.

وهذا الذي ذكرناه من أن اسمه إدريس؛ هو اسمه في الظاهر، وأما في الباطن وعند أهل الله تعلى وأهل الحضرة ؛ فيقال له: فضل. ذكر ذلك الولي الصالح الملامتي العارف أبو عبد الله سيدي محمد بن القاسم القندوسي في كتابه: "التأسيس في مساوي الدنيا ومهاوي إبليس". قال: « وهكذا الأولياء – يعني: الذين صلحوا للحضرة، وخصوا بفضل الله العظيم – يسمون في الحضرة بالفضلاء ».

وهو ابن القطب الأشهر مولانا إدريس الأكبر الحجازي المغربي الزرهوني ابن القطب مولانا عبد الله الكامل ابن القطب مولانا الحسن المثني ابن أول الأقطاب مولانا الحسن السبط [69] ابن رابع الخلفاء، وإمام العلماء والفصحاء والبلغاء؛ مولانا علي، وسيدة نساء الدنيا والآخرة، مولاتنا فاطمة الزهـــراء البتول، بنت سيد الكونين وعروس الدارين، وشفيع الخلائق أجمعين، ومد الأولياء والأنبياء

والملائكة وسائر المقربين، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؛ وشرف ومجد وكرم وعظم، ورضي عن جميع آله وأصحابه، وأنصاره وأصهاره، وجميع من انتمى لجنابه.

قدم والده مولانا إدريس الأكبر - رضي الله عنه - من الحجاز إلى المغرب، وهو أول آل البيت قدوما إليه؛ بسبب الوقعة المشهورة بوقعة "فخ"، بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة، خلافا لمن يقوله بالجيم، موضع فيه مويهة على مسيرة ثلاثة أميال من مكة، ونزل منه بمدينة "وليلي" قاعدة جبل زرهون، وهي المدينة الخالية الآن بإزاء الزاوية التي بها ضريحه المسماة بقصر فرعون. وكان نزوله بها في غرة ربيع الأول سنة اثنين وسبعين ومائة، وبها يومئذ عبد المجيد أو إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي أمير أوربة وكبيرهم، فأجاره وجمع البرابر على مبايعته والقيام بدعوته، فبايعوه يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة.

وكان أكثر هذه البلاد على دين اليهودية والنصرانية، والمجوسية والاعتزال؛ فقام - رضي الله عنه - بنصرة دين الإسلام، ومحو آثار الكفر وغيره من أنواع الضلال، حتى طهر الله به المغرب من ذلك كله، وتوفي - رضي الله عنه - مسموما مهل ربيع الثاني سنة سبع وسبعين ومائة، وفي كتاب "جنا زهرة الآس" وكتاب "النبذة المختصرة المفيدة" أنه: توفي في منسلخ ربيع الآخر من سنة خمس وسبعين ومائة، ودفن - رضي الله عنه - بخارج مدينة وليلي بالمحل المشهور به إلى الآن، المعروف بالزاوية.

قال في "النبذة المختصرة" : « ولما توفي ترك ولدين: إدريس وعمران. وقيل: إن إدريس ولد بعد وفاته، وكان عمران رجلا صالحا مستجاب الدعوة، دعا له والده بدعوة صالحة، فأجاب الله دعاءه فيه، وجعل عمران لراشد معه النظر في أمر أخيه إدريس ». كذا قال؛ والذي لغيره من غير ما واحد من المؤرخين المعتمدين أنه: لما توفي لم يترك بالمغرب إلا جارية له مولدة من بلاد البرابر اسمها: كنزة، وتركها حاملا منه في الشهر السابع من حملها، فولدت له صاحب الترجمة بعد ثلاثة أشهر من وفاته على الصحيح، وذلك في يوم الإثنين الثالث من شهر [70] الله رجب سنة سبع وسبعين - بموحدة فيهما - ومائة. وفي كتاب "جنا زهرة الآس"، أنها ولدته سنة خمس وسبعين.

وذكر الشيخ أبو العباس المقري في "كنوز الأسرار" أنه كان مكتوبا بين كتفيه يعني: بقلم القدرة الإلهية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، الأمر كله بيد الله، هذا من نسل نبي الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان الذي تولى القيام بأمره بعد ولادته وبأمر البرابر بعد أبيه: السيد الصالح، المحب في الجانب النبوي والخادم الناصح، أبا السعد سيدي راشد بن منصة الأوربي مولى أبيه ودفين تربته مقابله

بالزاوية الزرهونية. فكفله حتى فطم وشب، وأدبه أحسن أدب، وحفظه القرآن فحفظه وهو ابن ثمانية أعوام، وقيل: ابن سبعة، وعلمه السنة والفقه والحديث والنحو والشعر، والأدب وأمثال العرب وحكمها، وسير الملوك وسياستها، وعرفه أيضا بأيام الناس، ودربه[1] على ركوب الخيل والرمي بالسهام ومكايد الحروب، حتى عرف ذلك كله، وتمهر فيه وهو ابن عشرة أعوام أو إحدى عشرة سنة، على اختلاف المؤرخين.

ولما كملت له من السنين إحدى عشرة سنة أو نحوها، وظهر من ذكائه وعقله ونبله وفصاحته وبلاغته ما أذهل عقول العامة والخاصة؛ أخذ له مولاه راشد المذكور البيعة على جميع قبائل المغرب، فبايعوه بجامع مدينة وليلي يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائة. وذكر الجزنائي في "جنا زهرة الآس" أنه: أخذها له يوم الجمعة مهل شهر ربيع الأول من سنة ست وثمانين ومائة، وخطب الناس إذ ذاك خطبة بليغة دعاهم فيها إلى الله تعالى وإلى طاعته. وفي "العبر" لابن خلدون أنه - رضي الله عنه -: بويع حملا ثم رضيعا ثم فصيلا إلى أن شب واستتم، فبويع مرة رابعة سنة ثمان وثمانين وهو ابن إحدى عشرة سنة.

وبعد بيعته؛ سار في الناس بسيرة سلفه الصالح، وهديهم الواضح؛ فجدد من معالم الدين ما بلي، وأظهر ما خفي، وأحضر ما غاب وغبر، وأحيى ما درس واندثر، ونشر العدل، وأظهر الحق والكمال والفضل، والتزم الاستقامة، وأقام السنة وراءه وأمامه، ونصح لله ولرسوله وللمؤمنين، وشهر شعائر الإسلام والمسلمين، حتى استقام أمره وملكه، وانتظم عقده وسلكه، وثبت مكانه، وعز سلطانه، وقويت جنوده وأتباعه، وكثرت حواشيه وأشياعه، ووفدت عليه الوفود من البلدان، وقصده الناس من كل ناحية ومكان، وغزا ما لم يصله [71] أبوه من النواحي والأقطار، وأسلم بدعوته من بقي من الكفار، ولم يبق إلا من رضي بأداء الجزية للمسلمين، أو بالدخول في زمرة عباد الله المؤمنين، ونشر العلوم وأوضح الشريعة والحقيقة، ومهد طريق الجمع بينهما حتى عرفت أصول الدين وفروعه، وتبين كمال الإيمان على ما هو عليه، فثبت الدين في المغرب وتقرر، وصارت شجرته فيه أصلها ثابت وفرعها في السماء.

فعلم ببركته أهل المغرب بعد أن جهلوا، وعملوا بعدما ضيعوا، وأقبلوا بعدما أعرضوا، واتصلوا بعدما انفصلوا، وقربوا بعدما بعدوا، وتأنسوا بعدما استوحشوا، وعزوا بعدما ذلوا، وغلوا بعدما رخصوا، وعلوا بعدما سفلوا، وأحيوا به وبأبيه بعد الموت؛ وتداركهم الله ببركتهما قبل الفوت.

---

[1] بالدال المهملة. مؤلف.

أمه – رضي الله عنه – سيدتنا كنزة: وهي جارية مولدة من تليد البرابر، كما سبق، وهو الأصح، وقيل: إنها بنت عبد المجيد الأوْرَبي أمير أوْرَبَة، وكانت ذات حسن وجمال، وحياء وبهاء وكمال، كاملة العقل والدين، تابعة لكتاب الله وسنة سيد المرسلين، وضريحها بالزاوية الزرهونية مع زوجها بإزائه.

وكنيته: أبو العلاء وأبو القاسم. **وصفته:** أبيض اللون مشرب بحمرة، أكحل العينين أجعد الشعر، تام القد، جميل الوجه، أقنى الأنف، مليح العينين، واسع المنكبين، شثن الكفين والقدمين، أبلج أفلج أدعج...

وكان – رضي الله عنه – شاعرا مجيدا، فصيحا بليغا أديبا؛ ومن شعره – كما ذكره صاحب كتاب "صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار" قائلا ما نصه: حدث أبو هاشم داود الجعفري أن إدريس بن إدريس أنشد لنفسه:

لو مال صبري بصبر الناس كلهمُ ... لكلَّ في روعتي أو ضل في جُزَعي

بان الأحبة فاستبدلت بعدهمُ ... همّا مقيما وشملا غير مجتمع

كأنني حين يُجْري الهم ذكْرَهُمُ ... على ضميريَ مجبول على الجزع

تأوي همومي إذا حركتَ ذكرهم ... إلى جوانح جسم دائم الهلع. انتهى

وكان – أيضا – عالما بكتاب الله، قائما بحدوده، راويا للحديث، عارفا بالفقه والسنة والحلال والحرام، وفصول الأحكام، ورعا تقيا، جوادا كريما، حازما فاضلا، بطلا شجاعا، شهما مقداما، له عقل راجح، وعلم راسخ، وحلم واسع، وإقدام في مهمات الأمور.

وقال بعضهم: «كان عالما عاملا، زاهدا مجاهدا ناسكا، شجاعا كريما سخيا [72] بنفسه وماله». انتهى.

وفي تأليف في الأنساب لسيدي أبي بكر بن محمد السيوطي نقلا عن "القرطاس" – يعني: الكبير – بأن الله تعالى: « جمع فيه الخصال المحمودة كلها في شبابه. قال: وكان يدرس اثني عشر علما وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكان شجاعا عارفا بسياسة الحروب كلها ».

وفي "الدر النفيس" أنه: « كان يقري الضيف ويرحم الضعفاء والمساكين، كثير الرحمة والشفقة على المؤمنين، أحن عليهم من الوالدة على ولدها، عظيم الحلم كثير العفو، ذا أناة وسكينة ووقار وحياء، مع المهابة والجلالة، متواضعا من غير ذلة، جليلا مهيبا من غير عجب ولا تكبر، يتواضع للصغير، ويرحم الكبير، ويقبل المعاذير، دائم بشاشة الوجه، طلق المحيا مستنيره...».

وفي "همزية" العلامة ابن زكري فيه رضي الله عنه:

زانــه الـزهــد والـتـواضـع والحلـم ... وعـفـــوٌ ورأفـــة وسـخـــاء
ذو صــواب فـي رأيــه ونـجـــاح ... ولــه الأدب البـهــيِّ بـهـــاءُ

قالوا: وكان – رضي الله عنه – ملازما للحق في تصرفاته، جاريا على قانون الشرع في أحكامه، لا يعدل عن الحق ولا ينحرف عن السنة، وكان يأخذ الجزية وزكوات الأموال في كل سنة على منهاج الشرع من غير تغيير ولا تحريف، ثم يصرف ذلك إلى مستحقيه من الضعفاء والأرامل والأيتام، وكانت تأتيه الغنائم في غزواته وغزوات أصحابه؛ فيقسم الأربعة الأخماس على المجاهدين، ويصرف الخمس في مصارفه.

[تأسيس مدينة فاس]

وأسس – رضي الله عنه – المدينة الكبرى التي هي: مدينة فاس، وكان مبدأ تأسيسه لها صبيحة يوم الخميس غرة ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومائة، ورفع يديه عند إرادة الشروع في بنائها، ودعا لها ولأهلها وقال: « اللهم اجعلها دار علم وفقه، يتلى بها كتابك، وتقام فيها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالكتاب والسنة ما أبقيتها . . . ». فلم تزل دار علم وإقامة سنة ببركة دعائه وبركته رضي الله عنه.

[بعض فضائل فاس]

وقد امتازت على غيرها من غالب البلدان ببركته – رضي الله عنه – بفضائل:

منها: حلوله – رضي الله عنه – بوسطها، وناهيك بذلك من شرف وفضل، وبركة وفخر، وقد حازت به من الخيرات والبركات ما لا حصر له.

ومنها: كونها أسستها يد الأشراف وبناؤها على أيديهم. ولا يعرف على وجه المعمور مدينة عظيمة إسلامية عامرة بالعلم والدين أسستها يد بضعة نبوية طرية إلا هي، ولن تعدم بركة ذلك بفضل الله تعالى ثم بعظيم جاه أحب خلقه إليه [73] سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنها: وجود قبائل الأشراف فيها بكثرة بحيث لا يكاد يوجد في مدينة من المدن مثل ما فيها منهم. وناهيك بها من فضيلة ومنقبة، لأن الأشراف هم زينة الكون وشرفه، ونجومه، وبهم تأمن البلاد والعباد من عموم البلايا وعظيم المصائب والمحن.

ومنها: وجود أهل العلم فيها أيضا بكثرة. حتى قيل: إنه ينبع العلم من صدور أهلها كما ينبع الماء من حيطانها، ويقال أيضا: ولد العلم بالمدينة، وربي بمكة، وطحن بمصر، وغربل بفاس. وليس في المغرب مدينة يوجد فيها من أنواع العلوم وأصناف العلماء مثل ما يوجد فيها.

وقد قال الشيخ العلامة الصوفي، الولي الصالح العارف أبو الحسن علي بن ميمون الحسني المغربي المالكي في تأليف له استطرد فيه الكلام على فاس ما نصه: « ما رأيت مثلها ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل، وغزر الحفظ لنصوص إمامهم الإمام مالك، وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث والتفسير، وحفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب، وعلم الوقت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب... وسائر العلوم العقلية، كل ذلك لابد فيه عندهم من حفظ نص ذلك الفن، ومن لم يستحضر النص على مسألة ما في علم ما إن تكلم فيه، لا يلتفت إلى كلامه، ولا يعبأ به، ولا تحسبونه من طلبة العلم... إلى أن قال: فمنذ خرجت منها، وذلك في جمادى الأخيرة من سنة إحدى وتسعمائة إلى تاريخ هذا الكتاب المتقدم؛ ما رأيت مثلها ومثل علمائها فيما ذكر، ليس ذلك في سائر مدن المغرب، لا في مدينة تلمسان ولا بجاية ولا تونس، ولا إقليم الشام بأسره، ولا بلاد الحجاز، فإني رأيت ذلك كله بالمشاهدة، ولا بمصر على ما تقرر عندي من العلم اليقين بمشاهدة أناس من أهلها، وبرؤيتي لبعض كتب أرباب الوقت الآن، وأحوالهم، واشتغالهم في العلم؛ عرفت ذلك، بينهم وبين من ذكر بون بعيد، ومن شاهد علم، ومن ذاق دري، وليس الخبر كالعيان... ».

قال: « بل أقول: ورأيت بمدينة حلب من بلاد الشام سنة خمس وتسعمائة رجلا من عراق العجم، جاء بدعوى عظيمة عريضة من علم الظاهر، وكان له هناك صيت، وارتفع أمره إلى أن عرف عند أرباب الدولة، وأجلسوه مجلسهم، وكان عندهم بنظر، ووقعت بينه وبين مفتي المدينة المذكورة، وهو أعلمهم، مناظرة في مجلس صاحب الدولة، وزعم أنه صنف في العلم، فهو على هذه الطبقة وبينه وبين من ذكر [74] من علماء مدينة فاس ما بين المبتدئ والمنتهي... ! ».

ومنها: أنها محل الأولياء والصلحاء والمنتسبين بكثرة أيضا. وأولياؤها هم الأسد الذين لا يقدر أحد من الأولياء على مقاومتهم، حتى اشتهر أنهم يعملون في غيرهم ولا يقدر غيرهم أن يعمل فيهم، ببركة هذا الإمام الذي انتسبوا إليه، واستوطنوا بجواره.

وقد ذكر صاحب "دوحة البستان"، أنه: « يحكى أن رجلا من أهل الصلاح والدين دخل يوما لمسجد القرويين لصلاة الجمعة، فنظر إلى المسجد وما فيه من الخلائق، وقال في باطنه سرا: يا ترى؛

هل في هذا المسجد ولي من أولياء الله تعالى؟ . فما أتم كلامه الذي خطر بباله حتى جذبه رجل من خلفه وقال له: يا هذا؛ والله ما في الصف الذي أنت فيه إلا خمسون رجلا لو سألوا الله في القيامة لقامت!! . فالتفت خلفه فلم يجد أحدا إلا السارية التي هو مستند عليها . . .»، انظر تمام كلامه.

ومنها: أنها تعرف عند الأولياء وأهل الله تعالى بالزاوية. نقل ذلك عن الشيخ الولي المحبوب سيدي عبد الرحمن المجذوب.

ومنها: أن اجتماع الأولياء على الأمر المهم يكون فيها . كما شهدت بذلك الكشوفات والمرائي، تأدبا مع سيدنا ومولانا إدريس، إذ هو إمامهم، والسبب في وصولهم إلى الإيمان فما بعده من الخصوصيات، وهم في صحيفته وميزانه.

ومنها: أنها دار المحبة والتعظيم لآل البيت وللعلماء والمنتسبين. وهؤلاء الطوائف الثلاث معظمون بها أكثر من غيرها، وناهيك بذلك.

ومنها: أنها لم تزل من يوم بنيت دار الفضل والدين والسنة والجماعة. كما نقل عن الشيخ زروق أنه قال في بعض تعاليقه: «إن ثلاث مدائن بالمغرب أكثر الناس صلاة وديانة، وهي: غرناطة وتونس، وفاس. قال – نقلا عن ابن مرزوق – وفاس أكثر المدينتين المذكورتين صلاة!».

ومنها: أنها دار الخيرات والبركات، والنعم الكثيرة المتواليات، وذلك ببركة دعاء بانيها لها بذلك، اقتداء بجده صلى الله عليه وسلم في دعائه للمدينة، وبسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعائه لمكة.

ومنها: أنها محفوظة – إن شاء الله تعالى – من استيلاء الكفار عليها، وانحياشهم على وجه الأخذ إليها، على ما يفيده ما نقل عن غير واحد من الأخيار، من أنه رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم واقفا على جبل القلة خارج باب الجيسة وهو يقرأ سورة: ﴿ لإيلاف قريش ﴾.[قريش : 1 – 5] ويشير بآخرها إليها تأمينا لها من كل ما يخاف ويتقى، ببركة هذا الإمام رضي الله عنه.

تمم الله علينا نعمته، وأدام عليها وعلى أهلها منته [75] وعافيته، وحقق فيه رجاءنا، وبلغ منه آمالنا . . .آمين.

ومنها: أن سكانها أحدُّ أهل المغرب أذهانا، وأشدهم فطنة، وأرجحهم عقولا وألينهم قلوبا، وأكثرهم صدقة، وأعزهم نفوسا، وألطفهم شمائل وطباعا، وأقلهم خلافا على الملوك، وأكثرهم طاعة لولاتهم وحكامهم.

ومنها: أنه ورد في فضلها حديث وجد على ما قيل – في كتاب دراس بن إسماعيل بخطه، عن أبي هريرة مرفوعا: «ستكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس، أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة،

أهلها قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم، يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة »، وقد ذكر هذا الحديث صالح بن عبد الحليم في كتاب "الأنيس"؛ المعروف عند الناس بكتاب "القرطاس"، والشيخ أبو الحسن الجزنائي في كتابه "جنا زهرة الآس"، والشيخ زروق في كناشه، وابن القاضي في "الجذوة"، وأبو عبد الله التلمساني في "المنهل الأصفى" حاشية له على "الشفا"، وابن سلطان القاري الحنفي في شرحها أيضا، وابن زكري في "شرح همزيته" . . . وغيرهم ممن يكثر، وأقروه، وتكلم فيه بعضهم من جهة متنه وآخرون من جهة إسناده. والصواب أنه: صحيح من جهة المعنى، ضعيف جدا أو باطل من جهة السند والمبنى، وكم له من شواهد تصحح معناه، وتؤدي مضمنه وفحواه.

وقد روى أبو نعيم في "الحلية" ومسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا: « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة »، وروي عن سعد بن مالك مرفوعا: « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة »، قال في كتاب "جنا زهرة الآس": « وأهل الغرب هم: أهل المغرب الذي هو ضد المشرق على أصح التأويلات في الحديث وأوضح الدلالات. . . ».

قال في "التشوف": « ومن تأوله على أن الغرب: الدلو. وأنه أراد: أهل الغرب، وهم العرب، فيبطل تأويله بما رويناه من طريق بقي بن مخلد في مسنده عن أبي عثمان النهدي عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة أو يأتي أمر الله. وخرجه الدارقطني في فوائده بسنده إلى سعد ابن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق في المغرب حتى تقوم الساعة. وذكره أبو عبد الله بن أحمد الهروي بسنده، ولفظه: لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة. . . ».

وقال القرطبي في "المفهم": « رواية أهل المغرب: بالميم تدل على إبطال التأويلات في هذا الحديث. قال: والمراد بالمغرب: جهة المغرب من المدينة إلى أقصى بلاد المغرب، فيدخل فيه الشام وبيت المقدس [76] فلا منافاة بين الروايات » .انتهى.

قلت: وتدخل فيه أيضا مراكش وفاس وما والاهما. وقد أرسل الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي الإسكندري رسالة للسلطان بمراكش ذكر فيها هذا الحديث الذي خرجه مسلم، وقال: « هل أرادكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أراد جملة أهل المغرب؛ إلا لما أنتم عليه من التمسك بالسنة والجماعة، وطهارتكم من البدع والإحداث في الدين، واقتفائكم لآثار من مضى من السلف الصالح رضي الله عنهم؟! » .انتهى. ذكره في "التشوف" وغيره.

ومنها: حمايتها في القديم من كثير من البدع والمنكرات التي ظهرت في غيرها من البلدان. ثم إنه لا تكاد تظهر فيها بدعة من البدع إلا ويقيض الله لها وليا من أوليائه؛ فيكشف للناس عن عوارها، ويبين لهم فساد ما انتحلوه من خوارها، فيرجع عنها من أراد الله به خيرا، ويظهر لغيره فساد فعله؛ فترجى له التوبة والإقلاع سرا وجهرا.

ومنها: تطهيرها من الفرق المبتدعة التي توجد بالمشرق، فلا تكاد تجد فيها مبتدعا أصلا، وإذا رأيته رأيته خاملا منهزما منكسر الرأس، والسهام كلها متوجهة إليه بالشدة والبأس، إلى أن يأخذه الحق تعالى أخذا وبيلا، ولا يجد للانتصار وليا ولا كفيلا.

ومنها: أن أهلها في العقيدة على مذهب إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه. فكانت عقيدتهم مطابقة لعقيدته التي هي عقيدة الصحابة فمن بعدهم من أكابر العلماء والفقهاء، والصوفية والأولياء.

ومنها: أنهم متمذهبون بمذهب إمام دار الهجرة: مالك بن أنس رضي الله عنه. ويقرؤون بقراءة نافع المدني؛ فكانوا بذلك حائزين لسر المدينة المنورة – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

ومنها: أن أكثر عوائد أهلها التي جرى بها عرفهم من قديم الزمان لا تكاد تخلو من مستند وأصل صحيح عليه يعول وإليه يستند. وقد سمعت من سيدنا الوالد – رزقني الله رضاه – أن بعضهم[1] ألف تأليفا في عوائدها القديمة، واستنبط لها كلها أصلا من السنة، سماه: "العرف الآسي في العرف الفاسي"، لكنه قد حدثت بها في هذه الأزمان أعراف ردية خارجة عن مناهج الشريعة الأحمدية، ونسأل الله سبحانه وتعالى ببركة بانيها، ومن هو حال من الأخيار بناديها، أن يطهرها من الأرجاس، ويذهب عنها كيد الوسواس الخناس، بمنه وكرمه... آمين.

ومنها: ما علم من قديم الزمان، وشوهد بالعيان، من أنه: لا يدخل أحد بعلم أو صلاح أو غيرهما وله قوة في نفسه وإعجاب بأمره إلا ويجد بها من أهل [77] جنسه من يكسر صولته، ويزيد قوته لقوتهم في كل شيء، القوة التي لا يقاومهم فيها أحد ببركة مولانا إدريس الذين هم في جواره.

وقد رأيت أعجوبة: وهي أن شخصا قدم إليها من درعة بعلم غزير، وادعى المكانة العظيمة في الصلاح، وظهرت عليه مخايله، فإذا به صار يطاول العلماء ونحوهم من أهل نسبة الله تعالى بها، فبينما أنا جالس معه ذات يوم في بيت فندق كان يأوي إليه، ليس معنا ثالث، وإذا برجل عامي ممن يبيع ويشتري بسوق "المركطان"، دخل علينا وهو منقبض الوجه لا يتبسم ولا يضحك، ثم إنه خاطب

---

[1]. وهو العلامة المهدي بن أحمد بن علي الفاسي الفهري.

الرجل المذكور وقال له: « إن السلطان أرسلني إليك وهو يقول لك: ادفع إلي الأمانة التي عندك!! ». فاصفر وجهه اصفرارا عظيما ولم يجاوبه بكلمة، ثم إنه أعاد عليه القول؛ فلما كان في المرة الثالثة أو الرابعة؛ قام الجاني المذكور إليه، وأخذ إحدى يديه، وجعلها في كمه، ومسح به ظاهرها وباطنها، وجمع كمه إليه كأنه حامل شيئا، وخرج بحاله ولم يعاود المجيء إليه؛ فانقلب حاله من ذلك الوقت؛ فعلمت بعد ذلك بقرينة الحال أنه سلبه بإذن من مولانا إدريس. إذ هو السلطان عندهم، نعوذ بالله من ذلك.

ولهذه الحكاية نظائر أضربنا عنها مخافة الطول.

ومنها: أنها أرض أسلم عليها أهلها ولم تفتح عنوة ولا صلحا. كما ذكره فقيه فاس وصالحها وأحد الأوتاد بها؛ وهو: الشيخ أبو جيدة بن أحمد. دفين خارج باب بني مسافر أحد أبواب فاس.

ومنها: أنها فيما قبل هذه الأزمنة بكثير، وفيما أدركناه منها خالية من سكنى الكفار بها. فكان لا يسكنها كافر فضلا من الله ومنة، فكانت بذلك مشابهة للحرمين الشريفين صانهما الله عز وجل بمنه، ثم إنه حدث في هذا الوقت نزولهم في بعض دورها، وحلولهم في غير مكان من أمكنتها، ونطلب الله تعالى أن ينفيهم عنها نفيا شديدا، ويخرجهم منها إخراجا مبيدا، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. . . آمين.

ومنها: أنها قاعدة بلاد المغرب، وقطبها ومركز دائرتها قديما وحديثا. قال سيدي ابن عباد في رسائله: « فاس هي أم البلاد المغربية، وواسطة عقدها، ومنها يسري الصلاح والفساد إلى غيرها . . . ».

ومنها: أن ملوكها وملوك غيرها من سائر الأقطار المغربية لا يكونون في الغالب وعند عدم التغلب، إلا من الأشراف آل البيت رضي الله عنهم، وناهيك بذلك.

ومنها: أنه أقبر بها وبما هو في حكمها مما هو قريب منها جماعة كثيرة لا تحصى ولا تكاد توجد في غيرها [78] من العلماء والأولياء والصالحين الأخيار، والأقطاب والأشراف آل البيت. حتى قيل: « إنه لا يكاد يوجد شبر منها إلا وهو معمور بولي لله عز وجل . . . ».

ومنها: أنها حسنة الزي كثيرة المياه، وماؤها من أطيب المياه وأعذبها، ثم إنه يدخلها ويتفرق في جميع أماكنها حتى ينتفع به أهلها، ثم يخرج ما فيها من الأذى، وبذلك قل نظيرها في المشرق والمغرب . . .

إلى غير ذلك من فضائلها التي لا تحصى، ومزاياها التي لا تستقصى؛ ومن أعظمها: اعتناء المصطفى صلى الله عليه وسلم بها ومحبته أهلها، وأمره كثيرا من الأولياء الكبار بقضاء بعض مآربهم والسعي في مطالبهم، شهدت بذلك الكشوفات الصحيحة، والمرائي العديدة، وأقاويل الصالحين؛ منها: ما ذكره بعض من ألف في مناقب الشيخ سيدي يوسف الصنهاجي دفين حوز صفرو عن سيدي يوسف المذكور قال: « كنت جالسا في مسجد صنهاجة مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه سيدي أبو علي وسيدي أبو يعزى، فلما أراد الخروج صلى الله عليه وسلم؛ قال: يا أبا علي؛ سر عن يميني وإني قد أعطيتك سبع مسائل تقضيها لأهل فاس وكذا للزائر، ويا يوسف؛ سر خلفي وضع قدمك حيث أرفع قدمي. . . ». قال صاحب الكتاب المذكور: « هكذا سمعنا من أولاد سيدي يوسف وسمعناه أيضا من الفقراء ».

[الرجوع لترجمة مولاي إدريس]:

واعلم أن هذا الإمام – رضي الله عنه – قد جمع الله تعالى فيه ما افترق في غيره من الخصال المحمودة كلها، والمزايا الشريفة بأسرها، فكان – رضي الله عنه – شريفا من آل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم، شديد القرب منه والاتصال بجنابه العظيم، عالما عاملا، تقيا دينا، زاهدا ورعا، خاشعا خاضعا، وليا صالحا، عارفا إماما، عدلا يحكم بين الناس بالحق، ويقضي فيهم بالشرع، ولا يزيغ عنه ولا يميل لسواه، فكان خليفة من خلفاء جده صلى الله عليه وسلم في هذا المغرب الذي سعد به ظاهرا وباطنا، ولا أشرف من هذه المرتبة ولا أعلى من هذه المزية.

ولذا أطبق أكابر العلماء وجميع الأولياء وسائر الناس من جميع البلدان والأقطار والنواحي والأمصار على حسن الثناء عليه، وتعظيمه وقصد زيارته والتبرك به وبآثاره رضي الله عنه. وذكر الشريف السمرقندي في كتابه: "تحفة الطالب" والإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن علي الهاشمي الحسني في كتابه "عمدة الطالب" كلاهما نقلا عن علي بن موسى الرضا قال: « رحم الله إدريس [79] ابن إدريس؛ فإنه كان نجيب أهل البيت وشجاعهم، والله ما ترك فينا مثله!» . وقال صاحب كتاب "صحاح الأخبار" لما تكلم على هذا الإمام ما نصه: « قال علي بن موسى الرضا الإمام الكبير – رضي الله عنه وعليه السلام – في شأن إدريس بن إدريس هذا: كان نجيب أهل البيت وشجاعهم. وكفى بهذه الشهادة شهادة ». انتهى.

وقال العلامة ابن زكري في شرح همزيته ما نصه: « وليحذر القائل للنصيحة كل الحذر أن يرتاب في خصوصيته، ويشك في ولايته؛ فينفي بذلك الحق عن أهله، ويكذب ذوي الصدق المعتقدين الذين

أخبروا بذلك ؛ فيستوجب المقت والطرد ». وقال في "الإشراف": « أجمع أهل العلم والكشف على أنه – رضي الله عنه – من أهل الخصوصية كوالده ». انتهى.

وفي بعض تقاييد الشيخ المسناوي – رحمه الله – بخطه ما نصه: « الحمد لله؛ كان شيخنا الإمام سيدي عبد القادر الفاسي – رحمه الله ورضي عنه – يشير كثيرا إلى مولانا إدريس بن إدريس بانـي فاس ويقول: أجمع أهل البصائر على أنه بفاس وأنه من أهل التصرف. قاله ولده سيدي عبد الرحمن – رحمه الله – في تأليفه المسمى "بتحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر". وكان – أيضا – بعض كبار الأئمة العارفين ممن أدركناه يشير إلى خصوصيته بما أدركه بنور بصيرته، وما يجده في نفسه عند مروره بمزارته، تلقيت ذلك ممن سمعه منه. قاله كاتبه محمد المسناوي كان الله له ». انتهى.

ونص "تحفة الأكابر": « وكان – يعني: والده المذكور – يشير كثيرا إلى مولانا إدريس بن إدريس رضي الله عنهما – إشارة تؤذن بالاستمداد منه، وكان يقول: أجمع أهل البصائر على أنه بفاس وأنه من أهل التصرف. وبقي على البال أنه كان يلازم زيارته في أول أمره ». انتهى.

وفي "الدر النفيس" ما نصه: « وقد ذكر لنا عن شيخ الإسلام – يعني: الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنه – أنه قال: إن إدريس بن إدريس من أهل الخصوصية والتصرف. أخبره بذلك أهل البصائر. وفيه أيضا: إن هذا الإمام – رضي الله عنه – من أهل القطبانية، وممن يتصرف حيا وميتا في عالم الملك والملكوت، كما هو شأن الخواص والأكابر ».

ورأيت بخط الولي الصالح، العارف المكاشف سيدي أبي القاسم السجدالي – دفين مصلى باب الشريعة من أبواب هذه الحضرة؛ وصفه بالقطب الصالح، وبقطب الدائرة، وكذا وصفه بالقطبانية غير واحد.

ويذكر عن الشيخ سيدي أحمد التجاني – رضي الله عنه – أنه كان يقول: « لو علم أهل [80] فاس قدر مولانا إدريس؛ لذبحوا عليه أولادهم! »، ويحكى أيضا عن بعض الأولياء من المتأخرين أنه كان يقول فيه رضي الله عنه: « إنه آدم الأولياء »، ويقول: « لو قدر أن يكون بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي لكان مولانا إدريس نبيا ».

وكان شيخنا الشيخ الصالح العارف أبو عبد الله سيدي محمد بن الحفيد الدباغ المدعو بوطربوش – رضي الله عنه – يقول: « إن هذا الإمام – رضي الله عنه – بلغ من الولاية مبلغا عظيما خاصا، لا يدرك ولا يعرف ولا يكيف ولا يفهم... ». هذا معنى كلامه.

وقال في "الدر النفيس": « بدايته – رضي الله عنه – هي نهاية غيره من الأولياء؛ لأنه حاز عناية النبوءة وعناية الولاية، ومن جمع بين هذين الوصفين؛ حاز غاية الكمال ونهاية الوصال. . قال: بل احتوى – رضي الله عنه – على ثلاثة أوصاف: العلم، والنسب، والولاية. . ». وقال – أيضا – في موضع آخر ما معناه بعض زيادة: « إن هذا الإمام – رضي الله عنه – هو سلطان الأولياء، ونخبة الأصفياء، وصاحب المدد المحمدي الذي لا يعدله مدد، والفرد الأحمدي الذي لا يوازيه أحد، والشمس التي إذا طلعت لم تر للكواكب أثرا، والأمير الذي إذا حضر لم يبق تصرف للوزراء. . . ».

توفي – رضي الله عنه ونفعنا به – في أول شهر ربيع الأول – على ما ذكره الجزنائي في كتابه: "جنا زهرة الآس"، وغيره – أو في الثاني عشر من جمادى الأخيرة – على ما ذكره البرنسي – سنة ثلاث عشرة ومائتين، وهو ابن ست وثلاثين سنة على الصحيح، وقيل ابن ثمان وثلاثين. بسبب أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه وشهق شهقة ومات رحمة الله عليه. وقيل: إنه أكل عنبا مسموما ومات منه.

ودفن – رضي الله عنه – بهذه البلدة بمسجد الشرفاء منها قريبا من دار القيطون بإزاء الحائط الشرقي منه، هذا ما لهجت به ألسنة الكافة من الخاصة والعامة، واتفق عليه جمهور المؤرخين، وأجمع عليه أهل الكشف قاطبة، وسواه لا يلتفت إليه ولا يعول أصلا عليه، وروضته إلى الآن محل التعبد والتهجد بتلاوة القرآن، والأذكار، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأدعية والصدقة وقراءة العلم. . . وغير ذلك من أنواع البر والطاعات، في جل الأوقات، وغالب الساعات.

وأخبر غير واحد من الأولياء والصلحاء والعلماء الأخيار، بل ومن العامة؛ [81] بأنه يجد في بعض الأحيان عند قبره الشريف، وروضته الشريفة، رائحة طيبة زكية عظيمة، تشق الأنوف والقلوب، لا يشبهها عود ولا مسك، ولا عنبر ولا غير ذلك من روائح الدنيا الطيبة، وربما تخرج تلك الرائحة حتى تتجاوز الباب، وتخرج إلى السوق فيشمها أهله ممن حاذى الباب، وذلك في الأوقات التي لا يطلق فيها عنده بخور ولا غيره.

وذكروا أن موضع قبره الشريف لم يكن معروفا على سبيل القطع والتعيين، حتى اختبر أساس حائط القبلة من الجانب الأيسر ليصلح، وذلك في رجب عام أحد وأربعين وثمانمائة، فعثر حينئذ على قبره وجسده، ووجد اللحد قد بلي فلم يبق منه إلا القليل، والجسد المرحوم باقيا على حاله لم يتغير، ولم يكن للأرض عليه من سبيل، فكان ذلك من أعظم كراماته، وأسنى باهر آياته. وكان بين وفاته وظهور جسده – كما ذكر – ستمائة عام وثمانية وعشرون عاما. على ما هو التحقيق في ذلك.

وذكر العلامة اليوسي في محاضراته ونقله عنه الشيخ أبو علي ابن رحال في "الروض اليانع الفائح"، وصاحب "المرقي" أن قبره الشريف: « ترياق مجرب في كل ما أنزل به من حاجة ». وذكر العلامة ابن زكري في شرح همزيته أنه: « محل ظهور البركات الكثيرة، والاستشفاء وإجابة الدعاء »، وقال في "الدر النفيس": « زيارة قبره – رضي الله عنه – ترجع على صاحبها بخير الدارين، والنجاة من كرب الدنيا والآخرة. . قال: وكذلك زيارة قبور الأولياء والصالحين، لكن هذا الإمام يزيد عليهم بمزايا ومراتب علية لم تكن لغيره ».

واشتهر عند غير واحد من الأخيار أن من واظب على زيارة قبره أربعين يوما يصلي الصبح مع الجماعة هناك في كل يوم، ويسأل الله تبارك وتعالى عقب الصلاة أن يجمعه بقطب الوقت، أو أن يعطيه شيئا، أو يدفع عنه مكروها؛ أعطاه الله تعالى ما يرجو، وأمنه مما يخاف ببركته رضي الله عنه.

وذكر في "تحفة الإخوان في التعريف بساداتنا أهل وزان"، أن بعض العلماء: « كان إذا ضره الفيران في كتبه شكاهم لهذا القطب الكامل؛ فيكف الله عنه شرهم، ويرفع عنه ضررهم. . قال: وأكابر الأولياء يأتون لحرمه من أقصى البلدان زائرين. وبقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مستشفعين ومتوسلين، حشرنا الله في زمرته، وأماتنا على محبته. . . آمين » [82].انتهى.

وثبت عن غير واحد من الأئمة الكبار، والأولياء الأبرار، أنهم كانوا إذا ذهبوا إليه لزيارته؛ يتأدبون غاية الأدب بين يدي مهابته، حتى إن منهم من كان لا يدخل قبته أدبا وتعظيما، ومنهم من لا يدخل حرمه تشريفا له وتكريما، ومنهم من كان إذا قدم إليه يهادى بين رَجُلَين، لما يجده من هيبته دون مين، ومنهم من يقدم إليه حافيا متذللا خاضعا، باكيا منكسرا خاشعا، ومنهم من كان يمشي إليه على ركبتيه ويديه، إلى أن يصل إلى ضريحه بين يديه.

وفي تأليف لبعضهم في مناقب الشيخ العارف القطب سيدي يوسف بن أحمد الفجيجي الحسني الصنهاجي دفين صنهاجة من حوز صفرو ما نصه: « ومن بركاته – رضي الله عنه – أنه كانت عادته إذا دخل إلى مدينة فاس وأقبل إلى مولانا إدريس؛ تراه يمشي على ركبتيه ويديه حتى يدخل إلى ضريحه؛ ويخرج منه كذلك، ثم ينصرف إلى ناحية سيدي مسعود الفلالي ».انتهى.

وترجمة هذا الإمام – رضي الله عنه – واسعة جدا، ينظر بعضها من أراده في كتاب: "الدر النفيس"، وفي أواخر "شرح همزية العلامة ابن زكري" له، وفي "شرح عقود الفاتحة"، للشيخ سيدي حمدون ابن الحاج. وقد أفردناه بتأليف مستقل سميناه بـ: "الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض مناقب قطب المغرب وتاج مدينة فاس". وقد طبع. وقد ظفرت بعده بزيادات ذكرت بعضها في هذه الترجمة. وللشيخ أبي الفيض سيدي محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي تأليف في نسبه

ونسب والده سماه: "القول النفيس في نسب مولاي إدريس"؛ أشار إليه في شرحه على "القاموس" في مادة: "كذب"، ولم أقف عليه.

ومناقبه – رضي الله عنه – أجل من أن يحيط بها أحد، أو يأتي عليها حصر أو حد، ولولا أن المؤرخين الأوائل قصروا فيها غاية التقصير، وأتوا فيها بنزر النزر وسير اليسير، ما وسعتها المجلدات والأسفار، ولكل عن كتبها وجمعها أيمة الدين الكبار، رزقنا الله تبارك وتعالى رضاه، ومن علينا بالاستمساك بحبله وعراه... آمين.

[2- الإمام الشريف سيدي عمر بن إدريس بن إدريس]

(ت: 220)

ومنهم: ولده الإمام، الفرد الهمام، السيد الجليل، الفاضل الزكي التقي الألمعي الكامل، عنصر المجد الطاهر، وسلالة النبوءة الباهر: أبو حفص سيدنا ومولانا عمر بن سيدنا ومولانا إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل.

كان – رحمه الله، كما هو مقتضى قربه وشرفه – ماجدا فاضلا [83]، ذكيا شجاعا، بطلا عاقلا، سخيا جوادا وفيا، أمينا تقيا، متبعا سبيل سلفه الكرام، سالكا مسلك آبائه وأجداده الكبراء الأمجاد الأعلام.

وكان مُوَلًّى من قبَل أخيه الأكبر سيدي محمد على تيجسَّاس وترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة، ثم بعدَ قيام أخيه سيدي عيسى بآزمور على أخيهما الأكبر سيدي محمد المذكور طالبا الأمر لنفسه، وأمر الإمام سيدي محمد لأخيه سيدي القاسم بحربه وامتناعه من ذلك وانتداب صاحب الترجمة لحربهما معا والإيقاع بهما ؛ ولاه أخوه الإمام سيدي محمد جميع ما كان بيدهما . قال ابن خلدون في "العبر": « فصار الريف البحري كله من عمل عمر هذا من تيجساس وبلاد غمارة إلى سِبتة ثم إلى طنجة. وهذا ساحل البحر الرومي، ثم ينعطف إلى أصيلا ثم سلا ثم آزمور وبلاد تامَسْنا، وهذا ساحل البحر الكبير. قال: واتسعت ولاية عمر بعمل عيسى والقاسم وخلصت طويته لأخيه محمد الأمير ». انتهى.

وفي بعض التواريخ أن أخاه المذكور: استوزره – أي: اتخذه وزير صدق يستشيره في أموره، ويستعين به على مصالح العباد – وهذا يدل على أنه – رضي الله عنه – كان له على بقية إخوته مزيد فضل وذكاء، وشفوف مرتبة، وعلو درجة، علما ودينا ونصيحة ومحبة في الأمة.

[3- ترجمة الإمام أبي الحسن الشاذلي]

(ت: 656)

وكفاه – رضي الله عنه – فضلا وفخرا، وشرفا وذكرا، أن من ذريته: الشيخ الإمام، مفتي الإسلام، القطب الشهير، والغوث الكبير، شيخ الطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، تقي الدين: أبا الحسن سيدي عليا بن عبد الله بن عبد الجبار القماري المالكي الشاذلي العيذابي رضي الله عنه، على ما هو التحقيق في نسبه حسبما حرره الشيخ القصار والإمام الأقصرائي في كتابه "نفحات الصفا"، وصاحب "النبذة المفيدة" قبلهما؛ وهو: تقي الدين أبو عبد الله محمد الإسكندري سبط الإمام الشاذلي المذكور. وما عند ابن عطاء الله في "لطائف المنن"، وتبعه البوصيري في داليته وغيره من رفع نسبه من طريق محمد بن الحسن السبط غلط واضح نبه عليه القصار وغيره ؛ لأن محمدا هذا لم يعقب كما نص عليه ابن حزم في جمهرته وغيره. وكذا ما في "شرح المواهب" من أنه: من ذرية محمد بن الحنفية لا يصح أيضا.

وفي "الروضة المقصودة" للشيخ أبي الربيع مولانا سليمان بن محمد الحوات – رحمه الله – ما نصه: « والقطب الشاذلي – رضي الله عنه – ينتهي نسبه إلى مولانا إدريس بن إدريس رضي الله عنه، من طريق ولده [84] عمر دفين جامع الشرفاء من فاس، مع أبيه، حسبما حرره الشيخ النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي الغرناطي ثم الفاسي نقلا عن "النبذة المختصرة المفيدة" لسبط القطب الشاذلي رضي الله عنهم ».هـ.

ورفع نسبه – رضي الله عنه – على ما هو التحقيق هكذا: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف – وقيل: ثقيف موضع يوسف – بن يوشع بن ورد بن علي – المكنى بأبي طالب، وقيل بطال بدل علي – بن أحمد بن محمد بن عيسى – المكنى بأبي العيش – بن يحيى بن إدريس الثالث بن عمر المخاضي – نسبة لسكناه بالمخاض ظاهر طنجة – بن إدريس المثنى بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

ومنشؤه – رضي الله عنه – بالمغرب ببني زرويل من الأخماس، من قرب شفشاون. ومبدأ ظهوره بشاذلة – قرية من قرى إفريقيا قرب تونس، سكنها مدة وإليها نسب – ونزل الإسكندرية وحج مرارا، ومات بصحراء عيذاب[1] قاصدا الحج، فدفن هناك بحُمَيْثَرَا من الصحراء المذكورة، وذلك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة. وكانت ولادته على الصحيح ببلاد غمارة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. على ما ذكره بعضهم، وقيل: بل إنما كانت بعد التسعين وخمسمائة.

---

[1]. بليدة على شاطئ بحر جدة. مؤلف.

وأشهر الطرق بالمشرق والمغرب طريقته. وله طريقتان: طريقة تبرك؛ أخذها عن الشيخ الولي سيدي محمد بن حرازم بن الشيخ أبي الحسن علي بن حرازم، وطريقة إرادة؛ وهي التي أخذها عن الشيخ القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيسش رضي الله عنه، واشتملت طريقته على السلوك والجذب والمجاهدة والعناية، والأدب والقرب والرعاية، وتشيدت بالعلمين الظاهر والباطن من سائر أطرافها، وقرنت بصفات الكمال شريعة وحقيقة من جميع أكنافها.

وقد نقل الشيخ زروق عن بعض المشايخ من أهل الورع أنه: كان يقول للحالف أن يحلف ولا يستثني على أن طريق الشاذلية عليها كانت بواطن الصحابة رضي الله عنهم. وللبوصيري رحمه الله:

إن الإمـام الشـاذلي طـريـقـه	في الفضل واضحة لعين المقتدي
فـانـقـل ولـو قدمـا على آثـاره	فإذا فعلـت فـذاك أخـذ باليد

وأحواله ومناقبه أفردت بالتأليف.

ومن ذرية صاحب الترجمة أيضا[1]: الحموديون بنو حمود بن ميمون القائمون بالأندلس بعد المائة الرابعة. نبه على ذلك ابن عبد الملك [85] وابن خلدون وغيرهما.

[4- ترجمة الإمام الشريف محمد بن أحمد التلمساني]

(ت: 771)

منهم: العلامة الشهير، والقدوة الكبير، أحد راسخي العلماء، وآخر الأئمة المجتهدين العظماء؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد المعروف: بالشريف التلمساني، إمام أهل المغرب قاطبة، وأعلم أهل عصره بإجماع، وأوحد رجال الكمال علما وذاتا وخلقا وخُلقا، وأفرد بعضهم ترجمته في جزء في عدة كراريس، وترجمه أيضا في "كفاية المحتاج" وأطال في ترجمته وبالغ في الثناء عليه، ووصفه ببلوغ رتبة الاجتهاد. توفي - رحمه الله - بتلمسان في ذي الحجة متم سنة إحدى وسبعين وسبعمائة.

ومن ذريته أيضا - حسبما ذكره صاحب كتاب "سلوة المحبين والمريدين"، وهو الشيخ الأستاذ أبو محمد سيدي عبد الله بن محمد بن يخلف الأنصاري الأندلسي الفاسي: أولاد ابن عُمر بضم العين، الذين هم أولاد الولي الأشهر، والقطب الأكبر؛ سيدي أحمد بن عمر دفين قرية آزجّن من قبيلة مصمودة. ومنهم أولاد ابن الفقيه الذين منهم الولي الصالح والقطب الواضح سيدي محمد ابن الفقيه دفين مدارج العيون من داخل هذه الحضرة.

---

[1] أي: الإمام عمر بن إدريس رضي الله عنه.

[عودة إلى ترجمة الإمام عمر بن إدريس]:

ولم يزل صاحب الترجمة - رضي الله عنه - معروفا بالفضل والدين والعدل، واتباع سيرة سلفه الصالح، وهديهم الواضح، إلى أن توفي - قال في "الأنيس" - بموضع يقال له: فج الفارس. من بلاد صنهاجة؛ فحمل إلى مدينة فاس ودفن بها وصلى عليه أخوه الإمام محمد.

وقال ابن خلدون في تاريخه الكبير المسمى "بالعبر": « توفي في إمارة أخيه محمد ببلد صنهاجة بموضع يقال له: فج الفارس. سنة عشرين ومائتين، ودفن بفاس ». وفي "كنوز الأسرار" للإمام المقري أنه: « حمل إلى فاس بعد وفاته، ودفن بها مع أبيه - يعني: بإزائه - من شرقي جامع الشرفاء كما ذكره غير واحد »، ويأتي في ترجمة أخيه الإمام محمد ما يفيد أن وفاته كانت في شعبان أو رمضان من السنة المذكورة، وأن قبره الآن غير معين. والله أعلم.

قال في "الجذوة": « وترك من الولد عليا وادريس، وأمهما زينب بنت القاسم الجعدي، وعبيد الله ومحمدا ؛ وأمهما جارية مولدة ». انتهى. وأصله في "الأنيس"، وزاد: « إن اسم الجارية المذكورة: رباب ». والله أعلم.

[5- الإمام الشريف سيدي محمد بن إدريس]

(ت: 221)

ومنهم: أخوه الأكبر، والسيد الهمام الأشهر، وارث هدي والده وسره، والمقتفي أثره من بعده في جهره وسره، الولي الصالح الإمام، الأصعد الأمجد الأنزه الأنوه الهمام، أمير المؤمنين، والمحيي لسنة جده سيد المرسلين ؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن مولانا إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل.

كان - رضي الله عنه - أكبر بني أبيه [86] وأجلهم علما وفضلا، وأدبا ودولة، ومعرفة وولاية، وهو الخليفة بفاس وما هو منضاف إليها، والوالي لأمر المغرب بعد أبيه، وجد العلميين الذين منهم قطب الأقطاب مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنهما، وجد أولاد ابن ريسون بني القطب سيدي علي بن عيسى، وجد شرفاء وازان بني القطب مولاي عبد الله الشريف، وجد شرفاء عقبة ابن صوال المعروفين بالكتانيين أبناء الولي الصالح، والقطب الواضح مولاي عبد الله بن هادي بن يحيى الكتاني، وجد الوداغير أولاد الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن علي المدعو: يعلى، ويقال: إنه كان قطبا أيضا.

ومن مزايا أعقابه المذكورين: ما حدثني به بعضهم عن والد له - وكان من الأخيار - أنه سمعه يقول: « إن أولاد سيدي محمد بن إدريس لا يقدر أحد من أهل التصرف أن يعمل فيهم ولا أن

يتصرف في أحدهم!))، يعني: لما خصوا به من الفضل العظيم. قال: ((ولا يتصرف فيهم إلا أهل المحبة؛ لأن المحبة لها شأن عظيم)).

بويع له – رضي الله عنه – بالخلافة يوم توفي والده، فسار بسيرته في العدل، وقام بأعباء الدين وبالناس أحسن قيام، وبسط الحق تعالى عليهم في زمانه ببركاته موائد الإفضال والإنعام، وكان فاضلا أديبا، سيدا شجاعا كريما، سخيا حاكما في الناس بما حكم الله به عليهم، لا يحابي أحدا ولا يفضل أحدا على أحد.

أمه: حرة من أشراف نفزة.

وصفته: أسمر اللون، حسن القد، شاب السن، مليح الوجه، أجعد الشعر.

ولما ولي الخلافة: قسم بلاد المغرب بين إخوته، فولى كل واحد منهم ناحية، وذلك برأي جدته السيدة كنزة أم أبيه، وأقام هو بمدينة فاس دار ملكهم، وقرار سلطانهم وعزهم، فأقاموا كلهم ملكهم، وضبطوا ثغورهم وحكموا بلادهم، وأمنوا سبلهم، وحسنت سيرتهم.

ولم يزل – رضي الله عنه – يسير بسير أبيه وجده، ويتألف الناس بالعطايا، ويحكم بينهم بالعدل وبكتاب الله وسنة نبيه، إلى أن توفي بفاس بعد وفاة أخيه عمر بسبعة أشهر، كما ذكره ابن خلدون وصاحب "الأنيس" وغيرهما، وذلك في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين ومائتين، ودفن بشرقي جامع الشرفاء، بإزاء أبيه وأخيه عمر، كما ذكره غير واحد من المؤرخين. وفي شرح درة السلوك لابن القاضي: ((توفي محمد بن إدريس بمدينة فاس، ودفن بشرقي جامعها . مع أبيه وأخيه، في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين ومائتين، فكانت أيامه بالمغرب ثمانية أعوام وشهرا واحدا [87]، واستخلف ولده عليا في مرضه الذي توفي منه. . .)). ونحوه له في "الجذوة".

وخلف – رضي الله عنه – من الأولاد الذكور – على ما ذكر بعضهم أنه المعتمد – ستة؛ وهم: علي – المدعو: حيدرة – جد العلميين، ويحيى جد الكتانيين، وأحمد جد الوداغير، وإبراهيم وعبد الله والقاسم، وأشار في "الدر النفيس" إلى أن ضريحه الآن غير معين، كضريح أخيه عمر، وذلك أنه بعد أن ذكر أنه: يستحب لزائر الضريح الإدريسي أن يستقبل وجهه المبارك بأن يقف فيما بين باب الودَع إلى المحراب المعروف من الجامع ؛ قال ما نصه: ((وهذا الأحب والأفضل عندي من دخول الجامع لأجل زيارة الإمام إدريس، وأقل ضررا وأكثر نفعا، وموجبه: أن الإمام محمد بن إدريس، وعمر بن إدريس روي أنهما مدفونان في الجامع ولم يعين قبراهما، وربما يكون هناك قبور أخرى من أولاد الإمام وحفدته!)).

وكثير من الناس اليوم يرى أن ضريح صاحب الترجمة بداخل الدربوز السعيد، ووراء ضريح والده متصلا به. والغالب أنهم أخذوا ذلك مما جرت به العادة من دفن الولد متصلا بأبيه ووراءه، وذلك ليس بلازم، مع أن أخاه سيدي عمر توفي قبله كما سبق، فلا يبعد أن يكون صاحب هذا المحل. . . والله أعلم.

[6- الإمام الشريف سيدي علي حيدرة بن محمد بن إدريس]

(ت: 234)

ومنهم: ولده البارع، وهلاله الطالع، الولي الصالح، والمسك الفائح، السيد الفاضل، والخليفة العادل، الهمام المشهور، والمعظم المشكور؛ أبو الحسن سيدي علي – الملقب: حيدرة – بن الإمام محمد بن إدريس رضي الله عنهم.

أمه حرة: اسمها رقية بنت إسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدي.

ولقبه: حيدرة بحاء مهملة مفتوحة، وياء تحتانية ساكنة، ودال مهملة مفتوحة، وراء مفتوحة، وتاء تأنيث. وهو من أسماء الأسد تشبيها له به لشجاعته وللتفاؤل بأن يكون على أثر جده علي بن أبي طالب المسمى بهذا الاسم؛ لأن أمه فاطمة بنت أسد كانت سمته باسم أبيها، ثم إنه سمي بعلي، فلذلك قال يوم خيبر: « أنا الذي سمتني أمي حيدرة ».

بويع له – رضي الله عنه – يوم وفاة أبيه باستخلافه إياه في حياته، كما ذكره في "الأنيس" و"الجذوة" وغيرهما، وكان سنه يوم بويع: تسعة أعوام وأربعة أشهر. فظهر منه من الذكاء والنبل والفضل ما يقتضيه شرفه الفخيم، وحسبه الصميم، وسار في الناس بسيرة أبيه وجده في العدل والفضل، والدين والحزم، وإقامة الحق وتأمين البلاد، وقمع الأعداء وضبط البلاد. والثغور، فكان الناس في أيامه بالمغرب في أمن عظيم ودَعَة [88].

إلى أن توفي رحمه الله بفاس، قال في "شرح درة السلوك"، وفي "الجذوة"، وكذا في "الأنيس": في شهر رجب من سنة أربع وثلاثين ومائتين. فكانت أيامه بالمغرب نحو الثلاث عشرة سنة، دفن مع أبيه وعمه وجده بجامع الشرفاء المذكور؛ كما ذكره غير واحد من المؤرخين. إلا أن قبره الآن غير معين أيضا.

وفي "الدر النفيس" صدر الكتاب لما عرف بالشيخ القصار ما نصه: « ومما وجدت بخطه: مات باني فاس بها ودفن بجامعه. لا أنه مات بوليلي ودفن بجانب والده. ومات عمر ابنه بفج الفارس وحمل لفاس فدفن بها مع أبيه، ثم توفي الإمام محمد بن إدريس فدفن مع أخيه وأبيه، ثم توفي الإمام علي صاحب الترجمة - فدفن مع أبيه وجده. . . ». هـ.

[7 - الإمام الشريف سيدي يحيى بن الإمام محمد بن إدريس]
(ت: 249)

ومنهم: أخوه وشقيقه السيد الإمام، حامل راية الإسلام، أمير المؤمنين، وخليفة الله عز وجل على عباده المسلمين، المجاهد في سبيل الله، المعتمد في أموره كلها على الله؛ أبو زكرياء سيدي يحيى بن الإمام محمد بن إدريس، الملقب: بمحيي الدين وبيحيى الأكبر وبيحيى الإمام.

ولي الخلافة بعد وفاة أخيه علي - المذكور - بعهده إليه في حياته، فسار بسيرة أخيه وأبيه وجده في العدل والفضل والدين، وإحياء السنن، وإخماد نيران البدع والأهواء والفتن، فامتد سلطانه، وعظمت دولته، وحسنت آثاره.

وفي أيامه كثرت العمارات بفاس، وقصد إليها الناس من الأندلس وإفريقية وجميع بلاد المغرب لما علموه من فضله وعدله، وأمانته ومحبته للفقراء والمساكين والغرباء، ولكثرة ما كان بها من الرخاء إذ ذاك ؛ فضاقت بسكانها حتى بنى الناس الأرباض بخارجها، وبنى الأمير يحيى حينئذ بها الجوامع والحمامات والحوانيت والفنادق للتجار وغيرهم.

[بناء جامعي: الأندلس والقرويين]

وفي أيامه بني مسجدا القرويين والأندلس شرفهما الله تعالى بذكره.

أما مسجد الأندلس: فبنته امرأة قروية يقال لها: مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري القروي، وابتدأ البناء فيه سنة خمس وأربعين ومائتين، بعد أن اشترت أرضه بوجه صحيح، وأنفقت فيه من مالها الموروث من أبيها، ونقلت إليه خطبة جامع الأشياخ، ويقال له الآن: جامع الأنوار، سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

وأما مسجد القرويين: فبنته أختها فاطمة المدعوة: بأم البنين، قال في "مفتاح الشفاء" ما نصه: «وكان الشروع في أساسه يوم السبت مهل رمضان المعظم، سنة خمس وأربعين ومائتين، وكان أربع

بلاطات، محرابه في موضع [89] الثريا الكبرى، وله صحن صغير وصومعته على رأس العنزة، ونقلت إليه خطبة جامع الشرفاء أيام زناتة سنة سبع وثلاثمائة، وقيل: سنة إحدى وعشرين. بأمر حامد بن محمد الهمداني عامل الشيعي، ولما تولى الناصر عبد الرحمن المرواني باستدعاء زناتة؛ استأذنه عامله: أحمد بن أبي بكر الزناتي في بناء الجامع والزيادة فيه، فزاد فيه كما هو الآن، وهدم الصومعة؛ فبناها كما هي الآن، وتم بناؤها في ربيع الأول[1] من سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وركب في رأسها سيف الإمام إدريس بن إدريس رضي الله عنهما[2] » .

ولم يزل صاحب الترجمة – رضي الله عنه – على حالته السابقة من إقامة العدل وتأمين البلاد والغرب في هدنة ؛ إلى أن توفي بفاس ودفن بها مع أخيه وأبيه وعمه وجده المذكورين بجامع الشرفاء .

وبيض ابن خلدون في "العبر" في الكلام على الأدارسة لتاريخ سنة وفاته؛ ولم يتعرض لبيانها صاحب "الأنيس" ولا صاحب "الجذوة" ولا غيرهما ممن يعتمد، ورأيت في كتاب "الأنوار" لأبي عبد الله الكلبي أنه: توفي سنة خمس وأربعين ومائتين.

وفي كتاب "التنبيه من الغلط والتلبيس في أولاد سيدي محمد بن إدريس" لما تعرض فيه لذكر علي حيدرة ما نصه: « وأما أخوه سيدي يحيى بن سيدي محمد بن إدريس، أحد المتفق عليهم ؛ الذي تولى الخلافة بعد أخيه سيدي علي المذكور ؛ فاستمرت خلافته بالمغرب خمس عشرة سنة، وفي أيامه بنيت جامع القرويين، وقصد إليها الناس من الأندلس، وفي أيامه كانت عمارة المغرب كثيرة، وتوفي – رحمه الله – ودفن في روضة جده إدريس رضي الله عنه ». ونحوه رأيته مقيدا بخط بعضهم. وعليه؛ فتكون وفاته: سنة تسع وأربعين ومائتين. ولعله الصواب والله أعلم. وضريحه الآن غير معين أيضا كضريح ولده بعده.

[8– الإمام الشريف سيدي يحيى بن يحيى بن محمد]

(ت: 252)

ومنهم: ولده السيد الإمام، السَرِيُّ الهمام، أمير المؤمنين والحامل لراية المسلمين؛ أبو زكرياء سيدي يحيى الملقب: بيحيى الأصغر ابن الإمام سيدي يحيى الأكبر بن محمد بن إدريس – رضي الله عنهم.

كان – رحمه الله ورضي عنه – أميرا بفاس، ولي الخلافة بها بعد وفاة أبيه سيدي يحيى بتوليته إياه واستخلافه له في حياته، وكان بعدوة فاس القرويين بدار القيطون منها إلى أن ثار عليه أهلها

[1] كذا أيضا في "الجذوة" محقق. مؤلف.
[2] ومازال بها إلى الآن: عام 1424.

وأخرجوه منها، وذلك لفعلة فعلها - على ما قيل - صدرت منه فلتة، وكان أمر الله قدرا مقدورا؛ فاستنكرت عليه؛ ففر إلى عدوة فاس الأندلس، وتوفي بها من ليلته أسفا وندما [90].

وفي "التنبيه من الغلط والتلبيس" بعد ذكر والد صاحب الترجمة ما نصه: « وولي الخلافة بعده: ولده سيدي يحيى بن يحيى المذكور بعهده إليه، وفي أيامه بلغ القمح ثلاثة أوسق بدينار ؛ فثارت عليه العامة وأخرجوه من ناحية القرويين إلى عدوة الأندلس، فمات فقعة من ليلته، وكانت خلافته: ثلاث سنين. رحمه الله، ودفن بقرب قبر أبيه وجده وعمه، وجدهما مولانا إدريس رحمهم الله، وهو آخر الخلفاء من أولاد سيدي محمد بن مولانا إدريس ». انتهى.

وزوجته - رضي الله عنه: عاتكة بنت الأمير علي بن عمر بن إدريس - رضي الله عنهم، وخلف من الأولاد الذكور: الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا مولانا عبد الجليل، وفيه عقبه... والله أعلم.

[الرد على ما ادعي على الإمام يحيى الثاني رضي الله عنه]

تنبيه: ما حكاه عنه المؤرخون في سبب هذه الثورة في غاية البعد ونهايته من أمره وحاله، ولا يليق بآحاد أهل الإسلام فضلا عمن هو متصف بكماله، ويأباه مقامه العظيم، ومنصبه الفخيم الجسيم، وهمته الرفيعة، ومكانته العظيمة المنيعة ؛ فإن لم تكن لهم به أسانيد معتبرة لم يلتفت إليه، ولم يعرج عليه، إذ معلوم من أحوال المؤرخين أنهم ينقلون الصحيح والسقيم، وربما ينسبون الولد إلى العقيم، ويأتون من الأخبار بما لا رأس له ولا ذنب، وما هو إلا موقع في الزلل والعطب.

وما زال العلماء النقاد، والجهابذة الأمجاد، يتحرزون من أنقالهم القطيعة، وينبهون عليها في كتبهم الرفيعة، بيانا لخطئهم في ذلك، ونصحا للأمة لئلا يقعوا في شيء من تلك المهاوي والمهالك، فجزاهم الله خيرا، وأجزل لهم بذلك مثوبة عظيمة وأجرا.

ولا يبعد من الحسدة والرعاع اللئام، التفوه بمثل هذه الأكاذيب العظام، وإشاعتها في المجالس والمحافل، حتى يظن السامع صحتها لتكررها على ذهنه الغافل، فيتسارع عند ذلك أهل الأخبار لتسطيرها في كتبهم، ونقلها في تواريخهم، ثم بعد ذلك يقلد فيها بعضهم بعضا، ويجدها غيرهم مسطورة فيغض عنها عينيه غضا، تحسينا للظن بالناقل، ولا يعلم أنها من الأخبار الواهية والباطل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد قال التاج السبكي في "معيد النعم ومبيد النقم": « المؤرخون على شفا جرف هار؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس، وربما نالوا من أناس تعصبا أو جهلا أو اعتمادا [91] على نقل من لا يوثق به . . . أو غيرها من الأسباب، فعلى المؤرخ أن يتقي الله . . » . انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر في جواب له ما نص المقصود منه: « الذي يتصدى لكتابة التاريخ ويقصد ضبط الوقائع يلزمه التحري في النقل، فلا يخرج إلا بما يتحققه ولا يكتفي بالنقل الشائع، ولا سيما إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح. . . » .

وقد أشار صاحب كتاب: "المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين" إلى التردد في صحة هذا الذي نقلوه عن هذا الإمام، ثم أشار بعده إلى الاعتذار عنه بفرض صحته بما يقتضيه المقام، فقال بعد ما ذكر أنه مات ندما على سقطة صدرت منه ما نصه: « قلت: فإن كان ما ذكروه من صدور تلك السقطة حقا، ومما يشبه أن يكون صدقا، فما حكوه من موته ندامة على ذلك هو الذي تقتضيه همته العالية، ونفسه الأبية، وشرفه القديم، وفخره الجسيم، ومجده الصميم، رضي الله عنه » .

على أنه لا يبعد – كما قال زروق في نصيحته – أن يكون للولي الهفوة والهفوات، والزلة والزلات. . . زاد في قواعده: « لعدم العصمة وغلبة الأقدار » .انتهى. وقيل للجنيد: « العارف يزني يا أبا القاسم؟ » . فأطرق مليا، ثم رفع رأسه وقال:﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ . [الأحزاب : 38]، يعني: إذا قدر عليه شيء في الأزل فلابد من وقوعه منه.

وفي "شرح الأربعين النووية" للشيخ عبد الرؤوف المناوي ما نصه: « حكي عن العارف الكبير أبي العباس المرسي أن رجلا من الأولياء نام عنده فزنى بجاريته تلك الليلة ثم اغتسل وخرج يمشي على وجه الماء في بحر إسكندرية، فقال له يا سيدي ما هذا وذاك؟ فقال: هذا عطاؤه وذاك قضاؤه. . . !! » .

لكن الولي إذا قدر عليه شيء؛ فإنه يفعله وهو حزين كئيب، ويحصل له الندم عليه والتوبة في الحال من غير تأخر. وقد ذكروا في الفرق بين معصية الولي والفاجر أن الولي: لا يعزم عليها قبل فعلها، ولا يصرح بها وقت الفعل، ولا يصر عليها بعد فعلها. والفاجر: ليس كذلك.

وما ذكرت هذا الكلام إلا غيرة على هذا الجناب العظيم، والمنصب الشريف الفخيم، أن يدنس بما لا يليق، أو ينسب إليه ما يتكدر به قلب المؤمن المحب ويضيق، والواجب على جميع المؤمنين إذا

سمعوا بمثل هذه الأخبار، عن أحد من أبناء النبي المختار، أن يطرحوها في زوايا الإهمال والإغفال، وأن لا يكون لهم بها ولا بنقلها احتفال، مخافة أن يكونوا بذلك لإذايتهم متعرضين، ولجنابهم الرفيع منتهكين، فينخلع الستر عنهم [92] وعن أعقابهم، ويحرموا بسبب ذلك شفاعة جدهم الذي يشفع لهم يوم حسابهم. وقد ذكروا أن لحوم أهل البيت مسمومة ؛ من تناول منها شيئا سقط لحمه عن عظمه في الحين، وانتزع الستر عنه وعن عقبه إلى يوم الدين. نسأل الله السلامة بمنه. .. آمين.

[9- الإمام الصالح الشريف سيدي محمد المزوار بن علي حيدرة]

(ت: 250)

ومنهم: السيد الولي الصالح، معدن التقى والنور الكامل اللائح، الهمام الأرفع، الأخشى الأزهد الأورع ؛ أبو سلام سيدي محمد المزوار ابن الإمام علي بن محمد بن إدريس رضي الله عنهم.

لقب – رضي الله عنه – بالمزوار، بميم وزاي ساكنة وواو مفتوحة وألف مد وراء؛ لكونه بكر أبيه، وذلك معناه باللغة البربرية. ويستعمل كثيرا في رئيس الجماعة المتميزة؛ كنقيب الأشراف ورئيس المؤذنين وموقتهم، وفي حاجب السلطان. وفي "الروضة المقصودة"، ما نصه: « قياس اللغة في لفظه: أن يكون بكسر الميم على زنة: مفعال، من زار يزور، مبالغة في زائر وتكثيرا لمعناه. قال: وهو في عرفنا خاص بنقيب الأشراف، أو بمن في معناه من رئيس المؤذنين، فلا يطلق على غيره، فهو علم على جنسه منقول مما ذكرناه، ومناسبة تسميته به: كون النقيب تكثر زيارته لغيره، لكونه عينا من أجل الأعيان، فيستدعيه الناس كثيرا في مهماتهم، فلا يمكنه التخلف عنهم لاحتياج الناس إلى التيمن برؤيته وبرأيه. وقيل: إن مَزوارا، بفتح الميم، ومعناه في اللغة البربرية: بكر أبيه ».

وهو – رضي الله – أحد أجداد القطب الأكبر، والغوث الأشهر، مولانا عبد السلام رضي الله عنه، إذ هو: أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام ابن مزوار بن علي بن محمد بن إدريس. ومن خط بعض الفضلاء ناقلا له عن الإمام العلامة الصالح أبي العباس أحمد بن علي الشريف الحسني العلمي ما نصه: « أجداد سيدي عبد السلام – رضي الله عنهم – كلهم مشاهير عند أهل بلدهم، وأماكنهم معلومة، ومقابرهم مزارات مشهورة، وما من أحد منهم إلا وقد كان من أكابر أولياء الله تعالى، بحيث إن لهم أراضي مشهورة ومقابر مزارات معلومة. . . ». انتهى المراد منه.

وكان صاحب الترجمة ممن زهد في الرئاسة والملك، وأعرض عن زهرة الدنيا ونعيمها ومال إلى العبادة، وكان معروفا بالصلاح والدين والخير، موصوفا بالولاية، متبركا به في حياته وبعد مماته.

توفي – رضي الله عنه – على ما قيل بفاس في سنة الخمسين ومائتين أو نحوها، ودفن بها مع أبيه حيث ذكر إزاء جدهما الإمام إدريس رضي الله عنه.

وفي [93] كلام أبي العباس أحمد بن علي المذكور، عقب ما تقدم عنه بيسير ما نصه: « وأما سيدنا مزوار وسيدنا الإمام الخليفة السلطان مولانا علي المدعو: حيدرة ومولانا أمير المؤمنين محمد بن مولانا إدريس ؛ فمقابر هؤلاء السادات الكرام بإزاء مسجد مولانا إدريس بناحية دار القيطون من مدينة فاس حرسها الله تعالى ».انتهى.

وقيل: إنه – رضي الله عنه – خرج من فاس ونزل قلعة: حَجَر النَسْر. من قبيلة: سوماتة. وبها مات ودفن، وهذا هو المشهور عند أهل تلك النواحي، ومزارته هناك عندهم معلومة، وهو الذي لغير واحد أيضا.

ومن بعض التواريخ ما نصه: «ولما ملك علي المدعو: حيدرة؛ خرج ولده المزوار من فاس زاهدا في الملك، وتوجه إلى الجبل واشتغل بعبادة ربه، ولما توفي والده ؛ دعاه قومه إلى ملك والده، فلم يجبهم لذلك، واستمر على عبادة ربه بحجر النسر من بلاد سوماتة إلى أن أتاه اليقين، ودفن هناك، ومزارته ظاهرة مشهورة عندهم، وذلك في حدود المائتين وخمسين أو نحوها، ولم يعقب إلا ولدا واحدا، وهو: سلاَّم بن المزوار ».انتهى.

وقال في كتاب "تحفة الحادي المطرب" ما نصه: « وأول من خرج من بني محمد بن إدريس من فاس وزهد في الولاية والملك ونعيم الدنيا: المزوار بن علي حيدرة الذي كان ملكا بفاس ابن محمد الخليفة بن إدريس، وذلك بعد المائتين وعشرين، وأقام بالبادية يعبد ربه إلى أن مات ودفن بحجر النسر من سوماته، فمزارته هناك، وقيل: إنه مات بفاس ودفن مع أبيه علي وجده محمد بفاس ».انتهى.

وإلى هذين القولين في محل وفاته ودفنه أشار في "درة المفاخر" بعد ذكر سيدي سلام ولد صاحب الترجمة بقوله:

أبـــوه مــزوار ولـكـــن ذكـــروا	خـروجـه مـن فـاس وهـو الأظهر
والبـعـض قـال: دفـنـه بـفـــاس	مـع أبـيـه الطـاهـر الأنفـــاس

وباعتبار هذا القول الثاني في كلامه ذكرته هنا للتبرك... والله أعلم.

[10- الإمام المشارك الشريف سيدي يحيى بن المهدي الشفشاوني]
(ت: 1228)

ومنهم: الشيخ الإمام العلامة، الحبر المتبحر الفهامة، الناسك الصالح، البركة الواضح، العارف الواصل، الولي الكامل؛ أبو زكرياء سيدي يحيى بن المهدي الحسني الإدريسي العلمي الشفشاوني.

كان - رحمه الله - ممن اتسمت مشاركته في العلوم، وشاعت براعته في تحرير المنطوق منها والمفهوم، مع الحفظ العظيم، والذوق السليم، والفتح الصميم، والغوص على الدقائق، والاهتداء للطائف الرقائق، متبحرا في الفقه والحديث والفرائض والحساب. . .، وغير ذلك، [94] مع الاعتزال عن الخلق، والإقبال على ما يرضي الحق، والتهجد وإدمان الأذكار، ووصل عبادة الليل بعبادة النهار، وكان معظما عند الخاصة والعامة، يفدون إليه ويستشيرونه في أمورهم، فتحمد عاقبتها ببركته.

ولد - كما ذكره في "الإشراف" - سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، وأخذ عن أبي عبد الله جسوس، وأبي حفص الفاسي، وأبي عبد الله سيدي محمد التاودي ابن سودة المري. . . وغيرهم. واعتمد في الفرائض والحساب على الشيخ أبي العباس أحمد الشرايبي.

وكان السلطان أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله العلوي يحبه ويلتمس منه الدعاء، ويقدمه في الأمور الدينية على غيره من الشرفاء والفقهاء، واقتفى أثره في إكرامه، وتبجيله وتعظيمه واحترامه؛ ولده السلطان أبو الربيع مولانا سليمان، وزاره مرة بداره بالدرب الطويل، فكانت مفخرة لأبنائه يذكر خبرها جيلا بعد جيل.

وولي الخطابة بالروضة الإدريسية، والإمامة بمسجدها الأعظم، نحو الثلاثين سنة، ثم تخلى عن ذلك اختيارا سنة أربع وعشرين ومائتين وألف.

وانفرد عن الناس في أواخر عمره في بيته لعبادة الله تعالى، إلى أن توفي في عشري ذي الحجة متم سنة ثمان، وقيل تسع، وعشرين ومائتين وألف. ودفن بداخل هذه القبة الإدريسية بأمر مولوي، ورثاه الشريف العلامة الأديب أبو الربيع مولانا سليمان بن محمد الحوات يوم وفاته بقوله:

ضم هذا القبر حبرا	ماهرا سمحا وقورا
أخبر التاريخ عنه	بالذي أبدى سرورا
هو في الجنة بدر	ملأ الأكوان نورا

وهذا البيت الأخير رمز به لتاريخ وفاته، والخارج منه بحساب الجمل: ألف ومائتان وثمانية وعشرون، وهكذا ذكر أيضا وفاته في "نظم الدر واللآل"، وفي "إمداد ذوي الاستعداد" أنه توفي سنة

تسع وعشرين. والله أعلم، ترجمه في "الإمداد" المذكور وعده فيه من شيوخه، وكذا صاحب "الإشراف على بعض من حل بفاس من مشاهير الأشراف".

[11- العلامة القاضي سيدي عبد القادر بن أحمد ابن شقرون]
(ت: 1219)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه، العلامة المشارك النبيه، الجامع بين المعقول والمنقول، الضابط المتقن لما ينقل أو يقول؛ القاضي أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد بن العربي ابن شقرون الفاسي.

كان – رحمه الله – [95] فقيها نحويا لغويا أديبا، محدثا مشاركا لبيبا، علما واضحا يهتدى بأنواره، وروضا فائحا يجتنى من أزهاره، فتاقا لأبكار العلوم، دراكا لغوامض الفهوم، مرجوعا إليه في حل المشكلات، مقصورا عليه في دفع الشبهات، معروفا بالضبط والإتقان، مملوءا بالصدق والعرفان، مع ما تحقق به من المحبة وتعظيم آل البيت النبوي، والنسب الطاهر العلوي، وخفض الجناح للمؤمنين، وحسن الظن بالمنتسبين، تقلد القضاء آخر الدولة المحمدية بسجلماسة مرة، وأخرى بفاس فأحسن السيرة.

وأخذ عن الشيخ أبي العباس الهلالي لما قدم لفاس، وعن العلامة الأستاذ سيدي عبد الرحمن المنجرة، وأبي محمد عبد القادر بوخريص، وأبي عبد الله جسوس، وأبي عبد الله محمد بن الحسن البناني، وأبي حفص الفاسي، وهو عمدته. ولما حج أخذ بالمدينة، عن الشيخ حسين بن عبد الشكور البكري الصديقي، من أهل الطائف. وأخذ بمصر عن الشيخ مرتضى وغيره.

وأخذ عنه جماعة من الأعلام؛ منهم السلطان مولانا سليمان بن محمد العلوي، أخذ عنه الحديث، والفقه والعربية، والبيان، والمنطق، وغير ذلك من العلوم. وفي "الإشراف" أنه عاده السلطان المذكور أيام إصابة وجهه بمرض الأكلة، نسأل الله السلامة، وضمه إلى صدره، وقال: « لا عدوى ولا طيرة ». ولما توفي حضر لجنازته والصلاة عليه راجلا.

توفي – رحمه الله – عند زوال يوم الخميس حادي عشر شعبان عام تسعة عشر ومائتين وألف، وصلى عليه إماما الشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران بعد صلاة الجمعة من الغد بالقرويين، ودفن بهذه القبة الإدريسية بأمر مولوي قبالة الداخل أيضا من موضع جلوس المقدم قريبا منه، وحضر جنازته العام والخاص، والرجال والنساء والصبيان، وكان السلطان المذكور واقفا على دفنه، وكسر العامة أعواد نعشه تبركا.

قال في "إمداد ذوي الاستعداد": « ولا أعرف له من المؤلفات إلا شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية عن إذن الأمر المولوي... ». انتهى. ترجمه في "الإمداد" المذكور، وعده فيه من شيوخه، وكذا ألم بشيء من ترجمته غير واحد.

[12- الأديب النحوي سيدي عبد القادر ابن شقرون المكناسي]

تنبيه: ترجم أبو القاسم العميري في فهرسته للفقيه النحوي الأديب اللغوي البليغ الحكيم الأديب أبي محمد سيدي عبد القادر ابن شقرون، عده فيها من شيوخه، وهو غير صاحب الترجمة قطعا؛ لأنه مكناسي متقدم؛ وصاحب الترجمة فاسي متأخر عنه وذاك [96] هو شارح "البسط والتعرف" للشيخ المكودي وصاحب الأرجوزة المعروفة بالشقرونية في علم الطب، ألفها بإشارة الرجل الصالح أبي المعالي سيدي الصالح بن المعطي الشرقاوي. راجع الفهرسة المذكورة.

[13- الشريف مولاي الهادي بن عبد المالك الجوطي]

(ت: 1243)

ومنهم: الشريف النبيه، الزكي الفاضل النزيه، الفقيه الأرضى، الناسك الخاشع المرتضى؛ أبو محمد سيدي الهادي بن الفقيه المدرس أبي محمد سيدي عبد المالك الإدريسي، الشريف الحسني، الجوطي العمراني التونسي.

من الشرفاء الأدارسة العمرانيين التونسيين، المتولين الآن ضريح جدهم الإمام إدريس رضي الله عنه. قال في "الإشراف": « كان فقيها خيرا، دينا ناسكا، ورعا زاهدا، كثير الأذكار، طويل الصمت، غير مبال برفع الجناب، في زي من أخلص لله وأناب، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف ».

وقبره - رحمه الله - على ما أخبرني به حفيد له بهذه القبة بالمحل الذي توضع به المنارة منها، وذلك بإزاء ما بين المنبر والمحراب. ترجمه في "الإشراف".

قلت: وهذا ما وقفت على تعيينه من العلماء والصلحاء بداخل هذه القبة، وبه الآن من القبور الظاهرة ما يزيد على المائة، كلها ما بين شريف وعالم وولي.

[14- الشريف مولاي إدريس بن علي الجوطي]

(ت: 1106)

ومنهم بمزارتها: الشريف الأرقى، البركة الأتقى، السيد الشهيد، الموفق الرشيد؛ أبو العلاء مولانا إدريس المدعو: ابن إدريس بن علي بن أحمد بن إدريس الحسني الجوطي العمراني التونسي، أحد الشرفاء العمرانيين التونسيين المذكورين.

كان – رحمه الله – من أهل الوجاهة والسيادة، والحظوة والمكانة والجادة، ملحوظا بعين البركة والرعاية، والتنسك والهداية.

توفي شهيدا بالردم بسبب هبوب ريح شديدة جنوبية استرسلت نحو ساعتين أسقطت دورا وأقلعت أشجارا، وكان هو مارا تحت جدار فأسقطته عليه، في عاشر ربيع النبوي سنة ست ومائة وألف، ودفن بحانوت كانت بظهر الحائط الشرقي من هذا الضريح الإدريسي، فلما أمر السلطان مولانا إسماعيل ببنائه وتوسيعه والزيادة فيه، على الهيئة التي هو عليها الآن، وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف ؛ أدخلت الحانوت المذكورة في قبة، وجعلت مزارة لحرمه، فمنها يزورون ضريحه من ناحية الطريق المجاورة لشرقي القبة. ذكره في "النشر" و"التقاط الدرر".

[15- المجذوب الشريف مولاي عبد الحفيظ بن محمد العمراني]

(ت: 1130)

ومنهم بأسفل المزارة المذكورة: الولي الصالح، المجذوب السائح، السيد الشريف، الغني لشهرته [97] عن التعريف؛ سيدي الحفيظ[1] بن السيد الجليل الوجيه أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد الفقيه بن محمد بن عمران، الحسني الإدريسي، الشهير بالعمراني.

كان – رحمه الله – من أهل الولاية والصلاح، والبركة والخير والنجاح، والتصرف والكرامات، وخوارق العادات، وكان مجذوبا لم يتزوج قط ولم يولد له، وكان معاصرا للولي المجذوب سيدي عزوز بن مسعود، دفين طالعة فاس.

وكان فيما يحكى عنه – حسبما ذكره في "نشر المثاني" في ترجمة سيدي عزوز المذكور – إذا رأى سيدي عزوزا طرده ويقول له: « اخرج لي من مدينتي!»). فيفر منه ولا يرجع عنه إلا إذا أخرجه من باب من أبواب المدينة. فلما كان ذات يوم، لقي صاحب الترجمة سيدي عزوزا راكبا

---

[1] عبد الحفيظ اختصار بلهجة أهل فاس لـ: حفيد.

على فرس، ومعه الطبالون يضربون في أطبالهم، كعادة من يكون مهيأ للفرح، فلما نظر إليه سيدي الحفيد كذلك، لم يزد على أن سالت دموعه من عينيه، وقال له: « نعم؛ الله يَرْتَحْ[1] ». وانعطف عنه وذهب، فلم يبق سيدي الحفيد بعد ذلك إلا نحو ثلاثة أيام ومات.

وكانت وفاته – رحمه الله – على ما رأيته مقيدا بخط بعضهم: يوم الأربعاء الخامس عشر من المحرم فاتح سنة تسع وعشرين ومائة وألف. وذكر في "درة المفاخر" حسبما سنذكره عنه أنه توفي في حدود الثلاثين والمائة والألف، ودفن بحانوت كانت ملاصقة لهذا الضريح الإدريسي أسفل المزارة السعيدة متصلة بها، وكانت للفقيه العلامة سيدي العربي بردلة فوهبها له بعد موته ليدفن فيها، ولما بنيت القبة أدخلت الحانوت المذكورة لها، وصار قبره في جوف حائطها، وهو مزار متبرك به إلى الآن، وحتى الآن وإليه يشير في "درة المفاخر" خلال عده لجملة من الأولياء من آل البيت بقوله:

ومنهم المجذوب عالي الشان	هو الحفيد الحسني العمراني
وقبره عند مزارة الإمام	إدريس في فاس الأعز في الأنام
وفي حدود ثلاثين قبضا	ومائة وألف خص بالرضى

[16– العلامة المفسر سيدي أحمد بن العربي الزعري]

(ت: 1222)

ومنهم: الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، الأستاذ الفاضل، المشارك الكامل، الصالح البركة، القائم على قدم المجاهدة في السكون والحركة؛ أبو العباس سيدي أحمد بن العربي بن عبد السلام بن عبد الرحمن المباركي نسبا الزعري لقبا الورياكلي المنشأ، الفاسي المبدأ.

كان – رحمه الله – من أهل العلم [98] والاجتهاد في العبادة والعمل، قائما على قدم المجاهدة في الطاعة قيام من لا تصده الصبوة أو الكسل، زاهدا ورعا، متقشفا خاملا خاشعا، وكان إماما بمسجد القرويين وخطيبا به، وأخذ عنه العلم جماعة من العلماء؛ منهم العلامة العارف أبو العباس سيدي أحمد ابن عجيبة، وقد عده في "فهرسته" من شيوخه قائلا فيها ما نصه: « وجلست في حلقة التفسير للورع الزاهد سيدي أحمد الزعري أياما ».

توفي – رحمه الله – ليلة الخميس ثامن عشر ذي الحجة الحرام متم عام اثنين وعشرين ومائتين وألف، كذا قيد وفاته بخطه العلامة سيدي الطالب ابن الحاج، وزاد أنه أقبر بداره داخل الحرم

---

[1] لفظة تقال عند اليأس أو التيئيس.

الإدريسي. قال: « ومولده عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف ». قلت: والدار التي بها ضريحه هي الآن عن الكائنة عن يسار المنفصل من المزارة السعيدة، ذاهبا إلى ناحية زنقة الوادي. وهي الآن متهدمة.

[17- السيدة زينب بنت مولاي إدريس بن علي الجوطي]

ومنهم: امرأة شريفة متبرك بها اسمها للاَّ[1] زينب بنت السيد الشريف، الشهير المنيف؛ مولاي إدريس ابن مولاي أبي الحسن علي الحسني الإدريسي الجوطي، العمراني التونسي، دفين المزارة السعيدة، حسبما تقدم.

كانت – رحمة الله – عليها، فيما يقال، عابدة زاهدة مشارا إليها بالصلاح، والخير والبركة والنجاح. ويحكى عنها أنها: كانت تخرج ليلا مع بنات عمها إلى الحرم الإدريسي إلى الزيارة، فتمر بالحانوت التي هي بها الآن فتقول: « انظروا إلى هذه الدار التي أعطانيها ربي »، فلما توفيت دفنوها بها فكان ذلك معدودا من كراماتها.

ولم أقف لها الآن على ترجمة ولا على وفاة، إلا أنها – والله أعلم – في أواسط القرن الثاني بعد الألف. وكانت بالحياة في رجب من العام الموفى عشرين بعد مائة وألف، وضريحها بحانوت بالحرم الإدريسي، وهي المقابلة لدار القيطون.

والناس يتبركون بها إلى الآن، إلا أنهم يسمونها بللا كنزة، حتى توهم بسبب ذلك بعض من لا خبرة له بالتاريخ والأنساب من جهلة العوام والنساء، أنها هي السيدة كنزة أم مولانا إدريس باني فاس، والذي تلقيته من بعض الأشراف من أقاربها ممن له مزيد خبرة بها وله تصرف في ضريحها أن اسمها زينب، وأنها بنت مولاي إدريس ابن مولاي علي كما ذكرنا، وأن زوجها هو الشريف الفاضل مولاي عبد الله ابن مولاي أحمد الحسني الإدريسي الجوطي، من نسبها، وأوقفني على رسوم بيده متضمنة لشيء من شؤونها وما هو متعلق بها من توكيل لزوجها المذكور وغير [99] ذلك... والله أعلم.

---

[1] للاَّ: باللهجة المغربية بمعنى: السيدة.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة التجاريين وجرنيز
وما هو منضاف إليها

[18- سيدي خالد دفين درب ميناء]

منهم: الولي الشهير، الكبير الخطير؛ سيدي خالد. أورده في "التنبيه" وقال: « إنه بدار الحبس بقعر درب ميناء ». هـ. وفي منظومة المدرع في صلحاء فاس:

وخـالــــد دفيــن درب مينــه	رتبتــه بيـن الـورى مكينـة
كـذا محمـد وهــو العبــد	الـواصـل المقـرب المجـد

قلت: والدار التي بها ضريحه؛ هي: التي دفن بها سيدي قاسم ابن رحمون المذكور بعده، وهي الآن من جملة الزاوية التي هو بها، وضريح صاحب الترجمة بها - فيما يذكرونه - عن يمين ضريح سيدي قاسم، مجاورا له من ناحية الصحن. والله أعلم.

[19- العارف الصالح سيدي قاسم بن محمد ابن رحمون]
(ت: 1146)

ومنهم: الشيخ الجليل الكبير، الولي الصالح الشهير، الكثير الأتباع، الموصوف بالولاية والانتفاع، العارف بالله، الناصح لعباد الله، ذو البحر الزاخر، والمدد المتواتر، صاحب الفتح المبين، والسر المصون؛ أبو محمد مولاي قاسم بن محمد؛ المدعو: حَمّ ابن عمرو ابن رحمون، الزرهوني ثم الفاسي.

قدم والده على فاس الإدريسية من جبل زرهون، من رهط هناك في جسر عين الربيع، وجسر آخر بجبل سلفاة؛ يقال لهم: أولاد ابن رحمون، وهم من الرحامنة النازلين بوادي السدر، قرب مصمودة من عمالة زاوية وزان قال في "الروضة المقصودة": « وهم ينتسبون للشرف الحسيني - بالمثناة التحتية - بعد السين على زنة التصغير، من بني الحسين السبط، ابن مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ويزعمون أن قدومهم على تلك البلاد كان من جزيرة صقلية، عند استيلاء الروم عليها أواخر المائة الخامسة ».

ورأيت في بعض الرسوم تحليته بالشرف الحسني بالتكبير ونحو ذلك في "النشر" على ما في بعض نسخه. وزاد بعده ما نصه: « من أولاد ابن رحمون النازلين ببعض مداشر جبل زرهون وبواديه، وهم ينتسبون إلى الشرف، ولا أعلم من أي فريق من الحسنيين هم، وليسوا من أولاد ابن رحمون العلميين، الذين هم من بني الإمام محمد بن إدريس بن إدريس... قال: وصاحب الترجمة - يعني: سيدي قاسما المذكور - لم يستمر له عقب، لا من ذكر ولا من أنثى، ولا له قرابة كذلك، وبعضهم ينتسب إلى القرب منه. والله أعلم بحقيقة ذلك... » [100].

ونحو قوله: « وليسوا من أولاد ابن رحمون العلميين »، قوله في "التقاط الدرر": « وليس هو من أولاد ابن رحمون العلميين، معترف هو وقرابته بذلك ».هـ. والمشهور الآن عند كثير من الناس أنه منهم، ويوافقه ما في "سلوك الطريق الوارية" من أنه علمي حسني. والله أعلم بما في نفس الأمر من ذلك.

كان - رحمه الله - عارفا ناصحا، ومتجرا في سوق الهداية رابحا، حسن التربية، زكي التنمية، ذا أخلاق حسنة، وأوصاف مستحسنة، وهمة وهيبة، وسكينة ووقار، وحنانة وشفقة، ولين واستبصار، صحب في حال بدايته، سيدي الحاج الخياط الرقعي، دفين الشرشور، نحوا من ستة عشر عاما، وعلى يديه وصل لصحبة شيخه سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف وأخذ عنه، ثم أخذ بعد وفاته عن ولده مولاي التهامي، ثم عن أخيه مولاي الطيب ولزمه إلى أن توفي في حياته.

وقد قال صاحب الترجمة فيما نقل عنه: « خدمت سيدي الخياط نحوا من ستة عشر عاما، فكنت لا أبدؤه بالكلام، وإذا جلست بين يديه طويت ركبتي كأني له غلام، وإذا احتجت لحاجة ناجيته فيها بقلبي، فيلهمني الفهم فيها ربي ».

ولما علم منه الشيخ سيدي الخياط صدق الطلب؛ اعتنى بشأنه وأقبل بكليته عليه، إلى أن فتح الله له على يديه، فكان يريه من الفتوحات وعجائب الكرامات ما لا يحصى، ولا يعد ولا يستقصى، وأطلعه على أمور لا ينبغي إفشاؤها لكل الناس، ولا ترسم في صحيفة ولا قرطاس، منها ما كان يحدث به في حال نهايته.

وكان - رضي الله - عنه أولا يخدم حرفة الحياكة، تارة بنفسه وتارة بصناع يستخدمهم، وهو يدور لهم الجعاب، ولسانه في كلتا الخدمتين مشتغل بالأذكار آناء الليل وأطراف النهار، حتى قيض الله له من أخذ بيده، وكان زاهدا في الدنيا مقبلا على الآخرة، ورعا ذا تصرف يتصرف في الجن والإنس، عالي الهمة، حسن الخلق، متواضعا، وكان ينهى عن الفضول وكثرة الكلام فيما لا يعني، ويذكر في التحذير من ذلك حكايات عديدة.

وكان كثير التعظيم لمولانا إدريس باني فاس رضي الله عنه؛ قال في "تحفة الإخوان": « سمعته يقول: والله ما مررت قط على مزارته إلا وأجد الشوق الذي يلي قبره كأنه ميت؛ من هيبته وجلاله ».

وكان له – رضي الله عنه – أتباع، وتلامذة وأشياع، يحدثون عنه بكرامات، وخوارق وعادات، وكانت حرفتهم: الاشتغال بلا إله إلا الله. عليها كان اجتماعهم [101]، وبها مبيتهم ومقيلهم.

وكان هو – رحمه الله – كثير التواجد عند الذكر، وإذا تواجد يظهر ذلك عليه، ويسري حاله في جل أصحابه، كل واحد على قدر محبته وذوقه. وكان يحضهم على الإتباع وترك الابتداع. وكان يجلس كل يوم بالمستودع الذي بين باب حفاة القرويين وباب الشهود الكبرى، من صلاة الظهر إلى أن يصلي العصر، ويجلس معه أصحابه، فكان يجعل وجهه للسارية القبلية وظهره إليهم، وكلهم مواجهون للقبلة، وكل واحد منهم بسبحته، لا يتكلم هذا مع هذا ولا هذا مع هذا، وإنما عليهم السكينة والوقار، حاطين أبصارهم إلى الأرض، هذا دأبهم، وهذه حالتهم.

وكان يغلب عليه في بعض الأوقات حال الغنى بالله، فينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام، فيدعي بحق عن حق في حق، ويصرح لنفسه بالتصريف التام، والتمكين في المقامات والأحوال.

ولم يزل داعيا إلى الله، لاهجا بذكره وثناه، إلى أن توفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة متم عام تسعة وأربعين ومائة وألف. قال في "تحفة الإخوان": « ودفن من الغد بداره بأقصى درب مينة من حومة النجارين من فاس القرويين، وقبره بها مشهور يتبرك به. نفعنا الله به آمين ».هـ. وقال في "النشر" على ما في بعض نسخه: « دفن بدار برحاء اشتراها هو قرب موته بقصد أن يدفن فيها، فدفنه بها أصحابه إمضاء لقصده، بأقصى درب مينة من حومة النجارين من فاس القرويين، ثم اشترى بعض قرابته بعد وفاته نائبا عن أصحابه دارا أخرى تجاورها، وهي التي دفن بها سيدي القليز وزادها فيها أصحابه، وبنوها زاوية، وجعلوا عليها أوقافا تقام بها الأوقات، وقراءة أحزاب القرآن، ويدرس بها العلم في فصل الشتاء بين العشاءين، ويؤذن بها صباحا. ولكل ذلك أوقاف، ولها كتب محبسة، وثريا ومصابيح، وهي اليوم أعظم من جميع زوايا فاس ». انتهى.

قلت: ولم تزل إلى الآن مزارة عظيمة، وزاوية فخيمة، يجتمع بها فقراء أشياخه السادة: أهل وازان، نفعنا الله بهم، وقد كبرت مساحتها الآن بسبب الزيادات الواقعة فيها، وضريحه بها يدور عليه حوش من خشب، وفوقه دربوز وكسوة، وهو مشهور معروف متبرك به إلى الآن.

تنبيه: ما ذكرناه من أنه توفي سنة ست وأربعين هو الذي في مشهده عند رأس ضريحه، وهو الذي في ترجمته من "تحفة الإخوان" و"نشر المثاني" [102] "والتقاط الدرر"، و"سلوك الطريق الوارية"، و"الروضة المقصودة"... وغير ذلك، وذكر الشيخ سيدي التاودي في "فهرسته" بعد أن أورده فيمن لقي من صلحاء المغرب أنه توفي: زمن الوباء سنة خمس وخمسين ومائة وألف. والظاهر أنه سبق قلم منه رحمه الله.

فـائـدة

[تتعلق بأخبار بعض السادة الشرفاء الوزانيين]
[وبعض المنتسبين إليهم من العلماء والصلحاء]
[ممن أقبروا بغير مدينة فاس]

[20- الإمام القطب الشريف مولاي عبد الله الوزاني]
[شيخ الطريقة الوزانية. ت: 1089]

توفي الشيخ الإمام، القطب الهمام، العارف الرباني، والنور الإيقاني، ذو الكرامات العديدة، والمآثر الفريدة، أبو محمد مولانا عبد الله بن مولانا إبراهيم الشريف الحسني الإدريسي العلمي اليملحي المصمودي الوزاني - وهو شيخ الطريقة الوزانية وقطب دائرتها - يوم الخميس ثاني شعبان سنة تسع وثمانين وألف، وولد عام خمسة وألف.

وأخذ عن الولي الكبير العارف الشهير، أبي الحسن سيدي علي بن أحمد الصرصري، دفين مدشر المغاصي، من جبل صرصر، المتوفى سنة سبع وعشرين وألف عن سيدي الحسن بن عيسى المصباحي، وقيل عن ولده سيدي عيسى بن الحسن عن والده سيدي الحسن بن عيسى عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي عسرية المصباحي، عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، عن الجزولي.

ومناقبه - رضي الله عنه - كثيرة جمة، وهي مبسوطة في: "تحفة الإخوان وغيرها"، وكانت وفاته بوازان، وبها دفن، وبنيت عليه هناك قبة، وقبره إلى الآن مزارة عظيمة، تفد الناس لزيارته من سائر أقطار المغرب في كل سنة.

[21- سيدي الحسن الهواري]

وممن دفن معه بها: تلميذه الفقيه الأنور، الصوفي الأبهر؛ أبو علي سيدي الحسن الهواري؛ راوي الحزبين اللذين ألفهما شيخه المذكور، والمقدم على جميع أصحابه الفقراء الذين ببلد مصمودة الغرب، ذكره في "نشر المثاني" - على ما في بعض نسخه - في خاتمة الجزء الثاني، فيمن لم يقف له على وفاة، وهو من أهل القرن الثاني بعد الألف.

[22- الشريف سيدي علي بن إدريس التبر]
(ت: 1155)

ودفن معه فيها أيضا: الشريف الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، ذو الأخلاق الكريمة، والأوصاف الجسيمة، والأحوال الربانية، والمواهب العرفانية، أبو الحسن: سيدي علي بن إدريس التبر، المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وألف، وهو من أصحاب سيدي قاسم ابن رحمون، وشيخه مولاي الطيب الوازاني، وكان صواما قواما قانتا تاليا كتاب الله، لا يكاد يفتر عن تلاوته ليلا ونهارا، وحج سنة تسع وثلاثين ومائة وألف، وأخبر من رافقه في حجه أنه كان لا يفتر في طريقه عن التلاوة. نفعنا الله به.

[23- العارف الشريف مولاي محمد بن عبد الله الوازاني]
(ت: 1120)

وخلف مولاي عبد الله المذكور: ولده العارف بالله، الدال على الله، قبلة الصلاح [103]، وكعبة الفلاح، الصدر الشهير، الهمام الكبير، القطب الرباني، وواحد الجد في عصره ولا ثاني، أبا عبد الله مولاي محمد، توفي - رحمه الله - ليلة الخميس ثاني وعشري محرم الحرام عام عشرين ومائة وألف، ودفن أيضا بوازان وبنيت عليه قبة.

[24- العارف الشريف مولاي التهامي بن محمد الوازاني]
(ت: 1127)

وخلف - رضي - الله عنه ولديه: القطب الأشهر، والعارف بالله الأذكر، المتحلي بحلية السنة المحمدية، والمرتدي برداء الكمالات الأحمدية، أبا عبد الله سيدي محمد - المدعو: مولاي التهامي - توفي - رحمه الله - بوازان صبيحة يوم الاثنين مهل المحرم الحرام فاتح عام سبعة وعشرين ومائة وألف، ودفن بها أيضا، وبني عليه.

[25- العارف الشريف مولاي الطيب بن محمد الوازاني]
(ت: 1181)

والقطب الأبهى، وعنصر الكمال الأشهى، الشهير الذكر في الآفاق، الذي وقع على جلالته وعلو مكانته الإطباق، المتبرك به حيا وميتا، مشرقا ومغربا: أبا عبد الله سيدي محمدا - المدعو: مولاي

الطيب – توفي رحمه الله – بعد أخيه المذكور يوم الأحد ثامن عشر ربيع الثاني سنة إحدى وثمانين ومائة وألف بوازان، ودفن بها أيضا، وبنيت عليه قبة.

[26– العارف الشريف مولاي أحمد بن الطيب الوازاني]

(ت: 1196)

وخلف – رضي الله عنه – ولده الأبهر، والصوفي الأنور، العارف بالله، المعتمد في أموره كلها على الله، الموصوف بالقطبانية أيضا: أبا العباس مولاي أحمد. توفي – رحمه الله – ثامن عشر صفر الخير عام ستة وتسعين ومائة وألف ودفن بوازان أيضا، وبني عليه.

[27– العلامة العارف الشريف مولاي علي بن أحمد الوازاني]

(ت: 1226)

وخلف – رضي الله عنه – ولده العلامة المشارك الفهامة، العارف الأكبر، والسني الأشهر، ذا السر الباهر، والمدد الظاهر، المشار إليه بالقطبانية أيضا: أبا الحسن سيدي عليا، توفي رحمه الله يوم الثلاثاء، متم ربيع النبوي عام ستة وعشرين ومائتين وألف بوازان، ودفن بها أيضا وبني عليه.

[28– الفقيه النوازلي سيدي محمد بن أحمد الرهوني]

[صاحب حاشية الزرقاني. ت: 1230]

وبروضته عن يسار محرابها؛ دفن تلميذه وصاحبه: الفقيه العلامة، الطود الفهامة، صاحب التآليف البديعة، والتحقيقات الرفيعة: أبو عبد الله سيدي محمد (فتحا)[1] ابن أحمد بن محمد ضما ابن الولي الصالح سيدي يوسف بن علي الحاج، المدعو: بَركَشَة، بفتح الباء وكسر الراء وسكون الكاف، الرهوني، المتوفى بعد فجر يوم السبت ثالث عشر رمضان سنة ثلاثين ومائتين وألف، ولم يخلف إلا البنات. وكانت ولادته في ذي القعدة عام تسعة وخمسين ومائة وألف. وهو أحد العلماء العاملين، والنظار المحققين؛ ممن دارت عليه الفتيا في زمنه ببلاد الهبط [104] وكان ملازما عند أشياخه السادة الوازانيين بوازان للتدريس والخطابة في بعض الأوقات، وكانت له معرفة تامة بالنوازل ورسوخ في الفقه، يحرر المسائل وينسبها لأربابها على طريق المتقدمين.

---

[1] أي: بفتح الميم الأولى من محمد. كما هي العادة عند أهل المغرب. تكثيرا لاسمه صلى الله عليه وسلم.

وحاشيته على الزرقاني عديمة المثال، بديعة الحسن والجمال، بلغت من التحقيق الغاية القصوى، وعليها في وقتنا المدار في الحكم والفتوى، يتحقق من يراها أن مؤلفها بحر لا ساحل له، وغطمطم لا غاية له.

مع ما كان عليه من التقوى والورع والخشوع، وسيلان العينين في كل وقت بالدموع، والتهجد بالأسحار، ودوام الذكر والاستغفار.

وعمدته في العلوم: الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن الحسني العمراني الملقب بالجنوي، وأخذ أيضا عن الشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري. وعن العلامة سيدي محمد بن علي الورزازي، وسيدي علي بن حسين وعليهما كان ابتداؤه.

وجد والده سيدي يوسف كان من أهل الولاية والصلاح، والدين والخير والنجاح، ومنه اشتهر في بنيه لقب: الحاج. ومزارته بقرب مدشرهم بوسط قبيلة رهونة، مشهورة. نفعنا الله به.

[29- العارف الشريف سيدي العربي بن علي الوازاني]
(ت: 1266)

وخلف أبو الحسن المذكور: ولده الشيخ الشهير، العارف الكبير، الكثير الكرامات، الباهر الآيات، الذي يقال فيه: إنه سابع أقطابهم؛ أبا حامد سيدي الحاج العربي. توفي - رحمه الله - يوم الثلاثاء آخر يوم من ذي الحجة الحرام، متم عام ستة وستين ومائتين وألف، ودفن من الغد؛ وهو يوم الأربعاء الأول من السنة التي تليها بالمسجد الأعظم من وازان، قريبا من جده مولاي عبد الله الشريف.

[30- العارف الشريف سيدي عبد السلام بن العربي الوازاني]
(ت: 1310)

وخلف - رضي الله عنه - ولده الأشهر، العارف بالله الأكبر، ذا الكرامات الجسيمة، والأحوال الكثيرة العظيمة، الملامتي؛ أبا محمد سيدي الحاج عبد السلام. توفي - رحمه الله - يوم الخميس قبيل الفجر أو بعده بيسير، سابع ربيع النبوي عام عشرة وثلاثمائة وألف، ودفن بثغر طنجة لموته بحضرتها بزاوية جده مولاي الطيب الوازاني.

وبيت هؤلاء السادة بيت صلاح من قديم، يتوارثونه سلفا عن خلف، وأحوال من أشرنا إليه منهم ومناقبه كثيرة جدا لا تسعها مجلدات، رضي الله عن جميعهم ونفعنا ببركاتهم. . . آمين.

[31- الشريف سيدي محمد بن عمر ابن رحمون]

ومنهم: الشريف الأجل، الماجد المتبرك به الأفضل؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر ابن رحمون.

كان – رحمه الله – يخدم أولا صنعة الحرير، بطراز بدرب مينة المذكور، وكان الولي الصالح البهلول المتبرك به [105] سيدي أبو عياد ابن جلون، دفين الصاغة من عدوة فاس القرويين، يدخل عنده للطراز، ويطلع للمرمة، ويخدم له فيها و ينزل، حتى فتح الله عليه في الدنيا من أجل الصنعة، فجعل يدخل عليه للطراز، ويقول له: « قالوا: يكفيك ما خدمت من هذه الصنعة في هذا الطراز، فاتركه واخدم صنعة أخرى في طراز آخر »، وبقي يجئ عنده، ويقول له ذلك، حتى توفي مولاي قاسم ابن رحمون، وتوفي مقدم مولاي الطيب من بعد مولاي قاسم، وهو: مولاي التهامي بوعنان المترجم له بعد. فتولى التقديم والزاوية صاحب الترجمة حينئذ، وترك الطراز والصنعة، ودخل سوقا آخر، وهو سوق الفقراء والجمع معهم، والذكر والنظر في أمورهم كلها، إلى أن كان منه ما كان، وظهرت عليه علامات الخير، حتى توفي على ذلك. قال في "سلوك الطريق الوارية": « ودفن بزاوية مولاي قاسم بين قبره والمحراب ».

قلت: وغالب الظن أنه صاحب الدربوز والكسوة بداخل حوش الخشب الذي يدور بسيدي قاسم متصلا برجليه بينه وبين القبلة، وأهل الزاوية اليوم يسمون صاحب الدربوز المذكور: بسيدي محمد (فتحا) ومنهم من يعتقد أنه أخ لسيدي قاسم. . . والله أعلم.

[32- الشريف سيدي التهامي بن علي البوعناني]
(ت: 1154)

ومنهم: الشريف الأرضى، الولي الصالح المرتضى؛ سيدي التهامي بن علي البوعناني، من رهط سيدي علي بن أبي عنان قاضي فاس.

كان – رحمه الله – من الفقراء أصحاب القطب مولاي الطيب الوازاني، تحت يد مقدمه سيدي قاسم ابن رحمون. ولما توفي سيدي قاسم ولاه الشيخ مولاي الطيب على الفقراء أصحابه في زاوية الشرشور. وكان رجلا صالحا له إخبار بمغيبات ووقائع وكرامات لا تحصى، وكان من الرجال الذين لو أقسموا على الله لأبرهم، حتى كان إذا أقسم على نزول الغيث يصدقه الله تعالى ولا يحنثه.

توفي بالطاعون سنة أربع وخمسين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بسيدي قاسم بن محمد ابن رحـمـون الزرهوني، في الركن الذي عن يسار الداخل في أقصى الزاوية، وهو ملتصق بجوار الفندق ». قال: « وأوقف على هذه الروضة ثلث ما له؛ فحصل لها منه أوقاف هي بأيدي من عينت له ». انتهى. ترجمه فيه في خاتمة الجزء الثاني على ما يوجد في بعض نسخه.

وكلامه هذا يدل على أنه صاحب القبر الذي بباب القوس، الكائن تحت الباب المفتوح من ناحية حومة زقاق الحجر؛ لأن هذا المحل هو الذي كان ركنا للزاوية في أقصاها، يسار الداخل من الباب الأصلية، وهي باب درب مينة، وكان مجاورا للفندق الكائن هناك قبل زيادة البلاطين [106] المزيدين منه في الزاوية المذكورة، وأهلها اليوم يعظمون هذا القبر ويحترمونه، إلا أن بعضهم ينسبه لمولاي أحمد ابن رحمون أخي سيدي قاسم، والظاهر أن ذلك لا يصح؛ لما ذكره في "تحفة الإخوان" من أن سيدي أحمد المذكور توفي في أوائل رمضان عام سبعة عشر ومائة وألف، فتكون وفاته متقدمة على وفاة سيدي قاسم بنحو من اثنين وثلاثين عاما، والدار التي دفن فيها سيدي قاسم، وجعلت زاوية للدفن بعده إنما اشتراها قرب وفاته كما تقدم عن "النشر"، فلا يمكن أن يقال حينئذ: إنه دفن معه فيها. والله أعلم.

[33- سيدي عبد الوهاب بن عبد الواحد الفندوشي]
(ت: 1160)

ومنهم: السيد الصالح، البركة الفالح، أبو محمد سيدي عبد الوهاب بن الشيخ الأستاذ المقرئ المتصوف؛ أبي محمد سيدي عبد الواحد الفندوشي.

كان – رحمه الله – صالحا خيرا، دينا ناسكا، يحترف صنعة البناء، وهو الذي بنى روضة شيخه سيدي قاسم ابن رحمون. أخذ عن الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوازاني، ودخل في تقليد مقدمه سيدي قاسم المذكور.

وتوفي بفاس بالطاعون في العشرة السادسة بعد مائة وألف. قال في "النشر": « و دفن بروضة سيدي قاسم ابن رحمون ». انتهى. ترجمه فيه في خاتمة الجزء الثاني على ما يوجد في بعض نسخه أيضا.

[34- سيدي عبد الله بن إبراهيم القليز]
(ت: 1093)

ومنهم: الولي الزاهد، المتقشف العابد، ذو الكرامات العديدة، والمناقب الحميدة، الملامتي؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن إبراهيم بن هلال الشهير بالقليز، (بفتح القاف أوله وتشديد اللام، فياء ساكنة، فزاي)، كذا ضبطه في "النشر".

ينتسب في الطريقة - فيما ذكره العلامة سيدي العربي بن الطيب القادري - لسيدي أحمد بن عمر الشريف البهلول دفين داخل باب الجيسة. وذكر بعضهم أنه أخذ عن سيدي محمد بن أحمد الحرار عن الشيخ سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي المشنزكي دفين الكغادين من داخل باب الفتوح. ووقعت له قضية مع سيدي أحمد بن عبد الله مَعَنْ الأندلسي، نفعنا الله بجميع أوليائه.

وقد ترجمه الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي في "مباحث الأنوار" آخر عده لمن لقي من الأخيار. فقال فيه ما نصه: « الزاهد الأوفى، والمتعبد الأصفى؛ الفقير: عبد الله يلقب: قليز، كان زاهدا في الدنيا، ولا يلبس في الغالب إلا المصبوغ، ويخبر بالغيوب كثيرا، وكان أول ملاقاتي له: أني دخلت المسجد الأعظم بالزاوية البكرية، في وقت خلوة، وذلك بعد صلاة العصر، فرأيته وحده وهو في ثياب رثة مستقبل القبلة، ساكتا كالمتفكر، ثم غلب عليه البكاء؛ فبكى بكاء شديدا؛ فتقربت إليه لألتمس منه البركة، فلما زاحمته في طلب الدعاء؛ قال لي: إنك [107] لا تدري ما أبكاني. كأنه يقول تسترا: لعله بكاء دنيوي! ».

« ثم رغبت في معاشرته؛ فلما خضت معه مرارا؛ فتح الله تعالى قلبه لي، وقد كان يمتنع متسترا، فأخبرني بغيوب قلبية ووصاني بوصايا، وأخبرني بغيوب تقع، ووقعت بعد إخباره بزمان، وقلت له يوما: إني أحبك. فقال لي: عندي من يجازي في الدنيا بالإحسان وفي الآخرة بالجنة. وكان لا يقبل الهدية من أحد، حتى إنه لما ظهر أمره عند الناس؛ أعطاه إنسان شيئا مستشفعا في قبوله بالنبي صلى الله عليه وسلم فأبى، فأنكرت في نفسي، واستعظمت أن لا يقبل بعد سؤال القبول بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقلت له: لم لا تقبل وقد قدم إليك النبي صلى الله عليه وسلم؟، فقال لي: اسكت؛ النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال لي: لا تقبل... ».

« ولقي الجلة من صالحي فاس؛ مثل الزاهد الغريب في زهده، العالم الأشهر الشيخ أحمد بن علي السوسي المشنزكي، والعارف بالله الأعظم، الشيخ محمد بن عبد الله الأندلسي المتقدم ذكره - أي في كلامه - وغير واحد. ولم يزل على حاله من التقشف والانقطاع حتى مات، ودفن بداره بفاس، بوصية منه، إلا أنه اعتراه في آخر أمره ما هو كالغيبة عن المعاملة العقلية، فيحتمل - والله أعلم - أن يكون ذلك منه تحامقا للستر... ». على عادته في المبالغة في الستر. انتهى كلامه.

ووفاته – رحمه الله – في السادس والعشرين من رمضان عام ثلاثة وتسعين وألف. على ما في "النشر" و"التقاط الدرر"؛ أو عام اثنين وتسعين. على ما في غيرهما عن نحو من ثمانين سنة. قال في"النشر": « ودفن بداره فوق رحا الحناء من زقاق الحجر، عدوة فاس القرويين، وأضيف له زاوية نسبوها لأبي القاسم ابن رحمون، بعد أن دفن بها، وتأنقوا فيها بالبناء والتزويق ».

قلت: وضريحه الآن ببيت من الزاوية المذكورة، بين باب زقاق الحجر ودار الوضوء منها، عليه دربوز وكسوة، وهو مشهور متبرك به.

[35– سيدي موسى بن علي السوسي]
(ت: 1042)

ومنهم: الولي الكبير، الشيخ الصالح الشهير؛ أبو عمران سيدي موسى ابن علي السوسي. كان – رحمه الله – بهلولا متجردا ساقط التكليف، أسمر اللون جدا، لم يتزوج قط، فلم يكن له عقب. وكان من أصحاب الأحوال وأهل الكشف الصحيح، مقصودا للزيارة في المهمات، وكان يخبر الزائرين له بحوائجهم، وينبئهم عما في ضمائرهم، وكان في أول أمره يذهب ويأتي، وفي آخر أمره دخل [108] حانوتا بالحومة التي بها ضريحه وأغلق عليه بابها، وصار لا يخرج منها لا لقضاء حاجة ولا لغيرها، وبقي بها إلى أن توفي. وكان الناس يفدون عليه فيها للزيارة، ويأتونه بالطعام كل يوم فيأكله هناك، فلما مات لم تر له فيها فضلة، وكان ذلك معدودا من كراماته. وهي كثيرة شهيرة.

ولا يعرف له شيخ، وقيل: إنه أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي وورزك السوسي، دفين خارج باب الشريعة وباب السبع من فاس الجديد، عن الشيخ أبي عثمان سعيد ابن عبد النعيم؛ دفين حاحة، عن الشيخ التباع تلميذ الشيخ الجزولي. وذكر في "المقصد" أن الشيخ سيدي قاسما الخصاصي كان يعده فيمن لقي.

وفي "الرحلة العياشية" أن شيخ مؤلفها: الولي الصالح، الناسك المجذوب السالك، ذا المآثر الغريبة؛ والأحوال العجيبة، سيدي أبا زيد عبد الرحمن بن أحمد المكناسي الحسني الإدريسي، لقي صاحب الترجمة واستمد منه مددا قويا، ثم ذكر فيها أنه – أعني: صاحب الترجمة – كان من أهل الحال القوي، غير معروف بالتسليك والتربية، وإنما يتصرف بالحال والجذبة. . . فانظره.

توفي – رحمه الله تعالى – يوم الأربعاء ثاني جمادى الأخيرة سنة اثنين وأربعين وألف، ودفن بمسجد حومة جرنيز الكائن بإزاء دار الدبغ، عن يمين داخلها، وضريحه به مشهور إلى الآن، عليه دربوز، وهو مزار متبرك به. ترجمه في: "المقصد" و"الروض"، و"الصفوة" و"النشر"، و"الزهر الباسم". . . وغيرها.

وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته المشهورة في صلحاء فاس مع رجل آخر بقربه يقال له: سيدي عبد الكريم؛ فقال:

ومنهم الشيخ الجليل الفائض	المتحقق الوصول الناهض
المرتضى موسى الأجل الأشهر	جرنيز قبره بها مشتهر
بقربه عبد الكريم ذكروا	له كرامات جليل خير

[36- الفقيه سيدي علي بن منصور الزموري]
(ت: 1107)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العالم العلامة النبيه، الصوفي المحدث أبو الحسن سيدي علي بن منصور الزموري الفاسي.

كان له درس بمسجد القرويين، وكان من أصحاب الشيخ أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ أيضا عن ولده سيدي محمد، وأجازه، وعن الشيخ ميارة الأكبر، ولازمه مدة، وعن الشيخ أبي علي اليوسي – رحمه الله – سمع عليه مختصر خليل.

وقال في "النشر": « ودخل يوما رجل من المجاذيب إلى القرويين، وقصد مجلس الشيخ اليوسي، وقصد منه صاحب الترجمة دون الحاضرين من أهل [109] المجلس، ثم قال لصاحب الترجمة: اعطني عشر موزونات وأعطيك مائة مثقال. ولم يكن عنده ما يعطيه. فأمره الشيخ اليوسي أن يسير ويأتيه بها، فذهب وجاء بها وأعطاها إياه، وانفصل الشيخ المجذوب بها، ثم أخذ الشيخ اليوسي يحث أهل المجلس على تحسين الظن بساتر عباد الله، فلم ينفصل المجلس إلا والسلطان مولاي الرشيد بن الشريف الحسني السلجماسي ورد في تلك الساعة لفاس، وكانت عادته في دخوله لفاس: يدخل للقرويين، ويخرج منها للمدرسة المصباحية. فتعرض له الشيخ اليوسي وصاحب الترجمة معه، فأعطى مولانا الرشيد مائة مثقال لكل واحد منهما. فقال اليوسي لصاحب الترجمة: إن هذا المجذوب أدى دينه ولم يماطل! ».

توفي – رحمه الله – يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب عام سبعة ومائة وألف، ودفن بضريح سيدي موسى بجواره.

وقد رأيت مكتوبا بخزانة كانت قبل هذه الأزمان عند رأس ضريحه – وهي اليوم بالحائط الذي وراء ضريحه وضريح سيدي موسى – ما نصه: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ الحمد لله الذي

صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾. [الزمر : 71].
صدق الله العظيم. وبلغ رسوله المصطفى الكريم. صلى الله عليه وسلم:

هذا مقام العالم المشهور وضريح سر الله بحر النور
كنز العلوم فريد أهل العصر في علم الحديث وفقهه المنشور
محيي رسوم مدارس التوحيد أي توحيد من وافاه بالتنوير
وسمي باب مدينة العلم انتما يا لابن منصور الرضى الزموري
في عام كمل شيبه شوقا دعي فأجاب عن حلل من التعمير
يا رب فارحمه وقدس روحه وامنن له بعطائك الموفور
يا رب نعمه وأكرم نزله بملائك تلقاه بالتبشير
وأثبه في جنات عدن بالرضى بجوار خيرة خلقك المشهور
صلى عليه الله خير صلاته تغشاه بالآصال والتبكير. انتهى.

[37- القاضي سيدي محمد ابن منصور الزموري]
(ت: 1114)

وأبو الحسن هذا هو: والد الفقيه الأجل، العلامة الأفضل، قاضي فاس ومفتيها وخطيب جامعها الأعظم؛ أبي عبد الله سيدي محمد ابن منصور الفاسي.

تولى - رحمه الله - القضاء بفاس، والإمامة والخطبة بالقرويين بعد عزل القاضي [110] بُردلة، ثم عزل ورد بردلة إلى محله، وبقي هو يدرس بالقرويين مختصر خليل والأنظام الثلاثة في الفروع، إلى أن توفي في العشرة الرابعة بعد مائة وألف بهذه الحضرة، ولا أدري هل دفن مع أبيه بهذا المسجد أو دفن في غيره؟. ترجمه في "النشر" في خاتمة الجزء الثاني.

[38- أبو المكارم سيدي تميم]

ومنهم: السيد الولي، ذو الجاه الرفيع والقدر العلي؛ أبو المكارم سيدي تميم. رأيت في بعض المقيدات عده من أولياء داخل هذه المدينة بمسجد درب الغرباء من هذه الحومة، وفي كلام لبعضهم ذكره فيه استطرادا، أنه: « هو الشيخ الولي سيدي تميم بن رَخُ بن تميم، صاحب الضريح بحومة جرنيز من فاس ». انتهى. ولم أعثر له على ترجمة، ولم يذكره ابن عيشون لا في "الروض" ولا في "التنبيه"... والله أعلم.

حرس ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة المعادي
وزقاق البغل والقطانين وما هو مضاف إليها

[39- الفقيه سيدي عبد الرحمن بن أحمد النالي]
(ت: 951هـ)

منهم: على ما اشتهر عند كثير من الناس: الشيخ الأستاذ، الولي الصالح، الزاهد الورع أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن أحمد الغماري النالي. منسوب لبني نال من بلاد غمارة، وهم ينتسبون للشرف، ويرفعون نسبهم إلى الإمام إدريس، من طريق سيدي يعلى - دفين طالعة فاس - بن إسحاق - ودفين مصمودة - بن أحمد - دفين كَرَاوة - بن محمد بن إدريس. وبيدهم رسوم وظواهر شاهدة لهم بذلك، وقفت على بعضها.

وقد ترجم صاحب الترجمة منهم ابن القاضي في "جذوة الاقتباس" فقال: « عبد الرحمن بن أحمد النالي، معلم الصبيان بمكتب المعادي، الرجل الصالح الورع الزاهد، توفي بمدينة فاس سنة إحدى وخمسين وتسعمائة. وهو أول ميت جاز على جسر الرصيف ». انتهى. يعني: بعد تجديده.

وترجمه أيضا في "درة الحجال" فقال: « عبد الرحمن بن أحمد النالي: معلم الصبيان، الأستاذ أبو زيد، توفي سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، أخذ عن أبي زيد عبد الرحمن بن إبراهيم - يعني: الدكالي المشنزائي الفاسي - وغيره، وهو أول ميت اجتاز على جسر الرصيف الذي ورّخ تمام بنائه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي بقوله:

جسر الرصيف أبو العباس جدده	فخر السلاطين من أبناء وطاس
وجاء في غاية الإتقان مرتفعا	لمن يمر به من عَدْوَتَيْ فاس
وكان تجديده في نصف عام غنا[1]	من هجرة المصطفى المبعوث للناس

[111] وهذه الأبيات مكتوبة في مربعة هناك من الحجر ».

ووجدت في بعض الشجرات أنه: أخذ الطريقة عن سيدي علي حاموش، دفين خارج باب الفتوح، وأنه أخذ عنه سيدي محمد الحضري، والله أعلم. واشتهر عند كثير من الناس أن ضريحه بالمسجد المعروف به الآن من حومة المعادي بالقويسة التي بالحائط الموالي لباب الدرب هناك، وجرى

---

[1] أي بجمع أرقام الحرفين (غ) و(ن)، عن طريق حساب الجمل، يعرف تاريخ البناء؛ أي: سنة 950.

على ذلك الشيخ المدرع، في منظومته في "صلحاء فاس". فقال أثناء عده لمن أقبر بالدور والحومات من صلحاء داخل المدينة:

وسيدي التالي جليل يعتبر بجامع المعادي ذكره اشتهر

وأخبرت أنه: كان عليه بالمحل المذكور دربوز صغير، وفوقه بيض النعام ونحوه مما يدل على وجود القبر، لكن رأيت في بعض التقايد المقيدة في صلحاء فاس عده في جملة صلحاء داخل باب الفتوح، والظاهر: اعتماد ذلك. لأمور:

أحدها: أن الدفن في الجامع المذكور غير متأت ولابد، من جهة أنه محمول على الوادي هناك، إلا أن يكون دفن في جوف الحائط. وفي ذلك بعد.

ثانيها: أن المحل الذي يقال: إنه دفن فيه منه. حفر في هذه الأيام لأمر اقتضاه؛ وبحث فيه عن القبر؛ فلم يوجد له أثر. وقد شاهدته محفورا فما رأيت للقبر أثرا.

ثالثها: أنه تقدم عن ابن القاضي أنه أول ميت اجتاز على جسر الرصيف بعد تجديد بنائه، والمتبادر إلى الأذهان منه أنه اجتاز لتلك الناحية لموته بهذه؛ واحتمال أنه اجتاز لهذه الناحية لموته بتلك. وإن كان غير بعيد كل البعد لكن الأقرب خلافه، وإنه كان يسكن في هذه لقربها من مكتبه مع أن الإقدام على الدفن بالمسجد المحبس بخصوص الصلاة ونحوها تقدم منعه فيبعد من أهل الفضل المتولين لدفنه ارتكابه بلا ضرورة. . . والله أعلم.

[40- شيخ الإسلام سيدي محمد التاودي بن الطالب ابن سودة المري]
(ت: 1209)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه العلامة، المحقق المدقق الدراكة الفهامة، الولي الصالح، البار الناصح، المتهجد الخاشع، الخاضع المتواضع، المنور السريرة والفكرة، السريع البكاء والعبرة؛ أبو عبد الله سيدي محمد التاودي نسبة في الأصل إلى تاوْدة، بضم الواو: قرية من أعمال فاس، ثم صار أهل المغرب، وخصوصا أهل فاس يلقبون به أبناءهم تيمنا ببعض من ينسب إليها؛ وهو: أبو عبد الله التاودي دفين خارج باب الجيسة من فاس - ابن محمد الطالب بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن محمد بن أبي القاسم [112]- القادم من قاعدة الأندلس وحاضرتها إلى فاس، المعروف بابن سودة بضم السين وفتحها، وهو لقب أحد أجداده، المُرِّي بضم الميم وكسر الراء المشددة نسبة إلى مُرة. والظاهر - وهو الذي جزم به العلامة الرهوني - أن المراد به: مرة قريش. لأنه المتبادر عند الإطلاق وإن أريد غيره قيد. الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا.

كان – رحمه الله – ممن جمع بين جلالة العلم والدين، وسلك منهاج السلف الصالح المهدين، شيخ الجماعة في وقته ودهره، وممن ألقت إليه العلوم بالزمام في عصره، قد تضلع من جميعها، واعتكف على تفهمها وتفهيمها.

أخذ عن جماعة من أشياخ وقته، ممن هو مذكور في فهرسته؛ كالشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن جلون، والشيخ أبي العباس أحمد بن علي الوجاري، والشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد الشدادي، والشيخ أبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي؛ وهو عمدته، والشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسين الجندوز، والشيخ أبي البقاء يعيش بن الرغاي الشاوي الفاسي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد التاق، والشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن قاسم جسوس... وغيرهم.

وأخذ – أيضا – عن غير واحد من علماء المشرق، وتبرك بكثير من الأولياء والصلحاء مغربا ومشرقا، وأخذ عنهم واغترف من بحارهم، واقتبس من أنوارهم؛ من جملتهم: الولي الكبير، القطب الشهير، مولانا أحمد بن محمد الصقلي الحسيني.

وأخذ عنه هو خلق كثير، وجم غفير، من أجلهم: ولده أبو العباس أحمد، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن الجنوي الحسني، والشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الورزازي، والشيخ أبو العباس أحمد الملوي، والشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران، والشيخ أبو العلاء إدريس بن زين العابدين العراقي، والشيخ أبو زكرياء يحيى بن المهدي الشفشاوني، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عمرو الزروالي، والشيخ أبو الفيض حمدون ابن الحاج، والشيخ أبو الربيع سليمان بن محمد الحوات، والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الحاج الرهوني... وغيرهم ممن يطول ذكره.

وحج سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، فلقي بالمشرق جماعة من أهل الخير وتبرك بهم؛ كالشيخ السمان، والشيخ مرتضى الحسيني، شارح "الإحياء" و"القاموس"، وأخذ عنه هو أيضا وتبرك، وقد قال في شرحه على "القاموس" في مادة: سَوِدَ: « ومحمد بن الطالب ابن سَوْدة بالفتح، شيخنا المحدث، الفقيه المغربي، ورد علينا حاجا [113] وسمعنا منه »، وسمع منه أيضا بالمدينة المنورة ومصر خلق كثير، وكان له بفاس وغيرها من أقطار المغرب صيت عظيم وظهور تام، عند الملوك فمن دونهم من الخاص والعام، وإليه المرجع في كل أمرهم.

وكان مجتهدا في العبادة، حسن الخلق، محبا لآل البيت، شديد الاعتناء بأمور الناس، رقيق القلب، كثير البكاء، غزير العبرة، وله مآثر شهيرة، ومناقب كثيرة، وبركات حميدة، ومكاشفات عديدة، وطال عمره إلى نحو من أربعة وثمانين عاما، وهو ممتع بحاستي السمع والبصر، مع نحافة الجسم.

وألف تآليف عديدة: منها: حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل المسماة "بطالع الأماني"، وشرحه على "التحفة" لابن عاصم، وقد أقبل الناس عليه واعتمدوه واستحسنوه لاختصاره، وشرحه على "لامية الزقاق"، وحاشيته على صحيح البخاري، وشرح الجامع للشيخ خليل، و"مناسك الحج" و"فهرسة" جمع فيها أشياخه المغاربة والمشارقة، وتأليف فيمن لقيه وانتفع به من الأولياء . . . إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وأولع بالشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه؛ فكان ممن أنفق عمره في زيارته، وبذل جهده في التماس اليمن من عنايته، حتى لقد وقف على قبره ما يزيد على السبعين مرة، وحمل في وجهته إليه من الأعمال والآداب كل برة، ملتزما للوقوف كل عام، وقلما تخلف لعذر فلحقه في ذلك الملام، وأنشد مرة عند قبره، وهو آخر ما أنشده عنده:

أتيتكم شيخا وكهلا وناشئا	وفي كلها أرجو نوالكم الجما
فها أنا مد خيبتها بفنائكم	على وهن والضعف مني قد عما
فلا ترجعوني دون فيض بحاركم	ولا تحرموني من مواهبك العظما

ولما رجع من هذه الزيارة؛ لاحت عليه من الخصوصية العظمى الأمارة، بتوارد الأحوال، وتعاظم الواردات في الأفعال، وصرف المنازلات، إلى وح المعاملات، حتى ربما غاب في النبي المختار، وباح بخفي الأسرار، وكشف عن وجه الجمال الأستار، ثم لما رشحت بما فيها الأواني، تظاهرت على بواطنه ظواهر مرض روحاني، فلزم معه المضجع ما أربى على سنة، وهو في حال من الغيبة كأنها سنة، ثم برئ من ذلك، وقوي لحمل ما حمله من الأسرار والأنوار هنالك.

ولم يزل على حالة مرضية، وشارة حسنة مزهية، إلى أن توفي عند عصر يوم الخميس تاسع وعشري ذي الحجة [114] الحرام سنة تسعة ومائتين وألف، ودفن من الغد بعد صلاة الجمعة في مسجد القرويين، وبعد ما صلى عليه ولده الفقيه القاضي سيدي أحمد، في زاويته الكائنة قبالة داره بحومة زقاق البغل، وهي الآن مسجد تقام فيه الصلوات الخمس، وقبره بها يمين محرابها ملتصق بجداره عليه دربوز، وهو مشهور مزار متبرك به.

ترجمه تلميذه أبو الربيع الحوات في تأليفه المسمى "بثمرة أنسي في التعريف بنفسي"، وأفرد ترجمته في مؤلف حافل، جمع فيه شيوخه وتلامذته، ومن لقي من الصلحاء، ومن درج من آبائه من العلماء، ومن خلف من الأبناء والأحفاد . . .، إلى غير ذلك. وسماه "بالروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة"، وترجمه أيضا صاحب "سلوك الطريق الوارية"، والعلامة الرهوني أول حاشيته على الزرقاني، وأبو العباس ابن عجيبة في "طبقاته" وغيرهم؛ والله أعلم.

[41- الإمام المشارك سيدي أحمد بن التاودي ابن سودة المري]
(ت: 1235)

ومنهم: ولده الأكبر، وبدر حالته الأنور، الإمام العالم العلامة، المشارك القدوة الفهامة، السيد الأعمد، والهمام العلم الأوحد: أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي التاودي ابن سودة المري الأندلسي الفاسي.

ولد - رحمه الله - سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ونشأ في حجر أبيه في عفة وصيانة، ومروءة وديانة، لا يلاعب الصبيان في ملعب، ولا يخالطهم في غير مكتب، ثم أخذ في الاعتناء بالمتون، على حسب المتداول بين الناس في الفنون.

ثم لما نجب، وجد في الطلب، أخذ في قراءة العلوم، وتصدى لمعرفة المنطوق منها والمفهوم؛ فقرأ على عدة من الأشياخ، منهم: والده وهو عمدته، وعنه أخذ أكثر الفنون من تفسير، وحديث، وفقه وأصول، وكلام ومنطق، وبيان ونحو، وتصريف وتصوف... وغيرها. وقرأ أيضا على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن الجنوي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني، والشيخ أبي حفص الفاسي، والشيخ أبي محمد عبد القادر بوخريص الفيلالي... وغيرهم.

ثم لما تأهل للأخذ عنه، والانتفاع به؛ أذن له والده في التدريس؛ فدرس وأفاد، وتصدى لنفع العباد، وانحشر إلى مجلسه أكابر طلبة فاس، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، وأقامه والده لما أراد السفر للحج، سنة إحدى وثمانين، مقامه في إقراء صحيح البخاري، في الأشهر الثلاثة، وأمر أعيان مجلسه ونجباءه أن يحضروا مجلسه للسماع منه، والقراءة عليه، فحضروا حضور استفادة، وأيقنوا معه أنه من أولي التحصيل والإجادة [115].

وكان - رحمه الله - قد خطب في حياة أبيه بالسلاطين، فوجدوا منه في الوقت ما تجدونه من أفاضل الوعاظين، وسلم له في وقته قلم الفتوى، فيما يعرض من نوازل الدعوى، مع المهارة في صناعة التوثيق، والسير في إظهار الحق على مثلى الطريق، في خط رائق، ولفظ فائق.

وتولى خطة القضاء آخر الدولة المحمدية وصدرا من المملكة اليزيدية، بفاس الإدريسية مرة، وأخرى بالمرينية، وكان السلطان أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله رتب له في الولاية الأولى بفاس الإدريسية مرتبا لم يعهد مثله لغيره، ولما بويع السلطان مولانا سليمان استأنف له ولاية لم ير الراؤون مثلها، إذ كان دون غيره أحق بها وأهلها، مفوضا له بالنظر في جميع القضاة، يفعل فيهم ما شاء من نفي وإثبات، فأحسن السيرة في الناس، لا يعدل في الحكم عن النص أو القياس.

وكان شديد التعظيم للشريعة، عظيم الصولة في سد الذريعة، لا يداهن ولا يرائي، ولا يخشى إلا سطوة الباري، ولم يشغله ما كان يعانيه من فصل الدعاوي بين الخصوم – على كثرتها – عن تدريس العلوم، ولا عن الأوراد والأذكار، التي كان يذكرها في الليل والنهار، وكان قد أسند إليه والده ما عهد له به أشياخ الطريقة الناصرية من تلقين أورادها، ثم جدد له الإذن بذلك شيخ تلك الطريقة: الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن يوسف ابن ناصر الدرعي التمجروتي.

وله – رضي الله عنه – أجوبة حسنة في مسائل عديدة من أبواب الفقه وقفت عليها؛ ومن المفاخر التي لازال يذكر بها: أنه لما ضعف بصره عاده السلطان أبو الربيع مولانا سليمان بن محمد العلوي بزاوية والده تعظيما له وللعلم الشريف الذي قام به.

ولم يزل – رضي الله عنه – على حالة مرضية، وشارة حسنة زكية، إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بزاوية والده وراءه متصلا به.

ترجمه صاحب: "الروضة المقصودة"، إلا أنه لم يذكر وفاته لكونه كان حيا في وقته... والله أعلم.

[42– قاضي الجماعة سيدي العباس بن أحمد ابن سودة]
(ت: 1241)

ومنهم: ولده الفقيه الوجيه، العالم المدرس النبيه، ذو الأخلاق الكريمة، والطباع الحسنة الجسيمة، قاضي الجماعة بفاس؛ أبو الفضل سيدي العباس بن العلامة سيدي أحمد بن شيخ الجماعة سيدي التاودي ابن سودة المري القرشي.

قال في "الروضة المقصودة": « نشأ في عز وعفاف، متصفا بجميل الأوصاف، لا يعرف لغير العلم طريقا، ولا يتخذ من غير [116] أهله رفيقا، يطأ الثريا بأخمصيه، مشتغلا بالقراءة حتى بلغ في العلم أطوريه؛ يلزم مجلس أبيه بدرا سنيا، لا يصده عنه عذر بكرة وعشيا، بذهن غواص، وصدق في الطلب وإخلاص، ويتردد لمجالس غيره، رشفا من ديمه أو غرفا من بحره، كثير المباحثة، جميل المشاركة. ثم لما آنس من نفسه رشد الفتح المبين؛ عقد مجلسا للتدريس في كل يوم حينا بعد حين، مقتصرا على مجلس أبيه، ولا شك أنه عن غيره يغنيه، وعلمه في جميع الفنون ينمو، وقدره في سماء المجد يسمو:

إن الهلال إذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

وقد أخذ – رحمه الله – أيضا عن صاحب "الروضة" المذكورة، وهو أبو الربيع مولانا سليمان ابن محمد الحوات. وقد ذكر فيها أنه ممن أكثر التردد إليه، وجثا بين يديه للقراءة عليه، وعن أخيه أبي حامد سيدي العربي، وغيرهما.

ولما ضعف بصر والده، وعجز عن مطالعة الرسوم وإثباتها؛ طلب من السلطان مولاي سليمان تأخيره عن القضاء؛ ففعل، وولى مكانه ولده صاحب الترجمة، وذلك سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف، وكان إذ ذاك ابن تسع وعشرين سنة، فكان كلما عرض له خطب في نازلة مشكلة أو دعوة مشتبكة، يرد أمرها لوالده المذكور، ويستشيره فيها؛ ثم إنه أخر عنه بعد موت والده بنحو من أربع سنين، وذلك ثامن ربيع الأول سنة تسع وثلاثين، وولي مكانه الفقيه أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الدكالي.

وكانت وفاته – أعني: صاحب الترجمة – ليلة الجمعة سادس وعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف، ودفن بزاوية جده وراء والده متصلا به.

[43- قاضي الجماعة الشريف مولاي عبد الهادي بن عبد الله العلوي المدغري] (ت: 1272)

ومنهم: شيخ بعض شيوخنا الأكمل، الفقيه العلامة الأنبل، المحصل المحقق، النوازلي المدقق، قاضي الجماعة بحضرة فاس ومفتيها؛ أبو الجد مولانا عبد الهادي بن الفقيه مولاي عبد الله بن العلامة مولاي التهامي بن عبد الله بن الشريف بن عثمان بن إبراهيم بن عثمان بن طاهر بن الحسن ابن يوسف ابن مولانا علي الشريف الحسني العلوي السجلماسي المدغري.

ولد – رحمه الله – بأولاد شاكر بالرتب. الذين هم من العلويين اليوسفيين، ونشأ في حجر جده مولاي التهامي، ولازمه في جل الفنون المتداولة، ولما توفي جده ارتحل إلى فاس، وأخذ عن جمع من الأعلام بها؛ كالشيخ أبي محمد عبد القادر ابن شقرون، وأبي الجمال سيدي الطيب ابن كيران، وغيرهما.

قال [117] في "الإشراف": «وكان من الأئمة المعتبرين، والأعلام المشهورين؛ مشاركا في عدة علوم، بصيرا بالمذهب وفروعه، ضابطا لقواعده، عارفا بصناعة الأحكام، فصيح اللسان، صحيح النظر، قوي الحجة، حافظا متقنا، جماعا للدواوين، متبحرا في معرفة أسماء الكتب، كلفا بالمطالعة، من بيت قديم في العلم والعمل، صاهره مولانا السلطان وولاه قضاء الجماعة بالحضرة الإدريسية، هذه مدة من عشرين سنة. . . وهو الآن قائم الحياة ».انتهى.

وكان – رحمه الله – عظيم الحرمة، شديد المهابة، يخضع لمهابته أكابر الرؤساء فمن دونهم، وكان يخاطب السلطان وحواشيه بكلام لا يقدر أحد أن يخاطبهم به، وانتهت إليه رئاسة العلم في وقته، ورئاسة الفتوى قبل ولايته، وولي خطة القضاء بسلجماسة ونواحيها، ووليها أيضا بفاس وما والاها مرتين؛ المرة الأولى: في عاشر جمادى الأولى سنة أربعين ومائتين وألف، بعد عزل الفقيه سيدي محمد ابن إبراهيم الدكالي، ثم أخر في سادس ربيع الأول عام سبعة وأربعين، وولي بعده: سيدي العربي بن الهاشمي الزرهوني، ثم ورد الخبر بعزله من مكناسة ثاني عشر شعبان من العام المذكور، وولي بعده: الشيخ العلامة المحرر النوازلي أبو الحسن علي التسولي. والمرة الثانية: عام خمسين ومائتين وألف، لما أعفي الشيخ أبو الحسن المذكور وبقي بها إلى أن توفي.

ولعظيم مكانته عند السلطان الأفخم مولانا عبد الرحمن طيب الله ثراه – صاهره بابنته السيدة خديجة، وكساه أردية الإحسان والقبول والإنعام، وأحله محل مهجته.

وأخذ عنه جم غفير من طلبة فاس وغيرها؛ منهم: سيدنا الوالد.

وله من التآليف: "شرح تيسير الوصول إلى جامع الأصول" لابن الديبع الشيباني. وتوفي ضحوة يوم الأربعاء تاسع رمضان سنة اثنين وسبعين ومائتين وألف، ودفن عصر يومه بهذه الزاوية، أعني: زاوية أبي عبد الله التاودي المذكور. قريبا منه، وراء حفيده سيدي العباس المترجم له قبله؛ متصلا به. وحضر جنازته أهل فاس على التمام، وأهل الدائرة السلطانية، وولد السلطان الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن.

[44– الفقيه سيدي محمد الطالب بن أحمد ابن سودة المري]
(ت: 1252)

ومنهم: الفقيه البركة الأمثل، العالم المسن الأحفل، المجتني من بحر العلوم أنفس المطالب؛ أبو عبد الله سيدي محمد الطالب بن العلامة أبي العباس أحمد بن الشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري.

ربي – رحمه الله – في حجر أبيه [118] منظورا إليه بعين الرعاية من جده، لا يكاد يسلو عنه في وقت من الأوقات. وقرأ القرآن قراءة تجويد وإتقان، ثم أخذ في تعلم العلوم على أبيه وجده؛ فقرأ على أبيه مقدمة ابن آجروم، و"الألفية"... وغيرها من كتب الوسائل المتداولة. وسمع عليه "صحيح البخاري" مرتين، وقرأ عليه "مختصر خليل" مرتين أو ثلاثا، و"رجز ابن عاصم". وسمع على جده جملة من تفسير القرآن العزيز، و"صحيح البخاري" مرتين أو ثلاثا، و"مختصر خليل"... وغير ذلك. وحصلت له – رحمه الله – ملكة التدريس، لكنه حصل له من اليسار ما شغله عنه ولم يجلس له إلا قليلا. ولم يحصل به كثير النفع.

وكان بعيد الساحة عن كل ما يخل بالمروءة، كثير الأذكار، آناء الليل وأطراف النهار، كريم المعاشرة، جميل المباشرة، رفيع القدر، سالم الصدر، نزيها صينا، هينا لينا، خيرا دينا، لا يقف به علو الهمم، في مواقف التهم، ظاهر الإنصاف، واسع الإسعاف، نزيه النفس عما لا يعني، كثير السعي لما يغني، من أسباب الدنيا والآخرة، بجوارحه الباطنة والظاهرة.

ترجمه صاحب "الروضة المقصودة" إلا أنه لم يذكر وفاته فيه؛ لكونه تأخر بعده كثيرا، وكانت وفاته سنة اثنين وخمسين ومائتين وألف، ودفن بزاوية جده المذكور قريبا من محرابها، يتصل رأسه برجلي والده أبي العباس أحمد. وقد رأيت أبياتا مكتوبة قبالة وجه ضريحه من إنشاء ولده الفقيه الأديب البارع الخطيب أبي اليمن سيدي جعفر، رثاه بها ورمز فيها لتاريخ وفاته نصها:

إن يوم الفراق يوم طويل ... فيه ذقنا كؤوس صاب وصبرِ

فتضرع إذا فقدت خليلا ... وتَدَرَّع لدا الرزايا بِصبرِ

قد قضى طالب المكارم نحبا ... وحباه الإله أجزل أجر

قد قضى نحبه وراح لسروح ... في نعيم تبقى وبُشرى وبشر

فهو في روضة الجنان مقيم ... مُرتَد برداء سندس خُضر

في سرير السرور ضاجع حورا ... قصرتُ في قصور نظم ونثر

والسعادة أرَّخَتْ في وفاة ... لاح ورد الرضى وفاح بعشر

فسقى قبره سحائب رحمى ... ما تباهت آيات سحر بشِعرِ

[45- الأديب الشاعر سيدي جعفر بن الطالب ابن سودة المري]
(ت: 1276)

وقد كان ولده المذكور شاعرا مجيدا خطيبا بليغا، يخطب بجامع الأندلس من فاس وأخذ عن أبيه وجده أبي العباس. توفي بالطاعون ثاني عشر ذي الحجة سنة [119] ست وسبعين ومائتين وألف. ودفن بالزاوية المذكورة بإزاء الحائط الممتد من باب الصومعة إلى الصحن.

[46- العالم الأديب سيدي عبد الواحد بن أحمد ابن سودة المري]
(ت: 1253)

ومنهم: شيخ بعض شيوخنا: الفقيه العلامة الأديب، الخطيب البليغ المنشئ الأريب، البارع المحقق، النحوي اللغوي المدقق؛ أبو مالك سيدي عبد الواحد ابن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد ابن التاودي ابن سودة المري الغرناطي الفاسي.

ربي – رحمه الله – في حجر أبيه، وقرأ القرآن، وأخذ في تعلم العلوم؛ فقرأ على أبيه، وأخيه أبي حامد سيدي العربي، وعلى الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج وغيرهم. وأدرك جده بالحياة فأخذ عنه.

وكان فقيها علامة مشاركا، أديبا خطيبا بليغا، ماهرا في النحو واللغة والأدب والإنشاء... وغير ذلك. وانتفع به جم غفير من الطلبة.

توفي – رحمه الله – آخر رمضان عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف، ودفن بزاوية جده المذكور قريبا من محرابها أيضا.

[47- العارف الشريف سيدي الطائع (المسلطن) بن إدريس الكتاني] (ت: 1264)

ومنهم: جد والدنا: الشريف البركة الصالح الأرقى، الأوجه الأنزه الأتقى، المهاب المسن الذاكر، الخاضع لمولاه الحامد الشاكر؛ أبو الحلم سيدي الطائع بن إدريس بن محمد الزمزمي الحسني الإدريسي، الشهير بالكتاني.

أورده في "نظم الدر واللآل" وحلاه بـ: الشريف الأسعد، الوجيه النزيه الفاضل الأمجد، البركة صاحب الصلاة والأذكار.

قلت: وكان – رحمه الله – ذا سمت حسن، وخلق مستحسن، وتودة عظيمة وصيت وفخار، وهيبة وسكينة ووقار، يخضع له كل من يراه، ويقر بفضله وعزته وعلاه، وكان كثير الأذكار، والصلاة على النبي المختار، ذا كشف وصلاح ودين متين، وفضل وخير مستبين، وكان قليل الأكل جدا، ويأكل في أكثر أوقاته ما وجد من اليسير، من غير تكلف ولا سرف ولا تبذير، سريع العبْرة والعَبْرة، طويل الفكرة، كثير الجلوس بمسجد القرويين، ويلازم الجلوس فيه في رمضان فيجلس فيه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

صحب ابن عمه الولي الكبير، العارف الشهير؛ سيدي الوليد بن هاشم الكتاني دفين مصلى باب الفتوح، وشاهد من بركاته وكراماته وأسراره ما لا يكيف ولا يحصى، ونال منه الفضل العظيم الذي لا يستقصى.

ويحكى: أنه أتى إليه مرة وقال له: « اعطني خبزة وخليعتين»[1]، فامتنع من ذلك صاحب الترجمة لما فهم من إشارته بذلك لموت ولدين من أولاده، وقال له: « أنا بالله وبالشرع معك لا أعطيك شيئا». فقال له: « لابد من ذلك!!. ولا أذهب إلا إذا أخذتهما » . فدفعهما له [120] ودموعه تقطر على لحيته، فذهب بهما ثم أتاه بعد ذلك بشاشيتين؛ وقال له: « خذ هاتين بدل ما أعطيتني؛ وهما بعالم وولي يكونان في نسلك لا ينقطعان إلى يوم القيامة. . .». فرضي بذلك صاحب الترجمة. وما مضت بعد ذلك أيام، حتى مات له ولد بالطاعون يسمى: إسماعيل، كان أعز أولاده عنده، وماتت له ابنة أخرى؛ وظهر بعد ذلك مصداق ما أخبره به، من وجود العلم والولاية في نسله والحمد لله.

وكان لصاحب الترجمة عدة كرامات يعلمها بعض من لازمه. ومن كراماته: أنه كان إذا رأى والدي في حال صغره يقول له: « مرحبا بقاضي القضاة، ومفتي العلماء!! »، فكان كما أخبره. فإنه اليوم مفتي فاس، وتصدر القضاة بها كثيرا عن رأيه وفتياه. وقد عرض عليه القضاء في عدة حواضر من المغرب فامتنع منه ولم يقبله. وكذا كان يلقب غير واحد من أحفاده بلقب؛ فيظهر مصداق لقبه له بعد ذلك.

وأخبر بموته، واشترى موضع قبره من حفدة الشيخ سيدي التاودي بزاويتهم، وعين لهم الموضع الذي يدفن فيه قبل موته بنحو العشرين يوما. وقال لبعض حفدته من أبناء العم: « إذا جاء يوم الخميس، فاعلمني به ». فلما كان يوم الخميس أعلمه به، فقال له: « إذا كان العصر؛ فأعلمني »، فأعلمه به، فأرسله وراء ولديه: جدي إدريس وعم والدي عمر، فجاءا وهو يذكر الله تعالى ويرحب بالناس ويقول: « مرحبا بسيدي فلان. . . »، ويسمي بعض الصحابة رضوان الله عليهم، ومن معه لا يرى أحدا، ومازال يذكر الله تعالى ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم حتى خرجت روحه على قوله: اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق. على قوله: والخاتم لما سبق. وذلك يوم الخميس بعد صلاة العصر ثامن وعشري جمادى الأخيرة، سنة أربع وستين ومائتين وألف. ودفن بالزاوية المذكورة تحت الخزانة الصغيرة التي عن يسار محرابها .

---

[1] الخليعة: قطعة القديد . وهو لحم يجفف بطهي بطريقة معينة.

[48- القاضي سيدي محمد بن عبد الواحد ابن سودة المري]
(ت: 1299)

ومنهم: شيخنا الفقيه، العالم العلامة، الحبر الفهامة، النحوي اللغوي الأديب، البركة المسن الأديب؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن الشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري كان - رحمه الله - ممن له الباع الكبير، في علم النحو وإليه فيه المصير، وكانت له مشاركة في غيره، وقلم بارع في الإنشاء، وملكة جيدة في الشعر والتوثيق، وكان فاضلا خيرا دينا بعيدا عن خوارم المروءة ومواضع الريب.

ولي [121] القضاء مرة بقصر كتامة ثم أقيل منه، وتولى الخطابة بجامع الديوان من فاس، ثم بجامع الأندلس، وبقي خطيبا به إلى أن توفي. وكان فصيح اللسان، حلو المنطق، وله خطب فائقة يؤثر وعظه فيها في القلوب، وحج بيت الله الحرام، وزار قبر نبيه عليه السلام.

وتوفي أواخر ذي القعدة الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين وألف. ودفن بصحن الزاوية المذكورة قريبا من وسطه.

وأخبرني بعض العلماء أنه رآه في النوم بعد وفاته، وكتب العلم دائرة به، فسأله عن حاله؛ فأخبره أن الله عز وجل قد غفر له.

[49- العلامة سيدي أبو بكر بن التاودي ابن سودة المري]
(ت: 1215)

ومنهم: الشيخ الإمام، العلامة المشارك الهمام، الأستاذ المجود المتقن، الضابط المحدث المتفنن، أبو محمد سيدي أبو بكر ابن شيخ الإسلام أبي عبد الله سيدي محمد التاودي ابن سودة المري.

نشأ - رحمه الله - في حجر أبيه، ساعيا فيما يعنيه، فقرأ القرآن بالروايات السبع، وأحكم أحكامه على طريق الإفراد والجمع، وحفظ المتون العلمية، المتداولة بحسب العناية الوقتية، ومن الأشعار والتواريخ والأجفار، ما تكمل به البغية وتنال الأوطار، وقرأ على أخيه أبي العباس جملة وافرة من العربية وغيرها، ثم لزم مجلس أبيه في "الوسائل" و"المقاصد"، حتى صار صدره مملوءا بالفوائد.

وحج مع أبيه ولبى وزار، ولقي بالمشرق جماعة من العلماء والفضلاء الأخيار، واقتبس من أنوارهم، واقتطف من أزهارهم، وأجازوه إجازة عامة، مطلقة تامة، ثم حج مرة ثانية وحده في حياة أبيه، ممتعا من سلطان الوقت بما يحتاج إليه فيها ويكفيه، وكان له خط رائق، وفهم فائق، وصوت حسن، يُذهبُ ترجيعه عن العين الوَسَن، في همة عالية، ومروءة إلى مكارم الأخلاق داعية، وكرم نفس ورقة سَجية، وطلعة يمن في غرة سنية، ومحبة صادقة في الصالحين، ومودة شرعية في آل سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم؛ محبوبا معظما عند كل إنسان، من السوقة وغيرهم حتى السلطان، جميل الهدي والسمت، حميد الوصف والنعت، يملأ القلوب هيبة ووقارا، ولا يوازيه أحد من أقرانه صولة واقتدارا .

وكان قائما بما يجب عليه لأبيه من الخدمة، خافضا له جناح الذل من الرحمة، لا يرى ولا يسمع لسواه، ولا يلتفت بقلبه وقالبه لمن عداه، بل سلب له الإرادة على جهة التحكيم، حتى شغله [122] ذلك عن القيام بأمر التدريس والتعليم، وكان تولى الخطابة مرة في جامع الشرابليين ثم نقل منها إلى جامع دار الدبيبغ، ثم منها إلى المدرسة العنانية، ثم تخلى عنها لغيره.

ولم يزل ملازما لخدمة أبيه إلى أن توفي؛ فلزم بعده بيته، معمرا بما يعنيه وقته، إلى أن توفي ضحوة يوم الأحد منسلخ شوال سنة خمس عشرة ومائتين وألف. ودفن بزاوية والده في الفناء الذي بآخرها، خلف الصحن، تحت الخزانة الثانية التي عن يسار الداخل إليه. ترجمه في "الروضة المقصودة" .

[50- الإمام العلامة سيدي العربي بن أحمد ابن سودة المري]
(ت: 1229)

ومنهم: الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، الفقيه المشارك المحقق، الضابط المتقن المدقق، الحجة الكبرى، والآية الجليلة العظمى؛ أبو حامد سيدي العربي ابن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد ابن شيخ الإسلام أبي عبد الله سيدي التاودي ابن سودة المري.

نشأ - رحمه الله - في كفالة أبيه وجده في أطيب وصف، وأحسن رصف، وحفظ القرآن صغيرا وجوده، ثم أخذ في حفظ أمهات العلوم بعده؛ فحفظ منها ما هو المتداول في هذه الأزمان، معتنيا بتكريره في كل وقت مخافة النسيان، ونور نجابته لائح، ومسك صيانته فائح، لا يشارك الصبيان في ملعب، وليس له في غير القراءة مأرب، ثم توجه للقراءة على والده، مقتبسا من أنوار فوائده، ثم صار يتردد بين مجالس أبيه وجده، فائزا من تحقيق كل منهما بأربه وزبده، مصحوبا بالفتح المبين فيما توجه له، لا يعزب عن فكره مطلب ولا تصعب عن ذهنه مسألة. ولما أحرز الخصل في مجال

التحصيل، وأحكم النظر في الأدلة على الإجمال والتفصيل، وزخر بالمشاركة بحره، وعظم على الأقدار بدره؛ تجلى مبرزا على منصة التدريس، لنشر ما انطوى عليه من العلم النفيس، فانحشر إليه الطلبة من كل فج عميق، وقام بسنة العلم قيام الأكابر وأهل التحقيق، وأجازه جده حينئذ ولقنه جملة من الأذكار، وكشف له الستر عن بعض ما كان عنده من الأسرار، فعظم في الناس قدره، وكثر في الخير ذكره، واشتهر صيته في الأقطار، واستفاض الحديث عنه في البوادي والأمصار.

وعم نفعه الوارد والصادر، حتى صار يضرب به بين الطالبين للفتح المثل السائر، وكان أكثر إقرائه لمختصر خليل، ختمه – مع قصر عمره – أربع مرات، ووقف في الخامسة على العدة، وأقرأ غيره من الكتب في غالب الفنون.

وألف تآليف عديدة: كشرحه "للموطا" إلا أنه لم يكمل، و"المنح القيومية، في شرح الوظيفة الزروقية" و"نهاية المنى والسول [123] في حب آل بيت الرسول"، و"فتح الملك الجليل، في حل مقفل فرائض خليل"، و"تحقيق الأنباء، فيما يتعلق بالطاعون والوباء"، و"القول الكاشف، في التخصيص والتقييد لنية الحالف"، و"تسهيل المطلب للطالب، في الرد على من حرم سكر القالب"، وله أيضا "شرح على خطبة الرسالة"، و"حاشية على شرح المكودي للألفية"، و"حاشية على شرح باحراق للامية الأفعال"، و"حاشية على الخرشي من البيوع إلى الإجارة" و"شرح على المرشد المعين"، لم يكمل، وشرح على "الشمائل" لم يكمل أيضا . . .

وأما تقاييده وأجوبته؛ فكثيرة، وله في النظم والنثر قريحة سيالة مع سرعة الإنشاء، والإبداع فيما شاء.

وكان كثير التلاوة والأذكار، والصلاة على النبي المختار، كثير المرائي النومية، بمشاهدة خير البرية، صلى الله عليه وسلم، محبا للصالحين، متحليا بحلية أهل الوقار والدين، ذا همة عالية، ووجهة عن كل ما يخل بالمروءة قاصية، مع حسن الخلق، والسير على مثلى الطرق، والسعي في مصالح المسلمين، ودرء مفاسد المفسدين.

وكان والده – رحمه الله – يستنيبه في الخطابة والأحكام، فيقوم بهما أحسن قيام، وأخذ للتبرك والعناية، بالانخراط في سلك أولي الرواية والولاية، عن الشيخ العلامة الصالح، أبي حامد سيدي العربي بن المعطي ابن الصالح، وعن الشيخ العلامة الجامع لأفراد المكارم، أبي عبد الله سيدي محمد ابن أبي القاسم، الفيلالي النجار، التادلي الدار والقرار، وهو صاحب المؤلفات، التي اشتهر منها نظمه وشرحه للعمليات. وأخذ عنه هو وانتفع به قوم كثيرون من أهل البادية والحاضرة.

توفي – رحمه الله – حياة والده يوم الأحد عاشر شوال سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، ودفن بزاوية جده بفنائها المذكور يمين الداخل إليه، وجعل على قبره دربوز، وهو مشهور مزار إلى الآن. ترجمه في "الروضة المقصودة" أيضا .

[51- الخطيب سيدي محمد بن العربي ابن سودة المري]
(ت: 1271)

وخلف – رحمه الله – ولده الفقيه الخطيب، العالم الأديب؛ أبا عبد الله سيدي محمد .

كان خطيبا بجامع الأندلس، وأخذ عن أبيه وجده أبي العباس، وتوفي بالطاعون خامس عشر ربيع النبوي سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف. ودفن بالزاوية المذكورة، قريبا من محرابها، يسارا منه .

[52- العارف الشريف سيدي عمر بن الطايع الكتاني]
(ت: 1278)

ومنهم: عم والدنا الشريف الفقيه، البركة النبيه، شهيد معركة الأولياء، والمخصوص بمحبة الصلحاء والأصفياء؛ أبو حفص سيدي عمر بن الطايع بن إدريس الكتاني .

كان – رحمه الله – خيرا دينا نقيا، ناسكا تقيا، حلو الشمائل [124]، جليل الفضائل، ذا عفة وصيانة، وعزة في القلوب ومكانة، قرأ بعض ما تيسر من العلم الشريف، واستظل بظله الوريف، وأخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية عن الشيخ العارف المربي أبي عبد الله سيدي محمد الحراق، نفعنا الله به .

وكان – رحمه الله – أحد الأولياء، والصالحين الأتقياء، إلا أنه كان خامل الذكر، لا يعرفه كثير من الناس بولاية، ولا يصفه بصلاح، وكان يقول فيه أخوه الولي الصالح المجذوب سيدي المنتصر بالله: « نور أخي عمر يشق السماوات ويصل إلى العرش » .

وأخبرني بعض أبناء عمنا من أولاده بأمور عجيبة غريبة، شاهدها قرب وفاة والده المذكور، تدل على ولايته وتصرفه، وأن سبب موته أنه اجتمع مع الأولياء في موطن، فاتفق رأيهم على وقوع شيء من البلايا. فقال هو: هذا لا يكون. وامتنع من موافقتهم؛ فضربوه ضربة مرض منها حتى مات. وكان يقول في مرضه ذلك: « الحمد لله الذي جعل من قال قولا ومات عليه يكون شهيدا، والله لا يكون إلا ما قلت، وأنا أعطي رقبتي في سبيل الله!! » .

توفي – رحمه الله – صبيحة يوم الأحد تاسع عشر جمادى الثانية عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف. ودفن بالفناء المذكور قريبا من رجلي سيدي العربي.

[53- الإمام العارف الشريف سيدي محمد بن عبد الواحد الكتاني]
(ت: 1289)

ومنهم: الولي الصالح، الشريف البركة الناصح، العابد الذاكر، القانت الشاكر، ذو القلب الخاشع، والنور الساطع، والأخلاق الحميدة، والشيم المرضية العديدة؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الواحد – المدعو: الكبير – بن أحمد الكتاني، أحد الشرفاء الكتانيين المعروفين الآن بفاس.

كان – رحمه الله – متبركا به، دينا صالحا، ذا سمت حسن، وأخلاق طيبة. وكان له اجتهاد في الذكر والعبادة والقيام في الأسحار، عظيم المحبة لقطب المغرب سيدنا ومولانا إدريس – رضي الله عنه – كثير الزيارة له، كثير الملازمة لضريحه، والصلاة فيه، لا سيما في السحر، لا يكاد يفارق فيه ضريحه أصلا إلا من مرض أو علة أو سفر.

وكان يحضر مجالس الوعظ والتذكير، والحديث والسير، ويسرد في زاويته بحضرته عدة كتب من ذلك ومن كتب التصوف.

وله أتباع وأصحاب يجتمعون معه في زاويته، ويعقدون بها حلقة الذكر، ويقرؤون الأحزاب وغيرها، ويأخذون من مذاكراته. وكان يمشي في السوق في جل الأوقات عاريا من الكساء ونحوه، وفي بعضها يجعل على كتفيه رداء الكتان الرهيف، وكانت له مشية حسنة ذات تؤدة وسكينة ووقار، وله كف ألين من الحرير، وكرم مفرط، والغالب أنه لا يُبَيِّتُ عنده شيئا من الدنيا، بل ما أفاء الله به عليه في كل [125] يوم يصرف منه على الأهل والعيال ما يحتاجون إليه، وما بقي يتصدق به على الضعفاء والمساكين والأطفال، هذه حالته دائما.

وحج – رضي الله عنه – بيت الله الحرام ثلاث مرات، وله رحلة في مجلد، جمع له فيها ما وقع له في حجته الثانية، ذهابا وإيابا، ومن أخذ عنه فيها من علماء المشرق وغيرهم؛ وهي المسماة "برحلة الفتح المبين في وقائع الحج وزيارة النبي الأمي الأمين". وكانت حجته الثالثة مشتملة على نوع من خرق العادة، وهو أنه: كان حين خروجه مريضا مرضا مخوفا يستبعد في العادة الخروج معه إلى السوق، فضلا عن الحج، ولم يكن يملك شيئا من الدنيا حين خروجه، إنما أخرج معه نحوا من اثنتي عشرة أوقية فلوسا، اشتراها بيضا من بعض الأعراب في الطريق، واستصحب معه أحد أولاده، فحجا وزارا على أحسن حال وأكمله، ورجعا سالمين غانمين. فكان ذلك معدودا من كراماته.

أخذ – رحمه الله – عن جماعة من الأخيار، والأولياء الكبار، كالشريف الأرضى، الولي الصالح سيدي محمد بن الطيب الصقلي الحسيني، دفين زاويته قريبا من حومة البليدة، بإزاء دار الدبغ، وصاهره شيخه المذكور بابنته، وكالولي العارف الأشهر أبي عبد الله سيدي محمد بن الحفيد الدباغ، دفين زاوية سيدي عبد القادر الفاسي، وكالشيخ الإمام العارف أبي عبد الله سيدي محمد بن القاسم القندوسي، دفين خارج باب الفتوح، وهو عمدته وإليه ينتسب. وأخبرني بعض من سمع منه أنه جمعه بالمصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة، بأول ملاقاته معه، وذلك ليلا في مسجد القرويين.

وأخذ أيضا بالمشرق عن جماعة من الأشياخ، وله منهم إجازات متعددة، في طرق شتى، وأخذ عنه هو بالمشرق وبغيره جماعة.

وشوهدت له بركات عديدة وكرامات؛ منها ما أخبرني به بعض أصحابنا قال: « كان بي مرض في عيني حتى كدت أن لا أبصر بهما؛ فرأيت سيدي محمد الكتاني في المنام وهو يمسح عيني، فأصبحت بارئا كأن لم يكن بعيني شيء ».

ومنها: ما أخبرني به بعض الناس من الثقات، عمن حدثه أنه لقي صاحب الترجمة مرة؛ فقال له: « تعطيني كذا وكذا، ولك حجة في هذا العام »، فأعطاه ذلك؛ وكان الرجل فقيرا لا طمع له في الحج؛ فيسر الله عليه الحج من عامه من حيث لا يحتسب ولا يدري.

ومنها: ما حدثني به بعضهم، قال: « كنت يوما طالعا لسوق الخميس، ومعي موزونة ونصف، أخذتها معي بقصد امرأة سائلة تكون في الطريق، فمررت بزاوية سيدي محمد الكتاني [126]؛ فإذا به جالس بباب الزاوية، فلما جزته ناداني، ولم يكلمني قط قبل ذلك، وقال لي: هات ذلك الذي عندك فإنك لا تحتاج أن تذهب به إلى الغير. قال: فدفعته له وانصرفت ».

ومنها: أنه أخبر غير واحد من الناس بيوم وفاته، وربما دعا بعض الناس إليها، وحفر قبره قبل موته بنحو الثمانية أيام، في زاويته في المحل الذي هو به اليوم، وكان ذلك بإثر الشروع في تجديدها والزيادة فيها، فاجتهد اجتهادا كليا في تخليص ذلك المحل وتسويته وحفر قبره فيه؛ فكان ذلك معدودا من كراماته.

وكان – رحمه الله – ربما ينحو في بعض أحواله نحو الملامتية: أخبرني بعض الناس أنه رآه مرة طلب من إنسان ريالا وامتنع من إعطائه له. قال فحلف له بالحرام ليعطيه إياه. فأنكرت ذلك في نفسي وقلت: إما أن يعطيه له على وجه الحياء وذلك من الغصب، وإما أن يمنعه؛ فتحرم عليه زوجته، فلا يخلو من المحذور على كل حال. قال: فلما كان الليل، نمت فرأيت كأني بالمدينة المنورة وأنا جالس بين المنبر والروضة لانتظار صلاة الجمعة، وإذا بسيدي محمد الكتاني جاء وجلس عن

يميني، وبعد ما شاء الله خرج الخطيب وجلس على المنبر، ثم قام يخطب، وضمن خطبته كلها معاتبتي على الإنكار عليه، وجعل يقول: قلت في حق هذا وقلت. قال: فجعلت أعتذر وأقول: إني تائب إلى الله عز وجل. ثم استيقظت مرعوبا وتبت من الاعتراض عليه.

وقد أورده في "نظم الدر واللآل في شرفاء عقبة ابن صوال" قائلا: « إنه ممن انحاش إلى عباد الله الصالحين، من المجذوبين والسالكين، مع كثرة الأذكار والصيام والتهجد»، ونقل عن الشريف البركة أبي عبد الله سيدي محمد بن الطيب الصقلي المذكور قريبا شيخا لصاحب الترجمة، أنه أخبره أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في ضريح مولانا إدريس - رضي الله عنه - وهو يخاطب صاحب الترجمة بقوله: « يا ولدي »، بالإضافة إلى ياء المتكلم.

ولد - رحمه الله - في شعبان سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف، وربي يتيما لوفاة والده بقرب ولادته، وتوفي ليلة الأحد سادس وعشري ذي القعدة الحرام سنة تسع وثمانين ومائتين وألف. ودفن بزاويته المعروفة به، بساباط القرادين، قريبا من القطانين، وضريحه بها يسار محرابها عليه دربوز، وهو مزار متبرك به[1].

[54- القاضي سيدي علال بن إدريس المريني]
(ت: 1295)

ومنهم: الفقيه المدرس الأحفل، العلامة البركة الأمثل؛ أبو الحسن سيدي علي - المدعو: علال - ابن إدريس بن زيان بن أبي عنان المريني.

كان - رحمه الله - فقيها مدرسا، له مجالس في القرويين [127] يقرأ فيها "التحفة" وغيرها، وولي قضاء طنجة وتدريسها مدة، وقضاء القصر أيضا.

أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الفيلالي، والشيخ سيدي بدر الدين الحمومي وأضرابهما. وكان خيرا دينا فاضلا متشاغلا بما يعنيه، تاركا لما لا يعنيه.

توفي بفاس سابع رجب الفرد الحرام عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية المذكورة، قريبا من ظهر صاحب الترجمة قبله. بينه وبينه قبران.

---

[1]. ثم أصبحت هذه الزاوية بمركز إشعاع علمي وإصلاحي في المغرب على أيدي أبناء وأحفاد وتلامذة المترجم له، ومنها ازدهرت علوم الحديث والأثر والتصوف، وامتد إشعاعها إلى العالم الإسلامي أجمع.

[55- الصالح سيدي الحاج العربي الرندي الأندلسي]
(ت: 1176)

ومنهم: البركة الصالح، المجذوب الفالح؛ أبو حامد سيدي الحاج العربي الرندي الأندلسي الخراط حرفة.

كان - رحمه الله - في ابتداء أمره يخدم خراطا، ثم إنه ذهب لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فدخل تونس، ولقي بها جماعة من أهل الخير؛ فزارهم وتبرك بهم ونال منهم، ثم رجع إلى المغرب، وسافر لتافيلالت، ولقي بها أصحاب أصحاب أصحاب الشيخ سيدي الغازي؛ فجلبوه إليهم، وطبعوه بطابع سيدي الغازي، فجاء منها ينتسب: غازيا، وظهرت عليه أمارات الصلاح والخير والبركة والفلاح.

وكان يعتريه الجذب أحيانا، فيخبر بمغيبات، ويتحدث الناس عنه ببعض الكرامات، إلى أن توفي - رحمه الله - سنة ست أو سبع وسبعين ومائة وألف، ودفن بدار برأس الشراطين من فاس القرويين، تجاور زاوية الشيخ سيدي مساء الخير، وأعملت زاوية يعمرها أصحاب الشيخ سيدي الغازي، فهم الآن يجتمعون بها بعد ما كانوا يجتمعون بضريح سيدي مسعود الفيلالي، خارج باب المحروق، وقرب سيدي أبي بكر ابن العربي، لكونه لم تكن لهم بفاس زاوية. وضريح صاحب الترجمة بها يقابل الداخل، عليه دربوز وكسوة، وحوله حوش من خشب. ترجمه صاحب "سلوك الطريق الوارية".

[56- الإمام القطب سيدي أبو القاسم الغازي بن أحمد الدرعي]
(ت: 981)

وسيدي الغازي المذكور الذي ينتسب إليه أصحاب الزاوية المذكورة: هو الشيخ الإمام، القطب الهمام، ذو العناية الربانية، والأسرار العرفانية، والكرامات الظاهرة، والأنوار الباهرة، الولي الكبير، الشهير الخطير، شيخ المشايخ، وقدوة الكهوف الشوامخ، العارف بالله، المربي المكاشف أبو محمد سيدي أبو القاسم الملقب بالغازي بن أحمد الدرعي أصلا، السجلماسي دارا وقرارا ومزارا. المتوفى في شعبان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة.

وقبره بـ: تبوبكرت. من سجلماسة مزارة مشهورة؛ وله - رضي الله عنه - زوايا وأتباع في كل ناحية، أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي دفينها، عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، عن شيخ المشايخ أبي العباس [128] أحمد زروق البرنسي الفاسي رضي الله عنهم.

وأخذ عنه هو: الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الدرعي دفينها وغيره. وكان يقول - كما "في المنح البادية" نقلا عن الشيخ أبي علي البوسي رضي الله عنهم -: « كل من رآني أو رأى من رآني لم يدخل النار ». قال: « ومع ذلك فكان يقول: لا يزال الخوف يصحبني ولو كنت في الجنة، فإن قيل لي: اخرج من جنتي؛ فما أصنع وما أقول؟! ».

وفي "المحاضرات" عنه أنه كان يقول: « نزلت عليَّ القطبانية تحت شجرة »، فقال له أصحابه: « لم لم ترنا تلك الشجرة؟! ». فقال: « خفت أن تتركوا السبع وتعبدوا البقرة!! »، يعني: خاف أن يتركوه هو ويشتغلوا بالشجرة. رضي الله عنه ونفعنا به.

[57- المجذوب سيدي مساء الخير بن جاء الخير المصمودي]
(ت: 1117)

ومنهم: الولي الصالح المجذوب، الغائب الموله المحبوب، البهلول المتبرك به؛ أبو عبد الله سيدي محمد؛ الملقب بامسى الخير بن جاء الخير المصمودي.

كان - رحمه الله - مجذوبا غائبا يلف على رأسه جميع الحائك، ويمشي به كذلك، وكان من أهل الخير والصلاح، والبركة والنجاح، ظهرت على يديه كرامات، وخوارق عادات، منها: أن خليفة السلطان بفاس الجديد - وهو مولاي حفيد بن مولاي إسماعيل العلوي - لقيه بين المدينتين، بالمحل المعروف بالمرس، فخايله فرس الخليفة المذكور، حتى جفل به؛ فأمر بالقبض عليه، فقبض وأتي به إليه، فرآه والحائك ملفوف على رأسه، فسأل عنه فقيل له مرابط، فقال: « أنت مرابط بالحق؟! »، فقال له سيدي محمد: « إذا قالها الله! »، فقال له ولد السلطان: « وهل تعرف الله؟ »؛ قال: « نعم »، قال: « وبأي شيء تعرفه؟ »، فقال له: « أعرفه بأنه هو الذي يأمر بقتلك ولا يعطي فيك دية!! »، فبعد ذلك اليوم قتل مولاي حفيد بفاس الجديد غدرا لأنه أراد القيام على والده فعلم به، فوجه إليه من غدره بكابوس[1]، ولم يطلع عليه أحد ومات.

وكان - رحمه الله - يدعى بامسى الخير؛ لكثرة دوران هذه الكلمة على لسانه، وفهموا من عبارته تلك الإشارة إلى أن أهل الخير ذهبوا، وأن الخير ذهب معهم، لأن المساء فيه ذهاب الضوء، فلا تبقى بعده إلا الظلمة. أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله اليملاحي العلمي الحسني الوازاني.

---

[1]. الكابوس: المسدس.

توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف. ودفن بالروضة المقابلة لمدرسة أمير المؤمنين مولانا الرشيد الكائنة بالشراطين من فاس القرويين، وهي الآن تجاور زاوية أصحاب الشيخ سيدي الغازي. ترجمه في "النشر"، [129] وكذا في "التقاط الدرر". وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس، فقال:

واذكـر مسـا الخير من السلاطيـن   بالقـرب مـن مدرسة الشراطيـن

[58- العلامة المفتي سيدي أحمد بن أبي القاسم الصُبحي]
(ت: 1156)

ومنهم: الشيخ الإمام، الفقيه العلامة الهمام، المفتي النوازلي؛ أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الصبحي، نسبة لبني صبح القاطنين على وادي سبو حيث يصب فيه وادي مكس على مرحلة من فاس.

قدم على فاس فردا واحدا لتحصيل علم الفروع، فقرأه على الشيخ أبي عبد الله المسناوي وغيره حتى حصله. وكان قاضي فاس أبو الحسن سيدي علي بو عنان يرفع إليه ما أشكل عليه من الأحكام، فكان يقول الحق ويقضي به، ولا تعرف له فتوى ولا حكم بغير المشهور. ولقي القطب مولاي الطيب بن محمد الوازاني وتبرك به.

وتوفي بالطاعون في العشرين من ربيع الأول عام ستة وخمسين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بروضة سيدي محمد بن جاء الخير المصمودي، تلميذ سيدي محمد بن عبد الله الشريف صاحب وازان، الكائنة برأس الشراطين من فاس القرويين، المقابلة لمدرسة مولانا الرشيد بن مولانا الشريف الحسني التي وهبت على فقراء مولانا عبد الله الشريف المذكور يجتمعون بها على مداومة الجلالة وأوراد الشيخ وأحزابه ». انتهى.

[59- القاضي الشريف سيدي عبد الرحمن بن أحمد الشدّادي]
(ت: 1269)

ومنهم: الفقيه العلامة الأمثل، المدرس الأحفل، أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن أحمد الشدادي، الشريف الحسني الإدريسي العمراني، من العمرانيين الغير الجوطيين.

كان – رحمه الله – فقيها عالما مدرسا، يدرس "المختصر" و"التحفة" وغيرهما، وكانت له ملكة في التدريس، ومعرفة بالنوازل.

أخذ عنه جماعة من طلبة فاس وغيرها؛ كشيخنا العلامة الصوفي أبي العباس سيدي أحمد بن محمد ابن الخياط الحسني الزكاري، متع الله به.

وأخذ هو عن شيخ الجماعة سيدي بدر الدين الحمومي وغيره، وتبرك بغير واحد من الأولياء كسيدي الطيب بن محمد الكتاني، وسيدي محمد اللهبي، وولي مرة قضاء فاس الجديد ثم أقيل منه.

توفي – رحمه الله – صبيحة يوم الأحد التاسع والعشرين من ذي القعدة الحرام عام تسعة وستين ومائتين وألف. ودفن بالروضة المذكورة. [130].

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة باب النقبة،
والسبع لويات، والصاغة وما هو مضاف إليها

[60- سيدي احساين الأقرع الفلوسي]
(ت: 1262)

منهم: الولي الصالح، والعَلَم الواضح، المجذوب المتبرك به؛ سيدي الحسين – المدعو: سيدي احساين الأقرع – بن الحاج محمد الفلوسي.

كان – رحمه الله – أصلع الرأس عاريه، يلبس جلابية صوف، ويحفي قدميه في بعض الأحيان، ويأوي لباب البراطليين من حرم مولانا إدريس رضي الله عنه، ويجلس هناك. وكان مجذوبا مولها يسيح في الأزقة والأسواق، ويدعو بالعمى واللهفة، ويرمي كلاوي البُصاق على بعض من يمر به من الناس، فلا يأتي بها إلا في عينه أو فمه. وكان له مع ذلك كشف وصلاح وإخبار بمغيبات. وكانت العامة تقصده وتتبرك به.

وقد رأيت مكتوبا عند رأسه بضريحه بزاوية الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الصادق التي بباب النقبة، بين ساريتين هناك، قريبا من الباب التي بدرب دار الشريفات، ما نصه: « الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده؛ هذا ضريح الولي الصالح الرباني، السائر إلى دار التهاني، سيدي احساين بن البركة شيخ الركب النبوي سيدي الحاج محمد الفلوسي. توفي – رحمه الله – يوم الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الأولى عام اثنين وستين ومائتين وألف ». انتهى. وضريحه إلى الآن معروف مزار متبرك به.

[61- المرابط سيدي محمد بن عمر الصادقي]

ومنهم: السيد الجليل، المبارك الخفيل المرابط أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر بن عبد الكريم الصادقي، من ذرية الولي الشهير، العارف الكبير، الشيخ الإمام، القطب الهمام، العارف بالله تعالى أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الصادق السجلماسي رضي الله عنه، ضريحه بالزاوية المذكورة عن يسار الداخل من باب درب دار الشريفات، قريبا من الباب، عليه دربوز صغير يزار ويتبرك به، ولم أقف له على ترجمة.

[62- الإمام العارف سيدي أحمد بن عبد الصادق السلجماسي]
(ت: 1066)

وجده المذكور هو نزيل الرتب ودفين البطاطحة منها. أخذ عن الشيخ أبي الحسن سيدي علي الكومي المتوفى سنة ست وثلاثين وألف، عن سيدي عبد العزيز بن عبد الحليم دفين تافيلالت، عن الشيخ الإمام القطب الهمام سيدي أبي الطيب بن يحيى الميسوري، دفين ميسور، عن الولي الكبير سيدي عبد الله الخياط، دفين جبل زرهون، عن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، دفين مليانة، عن الشيخ زروق، دفين مسراته من بلاد الجريد . . . رضي الله عنهم.

كان - رحمه الله - عارفا واصلا موصلا، كاملا مكملا، زاهدا في الدنيا، منقطعا للخير، شهير الذكر، كثير الأتباع، معلوم الولاية، له شهرة عظيمة بالمغرب، وكرامات شائعة في أهل بلده وغيرهم. وله زوايا مشهورة في البلدان، وأتباع [131] وأصحاب وخدام في الحواضر والبوادي.

توفي - على ما ذكره في "النشر" وفي "التقاط الدرر" وكتاب "سلوك الطريق الوارية" - سنة ست وستين وألف، وبالزاوية المذكورة جماعة من أحفاده يزارون. ولم أقف على تراجمهم، إلا أنهم من أهل القرن الثالث بعد الألف؛ لأن محل هذه الزاوية كان خربة، وإنما اشتراه أصحاب الشيخ المذكور وبنوه زاوية لهم يجتمعون بها سنة إحدى ومائتين وألف. كما ذكره بعضهم . . . والله أعلم.

[63- العارف الشريف سيدي سليمان بن عبد الحفيظ الكتاني]
(ت: 1274)

ومنهم: الشريف الوجيه، البركة النبيه، السيد الفاضل، الولي الكامل؛ أبو يحيى سيدي سليمان ابن الحفيد الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني. أورده في "نظم الدرر واللآل" قائلا فيه: « إنه من أهل الفضل والخير، وممن يشار إليه بالولاية والصلاح، وكمال الديانة والنجاح ». هـ.

وكان - رحمه الله - سيدا وجيها، معظما عند الكافة نبيها، وكان أكثر جلوسه بمسجد القرويين - عمره الله بدوام ذكره - وسمعت بعض الناس ممن خالطه يثني عليه، ويصفه بالصلاح والكشف، وظهرت على يديه كرامات.

منها: ما أخبرني به بعض الناس عن عم له أنه: جاءه صاحب الترجمة مدة بعد العشاء، وبعد مضي زمن ما من الليل، بقصد أن يبيت عنده من غير أن يعلمه بذلك قبل، وكانت تلك عادته إذا أراد أن يبيت عند أحد من الناس لا يعلمه بذلك ولا يأتي إليه إلا بعد صلاة العشاء الأخيرة، ومضى شيء من الليل، فربما يجد رب ذلك المكان قد نام فيوقظه. قال العم المذكور: « فوجدني قد نمت،

فأيقظني من النوم، فخرجت إليه وأنا كاره؛ واستحييت أن أصرح له بالرد، فجعلت يدي فوق حنكي أوهمه أن بي وجع الضرس، وجعلت أتوجع وأعتذر إليه. فتركني وانصرف. قال: فبمجرد ما ذهب عني؛ أخذني وجع الضرس واشتد بي، وبقي أياما، ولم ينفعني فيه دواء حتى أزلته بالكلاب. فعلمت أن ذلك من صنيعي معه، وتبت إلى الله عز وجل ».

ومنها: أن رجلا ممن كان متوليا القيادة عزله السلطان وطلبه للقبض عليه، فاحترم بحرم الولي الشهير سيدي أحمد الشاوي من حومة الجرف بهذه الحضرة، فجاءه صاحب الترجمة، وقال له: « إن أعطيتني كذا وكذا رجعت لمكانك ». فقبل ذلك منه الرجل المذكور، وواعده بما طلبه منه بعد الرجوع لمرتبته، فما مضت عليه الجمعة إلا وقد رضي عنه السلطان ورده لمكانه.

وأخبرني بعض الناس عن بعض الأشراف من العدول [132] أنه: أخبره أنه رأى مرة في منامه كأنه بإزاء الحانوت المعروفة بحانوت النبي من حومة زقاق الحجر القريبة من النجارين، وكأن الحانوت المذكورة مرتفعة عن الأرض، وصاحب الترجمة واقف على عتبتها. وهو يأخذ بيد أقوام ويرفعهم إليها ويريد آخرون الصعود فيردهم، ولا يقدر أحد على رقيها إلا إذا أخذ بيده ورقاه.

قلت: وهذه الرؤيا تدل على أنه بواب بعض حضرات المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنه لا وصول لأحد من أهل وقته لتلك الحضرة إلا على يديه وبواسطته. نفعنا الله به، ولكنه – رحمه الله – كان ينحو في بعض أحواله نحو الملامية؛ فتصدر منه أفعال وأقوال يتستر بها من أهل وقته. ولكل ولي حجاب.

توفي – رحمه الله – يوم الأحد عاشر شعبان سنة أربع وسبعين ومائتين وألف. ودفن بالزاوية المذكورة ملتصقا بحائط يسار محرابها.

[64– الإمام القطب الشريف مولاي أحمد بن محمد الصقلي]
(ت: 1232)

ومنهم: السيد الإمام، العارف الهمام، ذو الكرامات الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد، والكشف الصريح والمفاخر الجليلة التي لا تستقصى ولا تحد، والهمة الخافضة الرافعة، والقوة الجالبة الرافعة، والأخلاق الزكية، والمواهب السنية، صدر الصدور، الظاهر الحكمة والنور، القطب الجامع، والغوث الهامع، المسن الأخير، الصالح البركة الأنور، الركن الأعمد؛ أبو العباس سيدنا ومولانا أحمد، ابن الولي الصالح البركة مولاي محمد (فتحا) بن أحمد بن إبراهيم الصقلي الحسيني العُرَيضي. من أبناء سيدي علي العريضي ابن جعفر الصادق.

ولد – رحمه الله – كما نقله في "الروضة المقصودة" عن خط ولده سيدي محمد عنه – سنة اثنتي عشرة ومائة وألف، ونشأ مكفولا بالصيانة والعفاف، راضعا لبن الاتصاف بجميل الأوصاف، حفظ القرآن وجود رسمه، وأدمن تلاوته ليله ويومه، وتفقه ما شاء الله على علماء عصره، ولازمهم في تعليم ما يقيم به شعائر دينه في سره وجهره، ثم تجرد للعمل كيما يظفر بالأمل، فكان يصوم بعض الأيام ويقوم بعض الليل، ويتلو ما تيسر من القرآن، ويطلب طريق التصوف، ويطالع كتب القوم، سيما "شرح الشيخ ابن عباد" على "الحكم"؛ فإنه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا، وكان له دكان يبيع فيه العطر بالعطارين الكبرى من ناحية المدرسة، لا تراه فيه إلا مكبا على الشرح المذكور، وما ذهب لموضع إلا وكان معه تحت إبطه، وكان مع ذلك رطبا [133] هينا لينا ذا أخلاق كريمة، وسيرة جميلة جسيمة، طويل الصمت، دائم الفكرة، مشتغلا بما يعنيه، تاركا لما يعنيه.

وذهب إلى وازان فزار بها الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوازاني اليملاحي الحسني، وتبرك به، فأعطاه موزونة واحدة فضة، فبشره بعض أصحابه – أي: أصحاب مولاي الطيب – بأنه يكون له أتباع بمدينة فاس، لأن المدن من أهل الورق. فصدقه الله في ذلك.

وكانت له صحبة كبيرة وأخوة عظيمة مع الفقيه العلامة الصوفي أبي محمد سيدي عبد المجيد المنالي، الشهير بالزبادي، فكان كثيرا ما يبيت عنده، وزار معه الشيخ مولانا عبد السلام مرارا، وحجا معا في رفقة واحدة، عام ثمانية وخمسين ومائة وألف. وقفلا في السنة التي بعدها، اجتمعا فيها بمصر مع الشيخ أبي عبد الله محمد (فتحا) بن سالم الحفناوي المصري الشافعي، وأخذا عنه الطريق والإذن، واعتمد عليه صاحب الترجمة، فكمل له المقصود: ولاحت عليه الأنوار من كل جانب، وظهرت له علامات الخير منه. ولقي أيضا غيره من أهل مصر، والحرمين، وطرابلس، والجريد، وانتفع به هنالك قوم.

ولما رجع من حجته هذه فشا سره وشاع أمره، واجتمع عليه الناس وقصدوه وأخذوا عنه، ثم أعلن بالأمر، ودعا إلى الله في السر والجهر، وأذعن إليه المنتسبون وأتوه من كل حدب ينسلون، بعد ما حج الحجة الثانية، عام سبعين، فكان بعدها يحيي مع أصحابه الليالي بالذكر، ويعطي الورد ويبوح بالسر، ويفعل الذكر أيضا نهارا في بعض النزهات، أو عند بعض الأصحاب والخلوات، وفي المواسم والأعياد، وكثيرا ما كان يجتمع مع أصحابه أيضا في المكتب الذي بالدرب الطويل، عند دار الشرفاء الصقليين، ولما كثروا طلبوا منه أن يبنوا زاوية، فقال: « تكفينا روضة سيدي أبي عباد الورياجلي التي بالصاغة ». فكانوا يذكرون فيها عشية يوم الجمعة، وأكثر ما تراه صامتا وهم يذكرون، ثم ينطق بالكلمة أو الكلمتين أو يقول: قولوا كذا. ومقدم أصحابه حينئذ الشيخ سيدي أبو شعيب المطيري.

وظهرت له - رضي الله - عنه كرامات وخوارق عادات، ذكر بعضها الشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري في فهرسته، وصاحب "سلوك الطريق الوارية" وغير واحد، واستفاضت الأخبار بقطبانيته، واستنارت الأرجاء بعرفانيته، ومن الشائع أنه: كان يقول في بيت سكناه من داره بزنقة حجامة بفاس: « بيتي هذا مقامه كمقام إبراهيم، من دخله كان آمنا ». ورأى وهو بمكة البيت يطوف به، وقد [134] ذكر السيوطي في كتابه: « القول الجلي في جواز تطور الولي ». أن جماعة من الأولياء شاهدوا الكعبة تطوف بهم.

وكان الشيخ سيدي أحمد التجاني - رضي الله عنه - يقول: « لم يدفن قطب بداخل سور مدينة فاس سوى مولانا أحمد الصقلي »، وكان الشيخ سيدي التاودي ابن سودة يعترف له بالقطبانية أيضا، ووصفه بها في"فهرسته" وقال: « أخبرني من وثقت به أنه وقع خصام مع بنت عم له وزوجها، فجاءهما إلى الدار ليصلح بينهما؛ فقيل للمرأة: هذا ابن عمك مولاي أحمد. فقالت كالمستهزئة وهو يسمع: جاء سيدي أحمد البرنسي، أو سيدي أحمد الشاوي، فقال: قولوا لها: جاءها القطب أحمد الصقلي! ».

وكان - أعني: الشيخ التاودي - يقول في آخر أمره: « ذهب من أيدينا مولاي أحمد ولم يعرف أحد قدره ». وذكر هو عن نفسه أنه: رأى في مبدأ أمره البيت، وهو يصلي في القرويين، ورآه منحرفا على نحو ما يصلي الناس، وأنه قد قرأ مرة في خطوة واحدة خمسة أحزاب من القرآن، وقال يوما للشيخ التاودي ابن سودة: « إذا عرضت لك مسألة أو دهمتك نازلة أو معضلة؛ فقل: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك علام الغيوب. فإنها تنجلي ويسهل عليك أمرها ». وقال له يوما آخر: « كأنك ارتخيت! ». قال: « فقلت له: نعم يا سيدي! ». فقال: « أرى نحزم لك ». فرأيت بركة ذلك. قال: « وزرت معه القطب مولانا عبد السلام مرارا قبل الحج وبعده، وظهرت منه أمور ». أي: كرامات وبركات.

وفضائله - رضي الله عنه - وكراماته، ومعارفه وأسراره وفتوحاته، لا يفي بها القلم، وهي بمكان الشهرة كنار على علم، ولازال الناس بعد وفاته يلهجون بذكره، ويتعجبون من أمره، يتواصون على السلوك في طريقته، والاعتراف بالانتساب إليه من عين حقيقته، وقد قال بعض من عاصره: « لو تتبعت كراماته لملئت منها الدفاتر، على أنها قد بلغت من الشهرة عند الخاصة والعامة إلى رتبة المتواتر ».

وطريقته – رضي الله عنه – شاذلية خلوتية، وقيامها الآن بالمغرب إنما هو من جهته، وأهلها إنما يطوفون لالتماس الخيرات بكعبته، وعمدته فيها: هو الشيخ الحفناوي المذكور، وهو عن الولي الأكبر سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه، وقد أخذ هذه الطريقة عن صاحب الترجمة غير واحد من الشيوخ؛ كالشيخ العارف أبي عبد الله سيدي محمد بن يونس الشريف السريفي الفاسي، دفين خارج باب الفتوح، والشيخ سيدي عبد الوهاب التازي، دفينها أيضا، والشريف السالك السني الخاشع أبي عبد الله سيدي محمد بن علي العلمي، والعارف المستغرق في بحر الحقيقة وفي محبة النبي صلى الله عليه [135] وسلم سيدي محمد بن حميدة، به عرف، والشريف الأفضل الأكمل سيدي محمد بن علي الصقلي الحسيني، والشيخ أبي الحسن سيدي علي محمود السلوي، والشيخ أبي عبد الله سيدي محمد ابن الحسن البناني، والشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري، والشيخ عبد الكريم بن علي اليازغي، والشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن الحسن الجنوي الشريف، والعالم العامل الصالح أبي شعيب المطيري، والولي المكاشف مولانا محمد أبي الغيث الحسني السجلماسي ثم الطرابلسي. . . وغيرهم.

ولقيه القطب الرباني أبو العباس مولانا أحمد التجاني، لما قدم لفاس أول مرة، قدم إليها سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، إلا أنه لم يأخذ عنه شيئا بل لم يكلمه. وذكر بعض أصحابه في بعض كتبه أنه: « بعد ما فتح عليه بما فتح، ومنح من سر التخصيص بما منح، كان كثيرا ما يلهج به وينبئ عن حقيقة أمره، وينوه على رؤوس الأشهاد بعلي قدره، وسني فخره، ويصرح بأنه أدرك القطبانية العظمى والإمامة الكبرى على أهل عصره، ويفصح بأن دفنه داخل حضرة فاس، من المزايا التي تتأرج بها من بقاعها الأنفاس ». هـ.

ولم يزل أمره – رضي الله عنه – في ازدياد، وصيته ينتشر في الحواضر والباد، إلى أن توفي. قال في "غاية الأمنية": « بعد عصر يوم السبت سابع رمضان، ودفن من الغد ظهرا بعد الصلاة عليه بمسجد القرويين، في دار بأقصى درب سبع لويات، حيث بنيت زاويته المباركة، وذلك عام سبعة وسبعين بموحدة فيهما ومائة وألف ». هـ.

قال في "النشر" – في بعض نسخه: « ولما احتضر؛ أوصى بأن يدفن إما في جبل الولي الرباني سيدي أحمد بن سيدي علي البرنسي، خارج باب الجيسة، أو بالجنان الموقوف المدفون فيه سيدي أحمد بن عبد الله معن، والشيخ سيدي أحمد اليمني، خارج باب الفتوح. فامتنع الأهل والأصحاب من ذلك، واشتروا دارا بأقصى درب السبع لويات ودفنوه بها، وبنوها روضة عليه، وفتحوا لها بابا من جهة باب النقبة، واجتمع بها أصحابه على تداول الأوراد والأحزاب، واتخذوها مقبرة لدفن الأموات، نفعنا الله به. . . آمين ». هـ.

قال في "الروضة المقصودة": « وزاويته اليوم بجمع المنتسبين له من الفقراء، ومن بقي من أتباعه الفضلاء. . . قال: وقطب رحاهم الذي عليه المدار، في القيام بمجمع أفرادهم على حلق الأذكار؛ هو ولده: أبو عبد الله محمد. الطالع في سماء الدراية، كالبدر تنبعث عنه أنوار الهداية، في سمت أبيه وسعيه، وخَلقه وخُلقه وهديه، بارك الله فيه، وأجرى الحكمة على فيه ». هـ.

ترجمه في "النشر"، و"الروضة المقصودة"، و"سلوك الطريق الوارية"، والشيخ سيدي التاودي في "فهرسته"، وصاحب [136] "الإشراف". . . وغيرهم.

وقد ذكر صاحب "سلوك الطريق الوارية" أنه: رأى صاحب الترجمة مناما في موضع عال وهو يقول لولده مولاي علي الصقلي: هات يدك. فقبض في يده وقال للرائي المذكور ولرجل آخر معه: أعينوه. فأعاناه من مؤخره حتى طلع عند أبيه. فلما استيقظ؛ ذهب من الغد لولده المذكور بحانوته بالعطارين فوجدها مشدودة[1]؛ فسأل عنه. فقيل: هو مريض. ومن الغد أو بعده توفي. فغسله هو. وكان الرجل الذي رأى معه في الرؤيا يرش عليه الماء، ودفن في الزاوية مع أبيه رحمه الله.

[أسماء جملة من الأقطاب المدفونين بفاس]

تنبيه: تقدم تبعا لصاحب "الإشراف" وغيره نقلا عن الشيخ سيدي أحمد التجاني - رضي الله عنه - أنه لم يدفن قطب بداخل سور مدينة فاس، سوى مولاي أحمد الصقلي المذكور، وهو مشكل الظاهر، لأنه دفن بها قبله بانيها؛ وهو موصوف بالقطبانية، بل بما هو أعلى منها كما سبق، وكذا دفن بها قبله غيره ممن وصف بها؛ . . .

كالولي الكبير، العارف الشهير، ذي الكرامات العديدة، والمناقب العجيبة الحميدة، أبي زيد سيدي عبد الرحمن الهزميري - دفين روضة الأنوار داخل باب الفتوح، جوار روضة أبي مدين - وممن وصفه بها: الشيخ القصار في مكاتبة له نقلها صاحب "سلسلة الذهب المنقود". فراجعها فيه. وكالشيخ سيدي محمد بن عباد - دفين كدية البراطيل داخل باب الفتوح - فإنه وصفه بها الشيخ سيدي أحمد بابا السوداني في "نيل الابتهاج" في ترجمة سيدي الحاج أحمد ابن عاشر الأندلسي، نزيل سلا ودفينها. وكذا وصفه بها غيره.

---

[1] أي: مغلقة.

وكالعارف بالله سيدي محمد الطالب الزمراني؛ دفين زاوية شيخه الغزواني بالقليعة، قريبا من ضريح سيدي أبي غالب الصاريوي، وقد ذكر في "تحفة الإخوان بمناقب ساداتنا أهل وازان" أنه: ورث القطبانية من شيخه المذكور. وكالشيخ أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي؛ فقد نقل ولده في "تحفة الأكابر" قطبانيته عن أبي سالم العياشي عن بعض أكابر أهل الوقت، قال: « وشاع ذلك في الألسنة، ولهج به العموم والخصوص، ولم ينكره الشيخ رضي الله عنه ». وفي "عناية أولي الجد" أنه: يقال شائعا: إنه مكث في القطبانية سبع سنين.

وكالولي الصالح سيدي الحاج الشعير؛ دفين حومة القلقليين صدر زاوية الشيخ أبي محمد المذكور؛ فإنه وصفه غير واحد - كصاحب "المنح البادية" وصاحب "الصفوة" - بأنه خاتم أولياء زمانه، والخاتم في عرفهم: هو الذي يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه، وحينئذ فهو القطب الجامع الذي عليه المدار [137].

وكالشيخ سيدي محمد ابن الفقيه؛ دفين مدارج العيون، فإنه وصف نفسه بالقطبانية غير ما مرة، بل قال: إن مقامه الذي حل فيه لم يتقدم إلا لرجلين، وكان يقول: أنا القطب، أنا الجرس، أنا الغوث، أنا الوتد، ومن قال شيئا فهو أنا. ووفاته: سنة ست وثلاثين ومائة وألف، فهي قبل وفاة صاحب الترجمة، والأقرب عندي أن يكون أراد أنه: لم يدفن قطب بداخلها من خصوص الذرية الحسينية لا مطلقا، سوى مولاي أحمد؛ فغفل الناقل عن موضوع كلامه أو نسيه. والله أعلم.

[65- المحدث العارف الشريف سيدي محمد بن أحمد الصقلي]
(ت: 1232)

ومنهم: القائم بالوراثة بعده؛ وهو ولده الأنور، المبارك الأغر، سامي القدر، وعالي الفخر، السري النبيل، الولي الصالح الجليل، الفقيه النبيه، العالم الوجيه، المحدث الأكبر، العارف الأشهر، ذو الكرامات العديدة، والمناقب الحميدة، البدر الكامل الأرشد؛ أبو عبد الله سيدي محمد، ابن الولي الصالح، والنور اللائح، المستغرق في بحار المشاهدات والتجلي؛ مولانا أحمد الصقلي.

نشأ - رحمه الله - في حجر والده آخذا من كمالاته، وخلفه بعد وفاته في سيرته وحالاته، وقد قال في "الإشراف" بعد ذكر وفاة والده المذكور ما نصه: « وقام بالوراثة بعده ابنه: الولي العارف، السني المكاشف، أبو عبد الله سيدي محمد، فجلس للمشيخة بالتلقين والإفادة، لمن إليه سلب الإرادة، وهو مع ذلك لا يزال يترقى في المقامات العرفانية، ويغترف من بحر الإمدادات الربانية،

متمسكا بسنة الرسول، فيما يفعل أو يقول، زاهدا في الدنيا وأربابها، غير متعاطٍ لشيء من أسبابها، إلا ما كان في أول أمره، فقد كان معتكفا على نسخ كتب الحديث وبيعها لضرورياته؛ سيما صحيح البخاري، فقد كتب منه عدة نسخ، وهي في غاية الصحة، ونهاية الإتقان، مؤيدا على ذلك بحسن الخط، وتمام الضبط)).

((وأصحابه يحدثون عنه بأخبار من جهة المشاهدة الغيبية تقطع بخصوصيته، وكمال عرفانيته، ويذكرون له من الكرامات ما لو صرفت لجمعه العناية؛ لم يوقف على حصره، والمجموع من ذلك إنما يكون غرفة من بحره، زاره الوالد - يعني: أبا الفيض سيدي حمدون ابن الحاج - في يوم المولد النبوي من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف، فلما تصافحا؛ قبض على يده وغمض عينيه، تغميضا خارجا عن المعتاد، ثم فتحهما كذلك؛ فخرج الوالد وهو يبكي، وقال: إن هذا الرجل من الأولياء، أشار بتغميض عينيه وفتحهما [138] إلى انقضاء أجلي من الدنيا، وصيرورتي إلى عالم آخر. فلم يبق بعد ذلك الوالد إلا خمسة وعشرين يوما وسقي خمرة المنون، وجرت لفقده بالدماء العيون، وتوفي صاحب الترجمة بعده بسبعين يوما وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ودفن مع والده بزاويتهم المباركة، وهي اليوم مجتمع المنتسبين لهم من الفقراء، ومن بقي من أتباعهم الفضلاء . . .)). انتهى، كلام "الإشراف" فيه.

وقد كان علماء وقته - رضي الله عنه - يزورنه، ويذهبون إليه ويقصدونه، ويلتمسون بركته، ويطلبون عطفه ومودته، ومنهم من أخذ عنه؛ كالشريف العلامة المشارك أبي محمد سيدي عبد الله المدعو: الوليد بن العربي العراقي الحسيني، وقد أورده في كتابه المسمى "بالدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس"، وعده فيه من أشياخه الذين أخذ عنهم وتبرك بهم، وحلاه بالشيخ الولي العارف بالله، الدال بحاله ومقاله على الله، الواصل الكامل، السني الفاضل، ذي البركات التي لا تحصى، والكرامات التي لا تستقصى. . . ثم قال: ((كان - رحمه الله - شيخا كاملا، مربيا سالكا، جامعا بين الشريعة والحقيقة، على قدم أبيه، وكان ملامتي الحال، لا يتميز عن أحد من خلق الله بشيء. والملامتية - كما قال "الحاتمي" - هم أكمل الرجال. . . ثم قال: ذكر لي شيخنا العالم الأريب، الألمعي الأديب، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البازغي - رحمه الله - عن بعض الفضلاء، أنه: رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فسأله عن صاحب الترجمة؛ فقال صلى الله عليه وسلم: نعم الولد . . .)). انتهى المراد منه.

ولد - رحمه الله - سنة ستين ومائة وألف، وتوفي قبل الزوال من يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأخيرة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف، ودفن مع والده المذكور بإزائه، متصلا به من جهة القبلة، وترك - رضي الله عنه - ولدين فاضلين:

[66- الشريف مولاي أحمد بن محمد الصقلي]
(ت: 1267)

أولهما: الشريف الفقيه الجليل، العالم الأنبل الأصيل، دوحة المجد اليانعة الأغصان، وكعبة السيادة الثابتة الأركان، الأسعد الأصعد؛ أبو العباس مولانا أحمد.

كان رحمه الله عالما فاضلا، نزيها ماثلا، ذا همة عالية، وحالة بالفضائل سامية، مشتغلا بعلم الحديث الشريف، مستظلا بظله الوريف، إلى أن توفي صبيحة يوم السبت السادس من شهر شعبان عام سبعة وستين ومائتين وألف، ودفن مع والده وجده المذكورين بإزائهما متصلا برأسيهما.

[67- العلامة الحافظ الشريف مولاي الهادي بن أحمد الصقلي]
(ت: 1311)

وخلف - رحمه الله - ولده الفقيه، العلامة النبيه، شيخنا قاضي الجماعة بفاس ونواحيها مولاي الهادي. توفي - رحمه الله - بالمدينة [139] المنورة بعد ما حج، وقدمها زائرا، في شهر الله المحرم فاتح سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف ودفن بالبقيع[1].

[68- الصالح الشريف مولاي إبراهيم بن محمد الصقلي]
(ت: 1289)

وثانيهما: السري الأكمل، المبارك الأنبل، الولي الصالح، ذو الكرامات العديدة والخير اللائح؛ أبو إسحاق مولانا إبراهيم.

كان - رحمه الله - سيدا فاضلا، وسريا كاملا، تتبرك به العامة والخاصة، وينسبون مقامه إلى مقام خاصة الخاصة، وحدث عنه بعض الناس ممن خالطه بكرامات عديدة، ومآثر حميدة، وكانت لوائح الخير والصلاح ظاهرة عليه، وسمات النسك والفلاح مشيرة بوجهتها إليه، له السلوك التام، والوجاهة العظيمة عند الخاص والعام.

توفي - رحمه الله - يوم الأربعاء فاتح ذي القعدة الحرام عام تسعة وثمانين ومائتين وألف، ودفن مع أخيه ووالده وجده المذكورين عند أرجل والده وجده وعليه وعلى من قبله درابيز متصل بعضها ببعض، يزارون بها ويتبرك بهم.

---

[1] ذكر مترجمو العلامة الصقلي بأنه كان من شدة حفظه يستحضر "المواهب اللدنية" للقسطلاني بشرح الزرقاني. وسمي في بعض المراجع بعبد الهادي بدل الهادي، ويظهر أن المؤلف رحمه الله اختصره على عادة أهل فاس في ذلك.

[69- العالم الشريف سيدي الماحي بن إبراهيم بن محمد الصقلي]
(ت: 1304)

وخلف - رضي الله عنه - ولده الفقيه الأسعد، المدرس الأرشد؛ سيدنا الماحي، توفي - رحمه الله - بعد رجوعه من زيارة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش، رضي الله عنهما، ليلة الجمعة سابع صفر سنة أربع وثلاثمائة وألف، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد القرويين، ودفن بزاويتهم المذكورة بإزاء آبائه المذكورين. نفعنا الله بهم.

[70- الشريف سيدي محمد بن علي الصقلي]
(ت: 1186)

ومنهم: الشريف الأجل، البركة الأفضل، ذو الجد والاجتهاد من غير هزل؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن علي بن العربي بن إدريس بن محمد بن علي الصقلي الحسيني.

كان - رحمه الله - من أهل المحبة الصادقة، ومن الذاكرين الله كثيرا، مولعا بالذكر والإنشاد، وكانت المعاني تخرقه وتخربه، ويتواجد عند ورودها عليه، ولكنه كان يغلب حاله. لقي في ابتداء أمره الشيخ سيدي عليا الجمل رضي الله عنه، وصحبه ولازمه أياما، وتجرد وتمذهب بمذهبه، ثم لقي الشيخ مولاي أحمد الصقلي، فجلب قلبه إليه، وانجمع بكليته كلها عليه، وبقي تابعا له وملازما لخدمته، لا يفارقه؛ حتى نال منه الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر، ولم يكن عنده شيء أعز من الاجتماع به وبأصحابه، وكان يحب الدراويش، وإذا حضر الذكر أو الجلالة أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا تبقى له حركة، وكانت تعتريه الأحوال، وتظهر عليه، ولم يمت حتى ظهر عليه الخير الكثير.

توفي - رحمه الله - سنة [140] ست وثمانين ومائة وألف، ودفن بالزاوية المذكورة، ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[مناقب الشعبة الصقلية ومفاخرها]

قلت: ومن مفاخر هذه الشعبة الصقلية - كما ذكره بعض من ألم بذكرها - أنه: لا يخلو منها من هو من أهل الخصوصية والمعرفة بالله تعالى، وقد تعددت العرفانية في أسلافهم، واشتهروا بالعلم والولاية في القديم.

وأثنى على نسبهم غير واحد من كبار العلماء؛ كابن عرفة؛ وابن خلدون قال فيهم: « ذوو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب »، وابن الخطيب السلماني قال فيهم: « نسبهم صحيح، ومجدهم مجد صريح »، وابن بشر، وابن جزي، وابن الجياب، وابن السكاك؛ وابن الأحمر قال فيهم في "حديقة النسرين": « هم أهل شرف صحيح لا طعن فيه »، والشيخ القصار . . . وغيرهم ممن لا يحصى. ولهم مناقب عديدة – رضي الله عنهم، ونفعنا بهم.

[71- الإمام الحافظ الشريف أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي]
(ت: 1183)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العلامة المحدث، الراوية الهمام، حامل لواء الحديث في زمانه، وسيد أهل عصره وأوانه؛ أبو العلاء سيدنا إدريس بن العلامة الإمام النحوي أبي عبد الله سيدي محمد بن إدريس بن حمدون بن عبد الرحمن الشريف العراقي الحسيني.

كان – رحمه الله – أحد أئمة الدين، وأكابر العلماء المتبحرين، سلطان المحدثين في وقته في الآثار النبوية، ورئيسهم وأعلمهم بالصناعة الحديثية، قل نظيره في وقته، بل عدم أو كاد، في الحديث والرواية والإسناد، والضبط والتخريج والأنساب، وما يتبع ذلك عند ذوي الألباب، واستدرك أحاديث كثيرة على "الجامع الكبير" للجلال السيوطي تنيف على الخمسة آلاف.

وألف تآليف مفيدة منها: "شرحه على "الشمائل"، وشرحه على "إحياء الميت في فضائل آل البيت"، و"شرحه على الثلث الأخير من الصغاني" بإذن مولوي، وتأليف لطيف ذكر فيه اعتناء جماعة من الشيوخ بالصلاة والسلام على آل الأنبياء كلهم، واستعمالهم ذلك في ابتداء دواوينهم المؤلفة في الحديث، وبين فيه وجه ذلك وقدره، وكتب عليه بالتصحيح جماعة من أهل وقته. وله طرر على هوامش كتب الحديث "كالشفا"، و"الشهاب القضاعي"[1]، و"الجامع الكبير" . . . وغيرها، لو جمعت لجاءت منها تآليف عديدة.

أخذ – رحمه الله – الحديث وغيره عن شيوخ فاس؛ كوالده، والشيخ أبي الحسن علي الحريشي، وأبي العباس أحمد بن سليمان الأندلسي، وأبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي، وأبي محمد سيدي الكبير السرغيني، وأبي عبد الله سيدي محمد ابن زكري، وأبي عبد الله [141] سيدي محمد ابن عبد السلام بناني، وأبي عبد الله سيدي محمد جسوس، وأبي عبد الله سيدي محمد ميارة الأصغر . . . وغيرهم.

---

[1] وقد جمعها المؤلف – رضي الله عنه – وزاد عليها الكثير في مؤلف مستقل. يقع في مجلد وسط.

وكان يبالغ مع بعض أشياخه المذكورين في تحقيق مسائل الحديث، وكانوا يراجعونه فيه في مجالس درسهم. ومما يحكى ويدل على قوة باعه وشدة إطلاعه: أن الشيخ أبا العباس ابن مبارك المذكور، كان يدرس كبرى السنوسي في علم الكلام، فجرى ذكره لبعض الأحاديث؛ فسأل صاحب الترجمة عمن خرجه، فذكر له ستة طرق؛ فقال له: « لله درك؛ لقد تعب ابن حجر ولم يخرج له سوى طريقين! ».

وفي "الدر النفيس" لسيدي الوليد العراقي نقلا عن الشيخ أبي حفص سيدي عمر الفاسي – رضي الله عنه – أنه كان يقول لتلامذته في شأنه: « هذا سيدي وسيدكم »، ويقول أيضا: « إنه أحفظ من ابن حجر ». كذا نقل عنه.

وقد ذكروا في الحافظ ابن حجر أنه أمير المؤمنين في الحديث، وأنه سيد حفاظه، وأنه جاوز فيه مرتبة الذهبي وأضرابه، وأنه بلغ فيه مرتبة لم يبلغها أحد بعده ولا كثير ممن قبله، وأن عليه المدار فيه في الدنيا بأجمعها، وإليه المرجع فيه شرقا وغربا بإطباق من بعده، ومن طالع كتبه الحديثية وكتب غيره؛ علم صحة هذا وتيقنه. وقد كتب الشيخ القصار بخط يده عل أول ورقة من شرحه على البخاري المسمى بفتح الباري ما نصه: « اعلم أنه لم يؤلف في فقه معاني علم الحديث مثل هذا الشرح في ملة الإسلام!! ». هـ.

وذكر الشهاب الخفاجي في شرحه على "الشفا" لعياض أن: « الحافظ بالمعنى المصطلح عليه عند المحدثين انقطع في عصره وزمانه، وأن آخر الحفاظ: السخاوي والسيوطي. . . ». فانظر ذلك والله أعلم.

ومن شهد لصاحب الترجمة بالتبحر في علم الحديث من شيوخه: الشيخ أبو عبد الله سيدي مَحمد جسوس؛ فإنه ذكر في إجازة له أجازه بها أنه: « ممن حاز قصب السبق في علم الحديث، حفظا ورواية ودراية، ووصل في ذلك إلى غاية الغاية. قال: بحيث لم يصل إليها أحد من عصرنا فيما نعلم ». هـ.

وقد حرر– رحمه الله – الكلام على كثير من الأحاديث، وبين ما هو الحق فيها بكلام كاف واضح شاف، فالله يجازيه على ذلك. قال في "نشر المثاني": « ولم يكن له في حال قراءته اعتناء ببعض العلوم، نحو النحو والبيان والمنطق، ومع ذلك؛ كان إذا سرد كتابا لا يلحن في شيء منه، بل فصيح النطق، قوي الدراية على ذلك، ولا ينطق بشيء غير مستقيم ». هـ.

وكان – رحمه الله – مقبلا على شأنه، مجتنبا ما يخل بمروءته، ذا سمت حسن، وهيبة ووقار، قويا في دينه، ملازما لأوقاته، قائما بما ولي من الولايات، من إمامة وتوريق وغيرهما.

وأخذ عنه علم الحديث [142] جماعة: منهم ولداه أبو محمد عبد الله، وأبو زيد عبد الرحمن، وابن عمه العلامة سيدي زيان، والعارف بالله أبو عبد الله سيدي محمد بن القطب مولانا أحمد الصقلي الحسيني.

توفي – رحمه الله ونفعنا به –، في شعبان سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف. هكذا ذكر وفاته في "نشر المثاني"، وقال في "غاية الأمنية": « توفي عام أربعة وثمانين ومائة وألف، ودفن بروضة الشيخ مولاي محمد الصقلي ». هـ. وقبره عن يمين محرابها تحت الخزانتين الصغيرتين هناك، قبالة ضريح مولانا أحمد المذكور ومن معه. ترجمه صاحب "نشر المثاني"، وكذا قريبه مولاي الوليد العراقي في تأليفه المسمى "بالدر النفيس".

[الخلوة المنسوبة للشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني]

ومن المزارات بهذه الحومة: الخلوة المنسوبة للشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني – رضي الله عنه – التي بمسجد القرويين، المحمولة على الساباط القريب من فوق حومة السبع لويات، وهي مشهورة معروفة، معدة لقراءة الحزب من القرآن وغيره، وعامة أهل فاس من قديم ينسبونها للشيخ المذكور، ويتبركون بها، وينسبون له خلوة أخرى بالتيالين، وذلك من الكذب المحض، بحسب ظاهر اللفظ؛ لأن مدلول الخلوة عرفا: محل التعبد. والشيخ مولانا عبد القادر – رضي الله عنه – لم يدخل المغرب أصلا، بل ولا خرج من مكة حين دخلها للحج لناحية، وإنما محل استقراره: بغداد وما والاها، ولما خرج منها للحج؛ رجع من عامه، وهذا مما لا شك فيه، وهو منصوص عليه لغير واحد.

فكيف يمكن أن: يقال إنه بلغ مدينة فاس، وتعبد في بعض أماكنها ؟!!. بل ذلك كذب صراح، ولكنهم يزعمون أن بعضهم رأى الشيخ – رضي الله عنه – في هذا المحل، وبعضهم يرى أنه قدمه حال حياته بالخطوة، وآخرون يرون أنه يقدم إليه بعد موته غيبا، فصاروا يتبركون به لأجل ذلك.

ومنهم من يزيد التبرك بماء من مَعْدة[1] بالحجة التي تحتها لقسم ماء يمر بدور متعددة، ويدخل يده فيها ويمر بها على وجهه. قال في "نشر المثاني": « ولا شيء من ذلك يفيد بركة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وإنما تنال بركته بالدعاء، وإهداء الصدقة له، وتلاوة القرآن على القول بوصوله للميت. نعم؛ يتبرك بذلك الموضع من حيث كونه من المسجد الأعظم بفاس، ومحل تلاوة؛ لأن له وقفا على حزابين يقرؤون أحزابا من القرآن به، مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، قبل النهاريتين، من الصلوات الخمس، وبعد الصبح، كما هو مشروط في أصل وصية الوقف. ومطلق التبرك في هذا

---

[1] المعدة (بفتح الميم وسكون العين): مجمع الماء.

قريب، وأما تتبعه وتأكيده - كما عليه كثير من عامة فاس - فلا شك أنه منكر، لأن ذلك الموضع إنما له من الحرمة ما لسائر المسجد، وتصح فيه [143] العبادات التي تصح في المسجد، إن لم يقدح في ذلك التحجير القائم به الآن من أجل أنهم يقرؤون فيه ». ذكر هذا في الكلام على حوادث سنة أربع ومائة وألف لما تعرض لذكر السارية التي كانت بالصف الأول من هذا المسجد، قرب هذه الخلوة، وكانوا ينسبونها للشيخ عبد القادر أيضا؛ فأمر بإزالتها قاضي الوقت أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد بردلة؛ فأزيلت.

وقال في "التقاط الدرر" في الكلام على حوادث السنة المذكورة ما نصه: « في عشرين من جمادى الثانية أزيلت السارية المنسوبة لسيدي عبد القادر الجيلاني، التي كانت بالصف الأول من مسجد القرويين بفاس، قرب الخلوة المنسوبة للشيخ المذكور، التي على ساباط محجة الموضع المسمى: شرقي الجامع، بأمر القاضي أبي عبد الله بُردلة ».

« **قلت:** نسبة هذا الموضع من هذا المسجد للشيخ الجيلاني جارية منذ قديم على ألسنة أهل فاس، وسمعت من يذكر أن سببه: رؤية بعضهم الشيخ الجيلاني بها نوما، فمن أجل ذلك أضافوها إليه، وهذا - إن صح - فهو سبب، وإن كان أوقع في الكذب الصريح؛ فإن الشيخ الجيلاني لم يدخل المغرب أصلا، ولا خرج من مكة لناحية المغرب حين دخلها للحج، بل حج ورجع لبلده من عامه ».

« **فإن قيل:** يصح تبركهم بها على فرض صحة رؤياه بها، وقد شاع التبرك بآثار الصالحين ».

« **قلنا:** إنما يتم ذلك أن لو كان تبركهم على أنه رئي فيها مناما، وليس الواقع كذلك؛ بل الكثير يتوهم أنها متعبد له، أو كونه قدمها بالخطوة، أو يأتيها بعد موته غيبا، ونحو ذلك مما لا دليل عليه، ولنا زيادة كلام في الأصل - يعني: في "نشر المثاني" فانظره ».

[72- السيدة فاطمة]

ومنهم: المرأة الولية، الصالحة الذكية، السيدة فاطمة التي كانت تسكن بزنقة حجامة من عدوة فاس القرويين.

كانت - رحمة الله عليها - من الصالحات العارفات كثيرة البرور بزوجها، والقيام بشؤونه ومصالحه، وبسبب ذلك نالت من فضل الله العظيم ما نالت، وكانت من أهل الخطوة والطيران في الهواء، والتطور في الأطوار المختلفة، معاصرة للشيخ الولي الصالح سيدي إبراهيم الزواري؛ دفين خارج باب الجيسة من هذه الحضرة، المتوفى بها سنة إحدى وستين وتسعمائة. ولما قدم الشيخ

سيدي إبراهيم المذكور من تونس إلى المغرب لزيارة الشيخ أبي العباس السبتي، ومرض بالطريق قبل الوصول إلى المغرب في فلاة من الأرض؛ أنّه صاحبة الترجمة على سبيل خرق العادة من فاس، وكانت تصلح من شأنه ما يحتاج إليه؛ فقال لها يوما: « من أنت؟ »، فقالت له: « من فاس من زنقة حجامة؛ واسمي: فاطمة! ». ذكر [144] ذلك بعضهم.

وفي "المرآة" ما نصه: « سمعت من غير واحد أن الشيخ سيدي إبراهيم الزواري كانت له سياحة، ومرض في مفازة مرضا ألزمه، مكانه فريدا؛ فرأى حمامة تطير حتّى قربت منه؛ فنزلت، فإذا هي امرأة حاملة للطعام المصنوع من خمير القمح، وهو المعروف بالحريرة، ولما يحتاج إليه في الوقت، وكثر تفقدها إياه حتى برأ؛ فقال لها: سألتك بالله من أنت؟، فقالت له: اسمي فاطمة بنت فلان، سمّته وأنسيته أنا. قالت: وأنا من فاس، فإذا جئتها فسل في زنقة حجامة عن دار فلان تجدني هنالك! ».

« ولما دخل المغرب ووصل إلى فاس؛ سأل عن الدار؛ فوجدها؛ فضرب الباب فخرجت ورحبت به، وأقام ضيفا عندها، فجاء رجل عليه أحوال السكر، ملوث الثياب بالطين؛ فتلقته وغسلت عن رجليه، ونظفت ثيابه، ووطأت مضجعه، وفعلت المستطاع من بره. فأقام الشيخ أبو سالم في ضيافتهم ثلاثة أيام، وتأمل أحوالها في عادتها وعبادتها، فرآها في لباسها على عادة النساء، وفي عبادتها: لا تزيد على إحسان أداء فرائضها وما يتعلق بها، فعجب من ذلك، وسألها عما نالت به ما رآه قبل؟. فقالت له: *بالقيام بحق الله تعالى فيما أمر به من حق الزوج!* ». هـ.

ورأيت في غير ما تقييد، وبخط بعض الفضلاء أنها دفنت بزنقة حجامة في الدرب الذي تحت باب المدرسة المصباحية بها، في الدار الداخلية، لكني سألت أهل هذه الزنقة مع أرباب الدار المذكورة هل يعرفون بها ضريحا أو يسمعون به؟، فقالوا كلهم: لا!.

وذكرها في "الروض" في ترجمة سيدي إبراهيم المذكور، ولم يذكر لها مدفنا، ولم يذكرها في "التنبيه"، ولا الشيخ المدرع. والله أعلم.

[خلوة مولاي أبي الشتاء التي بحارة قيس]

ومن المزارات بهذه الحومة أيضا: خلوة الشيخ مولانا أبي الشتاء التي بمسجد حارة قيس من فاس القرويين، قبالة الدرب الطويل، بانحراف يسير.

ولا أعلم الآن هل نسبت إليه لكونه كان يتعبد بها أو لكونه ريء بها مناما، أو لغير ذلك.

وقد تعبد بها بعده جماعة من الأخيار؛ كالفقيه الصالح البركة الزاهد الورع أبي العباس سيدي أحمد ابن الفقيه العلامة الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن ابن زكري الفاسي.

[73- سيدي أبو الشتاء الخمار]
(ت: 997)

وأبو الشتاء هذا: هو المعروف بالخمار، ويقال: إن اسمه محمد بن موسى، وأنه شاوي النسب، وكان أسمر اللون، وهو دفين أمَرجُو من بلاد فشتالة التي بقرب نهر ورغة، بينه وبين نهر سبو.

كان - رحمه الله - من كبار المشايخ [145] وأهل الأحوال الربانية والجذب ودوام الغيبة عن الخلق، وإن كان بينهم جليلا فياضا ساقط التكليف، وله البركات الشهيرة التي لا تحصى، والخوارق العظمية.

وكان كثير التلميذ، وخرج منه كثير من البهاليل وأهل الأحوال، وكان وقته كثير البهاليل، فكان يقال: « إن أكثرهم ممدون منه لقوة حاله التي شهد بها مشايخ عصره فمن بعدهم »، وكان في بداية أمره يفهم العلوم كلها من ظاهر وباطن.

ويذكر شائعا أنه: أخذ عن أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني دفين القصور من داخل مراكش، لكنه لم تطل صحبته له، ويقال: إنه ما لقيه إلا مرة واحدة بقبيلته: الشاوية، فأمده من حينه وهام على وجهه.

وسبب تكنيته بأبي الشتاء: أنه كان في العَلَم عند الشيخ أبي زيد عبد الرحمن ابن ريسون الشرف، فاحتيج إلى الشتاء في تلك البلاد، فجاء الناس على الشيخ أبي زيد المذكور يطلبون منه الاستسقاء، فأخذ بتلابيب سيدي أبي الشتاء ودفعه إليهم، وقال لهم: « هذا أبو الشتاء؛ خذوا بتلابيبه ولا تطلقوه حتى تمطروا! »؛ فأمطروا في الحال، وجرى عليه ذلك الاسم.

وفي "المقصد" عن الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله مَعَنْ الأندلسي أنه: « كان يقول فيه: ما رأيت في البهاليل بالمغرب أقوى منه... قال: وأخبر عنه غير ما مرة أنه: لا يحب من يجاوزه دون زيارة له إذا كان مارا من طريقه. ووقعت له معه عند مروره على طريقه زائرا لسيدي عبد السلام - نفعنا الله به - حكايات وآيات مضمنها تعذر المسير عليهم حتى يرجعوا لمدشره ويحتاجون إليه؛ فكان بعد ذلك لا يمر به إلا زاره ».هـ.

توفي - رحمه الله - ضحوة يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة سبع وتسعين وتسعمائة.
وانظر ترجمته في "المرآة"، و"الابتهاج"، و"الممتع"... وغيرها.

[74- الإمام سيدي محمد بن عبد السلام بناني]
(ت: 1163)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العلامة المشارك الهمام، الدراكة المحقق، الفهامة المدرس، المدقق الفصيح، المنور المليح، الصوفي الجليل الأشهر، الصالح البركة الأظهر، العارف بالله تعالى؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد بن عبد السلام البناني الفاسي مولدا ودارا، ومنشأ ومزارا.

كان - رحمه الله - حسبما وجد بخط تلميذه أبي عبد الله سيدي محمد بن الحسن البناني: ((شيخ الإسلام، وعلاّمة الأعلام، إمام المحققين، ورئيس النظار المدققين، حائز قصبات السبق في الفنون كلها، متضلعا من فروع العلوم وأصلها، مشتهرا بها شهرة نار على علم، مرجوعا إليه في حل المشكلات الحوالك الظلم، متصرفا تصرف [146] أفصح البلغاء باللسان والقلم، قائما بعلومه وتقاه أكابر علماء العرب والعجم...)). هـ.

وكان من الملازمين لتدريس "المختصر" بالقرويين من فاس في مجلس حفيل عام، ويفتي في النوازل والأحكام، وله تحرير في علم النحو، الذي عليه المدار والنحو، ويد في الترسيل وصنعة الشعر والإنشاء، يتصرف في ذلك كيف يشاء، وكان يرتاح للمديح، من كل شاعر مجيد فصيح، فتوارد القصائد على مجلسه على العادة في الاختتام، وتنشد بمرأى منه ومسمع بألحان وأنغام.

وكان له إذن في تلقين الأوراد الناصرية، ولُقِيٌّ لإمامها سيدي أحمد ابن ناصر الدرعي، لقيه بفاس مرارا عديدة، وتبرك به وأخذ عنه.

وله - أيضا - ولوع بزيارة الصالحين، لا سيما الأموات، وخبرة بقبورهم، وكانت له مع الناس أخلاق كريمة، وأوصاف حميدة جسيمة، وهمة عالية في التدريس، يغوص فيه على كل معنى نفيس، وعلى مجلسه هيبة وسكينة ووقار، وجلالة ورفعة وأنوار، يحضره الأعلام، من فقهاء الإسلام: كالمحشي بناني[1]، وأخيه سيدي مَحمد (فتحا)، وأخيهما سيدي علي، والشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري، وسيدي عبد المجيد المنالي، وأخيه سيدي أحمد، وسيدي علي بن محمد قصارة، وسيدي عبد القادر بوخريص، وسيدي مَحمد بن الخياط ابن إبراهيم، وسيدي أحمد الشرايبي، وسيدي محمد بن محمد بُردلة، وأمثال هؤلاء.

وكان يدرس الفقه بالصف الأول من القرويين ضحوة كل يوم، وله مجلس قبله للحديث بمسجد القاضي عياض من حومة الصاغة، وله مجلس للبخاري و"الرسالة" بين العشاءين بالمدرسة المصباحية.

---

[1] هو سيدي مُحمد بن الحسن بناني.

وكان أخذه عن شيوخ فاس؛ كالقاضي أبي عبد الله بُردلة، وأبي العباس ابن الحاج، وأبي عبد الله القسمطيني، وأبي مروان عبد الملك التاجموعتي، وأبي مدين بن الحسن السوسي، وأبي عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكور، وأبي عبد الله محمد بن الصيني، وأبي العباس أحمد بن يعقوب، وسيدي سعيد العميري، وسيدي عبد السلام جسُّوس، وأبي عبد الله محمد ميارة الحفيد، وأبي الحسن علي ابن محمد بركة، وأبي علي اليوسي، وأبي محمد عبد السلام القادري، وأبي عبد الله المسناوي، وسيدي محمد ابن عبد القادر الفاسي، وولده سيدي الطيب. . . وغيرهم. وأخذ أيضا عن جماعة من المشارقة، وله عنهم إجازات حسبما تضمنته فهرسته، وأدرك في صغره الشيخ سيدي عبد القادرالفاسي وعرض عليه سورا من القرآن.

وألف – رحمه الله – تآليف ؛ منها: شرح "الاكتفاء للكلاعي" في ستة أسفار، واختصار شرح الشهاب أفندي على "شفاء" القاضي عياض في سفر ضخم، وشرح "لامية الزقاق" في الأحكام، وشرح على "الحزب الكبير" للشاذلي، وشرح على صلاة [147] مولانا عبد السلام، وشرح على خطبة المختصر، وشرحان اثنان على نظم أبي زيد الفاسي في الاسطرلاب، وتكميل لشرح حدود ابن عرفة، و"فهرسة" ذكر فيها شيوخه من أهل فاس وغيرها . . . وغير ذلك من التاليف، إلى ما لا يحصى من الفتاوي والمقيدات، والإفادات والإنشادات.

رحل لتطوان زمن المسغبة العظمى عام خمسين، ورتب له عاملها مرتبا، وبقي يدرس هناك إلى أن رجع لفاس، ثم لزم الفراش بمرض مدة طويلة.

وتوفي عن سن عالية تقارب الثمانين، ضحوة يوم الأربعاء سادس عشر شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وستين ومائة وألف، ودفن عصر يومه المذكور بعد الصلاة عليه بالقرويين، بدار بالزنقة المعروفة بدرب القطان، بين الديوان والصاغة، من عدوة فاس القرويين، وبناها عليه أولاده زاوية بوصية منه، وكان بدء بنائها في حياته، وهي مجاورة لزاوية الولي الصالح سيدي أبي عياد ابن جلون: دفين حومة الصاغة المذكورة، وجعل على قبره بها دربوز وكسي كأعظم ضرائح السادات، وأوقف عليها أقاربه أوقافا لحزب القرآن، وللمؤذن، وللإمام في الصلوات الليلية.

ترجمه في "المورد الهني"، و"النشر"، و "التقاط الدرر"، و"سلوك الطريق الوارية" . . . وغيرها. وألف ولده الفقيه الحاج الأبر سيدي عبد الكريم البناني المتوفى بفاس تأليفا في التعرف به سماه: "تحفة الفضلاء الأعلام، بالتعرف بالشيخ أبي عبد الله البناني محمد بن عبد السلام".

[75 – سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام بناني]
(ت: 1182)

ومنهم: ولده الفقيه الأرضى، الذاكر المرتضى؛ أبو عبد الله سيدي محمد.

كان – رحمه الله – فقيها فقيرا، محبا صادقا في محبته، له نية كبيرة في جميع المنتسبين، ويحب الاجتماع معهم، ويأوي إليهم. وكان مولعا بالذكر، وتأخذه فيه أحوال، وكان ذا أوصاف حسنة، وأخلاق كريمة مستحسنة، كثير الحياء.

أخذ عن والده المذكور، وعن أخيه العلامة المفتي دفين مكة المشرفة، وقيل: المدينة المنورة بالبقيع، سنة تسعين ومائة وألف سيدي حمدون. ترجمه في "نشر المثاني" في خاتمة الجزء الثاني – على ما في بعض نسخه – وكذا في "سلوك الطريق الوارية". هـ. فانظرهما.

وتوفي – رحمه الله – ليلة الخميس عاشر رمضان عام اثنين وثمانين ومائة وألف، ودفن مع والده، ورآه بعض الأخيار في المنام بعد موته على هيئة حسنة، وشارة مستحسنة؛ فسأله عن حاله، فأخبره بأنه على خير، ومد عليها. ترجمه صاحب "سلوك الطريق الوارية".

[76– سيدي العربي بناني]
(ت: 1182)

ومنهم: السيد البركة، المحمود السعي والحركة، الكثير الذكر والصيام، المتحبب إلى سيد الأنام، بالصلاة عليه والسلام، أبو حامد سيدي العربي بناني.

كان – رحمه الله – خديما لسيدي محمد بن عبد السلام بناني المتقدم، ولأولاده من بعده، وكان [148] مؤذنا بزاويتهم المذكورة، ويوقدها ويطيبها ليلة الاثنين والجمعة. وكان ورده منها كل ليلة قبل طلوع الفجر، عشرة آلاف من سورة الإخلاص، يقرأها جهرا بحيث يسمعه المار مع الطريق. وكان يذكر أنه يستشير الشيخ في أموره كلها، ويقع له الجواب من القبر، وكانت له حانوت بجارة قيس يبيع فيها الدقيق، وكان يختم فيها "دلائل الخيرات" في كل يوم أربع مرات أو خمس مرات، ويوم الجمعة يزيد على ذلك. وكان كثير الصيام؛ يصوم الاثنين والخميس، وعاشوراء وعرفة، وشوالا.. ونحو ذلك، وكان من أهل الخير، ومن الصالحين والذاكرين الله كثيرا، ويعتريه حال عند ذكر الهيللة فينكره؛ ويتستر بالأرباح. وكان محبا في الفقراء والمساكين، والعلماء وآل البيت.

توفي – رحمه الله – سنة اثنين وثمانين ومائة وألف، ودفن بزاوية شيخه المذكور. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية" أيضا.

[77- العالم الموثق سيدي محمد بن أحمد بناني]
(ت: 1261)

ومنهم: السيد الفقيه، الموثق النبيه، المدرس الأتقى، المسن الأرقى؛ البركة: أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بناني، المعروف بفرعون.

كان - رحمه الله - من عدول هذه الحضرة الإدريسية، وممن يتعاطى بها شيئا من التدريس والفتوى، وكانت له معرفة بالتوثيق، وهو الذي جمع الوثائق الفاسية المشهورة الآن بأيدي الطلبة، وهذبها ورتبها.

توفي - رحمه الله - عن سن عالية يوم الخميس سابع المحرم فاتح سنة إحدى وستين ومائتين وألف. ودفن بالزاوية المذكورة.

[78- الفقيه سيدي الهادي بن محمد بن أحمد بناني]
(ت: 1264)

وخلف - رحمه الله - ولده الفقيه، العلامة النزيه، سيدي الهادي. كان - رحمه الله - مدرسا بجامع القرويين يدرس فيه "مختصر" خليل، وله شرح على "همزية" الإمام البوصيري لم يكمل، وولي مرة القضاء بثغر الصويرة.

توفي ليلة السبت خامس عشر رمضان سنة أربع وستين ومائتين وألف، ودفن مع أبيه بالزاوية المذكورة.

[79- سيدي مَحمد (فتحا) بن الهادي بناني]
(ت: 1269)

وخلف: ولده الفقيه، المدرس النبيه، أبا عبد الله سيدي مَحمد (فتحا). كان يدرس بالقرويين أيضا "التحفة" و"الألفية" ونحوهما، وتوفي في شوال سنة تسع وستين ومائتين وألف، ودفن مع أبيه وجده.

[80- سيدي حمدون بن محمد بناني]

وخلف سيدي الهادي أيضا: ولده الفقيه سيدي حمدون.

[81- الفقيه سيدي عبد الله بن حمدون بناني]
(ت: 1307)

وخلف سيدي حمدون: ولده الفقيه الأجل، الخير الدين الأفضل، العلامة المدرس الأنبل، أبا محمد سيدي عبد الله.

كان - رحمه الله - فقيها عالما نحويا، يدرس بالقرويين النحو والفقه، وكانت له في النحو مجالس حفيلة، وولي قضاء طنجة والصويرة وغيرهما، فأحسن الناس الثناء عليه.

وكان يتعاطى الشهادة بسماط العدول، وكان مشهورا بالتحري فيها.

توفي - رحمه [149] الله - ليلة الخميس ثالث ربيع الثاني سنة سبع وثلاثمائة وألف، وصلي عليه بعد صلاة زوال يومه بالضريح الإدريسي، ودفن أيضا بالزاوية المذكورة.

[82- سيدي بوعياد الورياكلي]
(ت: 1162)

ومنهم: الشيخ المسن المجذوب، الغائب الموله المحبوب، الولي الصالح المتبرك به؛ سيدي أبوعياد الورياجلي. دعي بابن جلون الفاسي ولادة ومنشأ وقرارا وتربية.

كان - رحمه الله - في ابتداء أمره حاضر العقل، تاجرا يتجر بالقيسارية وغيرها، وكان مولعا بالدندنة، ويضرب العود بيده، وله أهل وقرابة بالسودان، ثم إنه اتصل بالشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي، دفين الشرشور، فخدمه نحو الثلاث أو الأربع سنين، إلى أن توفي سيدي الحاج الخياط، فأشرق عليه حينئذ ما أشرق.

وبقي ملازما لزاوية شيخه المدفون بها، وأكثر من الزيارة والانحياش لأهل وازان ومن ينسب إليهم، حتى عظم أمره، وأدركه الجذب العظيم، فكان لا يفرق بين البرد والحرارة، ولا بين الإعطاء والمنع، ساقط التكليف، وكان يفعل أفعالا ينكر الشرع ظاهرها؛ من شرب الدخان ونحوه، بل كان يغيط في ثيابه وعلى رجليه، ويدخل المساجد والضريح الإدريسي وهو كذلك، ويضرب برجليه على حصور المساجد فيطير رشاش العذرة منه عليها، لأن جلابيته كانت تكون ملطخة جدا، ولا ترى يده اليسرى إلا قابضة ذكره يستمني به في الأزقة والمساجد قائما وقاعدا.

وشكي به لقاضي الوقت سيدي علي بوعنان، فسجنه بالمارستان وجعل السلسلة في عنقه، وكان ذلك عشية النهار، فلما كان الصباح والقاضي يحكم بباب داره؛ إذا بصاحب الترجمة مارا عليه يضرب الأرض برجله على عادته، فبعث القاضي لأهل المارستان يسألهم عن إطلاقه؟؛ فقالوا:

« عهدنا به بالبيت! »»، ودخلوا البيت فوجدوا السلسلة على حالها مربوطة؛ فسلم له القاضي إذ ذاك وتركه.

وكان لا يطلب من أحد من الناس شيئا، ومن أعطاه شيئا؛ تارة يقبضه وتارة لا.

وكان له صوت حسن؛ فكان في بعض الأحيان يغني به بالعروبي[1] بين سواري القرويين بأعلى صوته، حتى لا تحب أن تسمع غيره، والعامة مطبقون على ولايته والتبرك به، وكثيرا ما يقصدونه في مهماتهم ويستفيدون منه مآربهم مما يتفق على لسانه من الإشارات.

ولزم في آخر عمره دارا بحومة الصاغة، فكان الناس يغدون عليه فيها لزيارته، ويأتون بصدقات فيأخذها المباشر له، إلى أن توفي بها ثامن عشر رجب سنة اثنين وستين ومائة وألف. هكذا ذكر وفاته في "النشر"، وفي "التقاط [150] الدرر"، وقال في "سلوك الطريق الوارية": « توفي في أوائل رجب في وباء عام ثلاثة وستين ومائة وألف » .هـ.

ودفن بدار الصاغة من عدوة فاس القرويين، وأقيم عليه ضريح بروضة واسعة بنقوش وتزاويق، وقبره بها عليه دربوز من خشب، وهو مشهور مزار متبرك به إلى الآن.

ترجمه في "النشر" وفي "التقاط الدرر" وأطال فيه في "سلوك الطريق الوارية" فانظره.

المسجد المنسوب للقاضي عياض

[83- ترجمة القاضي عياض بن موسى اليحصبي]

(ت: 544)

ومن مزارات هذه الحومة: مسجد القاضي عياض. الكائن قبالة الدرب المعروف بدرب حجر النار، وهو مسجد مبارك؛ نزله كثير من أهل الخير وتعبدوا به، وأول من اشتهر أنه نزل به وتعبد: الشيخ الإمام، قاضي الأئمة وعلم الأعلام، عمدة أرباب المحابر والأقلام، ومفخر علماء الإسلام، مجمع الفضائل التي استقلت رسومها فلم تحتج إلى أعمال الأعلام، والمحاسن التي بهرت جميع الأنام؛ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المتوفى بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الأخيرة، وقيل: في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وولد منتصف شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة، ولذا ينسب المسجد المذكور إلى الآن إليه.

---

[1] أي: باللهجة البدوية. وهذا النغم ضرب من أنغام الشعر العامي المغربي (الملحون).

وكان دخوله فاسا عند انصرافه من سبتة قاصدا إلى حضرة مراكش في رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ونزل منها بدار ابن الغرديس التغلبي بزنقة حجامة كما نقله المقري في "أزهار الرياض" عن الشيخ العارف المتبتل سيدي حسين الزرويلي.

وممن كان يأوي لهذا المسجد ويؤم فيه ويدرس العلم: الفقيه العلامة المحب الصالح البركة؛ أبو عبد الله سيدي محمد ميارة الأصغر، حفيد الشيخ ميارة الأكبر، ودفين روضته بالدرب الطويل، وسيأتي هناك ترجمته إن شاء الله تعالى.

[84- سيدي محمد بن محمد الحفيان]
(ت: 1297)

وآخر من أدركناه وهو يأوي إليه ويتعبد ويؤم الناس في الصلوات: الولي الصالح، الذاكر المسن البركة؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الحفيان، المدعو: خمليش. كان - رحمه الله - من أهل الخير والبركة، كثير الذكر والعبادة، مقصودا بالزيارة، وظهرت له بركات وكرامات، وكان له خدام وأتباع، توفي في شهر شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف. ودفن مع أبيه بدارهم بجبل بني أبي نصر المعروفين ببني بُنصَر.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به من صلحاء وعلماء حومة الدرب الطويل والبليدة وما هو منضاف إليها

[85- سيدي علي بودلامة]

منهم: الولي الأذكر، الصالح الأشهر؛ أبو الحسن سيدي علي، المدعو: بودلامة [151] ضريحه - رحمه الله - قال في التنبيه: « بداره في زنقة طويلة، وهي الزنقة الرابعة عن يسار الداخل للدرب الطويل من باب حارة قيس، والدار في قعر الزنقة المذكورة عن يسار الداخل إليها ». هـ.

وأورده الشيخ المُدَرَّع في منظومته في صلحاء فاس قائلا بعد ذكر جماعة ممن بالدرب الطويل:

بقربهم ثمَّ أبو دُلامة ... الواضح الصلاح والكرامة

ولازال الناس إلى الآن يحدثون عنه بكرامات، ويشاهدون له أنواعا من البراهين والآيات، ولم أقف له على ترجمة.

[86- سيدي محمد ابن عزيز التَجيبي]
(ت: 1022)

ومنهم: الشيخ الشهير، الصالح الكبير، العالم العامل، الصوفي الكامل، العارف بالله تعالى؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن مطرق التَجيبي النسب، بفتح التاء وكسر الجيم؛ كما في "النشر"، الأندلسي الأصل، الفاسي المولد والدار، الشهير بابن عزيز، بوزن أمير.

قال في "درة الحجال": « من أحفاد منذر بن يحيى بن منذر بن منصور، أحد ثوار سرقسطة، وبنو صُمَادح من بني عمه ». هـ.

ولد - رحمه الله - سنة أربع وخمسين وتسعمائة، وروى الحديث عن شيخه الولي الصالح الفقيه المحدث الحاج الرحال أبي محمد سيدي أبي القاسم ابن الإمام الشهير أبي عبد الله محمد ابن الإمام الكبير القاضي عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الفجيجي، وأخذ النحو عن أبي العباس القدومي، والفقه عن أبي زكرياء السراج، وعن عبد الواحد الحُمَيْدي، وأخذ أيضا عن المنجور وغيره.

وحج ولقي: تاج العارفين أبا الحسن البكري، وصحب بفاس أبا المحاسن، وقد عده ولده أبو عبد الله محمد العربي الفاسي فيما وجد بخطه فيمن كان يتردد إلى والده المذكور من المشايخ، وكذا عده في "ابتهاج القلوب" فيمن أخذ عنه من الفقهاء؛ قائلا ما نصه: « ومنهم: الفقيه الراوية، الصالح المتبرك به؛ أبو عبد الله محمد ابن عزيز التجيبي، دفين الدرب الطويل من فاس القرويين، سمعت من الشيخ الوالد – نفعنا الله به – أنه وسيدي أحمد حبيب أول من بادر لصحبته – أي: صحبة أبي المحاسن – من أعيان فاس، واتخذه شيخا منذ دخوله لها ». هـ.

وكان – رحمه الله – أحد أكابر الأعلام، وممن أقام الله به دين الإسلام، وكان تلميذه الإمام ابن عاشر يحكي عنه كرامات. قال في "النشر": « ويكفي في كراماته تخرج ابن عاشر به، وبلوغه ما بلغ في العلم ببركته ». هـ.

وقد رأيت عند رأسه بضريحه كتابة في خشبة نصها: « هذا ضريح الشيخ الفقيه العارف بالله الزاهد، الخاشع السني العالم العامل العابد، ذي الكرامات الربانية، والشوارق العرفانية؛ أبي عبد الله [152] بن محمد بن أحمد بن مطرف؛ الشهير بابن عزيز، التجيبي نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي مولدا ودارا، شيخ الإمام العالم الفقيه أبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري الفاسي المتوفي بها سنة أربعين وألف. ومن خطه نقلت حلية الشيخ المذكور، إلا اسمه ونسبه وأصله؛ فمن خط الشيخ نفسه – رضي الله عنه.

قال ابن عاشر– رضي الله عنه – بعد ما تقدم عنه فيه: « شيخي وقدوتي ووسيلتي إلى ربي عز وجل » : « ويكفي في جلالته وعلو رتبته أن يكون شيخ هذا المولى، وأن يقول فيه هذا القول، رضي الله عنهما وأرضاهما، ونفعنا بهما بجاه رسوله محمد أفضل خلقه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ». هـ.

ووفاته رحمه الله: قال في "الصفوة" وغيرها: سنة اثنتين وعشرين وألف، ودفن بالدرب الطويل بأقصاه بالروضة الأولى من الروضات التي يدفن بها هناك عن يمين الخارج منه إلى ناحية دار الدبغ، وقبره بها شهير يزار ويتبرك به، ترجمه في "دار الحجال"، وكذا في "الروض"، و"النشر"، و"الصفوة" .. وغيرها.

[87– الإمام الحافظ سيدي أحمد بن العربي ابن الحاج السُّلمي]
(ت: 1109)

ومنهم: الشيخ الإمام، نخبة الأكابر وبقية الأعلام، الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، الحافظ القدوة الشهير، البركة الناصح الظهير، المدرس النفاع، الكثير التلامذة والأتباع، المتمسك بعرى الدين،

السالك سنن الأئمة المهتدين، الصوفي الأنور، الزكي المكين الأطهر، ألين أهل زمانه عطفا، وأشدهم لله خوفا، الموفق في السكون والحركة، المقرونة أحواله باليمن والبركة، المستضاء بنور علمه في ليل الجهل الداج، العارف بالله تعالى؛ أبو الفضل وأبو العباس سيدي أحمد بن السيد الحاج العربي ابن محمد ابن علي بن محمد، عرف بابن الحاج، الفاسي ولادة ومنشأ.

يتصل نسبه بجارثة الذي هو ولد العباس بن مرداس السلمي، الصحابي الشهير، من طريق العارف بالله أبي إسحاق إبراهيم بن محمد السُلمي البلفيقي، دفين وسط مراكش، المترجم له في "روضة المنثور" من "أزهار الرياض" للمقري، وفي غيره، وهو المسمى عند عامتهم بسيدي إسحاق. قال في "أزهار الرياض": « على ما جرت به عادة العامة من تغيير الأسماء. . » هـ.

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - من العلماء العاملين، والصلحاء الواصلين، كبير الصيت، مشهور البركة، معلوما بالصلاح وخلوص النية، مشاركا في العلوم، بارعا في سائر الفنون، مع الفطنة الوقادة، والإدراك السليم.

أخذ عن أبي زيد ابن القاضي، وأبي العباس الأبار، والقاضي ابن سودة، وأبي عبد الله سيدي محمد ميارة [153] الكبير، والشيخ سيدي حمدون المزوار، وأبي العباس أحمد بن جلال التلمساني، وأبي الحسن علي الزرهوني. . . وغيرهم.

ولازم الشيخ أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي سنين، وانتفع به ظاهرا وباطنا، وعليه كان اعتماده. وكان الشيخ أبو محمد المذكور يثني عليه وينوه بذكره.

وحج عام ثمانية وسبعين وألف؛ فلقي جماعة من المشايخ: كزين الدين الطبري، والبابلي، والشهرزوري، والشبراملسي، وعبد السلام اللقاني، والخرشي. . . وغيرهم. وقد استوفى ذكر شيوخه وأسانيده تلميذه سيدي محمد بن عبد السلام البناني في فهرسة جمعها في ذكر مشايخه عن إذنه.

ودرس - رحمه الله - بفاس فانتفع به قوم، وأخذ عنه جماعة؛ منهم: أبو محمد سيدي عبد السلام القادري، وشقيقه سيدي العربي، والشهيد أبو محمد عبد السلام جَسُّوس، وأبو عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكور، والشيخ أبو عبد الله المسناوي، والوجاري، وابن رحال، وأبو العباس ابن مبارك، وأبو عبد الله ابن زكري، وابن عبد السلام البناني. وقد أورده في فهرسته ووصفه فيها بأوصاف جمة عالية، وأنشد فيه:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله   إن الزمان بمثله لبخيل

ثم أنشد أيضا:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

وولي - رحمه الله - القضاء بفاس الجديد، على ما ذكره في "رياض الورد"، في الثاني والعشرين من المحرم الحرام مفتتح عام خمسة ومائة وألف؛ فحمدت سيرته، وثبت عدله. وكان ساكنا بفاس القديمة، فإذا طلع لفاس الجديد قرأ ثلاثين حزبا من القرآن في ذهابه، وثلاثين في رجوعه. ذلك دأبه مع قرب ما بين المدينتين.

ولما مرض مرض الموت؛ أخرج رُبَيْعَةً فيها جميع ما كان يقبضه من الأحباس المعينة لمتولي تلك الخطة، وحلف أنه لم ينتفع منه بشيء، وأوصى أن يشترى به حائط أو ربع ويحبس على المسجدُ الجامع، فنفذت وصيته، واشترى بذلك ولده سيدي مَحمد من بعده معصرة وكوشة، أكتريت المعصرة في ذلك الوقت بمائة مثقال للعام، والكوشة بستين أوقية للشهر، كما قيد ذلك حفيده سيدي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن الحاج.

ومما يدل على كشفه وصلاحه: ما يحكى من أن رجلا دخل يوما على الشريف القطب سيدي محمد ابن عبد الله الشريف اليملاحي الوازاني، وسأله أن يريه القطب. فقال له: « اذهب في الثلث الأخير من الليل إلى باب الحفا من القرويين بفاس، فأول من يدخل منها ويتوضأ فيها ويصلي ركعتين فهو القطب! ». ففعل الرجل ما قال له؛ فكان أول من دخل وفعل ما ذكر: صاحب الترجمة، فلما قصده الرجل؛ التفت إليه وقال له قبل أن يكلمه: « والله الذي لا إله إلا هو [154] إن الذي أرسلك هو القطب! ». أقسم على ذلك ثلاث مرات. قال بعضهم: « ولا كذب في إشارة القطب المذكور إليه بالقطبانية؛ لأنه قطب في مجلس علمه وتعليمه؛ فيصدق عليه اسم القطب لغة... قال: هذه كرامة لسيدي أحمد ابن الحاج - رحمه الله - وأنه من أولياء الله تعالى ». هـ.

وذكر في "رياض الورد" من جملة كراماته: « أنه صح عنه أنه كان يحضر في غالب أوقاته الصلوات الخمس بالمسجد الحرام ». نفعنا الله به.

ولد - رحمه الله - أوائل عام أربعين، أو اثنين وأربعين وألف، وتوفي مبطونا شهيدا ضحوة يوم الأربعاء أول شهر ربيع الأول عام تسعة ومائة وألف. ودفن في بيت اشتري له، وأدخل في روضة سيدي عزيز من ناحية رأس ضريحه، وضريح صاحب الترجمة به عن يمين الداخل، متصلا بالحائط، وإلى جانبه قبر ولده المذكور بعده، وهما مرتفعان عن الأرض بنحو الذراع، وعليهما دربوز صغير.

ترجمه ابن عبد السلام بناني، وسيدي إدريس المنجرة، في فهرسـتيهما. وكذا في "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"المورد الهني"، و"رياض الورد"... وغيرها. وأطال فيه في "رياض الورد". فراجعه.

[88- القاضي سيدي مَحمد (فتحا) بن أحمد ابن الحاج السلمي]
(ت: 1128)

ومنهم: ولده الفقيه النزيه، العالم العلامة النبيه، القاضي الأعدل؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن أحمد ابن الحاج السلمي المرداسي.

ولد - رحمه الله - بفاس في حدود النيف والستين وألف، وبها نشأ في حجر والده، وقرأ القرآن وجوده، ثم أخذ في العلوم على طريق المشاركة، لا يفوته فن إلا تداركه، فأخذ عن جم غفير؛ كوالده وعليه اعتماده، والشيخ أبي علي اليوسي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، والشريف سيدي محمد القسمطيني المعروف بالكماد، والشيخ سيدي العربي بُردُلة... وغيرهم. وأدرك من أشياخ والده: سيدي حمدون المزوار؛ ولازمه في عدة من علوم الآلات، وسيدي عبد القادر الفاسي؛ وقرأ عليه عدة كتب، وأجازه إجازة عامة بالخط وباللفظ.

وكان رحمه الله علامة حافظا، متبحرا، ماهرا في العربية، متضلعا بالفقه والحديث والتفسير والأصلين والبيان والمنطق، والتصوف، منفردا بعلم الحساب والفرائض، بصيرا بالتاريخ ومُلح النوادر، مع الإقدام في حل المشكلات، وفهم المعضلات، وسلامة القريحة، ونزاهة الساحة، وانتهاج طريقة الفقراء من العزلة والصبر والزهد والورع والتهجد والصيام والقيام.

وبعد وفاة والده تولى جميع ما كان بيده من الوظائف؛ كتدريس فقه مدرسة الخصة، ومدرسة العطارين، وتدريس صحيح البخاري بالكرسي الذي بظهر خصة العين من جامع القرويين، والقضاء والإمامة والخطابة بفاس العليا؛ فقام بذلك أحسن قيام [155] على مر الليالي والأيام. وله - رحمه الله - أشعار وقصائد، وشرح على فرائض ابن عرفة.

توفي ليلة الأربعاء سادس أو سابع عشر ذي الحجة الحرام متم عام ثمانية وعشرين ومائة وألف. ودفن إلى جنب والده ببيته المذكور. ترجمه في "رياض الورد".. وغيره.

[89- القاضي النحوي سيدي أحمد بن محمد ابن الحاج السلمي (الحفيد)]
(ت: 1133)

ومنهم: ولده سمي جده ووارثه: العلامة الأكمل، والهمام الشريف الأفضل، النحوي الأديب، المشارك اللبيب، قاضي فاس الجديد أيضا؛ أبو العباس سيدي أحمد بن مَحمد بن أحمد ابن الحاج السلمي المرداسي.

ولد - رحمه الله - سنة أربع وتسعين وألف، وأخذ عن والده وجده، وعن الشيخ سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي، والشريف القسمطيني الكماد، والمسناوي، وابن زكري، وسيدي العربي بردلة، والجرندي..

وكان علامة دراكة، متقنا ماهرا، ضابطا يحسن العربية ويتقنها، ويحسن التدريس، ماهرا في فني الفرائض والحساب، وابتدأ تأليف حاشية على مختصر ابن عرفة في الفرائض، عمل منها نحو الربع، وله أشعار وقصائد في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وغيره، مع ما كان عليه من العبادة والحياء، والعفة والصبر، والدين المتين، والانحياش إلى عباد الله الصالحين، والذكر والتلاوة، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلى غير ذلك.

وتولى جميع ما كان بيد والده وجده من الوظائف، من القضاء بفاس الجديد وغيره، فقام بذلك أحسن قيام.

غير أنه بغته الأجل قبل استيفاء الأمل؛ فتوفي - رحمه الله - صبيحة يوم السبت ثامن عشر ربيع الثاني عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف، عن نحو تسعة وثلاثين عاما، وصلي عليه في جامع القرويين بعد صلاة العصر، ودفن إلى جنب سيدي عزيز بروضته. كذا قيد بعضهم. وفي "رياض الورد" أنه دفن مجاورا لوالده، فإن صح ذلك فقبره هو الذي دفن فيه صاحب "الرياض" المذكور. والله أعلم.

وحضر الصلاة عليه ودفنه خلق كثير لا يحصيهم إلا الله، ترجمه تلميذه ابن جلون صاحب الحاشية على المكودي في كناشه، وصاحب "رياض الورد"، وألم أيضا بشيء من ترجمته في "النشر" وفي "التقاط الدرر".

[90- العلامة الأديب سيدي محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي]
(ت: 1274)

ومنهم: الفقيه العلامة الأديب، المشارك المحدث الأريب، الناظم الناثر، أبو عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ المحدث الصوفي أبي الفيض سيدي حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي النجار، الفاسي الدار.

ولد – رحمه الله – بفاس في نيف ومائتين وألف، وبها نشأ في حجر والده، وقرأ القرآن وجوده على الشريف الأستاذ الصالح أبي محمد عبد السلام بن أحمد أخريف الحسني العلمي، ثم شمر عن ساعد الجد في قراءة العلم على علماء العصر، فاعتمد [156] في العربية والفقه صهريه: أبا عبد الله محمد بن عمرو الزروالي، وأبا عبد الله محمد بن محمد ابن منصور، والعلامة أبا العلاء إدريس بن زين العابدين الحسيني العراقي، واعتمد في الكلام والأصلين والبيان والمنطق، والتفسير والحديث، والتصوف والفقه؛ والده أبا الفيض حمدون، والشيخ أبا عبد الله محمد الطيب ابن كيران...

حتى بلغ غاية الأرب في تحقيق علوم الأدب؛ من النحو والتصريف، والاشتقاق واللغة، والعروض والمعاني، والبيان والبديع، والأصلين والمنطق، وانفرد في علم الحديث بالحفظ والإتقان، والضبط، فاتسعت بذلك عارضته، واشتدت في العلم والعمل عنايته، مع الدين المتين، والسير على سنن المهتدين، والهمة العالية، والرتبة السامية.

وله – رحمه الله – مؤلفات عديدة؛ منها: شرح بعض الأبيات من الخمُسَين الأخيرين من "ميمية" والده، كمل به شرح والده عليها بإذن منه عند وفاته، وشرح خريدة والده في المنطق؛ سماه: "بالجوهرة الفريدة، في حل رموز الخريدة"، ونظم "مختصر" خليل، ونظم "توضيح" ابن هشام... وغير ذلك.

وكان له في نظم الشعر عارضة قوية، وله في الأمداح النبوية وغيرها قصائد كثيرة، وانتفع به خلائق.

توفي – رحمه الله – بعيد غروب اليوم السابع عشر من شوال الأبرك سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، ودفن ببيت سيدي أحمد بن العربي، قريبا من وسطه، أمام قبر أخيه المذكور بعده، بينهما قبر واحد. ترجمه في "رياض الورد"، إلا أنه لم يذكر وفاته لكونه تأخر عنه.

[91– الإمام سيدي محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي]
(ت: 1273)

ومنهم: أخوه وتلميذه الشيخ الإمام العلامة، الدراكة المحقق الفهامة، المؤرخ النسابة الأكمل، الفقيه النوازلي الأنبل؛ القاضي أبو عبد الله سيدي محمد الطالب بن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج السلمي الفاسي.

كان – رحمه الله – من أهل الفضل والدين، بعيد الساحة عن كل ما يشين، فقيها نظارا، عارفا بالفقه والحديث، والتصوف والتاريخ، والأنساب... وغير ذلك، نقادا غواصا.

أخذ عن جماعة من المشايخ: منهم أخوه السابق؛ قرأ عليه الفقه والحديث، والنحو والبيان، والمنطق والأصول.. وغير ذلك. والعلامة أبو عبد الله سيدي محمد البازغي، والعلامة المفسر المحدث سيدي محمد بن طاهر الحسني العلوي، والقاضي أبو العباس أحمد بن عبد الملك العلوي، والقاضي بحضرة مراكش سيدي التهامي بن حمادي المكناسي، والأديب الرحلة سيدي العربي بن محمد الدمناتي، وسيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن، وسيدي أبو بكر بن زيان الإدريسي، وسيدي إدريس البكراوي، وسيدي العباس ابن كيران، وسيدي [157] علي بن عبد الله المسيوي، والقاضي مولاي عبد الهادي، وسيدي عبد السلام بن الطايع بوغالب.

وأخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية عن الشيخ سيدي محمد الحراق نفعنا الله به، واجتمع بالشيخ العلامة الصالح البركة أبي عبد الله سيدي محمد صالح بن خير الله الحسيني الرضوي البخاري السمرقندي لما ورد لفاس وتبرك به، واستجازه في جميع مروياته؛ فأجازه فيها، وذلك أواسط قعدة الحرام عام ستين ومائتين وألف، وصافحه وشابكه بسنده.

وألف - رحمه الله - تآليف عديدة؛ منها: حاشيته على شرح "المرشد" للشيخ ميارة، وحاشيته على باحراق الصغير، و"الأزهار الطيبة النشر في المبادئ العشر"، وكتاب "الإشراف على بعض من حل بفاس من مشاهير الأشراف"، و"نظم الدر واللآل في شرفاء عقبة ابن صوال"[1]، و"روض البهار في ذكر جملة من مشايخنا الذين فضلهم أجلى من شمس النهار"، و "رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد"، تكلم فيه على نسب أبيه أبي الفيض حمدون ابن الحاج وما يتعلق به من الولادة إلى الوفاة، وتعرض فيه لذكر شيوخه وتلامذته وما يتبع ذلك[2]. . .، إلى غير ذلك من تآليفه.

وولي - رحمه الله - القضاء بحضرة مراكش مدة، ثم بعد وفاة القاضي بفاس مولاي عبد الهادي؛ ورد الخبر على فاس من مراكش سابع ذي القعدة سنة اثنين وسبعين ومائتين وألف بتوليته للقضاء بها، ثم دخلها يوم الثلاثاء سادس وعشري ذي القعدة من العام المذكور، وفي يوم الأربعاء الموالي له قرئ ظهير السلطان مولاي عبد الرحمن بتوليته بمنبر جامع القرويين.

وبقي قاضيا بها إلى أن توفي بعد عصر يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة الحرام متم سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف، ودفن من الغد، وهو يوم النحر، بالبيت المذكور متصلا بالدكانة المرتفعة التي بها قبر سيدي أحمد بن العربي وولده.

---

[1] أي: الشرفاء الكتانيين. وقد طبع ضمن منشورات جمعية الشرفاء الكتانيين للثقافة والتعاون. بتحقيق العلامة الدكتور علي ابن المنتصر الكتاني. رحمه الله تعالى.

[2] طبع الجزآن الأول والثاني منه بتحقيق الدكتور جعفر ابن الحاج، ومازال الثالث قيد الطبع.

[92- الإمام الأديب سيدي محمد (فتحا) بن عبد الرحمن ابن زكري]
(ت: 1144)

ومنهم: الشيخ الإمام: العالم العلامة الهمام، المشارك المحقّق، الصوفي المدقق، الحجة الضابط الأرقى، الولي الصالح الأتقى؛ أبو عبد الله سيدي محمد (فتحا) بن عبد الرحمن ابن زكري الفاسي المولد والمنشأ والوفاة.

كان – رحمه الله – في أول أمره يحترف بصناعة الدباغة مع والده، وكان والده مصاحبا لسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وملازما لمجلس تدريسه، وكان هو يحضر مع والده فيه، وكان لصغره يجلس في مؤخر الناس، وكان يبحث مع الشيخ كثيرا ويسأله، وكان الشيخ يعجبه سؤاله ويستحسنه من غير أن تكون له به معرفة، ثم إنه أقامه يوما من المؤخر وأجلسه قريبا [158] منه، وقال له: « مثلك لا يتأخر!! »، ثم رآه يوما وفي يده أثر الدبغ؛ فسأل عنه؛ فقيل له: « إنه ولد سيدي عبد الرحمن ابن زكري ». وقال له والده: « هو ولدي! ». فقال له الشيخ: « وهل يخدم الصنعة؟ »، قال: « نعم ». فقال له الشيخ: « إنه لا تناسبه الصنعة، وإنما تناسبه القراءة؛ لنجابته وفطنته! فأخرجه من الصنعة ولا تتركه فيها أصلا، واجعله في قراءة العلم، ولك أجره، وإن عجزت عن شيء من مؤونته، فأنا أعينك! ». فأخرجه عند ذلك والده وتركه لقراءة العلم، فكان يقرأ حتى فتح الله عليه. كذا ذكر صاحب "سلوك الطريق الوارية".

وفي "تحفة الإخوان": « إن الذي منعه من صناعة الدباغة وأمره بالقراءة: الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي، دفين الشرشور من عدوة فاس القرويين »، قال بعضهم: « ولا معارضة بينهما؛ احتمال اجتماع رأي الشيخين معا على ذلك ». قال: « إلا أن النسبة إلى الشيخ الرقعي أشهر وأصح. . . ». والله أعلم.

وكان سكناه بالديوان من حومة الصاغة، ويؤم بالمسجد الكائن هنالك، وكانت له به مجالس علم، ويقرأ فيه صبيحة الخميس والجمعة "الحكم" لابن عطاء الله، وكانت له فيه عمارة كبيرة، حتى ضاق المسجد، وصنع به مقعد يجلس عليه من لم يسعه المسجد من الازدحام، وذلك قبل توسيع المسجد المذكور وإقامة صلاة الجمعة فيه، لأن توسيع فضائه وتجديد بنائه وإقامة الجمعة فيه إنما كان في أواخر العشرة الأولى من القرن الثالث عشر على يد السلطان مولانا سليمان بن محمد العلوي – رحم الله الجميع.

وكان عالما عاملا، صوفيا كاملا، ممن تقصر عن محاسنه الأقلام، وتكل دون منتهاها ألسنة الأنام، أمره أشهر من نار على علم، فكأنه بدر تم طلع في ديجور الظلم، قد برع في سائر الفنون، وغاص في لججها فاستخرج منها نفائس الدر المكنون، جامعا لأدوات الاجتهاد، مائلا إليه في الحكم والاعتقاد، قادرا على الاستنباط، عارفا بما بين العلة والمعلول من جوامع الارتباط، بالغا غاية الأرب، في تحقيق علوم الأدب، من النحو والتصريف، واللغة والعروض، والقوافي والمعاني، والبيان والبديع، وصناعة الشعر والترسيل، وأنساب العرب وأيامها، وتواريخ غيرها من الأمم السالفة، وتراجم الأعيان وسائر المحاضرات، لا يدرك شأوه.

وألف تآليف عديدة مختلفة الأوضاع، عم بها في سائر الأقطار الانتفاع؛ منها: شرح "الفريدة" للسيوطي، وشرح "النصيحة"، و"الحكم العطائية"، و"الصلاة المشيشية"، و"القواعد الزروقية"، و"الهمزية" التي عارض بها "همزية" البوصيري، وحاشية على توضيح ابن هشام لم تكمل، بلغ [159] فيها إلى المفعول المطلق، وتعليق على البخاري، وتفسير على مواضع من القرآن.

وله أنظام وأشعار، تآليفه كلها في غاية التحقيق، ويذكر أنه ألف تأليفا في تفضيل العجم على العرب، وبسببه وقع التشنيع عليه من بعض أهل عصره. وقال الشيخ أبو العباس ابن عجيبة في "طبقات الأعيان": « حدثني بعض شيوخنا الفاسيين، أنه مكذوب عليه ولم يوجد في تركته ». هـ. وقال في "التقاط الدرر" ما نصه: « سمعنا أنه ألف تأليفا في تفضيل العجم على العرب، وأودع بعض كتبه بعض المسائل تؤذن بأنه يرى ذلك... ». هـ.

وكتب الشيخ أبو عبد الله ابن الحسن البناني في هامشه بخطه على قوله في تفضيل العجم على العرب ما نصه: « حاشا الله؛ لم يقل ذلك ولم يشر إليه، إنما مضمن تأليفه: منع التفضيل بين الأشخاص بغير التقوى ». وكتب على قوله: « وأودع بعض كتبه... إلخ »، ما نصه: «حاشاه؛ بل دينه فوق ذلك! ». هـ.

قرأ – رحمه الله – على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي العباس أحمد ابن العربي ابن الحاج، والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد المسناوي... وغيرهم. وأخذ عنه جماعة من أعيان فاس، وحج سنة أربعين ومائة وألف، ولقي هنالك ناسا من أهل الخير.

ولما دخل مصر ورأى ما عليه الناس بها من الولوع بشرب الدخان؛ عاب عليهم ذلك وأكثر الكلام فيه، وصرح بتحريمه، فعقد علماؤها مجلسا لمناظرته في جامع الأزهار؛ فناظرهم، وكان كلما احتج عليهم بنص، يقولون: « هذه نصوص المالكية ونحن حنفيون وشوافع »، فلما طال المجلس بينهم

في الجدال، قال لهم: « أضرب لكم مثلا: أرأيتم إذا دخل عليكم النبي صلى الله عليه وسلم وهي بأيديكم أو بأفواهكم أكنتم تتركونها أو تفعلونها بحضرته؟! »، فقالوا: « نتركها حياء منه وأدبا ». فقال لهم: « كل ما يستحيى به من النبي صلى الله عليه وسلم ويخبأ عنه؛ فهو حرام؛ لأن الحياء في الحق بدعة، والبدعة وصاحبها في النار، وإخفاء المعصية منه عليه السلام، وإظهار نفيها يكون نفاقا... ». فانبهروا وسكتوا.

وكان – رحمه الله – معتنيا بزيارة شرفاء أهل وازان؛ كالشيخ مولاي الطيب الوازاني، فنفحت عليه أنوارهم، وظهرت عليه بركاتهم، وصحب تلميذهم الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي؛ فنفعه الله بصحبته. قال بعضهم: « وأخبرني بعض الثقات عن غير واحد من العلماء أنه رضي الله عنه: كانت تحصل له غيبة، فيرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ».

ومما قيل في مدحه من نظم تلميذه الشيخ أبي محمد سيدي عبد المجيد بن علي الزبادي المنالي رحمه الله [160]:

أجلتُ في الناس فكري	في الصحو مني وسكري
فلم أجد طول عمري شيخا	كشيخي ابن زكري

ومن نظمه – أيضا – فيه:

يا أهل وُدي وسِرِّي	ومن ثووا وسط صدري
إن شئتمُ نيل ذخري	عليكمُ بابن زكري

توفي – رحمه الله – ليلة الأربعاء[1] ثامن عشر من شهر صفر الخير سنة أربع وأربعين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن في دار براحا بأقصى درب الطويل، تجاور روضة سيدي عزيز، وبينه وبين سيدي محمد ميارة، واتخذها الناس مقبرة لدفن الأموات ».

ترجمه في "النشر" و "التقاط الدرر" و"سلوك الطريق الوارية"... وغيرها. وللشيخ سيدي عبد المجيد المنالي تقييد مستقل في التعريف به، وقد وقفت عليه. وله أيضا في مدحه قصائد عديدة، وكذا للشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن عبد السلام بن محمد بن أحمد البناني في التعريف به والثناء عليه والرد على من نسب ما لا يليق بجنابه إليه مؤلف كبير في مجلدين ضخمين، سماه: "تحلية الآذان والمسامع، بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع".

---

[1] في المخطوطة في "سلوك الطريق الوارية" أنه: توفي في الثامن والعشرين من شهر صفر. فليحرر. هـ. مؤلف.

[93- سيدي أحمد بن محمد ابن زكري]
(ت: 1154)

وقد خلف - رضي الله عنه - ولده الفقيه البركة، الزاهد الورع؛ أبا العباس سيدي أحمد. كان عالما عاملا، زاهدا ورعا خاملا، صامتا معرضا عن الدنيا وأهلها، وتصدق مرة بجميع ماله على الضعفاء والمساكين من الأشراف والأيتام والأرامل، وتفرغ للعبادة في خلوة الشيخ أبي الشتاء من مسجد حارة قيس وكان كثير الصيام والقيام، قليل الكلام، كثير الإطراق والحياء.

إلى أن توفي عام أربعة وخمسين ومائة وألف، ذكره في "سلوك الطريق الوارية"، ولم يذكر له مدفنا، وربما يكون مع والده في روضته هذه. والله أعلم.

[94- الإمام الفقيه سيدي محمد (ضما) بن الحسن البناني]
(ت: 1194)

ومنهم: الشيخ الإمام، العلامة الهمام، الدراكة المتقن، المشارك المتفنن، حامل اللواء المذهب، في تحرير هذا المذهب، ووارث العلوم اللدنية، وحائز الكمالات السنية، أوحد أهل عصره، ولطيفة مصره، صاحب الفتح الرباني؛ أبو عبد الله سيدي محمد (ضما) ابن المرحوم سيدي الحاج الحسن بن مسعود بن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي القاسم البناني، بالتعريف، كما وجد بخطه. الفاسي منشأ ودارا ومزارا.

ولد - رحمه الله - سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، وهي سنة وفاة القاضي العدل سيدي العربي بردلة، وكان أحد مشايخ الإسلام، وأئمة الدين الأعلام، دراكا للعلوم، غواصا على دقائق المنطوق [161] منها والمفهوم، قد فاق سائر أقرانه، بحسن إدراكه وفهمه واعتنائه، وكانت له مشاركة في فنون عديدة، من فقه وحديث وتفسير، ونحو ولغة، وبيان ومنطق، وكلام وأصول، وتصوف... وغير ذلك.

وكان مجلس درسه يذهل العقول، من كثرة ما يستحضر فيه من النقول، مع بديع التخلص وحسن الترتيب، وفصاحة العبارة وشدة التقريب.

وتولى الإمامة والخطابة والتدريس بضريح مولانا إدريس بن إدريس، نحوا من أربعة عشرة سنة. وكان يأتي الضريح المذكور عند الفجر؛ فيصلى بهم الصبح، ويقرأ الحزب، ثم يدرس التفسير وصحيح البخاري، ثم يقرأ ضحوة "مختصر" خليل، ثم بعد الظهر "الألفية" وغيرها، ثم بين العشاءين الرسالة

وغيرها. وكان يجمع في خطبه بين الترغيب والترهيب، ويراجع كتاب سيدي عبد العظيم المنذري في ذلك، ولا يتسامح في الأحاديث، بل لا يذكر غالبا إلا ما صح أو حَسُن.

وأعطي في نشر العلم القبول التام، والحظوة الكاملة لدى الخاص والعام، فكان له فيه مجلس حفيل، معمور بالطلبة من كل جيل، وله عند أهل وقته ظهور ومكانة وتعظيم، وحظوة وجاه ورفعة وتكريم، مع القيام على ساعد الجد والاجتهاد، في التدريس وغيره مما ينفع العباد، والدين المتين والتؤدة العظيمة، والأخلاق الزكية الجسيمة، والمروءة والحياء، والوقار والاهتداء، منقبضا عن السلطان ومن والاه، زاهدا في عطاياه، لا يأخذها ولا ينتفع بها، بل يفرقها على من يستحقها.

قرأ في حال صغره على الشيخ سيدي علي بن محمد قصارة الحميري شيئا من النحو، وعلى إمام النحاة سيدي محمد الكندوز، وتفقه على جماعة من أشياخ وقته: كأبي العباس ابن مبارك، وأبي العباس الهلالي المقول فيهما: لولا الأحمدان لذهب المعقول من المغرب، وأبي العباس الورزازي، وأبي عبد الله جسوس، واعتمد في الدراية والرواية قريبه أبا عبد الله محمد بن عبد السلام البناني، واتصل به اتصال الكف بالساعد، وانحاش إليه انحياش الولد للوالد، وسافر معه لثغر تطوان في عام الخمسين، في جملة من له اتصال به من الأهل والبنين، لجاعة كانت، ثم لما عاد الله تبارك وتعالى بالخير، ورجع الشيخ إلى وطنه بفاس؛ عاد صاحب الترجمة معه.

وتبرك - رحمه الله ورضي عنه - بغير واحد من الصالحين، والأولياء العارفين، وأخذ عنهم. وذلك: كالقطب مولاي الطيب الوازاني، زاره مع والده وأخويه سيدي محمد (فتحا) وسيدي علي بوازان وأخذ عنه، والقطب [162] مولاي أحمد الصقلي. وكان يأوي إليه، ويعول في كثير من أموره عليه، وباتصاله به كمل خيره، وفاض سره.

ولما رحل إلى الحجاز بقصد أداء فريضة الحج؛ لقي هنالك أشياخ تلك البلاد، وأفاد فيها واستفاد، وكان من جملة من لقي بمصر: شيخ الحقيقة، وبحر الشريعة: أبو عبد الله سيدي محمد (فتحا) بن سالم الحفناوي الشافعي المصري، فأخذ عنه وتبرك به.

وأخذ عنه هو جماعة من الشيوخ: كالشيخ أبي عبد الله بنيس، والشيخ الطيب ابن كيران، وسيدي حمدون ابن الحاج، وأبي الربيع مولانا سليمان بن محمد الحوات، وأبي محمد سيدي عبد القادر ابن شقرون، وأبي العباس سيدي أحمد بن التاودي ابن سودة المري. . . وغيرهم.

وألف تآليف عديدة حسنة: منها حاشية على شرح الشيخ عبد الباقي الزرقاني على "مختصر خليل"، المسماة "بالفتح الرباني، فيما ذهل عنه الزرقاني". طار بها طائر الاشتهار، في سائر المدن والقرى والأمصار، ونفع الله بها العباد، وتعاطاها الأكابر من أهل الحضر والباد، وشرحٌ على "السُلم"،

وحاشية على شرح السنوسي لمختصره في المنطق، وحواش على شرح المكّودي، وأخرى على "محاذي" ابن هشام. وابتدأ شرح "المختصر" فوصل فيه إلى السهو وبغته الأجل، ولو كمل لكان فيه غاية الأمل، ووقفت على كراسة بخطه اشتملت على شرح شيء من "النصيحة" الزروقية، أولها قوله فيها: « ونصرة الدين بأمور ثلاثة »، وفيها الحاقات يسيرة وتشطيب قليل غالب الظن أنها من شرح له عليها .

ومن خط ولده أبي عبد الله سيدي محمد ما نصه: « توفي والدنا وشيخنا العلامة فريد عصره، ووحيد مصره، آخر المحققين على الإطلاق، وأزهد العلماء باتفاق؛ سيدي محمد بن الحسن بن مسعود البناني، أسعده الله يوم التهاني، عشية يوم الخميس متم ربيع الثاني عام أربعة وتسعين ومائة وألف » .هـ.

ومن خط تلميذه الشيخ أبي عبد الله بنيس ما نصه: « توفي شيخنا العلامة، الحافظ الحجة الفهامة، الجامع بين المنقول والمعقول، المحقق للفروع والأصول، خاتمة المحققين الأكابر، محصل أشرف المراتب والمآثر، مؤلف الحاشية التي عم نفعها الحاضر والبادي، ورجع إليها الشيخ والمنتهي والبادي، وطار صيتها في المشارق والمغارب، وقصر عليها كل المآرب؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن السيد الحسن بن مسعود البناني، أسكنه الله أعلى الفردوس في دار التهاني، عند غروب الشمس من يوم الخميس الآخر من ربيع الثاني من عام أربعة [163] وتسعين ومائة وألف. . . ».

« وصلي عليه من الغد بعد صلاة الجمعة بالقرويين، واجتمع الناس لجنازته، وسدت الأسواق، وسلت السيوف على نعشه وحصيرته، حتى كسروا النعش ومزقوا الحصيرة، وأخذ كل ما قدر عليه تبركا، ودفن بموضع طراز متوسط بين سيدي عزيز وسيدي محمد ميارة ».

« ومرض تسعة أيام بمرض كان عاما في الوقت، وتولى الإمامة والخطبة بمسجد مولانا إدريس نفعنا الله به يوم الأربعاء الرابع من ذي الحجة عام تسعة وسبعين ومائة وألف لوفاة إمامه حينئذ شيخنا العلامة الأستاذ مولاي عبد الرحمن ابن الأستاذ سيدي إدريس المنجرة » .هـ.

وذكر أبو الربيع مولانا سليمان الحوات وفاته أيضا كما ذكر، ثم قال: « وأقبر بأقصى الدرب الطويل، وأقيم على ضريحه بناء جليل، يقصده الزائر لنيل البركات، فيرجع بما نوى وإنما الأعمال بالنيات. ولقد كنت بعثت من بلادي الشفشاونية بأبيات، ضمنت آخر شطر منها تاريخ الوفاة، وهي مما عسى أن يكتب فوق رأسه، فيجد بها الناظر فروقا بين غده وأمسه، ونصها:

هذا ضريح الشيخ سيدنا قاعدة الدين وعمدته
مؤلف الفتح وأفضل من يولي البنّان بنسبته

كــان إمــام العصــر ثـم مضـى لـعـفـــو مـولانـــا ورحـمـتــه
فـي سـنـة قـلـت مـؤرخـــها *أدخـلـــه الله لـجـنـتـــه* ». انتهى.

والمكتوب الآن في رخامة عند رأسه أبيات أخرى للفقيه العلامة سيدي عبد الواحد ابن محمد الفاسي نصها:

الحمــد للإلـــه ذي الإحســـان الواسـع الفضـل العظيم الشـان
وأفـــضـــل الصـــلاة والســـلام عـلـى النبـي وآلـه الكـــرام
هــذا ضـريـح العـالـم الكبيـر الأوحـــد العــلامــة الشهيــر
بـحـر الشـريـعـة وحبـر الأمـة شـمـس العلا ونخبـة الأئمـة
مــن أكــرم الله بـــه عبـــاده فـضـــلا وأتـحـف بـه بـلاده
الشيـخ صـاحب الفتـح الربـاني محمـد بـن الحســن البنـاني
وفـاتـه يــوم جلال العلم غاب وإن تشـأ بيـانه بلا ارتيـاب [164]
فلثمـان بعـد عشرين خلت ثاني الربيعين الدنا منه خلت
ســنــة أربــع تلـي تسعيـنـا ومائــة وألـــف زد يقـيـنـــا
أســكـنـه الله فـسـيـح جنـتـه جـــوار أفـضـل الـورى وزمرته

وروضته هي ثالثة الروضات الخمس التي يدفن بها آخر الدرب الطويل عن يمين مريد الخروج منه إلى ناحية دار الدبغ، وهي بين روضتي سيدي ابن زكري وسيدي ميارة، وعلى ضريحه بها دربوز كبير، وهو مزار متبرك به.

ترجمه أبو الربيع المذكور في تأليف له في التعريف بنفسه سماه "ثمرة أنسي في التعريف بنفسي"، وفيما كتبه بخطه على ظهر أول ورقة من حواشي صاحب الترجمة على مختصر السنوسي المنطقي، وصاحب "سلوك الطريق الوارية"، وأبو العباس ابن عجيبة في "طبقات الأعيان" ، والعلامة الرهوني أول حاشيته على الزرقاني، وسيدي الوليد العراقي في تأليفه المسمى "بالدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس" . . . وغيرهم.

[95- العلامة سيدي علي بن الحسن بن مسعود البناني]
(ت: 1199)

ومنهم: أخوه الشيخ الفقيه، العلامة النزيه؛ أبو الحسن سيدي علي بن الحسن بن مسعود البناني.

كان – رحمه الله – فقيها نبيها، عالما نزيها، أخذ الفقه عن جماعة من الشيوخ؛ كالشيخ سيدي محمد بن عبد السلام البناني، وطريقة التصوف عن الشيخ مولاي الطيب الوازاني.

وتوفي في رابع المحرم مفتتح عام تسعة وتسعين ومائة وألف. ودفن مع أخيه المذكور بروضته.

[96- سيدي محمد بن محمد بن الحسن البناني]
(ت: 1245)

ومنهم: ولد أخيه السابق؛ الفقيه النزيه؛ العالم النبيه، أبو عبد الله سيدي محمد بن الفقيه العلامة سيدي محمد بن الحسن البناني.

أخذ – رحمه الله – عن والده المذكور، وعن العلامة سيدي محمد بن أحمد بنيس، وأخيه سيدي العربي، وسيدي التاودي ابن سودة المري، وسيدي عبد القادر ابن شقرون، وسيدي محمد ابن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام الفاسي، والشيخ أبي محمد سيدي العربي بن المعطي بن صالح الشرقاوي.

وتوفي بعد مرض طويل ثالث ربيع النبوي عام خمسة وأربعين ومائتين وألف، ودفن بروضة والده المذكور مما يلي رأسه، وجعل عليه دربوز صغير.

[97- الإمام الفقيه سيدي مَحمد (فتحا) بن أحمد ميارة (الأكبر)]
(ت: 1072)

ومنهم: الشيخ الصالح الفقيه، العالم العلامة النبيه، حامل لواء المذهب، وباني النوازل الأشهب، ذو المآثر الأثيرة الأثيلة، والشمائل الحميدة الأصيلة، من قصر عن كنه ثنائه المنطوق والمفهوم، وأحجم عن شأو علاه المنثور والمنظوم، الإمام البركة الأكبر، والقدوة النفاعة الأشهر، مالك زمانه، وفريد عصره وأوانه؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن أحمد بن محمد المدعو: مَيارة؛ كرجَالة، الفاسي أصلا ومنشأ ودارا ومزارا.

كان – رحمه الله – من أوعية العلم [165] المتفننين في علم النوازل والأحكام، القائمين عليها قيام إتقان وإحكام، مستحضرا للنقول الغريبة، ذاكرا للنوازل البعيدة والقريبة، شيخ المذهب في وقته، وحامل لوائه في عصره، مختصا بالإتقان وحسن التصرف، منفردا عن أهل عصره بجودة التصنيف، مع سلاسة العبارة، وجودة الإشارة، والاعتناء بالمطالعة والتقييد، والباع الطويل المديد، مشاركا محققا مدققا، حافظا متقنا محصلا، واسع العلم، فصيح القلم، كريم الأخلاق، حلو المنظر، بعيدا من التصنع والرياء.

أخذ عن ابن عاشر، والعارف الفاسي، وأبي العباس ابن القاضي، وأبي العباس المقري، وأبي الحسن علي بن قاسم البطوئي، وأبي القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني، وأبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب ابن إبراهيم الدكالي، وأبي عبد الله محمد بن محمد البوعناني. . . وغيرهم.

وفي "الصفوة": « إنه كان يقول: كنت أجلس بمجلس المقري؛ فآخذ العلم كله واضحا، فإذا جلست بمجلس ابن عاشر؛ وجدته كله مشكلا. قال: يشير إلى أن المقري كان حافظا لا يتعقب المسائل، وابن عاشر كان نقادا؛ يحك المسائل حتى يستنبط منها أمورا تنشط الأنظار، وتحير الأفكار » .هـ.

وأخذ عنه جم غفير، وعالم كثير، وأذعن له منصفو أهل عصره، ولهج به كثير من أهل مصره، وأقبل الناس على تآليفه من فاضل ومفضول، وتلقوا تقريراته كلها بالقبول، وعم نفعها في البلاد، وشاع فضلها في العباد.

فمنها: شرحاه على "المرشد المعين" الأكبر، والأصغر، و"زبدة الأوطاب في اختصار الحطاب"، وشرح "التحفة"، و"اللامية"، وحاشية البخاري اختصر فيها المقدمة لابن حجر مع زوائد؛ سماها: "معين القاري لصحيح البخاري"، وتذييل "المنهج المنتخب" وشرحه، و"نصيحة المغترين في الرد على ذوي التفرقة بين المسلمين". . .، وغير ذلك من التقاييد والأجوبة.

وكان - رحمه الله - حريصا على العلم وتحصيله، ونشره للناس وتفصيله، متقشفا يتقوت من حلي من لباس النساء كان يكريه في الأعراس، وناله أذى من طلبة وقته، ونسبوه لعدم الثقة في النقل حسدا، فأعرض عنهم وأقبل على شأنه.

توفي بعد ضحى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة اثنين وسبعين بتقديم السين وألف. ودفن بدار بأقصى درب الطويل صارت بعده روضة معدة لدفن الأموات، وأضيف إليها ساحات؛ فصارت مقبرة كبيرة، وبني على قبره بها قبة، وجعل عليه دربوز وكسوة.

وعند رأسه رخامة مكتوبة نصها: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم [166]، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾. [الرحمن : 25]. هذا ضريح الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، الخير الدين البركة، المتوسل به إلى الله في السكون والحركة، صاحب التواليف المفيدة، والفتاوي العديدة، الزاهد العابد الناسك، آخر من حمل بفاس على كاهله لواء مذهب مالك؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد الشهير بميارة. ولد - رضي الله عنه - ليلة النصف من رمضان المعظم عام تسع وتسعين وتسعمائة، وتوفي - رحمه الله - ضحوة يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الثانية سنة اثنين وسبعين وألف، نفعنا الله والمسلمين ببركاته آمين » .هـ.

ولا زال ضريحه مشهورا إلى الآن، متبركا به. ترجمه الشيخ أبو زيد الفاسي في "أزهار البستان"، وكذا ترجمه في "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"... وغيرها.

[98- شيخ الجماعة سيدي مَحمد بن محمد ميارة (الأصغر)]
(ت: 1144)

ومنهم: حفيده الإمام الكبير، العالم العلامة الشهير، القدوة المحقق الظهير، إمام عصره وزمانه، وشيخ الجماعة في وقته وأوانه؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن محمد - وقيل: أحمد - بن العلامة سيدي محمد بن أحمد ميارة الفاسي الدار، والمنشأ والقرار، المعروف بميارة الأصغر.

كان - رحمه الله - أحد الفقهاء، وواحد الوجهاء، من أكابر علماء فاس، ومن المرجوع إليهم في مهمات الناس، له تحقيق في العلوم العقلية، ودراية تامة في العلوم النقلية، محدثا نوازليا، مشاركا حجة، ضابطا ثقة، إليه المرجع في فتاوي فاس وحوادثها، موثوقا به في ذلك. وكان القضاة يعتمدون عليه في أحكامهم، ويرجعون إليه فيما لم يظهر لهم وجهه من نوازلهم، وكان له سمت حسن، وذكاء وفطنة تامة، مهابا محببا للخاصة والعامة، يصدع بالحق ولا يبالي، مقبولا عند الملوك وغيرهم.

أخذ عن أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، واعتمد على ولده سيدي مَحمد، وعلى الشيخ سيدي أحمد ابن الحاج، وعلى سيدي العربي بردلة، ولازمهم إلى موتهم، وكان ملازما لدار بالدرب الطويل، لا يخرج إلا في أوقات الصلاة ولقراءة العلم بمسجد عياض من حومة الصاغة؛ وكان إماما به.

ومما يدل على عظيم محبته في النبي صلى الله عليه وسلم وآله؛ أنه خرج مرة من داره قبل الفجر لصلاة الصبح بالمسجد المذكور، فلقيه لص وضربه بزرواطة [1] على أذنه بباب درب رياض جحا، حتى سقط إلى الأرض مغشيا عليه، وسلبه ثيابه وتركه بالطريق حتى وجده من وجده على تلك الحالة، وحمله إلى داره، ثم إنه من الغد عثر على اللص المذكور بوادي الزيتون وهو يغسل أثياب الشيخ من الدم، فعرف وقبض وجيء به لعامل [167] البلد؛ فسجنه، وجاء إلى الشيخ يستشيره: ماذا يصنع به؟ فسأل عنه؛ فقيل: إنه ينتسب للشرف. فأحضر العدول وأشهد على نفسه أنه: سامحه لأجل نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وأمر الحاكم بإطلاقه في الحال. فأطلقه وبرئ الشيخ من تلك الضربة ثقيل الأذن، ثم بعد وفاته بمدة قبض اللص المذكور هو وأصحابه عند قطعهم الطريق على أناس وذبحوا جميعا عند سقاية باب المحروق، أعاذنا الله من ذلك.

---

[1] الزرواطة: أداة للضرب. كالعصا اللينة.

توفي - رحمه الله - ضحوة يوم الجمعة خامس عشر المحرم فاتح سنة أربع وأربعين ومائة وألف. قال في "سلوك الطريق الوارية": « ودفن بالدرب الطويل بروضة جده سيدي محمد الكبير، بين قبته وبين ضريح العلامة الشيخ سيدي محمد بناني - المدعو: المحوجب - رضي الله عنهم أجمعين ».هـ. وهما بالجانب الغربي من القبة المذكورة بدور بهما دربوز صغير. وعند رأس صاحب الترجمة رخامة منقوشة بأبيات نصها:

هـذا ضـريـح العـالـم الإمـام	مـأوى التقى وحجة الإسـلام
أحـد أعـلام الأنـام العامليـن	والصلحاء الواصلين الكامليـن
محـرر الفـروع والأصـول	وفـارس المعقـول والمنقـول
من للإله كـان يُدعـى دائمـا	وفي الإلـه لائـحا ولائـما
ونصـرة الديـن إليـها يسـرع	والله يخشـى وإليـه يخشـع
خاتـمـة المحققيـن حقـا	مَحمـد الأسمى الأجل الأرقي
درتـنـا الثميـنـة المختـارة	ابن محمـد الرضى ميـارة
نجل الإمام العالم الشيخ الكبير	ومن يلقب بمالـك الصغيـر
رحمـه بفـضلـه الرحمـن	وعمـه الغفـران والرضـوان
وفـاتـه تاريخـها بمغـرب	يلفى وفي دمشق دون كـذب
والله أولاه علـى الحقيقـة	علم الشريعة مع الحقيقـة
وأخذه لذاك عن شيخ الشيوخ	ومن لـه في العلم والدين رسوخ
سيـدنـا الولـي عبد القـادر	تـاج ذوي العلـوم والمفـاخـر
ابـن علـي بـن سيـدي يوسـف	من لفاس ينسب. وفي ذاك وفى
نفعـنـا الإلـه جل بالجميـع	بجاه أشرف الورى الهادي الشفيع
صلـى عليـه الله مادام الـدوام	والآل والصحـب الأجلـة الكرام

[168] ترجمه في "المورد الهني"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"سلوك الطريق الوارية"...

[99- العلامة سيدي محمد بن محمد بناني (المحوجب)]
(ت: 1140)

ومنهم: الفقيه العلامة، المحقق الفهامة، المفتي النوازلي، الحاج الأبر؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الحاج محمد بن حمدون بناني. المعروف بالمحوجب؛ لكونه كان أقرن العينين.

كان إليه المرجع بفاس في النوازل وتحقيق الوثائق والفرائض والحساب، وسلم له قلم الفتوى ومعرفة الرسوم، أدرك سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ عن ولده سيدي مَحمد، ولازم ولده سيدي الطيب، وأخذ أيضا عن سيدي العربي بردلة؛ وهو عمدته.

وله تآليف؛ منها: "الفوائد المسجلة في شرح جملتي البسملة والحمدلة"، وشرح جيد على خطبة ألفية ابن مالك، وما لا يحصى من الفتاوي، وكان والي الأحكام الشرعية بفاس يرسل إليه ما أشكل عليه من الدعاوي؛ فيفصل فيها. وما دخلت بيده قضية إلا وقع الفصل فيها في الحين.

توفي – رحمه الله – أول ليلة السبت السادس عشر من ذي الحجة متم عام أربعين ومائة وألف. قال في "المورد الهني": « دفن داخل فاس بروضة الإمام العلامة الصالح سيدي محمد ميارة التي بباب الدرب الطويل من جهة شوارة ». هـ.

وضريحه – رحمه الله – خارج قبة سيدي محمد المذكور، متصلا بجانبها الغربي، أمام ضريح سيدي ميارة الأصغر. ترجمه في "المورد الهني"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"...

[100– العالم سيدي مَحمد (فتحا) بن الحسن البناني]
(ت: 1180)

ومنهم: العلامة الفقيه، المدرس النبيه؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن الحاج الحسن البناني. أخو المحشي بناني السابق.

كان – رحمه الله – فقيها نحويا، يدرس بمسجد القرويين مختصر خليل، وألفية ابن مالك للمبتدئين.

قرأ على الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام البناني، وسار معه إلى تطوان في مسغبة عام خمسين، وأخذ بها حينئذ على الشيخ أبي العباس الورزازي، وأخذ أيضا – هو وأخواه سيدي محمد (ضما) السابق وسيدي علي – عن الشيخ مولاي الطيب الوازاني بوازان، ووالدهم معهم. توفي والدهم المذكور بفاس، ضربه جمل على وادي سبو؛ فقتله، فدفنوه بفاس. وسار صاحب الترجمة أيضا إلى الحج مع أخيه سيدي محمد (ضما)؛ فحجا معا، ورجعا إلى فاس.

توفي صاحب الترجمة بها بالطاعون. قال في "النشر": « أواخر العشرة السادسة، أو أوائل السابعة بعد مائة وألف، قال: وهو أكبر من أخويه سنا وأعلم منهما علما ». هـ.

ترجمه فيه في خاتمة الجزء الثاني في تراجم من لم يقف له على وفاة، وهو من أهل القرن الثاني بعد الألف، ورأيت بخط بعضهم ما نصه: « توفي العلامة سيدي محمد بناني الكبير أول ليلة السبت سادس عشر ذي الحجة الحرام عام ثمانين ومائة وألف [169]، ودفن بداخل روضة الشيخ ميارة ». هـ.

[101- الفقيه سيدي عبد الرحمن بن الخياط حَسِّين]
(ت: 1193)

ومنهم: الفقيه العلامة البركة؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن المحتسب سيدي الخياط حَسِّين، توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، ودفن بداخل هذه الروضة.

[102- العالم سيدي محمد بن عبد القادر ابن شقرون]
(ت: 1208)

ومنهم: الفقيه النزيه، المشارك النبيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن العلامة سيدي عبد القادر ابن شقرون. توفي - رحمه الله - ليلة الأحد تاسع وعشري رجب الفرد عام ثمانية ومائتين وألف، ودفن بداخلها أيضا.

[103- الشريف سيدي الطيب بن محمد الصقلي]
(ت: 1270)

ومنهم: الشريف الأجل، المبارك الأفضل، الخير الناسك الأكمل، الولي الصالح المتبرك به؛ أبو عبد الله سيدي محمد الطيب بن أبي عبد الله محمد بن الشريف البركة سيدي محمد الزاهد بن علي بن العربي الصقلي الحسيني.

كان - رحمه الله - منسوبا إلى الولاية والصلاح، معروفا بالفضل والبركة والنجاح، يغترف من بحر جده المصطفى، وينال برؤيته والاجتماع معه الحظ الأوفى.

ومما رأيته بخط بعض الفضلاء نقلا عن ولده سيدي محمد؛ وهو المترجم له بعده، قال: « لما قربت وفاة والدي؛ التفت إلي وقال لي: يا ولدي؛ إني أريد أن أحدثك حديثا سمعته منه صلى الله عليه وسلم!. دنوت منه، وقلت له: يا سيدي؛ وما هو؟. فقال لي: كنت جالسا معه صلى الله

عليه وسلم؛ فقال لي: يا ولدي الطيب؛ من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ دخل الجنة. فحمدت الله عز وجل. وما بقي والدي بعد ما سمعت منه الكلام المذكور إلا مقدار قسم[1] وخرجت روحه – رحمه الله)).

وكانت وفاته: يوم الجمعة بعد صلاتها، في العشرة السادسة أو السابعة بعد مائتين وألف، ودفن بالروضة المذكورة وسط الساحة المسقفة بها، بين ساريتين هناك، وجعل على قبره دربوز أخضر.

[104- الشريف سيدي محمد بن الطيب الصقلي]
(ت: 1271)

ومنهم: ولده الشريف، البركة المنيف، الناسك الأرضى، الصوفي المرتضى، الولي الصالح، المرشد الناصح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب الصقلي الحسيني.

كان – رحمه الله – من أهل الجد والاجتهاد في العمل، والذكر والمذاكرة في جل أوقاته من غير ملل، كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وشرف ومجد وعظم، متوجها إلى مولاه، لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

حج حياة والده المذكور، آخر سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف، وأخذ بمصر الطريقة الخلوتية عن الشيخ الغوث سيدي فتح الله عن الشيخ سيدي أحمد الصاوي، عن القطب سيدي أحمد الدردير، رضي الله عنهم، وكتب له الإجازة.

وله – رحمه الله – أصحاب وأتباع، ومرائي نبوية كريمة، وكلام في الطريق، وتأليف في التصوف في نحو عشر كراريس، سماه: "محاسن الأسرار الإلهية" ورتبه على أبواب عديدة، وذكر في أواخره بابا في الأحاديث التي سمعها عن النبي صلى الله عليه وسلم منه إليه يقظة لا مناما، من غير واسطة [170]. منها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((يا ولدي محمد بن الطيب الصقلي الحسيني: إن صاحبك لا تخرج روحه حتى نحضر له عند خروجها، ولا يموت إلا على كمال الإسلام!)).

ومنها: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أصحابك لا يموتون حتى تكون قدمهم على قدم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام)).

---

[1] القسم: خمس دقائق.

وله – أيضا – شرح على صلاته التي يقول في أولها بعد البسملة: « اللهم صل على سيدنا محمد نور الحق، وسراج أهل الصدق »، فيما يقرب من الكراستين، وختمه بخاتمة في معنى قوله تعالى: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾. [الحجرات : 13]. وذكر في آخر الخاتمة المذكورة أن مما يعين على حسن الخاتمة – بعد جريان المشيئة: ملازمة الأذكار والقيام بأوراد المشايخ.

وكان – رحمه الله – عارفا "بالسقار" المعرفة الكبيرة، لا يغارمه في ذلك أحد، وسبق له في أول أمره شيء من التلصص، ويحكى عنه فيه فعلات، ثم إنه سجنه السلطان مولانا عبد الرحمن العلوي، خارج فاس، وجعل السلسلة في عنقه، وبقي في السجن كذلك ما يزيد على السنتين، ثم إنه شفع فيه صهره الصالح البركة سيدي الصالح بناني؛ فقبل السلطان المذكور شفاعته، وأطلقه ووصله بصلة، وأجرى عليه من الحبس جراية حسنة.

وأخبر – رحمه الله – أن مبدأ فتحه كان وهو في السجن؛ وظهرت له كرامات؛ منها: ما أخبرني به بعض من صحبه وخالطه مدة طويلة قال: « كان – رحمه الله – يحب سماع القوم، ثم إنا كنا مرة في بستان بججر فرج، من حومة الرميلة، ومعنا رجل قوال، كان الشيخ يحبه ويوده، وكان الزمن زمن قحط شديد ووقفة عظيمة، فقال له الشيخ: قل. فقال: يا سيدي؛ ما أجد للقول محلا، الزمن كما ترى، والناس في شدة والمطر لم ينزل. فقال له: قل؛ وعليّ الحرام لا خرجنا من ها هنا إلا في المطر. فشرع في القول، وكان ذلك صباحا، قال الراوي؛ فما قرب الزوال حتى جاءت الأرياح العظيمة من كل جانب، ونزل عقبها المطر الغزير، وخرجنا من البستان المذكور وهو ينزل، والسيول قد جاءت، وما أمكننا معها إلا ترك النعال، فتركناها؛ وانصرفنا نخوض في الماء حفاة، قال فقال لي الشيخ: أترى قد بررت في يميني؟. قال فقلت: نعم يا سيدي ».

وكان – رحمه الله – يكثر الجلوس بمسجد القرويين عمره الله بذكره – إلى أن توفي بالوباء ضحى يوم السبت تاسع وعشري شوال الأبرك، أو متم الثلاثين منه؛ سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، ودفن بزاويته التي بزنقة النخيل، القريبة من دار الدبغ، يمين المار لحومة البليدة، وقبره بها عليه دربوز يزار ويتبرك به.

[105– الشريف سيدي عمر بن محمد الصقلي]
(ت: 1307)

وخلف – رحمه الله – في زاويته بعده: ولده الشريف الذاكر، الناسك [171] البركة؛ أبا حفص سيدي عمر. كان – رحمه الله – كثير الذكر، مواظبا على قراءة الأحزاب والأوراد، وقيام آخر الليل، كثير الحفظ لكلام القوم مستحضرا له دائما. وحج وزار، ولقي غير واحد من المشايخ والأبرار، وأخذ عنهم، وله عنهم إجازات.

توفي صبيحة يوم الجمعة ثامن شهر صفر الخير عام سبعة وثلاثمائة وألف، وحضر جنازته جم غفير من الناس، وصلي عليه بمسجد القرويين بعد صلاة الجمعة، ودفن مع والده بزاويته وراءه، وجعل عليه دربوز منضم إلى دربوزه.

وأخبرني - رحمه الله - في مرضه الذي توفي فيه؛ أنه: كشف له عن حال البرزخ؛ فرأى فيه أرواح المؤمنين، كل روح في ثقب فيه، ومن ورائها شرشبة الموبر[1]، وسمع فيه أولاد المؤمنين يقرؤون القرآن في ألواحهم، كحالهم حين يكونون في المكتب، وأنه كشف له عن النار؛ فرآها مظلمة، وكذا أخبرني بعض خواص أصحابه عنه بأمور تدل على فضله وصلاحه... نفعنا الله به.

[بعض المزارات بفاس]
[زاوية الشيخ أبي يعزى بالبليدة]

[106- الإمام سيدي أبو يعزى الهزميري]
(ت: 572)

ومن المزارات عندنا بفاس بهذه الحومة: زاوية من أكرم بالنصيب الوافر، وفتح عليه بأعظم المفاخر، وتواتر عنه عجب العجاب وكثير المآثر، أعجوبة الزمان، وحامي الحمى الكبير الشان، تحفة الدهر، وغريب البر والبحر، السيد العماد، قطب الأقطاب وسيد الأسياد، الغوث الشهير، والولي الصالح الكبير، شمس الزمان، ومصباح البيان، الزاهد الورع العارف بالله تعالى؛ سيدي أبي يَعَزَّى بفتح العين وتشديد الزاي، وبسكون العين وتخفيف الزاي، ويقال: بإسقاط الياء أوله مع التشديد - يَلَنُّور - بتشديد النون المضمومة؛ أي: صاحب النور بالعربية - ابن ميمون - وقيل: ابن عبد الله، وقيل: ابن ميمون بن عبد الله - وقيل: ابن عبد الله بن ميمون بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وقيل: إنه أبو يعزى، عبد الله بن عبد الرحمن ابن ميمون الدكالي الهزميري، من هزميرة إيرجان، وقيل: هو من بني صبيح من هسكورة، وقيل غير ذلك.

كان - رضي الله عنه - منقطعا عن الخلق، مجاب الدعوة، صادق الفراسة، حسن الخَلْق والخُلُق، أسود اللون، نحيف البدن، معدل الصوت، كثير الحياء والعبادة، عمَّر طويلا، زاد على المائة سنة بنحو الثلاثين سنة.

---

[1] الموبر: نوع من أنواع القماش؛ وهو: القطيفة.

وكان قطب عصره، وأعجوبة دهره، بلغ من مقامات اليقين مبلغا لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين، وكان لا يأكل شيئا مما يأكله الناس، إنما يأكل الحشيش الذي لا يعتاد أكله، وأمره كله عجب، وكراماته منقولة بالتواتر، حدث عن البحر ولا حرج.

وقد نقل عنه أنه كان يقول: « ما لهؤلاء المنكرين ينكرون كرامات الأولياء ؟!، والله لو كنت قريبا من البحر لأريتهم المشي على الماء عيانا »، وكان [172] الشيخ أبو مدين – رضي الله عنه – يقول: « طالعت أخبار الصالحين، من زمان أويس القرني إلى زماننا هذا؛ فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى ». وفي: "الطبقات المناوية" : « أبو يعزى المغربي؛ كان من أكابر أولياء المغرب، جد واجتهد، ولزم البراري والقفار خمس عشرة سنة، وكانت الأسد والوحوش تأوي إليه، والطيور تعكف عليه، وإذا خاطبها؛ عقلت كلامه وعملت به، وكان إذا قال للأسد: لا تسكنوا هنا. أخذوا أشبالهم وخرجوا جميعا. ويقول للوحش: اذهب إلى محل كذا فإن فيه قوتك؛ فيذهب فيجده ».

ثم إنه أُمِرَ بالرجوع إلى الناس؛ فدخل المدن؛ فانتفع به خلق كثير، وانتهت إليه رياسة تربية المريدين...

قال ابن عربي: « وكان إذا زنى رجل أو سرق أو شتم أو فعل محرما ثم دخل عليه؛ يرى ذلك العضو الذي منه العمل مخططا تخطيطا أسود. قال ابن عربي: وكان لا يراه أحد إلا عمي من نور وجهه، وممن عمي عند رؤيته: الشيخ أبو مدين؛ فكان لا يبصر أحدا إلا إن مسح وجهه بثوب أبي يعزى، فيرتد بصيرا. ثم يعمى، وكان أهل المغرب يستسقون به؛ فيسقون ».

ومن كلامه: « كل حقيقة لا تمحو آثار العبد ورسومه؛ فليست بحقيقة ». وقال: « من طلب الحق من جهة الفضل؛ وصل إليه؛ وإلا لم يصل »، وقال: « انفع الكلام: ما كان إشارة عن مشاهدة، أو إخبارا عن شهود ».

وفي "المعْزَى" أن الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني – رضي الله عنه – كان إذا فاضت عليه أنوار الجمال يقول: « أنا كذا أنا كذا ». من أنواع الشطحات، فربما قيل له: «هل تعلم لك في الوجود نظيرا ؟! »، أو كلاما هذا معناه. فيقول: «عبد حبشي بالمغرب؛ اسمه: آل النور، وكنيته: أبو يعزى، له مقام عظيم قل من يبلغه من الأوائل والأواخر ».هـ. وفيها – أيضا – نقلا عن أبي العباس ابن الخطيب قال: « كان أبو عمران موسى بن محمد بن معطي العبدوسي كثير التعظيم للشيخ أبي يعزى، وكان يصرح فيه بالثناء؛ حتى سمعته قال: ما في الأولياء مثله ».

وفي "كفاية المحتاج" في ترجمة أبي عمران المذكور ما نصه: « وكان يعظم أبا يعزى كثيرا، ويكثر ذكر أحواله في مجلسه، ويشير إلى أن ما ثم في الأولياء مثله ». وفي "المنح البادية" عن سيدي يحيى السراج: « إنه كان يقول: ماء زمزم وما شرب له، ويس وما قرئ له، وأبو يعزى وما زير له ».

وفي "الدوحة" في ترجمة الولي الصالح الفقيه الزاهد أبي حفص عمر الحصيني ما نصه: « وكان يزور شيخ المشايخ أبا يعزي في كل سنة مرة، يمشي إليه حافيا، من مكناسة إلى قبره بتاغيا، مسيرة يومين للمجد، وكان يقول: من زار هذا الشيخ وسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة في كل [173] زورة؛ فإنها تقضى له على القطع ». هـ.

وفي "جواهر المعاني" أن الشيخ سيدي أحمد التجاني – رضي الله عنه: «كان يخبر بكمال معرفته بالله، وقضائه لحوائج الوافدين عليه، وبما خصه الله به من التصرف والمدد القوي للكبير والصغير والضعيف، ويقول: كل من قصده في حاجة تقضى كائنة ما كانت، ويحض على زيارته وتعظيمه وموالاته ».

ومن كمال معرفته بالله: ما نقل عنه من تعظيمه للعلماء حملة الشريعة؛ قال في "أنس الفقير". « كان الفقهاء يزورونه، وإذا رآهم يلحس أقدامهم، ويقول لهم: مرحبا بموالينا، مرحبا بمصابيح الدنيا ». هـ.

وترجمته – رضي الله عنه – واسعة جدا، حتى إنه أفردها الناس بالتآليف العديدة، كـ:"المعزى في أخبار أبي يعزى" للشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الشَّعبي الهروي التادلي.

وكراماته بعد مماته أكثر منها في حياته كما قاله الشيخ زروق وغيره.

أخذ – رحمه الله – عن جمع كثير من الأولياء، نحو الأربعين؛ منهم: الشيخ أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الزموري، الملقب بالسارية؛ لطول قيامه في صلاته.

وممن أخذ عنه هو: أبو مدين الغوث. ولد سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وقدم فاسا، وكان مستوطنا بها بحومة البليدة؛ ثم إنه خرج منها واستوطن قرية تاغيا من بلاد مغراوة المغرب. وتوفي بالطاعون شهيدا في أول شوال سنة اثنين وسبعين بتقديم السين، وقيل: إحدى وسبعين، وقيل: إحدى وستين وخمسمائة ودفن بقرية تاغيا المذكورة، وبنيت عليه قبة عظيمة، وقبره هنالك مزارة مشهورة معروفة عند العامة والخاصة، وهو مزار متبرك به إلى الآن.

[تتمة الكلام عن الشيخ أبي يعزى]:

وريء بعد موته مناما يطير في الهواء، فقيل له: « بما وصلت هذه الدرجة الكريمة؟! »، فقال: « بإطعام الطعام ». وللناس في مدحه واستعطافه والتوسل بجاهه قصائد لا تحصى.

ورأيت مقيدا بخط بعضهم أن صفة زيارته: أن يستغفر الزائر سبع مرات، ثم يقرأ الفاتحة اثنتي عشرة مرة، ثم الإخلاص كذلك، ثم المعوذتين سبعا سبعا، ثم آية الكرسي مرة، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء، ثم يدعو بما شاء.هـ.

وزاويته المذكورة هي التي بأقصى الدرب المشهور به من حومة البليدة، وعليها أوقاف، وبها قبر مزار لم أعرف الآن صاحبه، والكثير من الناس ينسبه لسيدي أبي يعزى المذكور؛ ويقول: إنه ذو قبرين، وبعضهم ينسبه لسيدي أبي يعزى بن ريان، من أصحاب سيدي مسعود الشراط؛ دفين باب الجيسة، ولا صحة لذلك، بل سيدي أبو يعزى بن ريان ضريحه قريب من ضريح [174] شيخه خارج باب الجيسة، وهو من أهل القرن الحادي عشر، وسيأتي ترجمته إن شاء الله تعالى... والله أعلم.

[107- الشريف سيدي أبو النصر بن إدريس البكّراوي]
(ت: 1286)
[108- الشريف سيدي محمد بن إدريس البكّراوي]
(ت: 1286)

ومنهم: الشريفان الفقيهان، العالمان النبيهان، المدرسان الأنبلان، الماجدان جدار الأفضلان؛ النحوي أبو محمد سيدي أبو النصر، والمعقولي المشارك أبو عبد الله سيدي محمد ابنا الشيخ الأستاذ العلامة الدراكة أبي العلاء سيدي إدريس بن عبد الله الودغيري الحسني، لقب بالبكراوي.

وكان الغالب على الأول منهما: علم النحو، وكان جل قراءته لألفية ابن مالك.

وعلى الثاني: علم المعقول. وكان يقرأ فيه سلم الأخضري ويجيده، وأخذا معا عن أبيهما، وعن الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي، وأخذ الأول أيضا عن سيدي أحمد بونافع، وسيدي أحمد المرنيسي، والقاضي مولاي عبد الهادي، وسيدي العباس ابن كيران، والثاني عن سيدي بدر الدين الحمومي.

توفي الأول في رابع ذي القعدة الحرام عام ستة وثمانين ومائتين وألف.

والثاني في حادي عشر رجب من العام المذكور أيضا، ودفنا معا بزاوية سيدي أبي يعزى المذكورة.

[109- العالم الشريف سيدي محمد بن محمد البكْراوي]
(ت: 1311)

وترك الأول ولده: الفقيه العالم المدرس سيدي محمد بن سِيدِي محمد بن أبي النصر البكَراوي؛ كانت له مجالس بالقرويين يقرأ فيها "المختصر"، و"الألفية"، وتقضى مرة في ثغر الصويرة، وكانت فيه دعابة وبسط، وكان بدينا.

توفي – رحمه الله – عند زوال يوم الاثنين، تاسع عشر شعبان الأبرك عام أحد عشر وثلاثمائة وألف. ودفن من يومه، بعد أن صلي عليه هبوط العصر بالقرويين بالزاوية المذكورة أيضا.

[110- المجذوب الشريف سيدي محمد بن عبد السلام العلمي]
(ت: 1291، أو 1292)

ومنهم الولي الصالح المجذوب، الملامتي المقرب المحبوب؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام الشريف الحسني الإدريسي العلمي.

كان – رحمه الله – قاطنا بحومة البليدة، من عدوة فاس القرويين، وكان يجلس هناك بباب أروى قريبة من الفرن الذي بها، وكان قده للربعة، نحيف الجسم أصفر اللون، خفيف اللحية، منور الشيبة، يستعمل عمامة كبيرة على قلنسوة طويلة. وكان مجذوبا يغلب عليه الحال أحيانا، ويصحو في بعض الأوقات، وربما تعاطى شيئا من صناعة الدباغة إذا صحا. وكانت له زراويط يمسك بعضها في بعض الأوقات بيده، ومكحلة صغيرة يخليها لجهة السماء، ساعة بعد ساعة، ويقول: «هاك آبوه!»، كأنه يضرب بها شخصا.

وكان يبكي في بعض الأوقات بكاء الثكلى، ويتظاهر بأفعال ينكر الشرع ظاهرها، من شرب خمر ودخان، وأكل حشيشة وغير ذلك، والناس مطبقون على تعظيمه وينسبون له كرامات عديدة، وتصرفات كثيرة.

وأخبرني بعض الثقات عن بعض من يشار إليه بالولاية؛ أنه أخبره أنه من أهل التصرف، وأخبرني [175] أيضا غير واحد من الناس بحكايات وقعت لهم معه تدل على عظم شأنه وكبر ولايته؛ تركت إيرادها هنا مخافة التطويل.

توفي - رحمه الله - عام واحد أو اثنين وتسعين ومائتين وألف. ودفن بالزاوية المذكورة أيضا.

[111- الشريف المربي مولاي علي ابن الشيخ سيدي العربي الدرقاوي]
(ت: 1274)

ومنهم: الشريف الأنور، البركة الأشهر، المربي النفاع، السالك سبيل الإتباع، الولي الصالح، الحاج الأبر؛ أبو الحسن سيدي علي ابن الشيخ الإمام، المستغرق في أنوار التجلي على الدوام، الكامل المكمل، الواصل الموصل، الأكمل القطب الرباني، والنور اللائح الإيماني؛ الفقيه الأستاذ أبو حامد سيدي العربي بن أحمد بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن أحمد الحسني الإدريسي الزروالي الشهير بالدرقاوي، من الشرفاء المعروفين الدرقاويين، أولاد الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن جنور؛ الملقب بأبي درقة، من ذرية الإمام أبي العباس أحمد بن مولانا إدريس باني فاس، رضي الله عنهم.

كان - رحمه الله - بدينا طويل الجسم، كريم الأخلاق، حسن السيرة. أخذ عن أبيه مولاي العربي وتربى به وتأدب، وتكمل وتهذب، وولي من بعده أمر الفقراء بفاس، وكان مربيا نفاعا له كرامات وكشف، ورحل للمشرق لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه السلام سنة تسع وستين ومائتين وألف؛ فحج وزار، ونال البغية والأوطار، وأخبرني بعض الأشراف ممن رافقه في حجه المذكور؛ أنه أصابه مرة مرض ولم يعلم به صاحب الترجمة. قال: « فلما لم يرني؛ سأل عني، فقيل: هو مريض. فقال: أفلا أعلمتموني به؟!، إذا مرض أحد من رفقائنا فأعلموني به!. قال: ثم إنه دعاني، ودعا بإناء من ماء؛ فأتي به، فقرأ فيه شيئا يسيرا، ثم أمرني؛ فشربته. قال: فوالله بمجرد شربي إياه؛ انسل المرض مني انسلال الشعرة من العجين، وعوفيت في الحين، ولكأنه لم يكن بي بأس ».

توفي - رحمه الله - يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الثاني عام أربعة وسبعين ومائتين وألف، وصلي عليه ظهرا بمسجد القرويين، ودفن بزاوية أبيه المشهورة بحومة البليدة، وضريحه بها عليه دربوز من خشب يزار ويتبرك به.

[112- الإمام المربي الشيخ مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي]
(ت: 1239)

وكان والده المذكور من أفراد الكمل العارفين بالله، الدالين بأقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم على الله، جامعا لمحاسن الشيم والأخلاق، واقعا على خصوصيته من الأئمة المعتبرين الإطباق، طائرا صيته المعجب، في جميع البلاد من المشرق والمغرب، حتى انتشرت أتباعه في عامة الأقطار، وعمرت

زواياه بالإخوان الفقراء في سائر البوادي والأمصار، وصار شيخ العصر، في مقام الجبر والكسر، كعبة للطائفين، وقدوة للسالكين، وملاذا للخائفين، وسراجا للسائرين [176].

وظهرت له كرامات أجلى من الشمس في الوضوح، يغدو بمشاهدتها جميع من أهله الله لرؤيتها ويروح، وتواترت بها النقول، فتلقاها العظماء بالقبول.

أخذ - رحمه الله - عن جماعة من الأولياء، وجمهور من الكبراء الأصفياء، وعمدته منهم: الشيخ العارف بالله مولانا أبو الحسن علي الجمل، رضي الله عنه، فبه أشرقت في صدره أنوار العرفان، وتجلت له من ربه شموس الإحسان، ووقع له الفتح الكبير، والمدد الفياض الغزير، وتخرج على يده هو من لا يحصى من الشيوخ، وأرباب التمكين والرسوخ.

وطريقته - رضي الله عنه - مبنية على اتباع السنة في الأقوال والأفعال والعبادات والعادات، ومجانبة البدع كلها في جميع الحالات، مع كسر النفس وإسقاط التدبير والاختيار، والتبري من الدعوى والاقتدار، والإكثار من الذكر آناء الليل وأطراف النهار، والاشتغال بالمذاكرة وما يَعني، وترك كل ما يُعنى.

وبالجملة: فطريقته - رضي الله عنه - جلالية الظاهر، جمالية الباطن، وإن شئت قلت: سُفلية الظاهر، عُلوية الباطن؛ كطريقة شيخه. ورسائله - نفعنا الله به - من أنفع الرسائل للمريد، وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك، ولا يجحد خيرها وفضلها إلا هالك.

ولد - رحمه الله - بعد الخمسين والمائة والألف ببني زروال، وبها توفي ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف، وضريحه هناك مشهور معروف، وبإنالة الخيرات والبركات لقاصديه وزائريه موصوف، ومناقبه وأحواله وأوصافه ومعارفه لا يفي بها قلم، وهي في الشهرة كنار على علم، رضي الله عنه ونفعنا به وبأمثاله... آمين.

[113- الفقيه الشريف سيدي علال بن التهامي الحَمُومي]
(ت: 1250)

ومنهم: الشريف الفقيه، الزكي الفاضل النزيه، العالم الأوحد، البركة الأرشد، أبو الحسن سيدي علي - المدعو علا لا- بن الفقيه العلامة، الدراكة الفهامة؛ أبي عبد الله سيدي محمد التهامي بن الولي العارف بالله، الدال على الله، العلامة القدوة؛ أبي العباس سيدي أحمد بن الحسين (بالتصغير) وشهرته بسيدي أحمد بن الحسن (بالتكبير)؛ فينسَبُ إلى جد والده - ابن مَحمد بن الحسن الحَمُومي الحسني.

أحد السادة الفضلاء الحمويين، بيتهم بيت صلاح وعلم، وقد ترجم في "نشر المثاني" لبعضهم؛ وهو جد صاحب الترجمة أبو العباس سيدي أحمد بن الحسن. فراجعه، بل ألف بعضهم في مناقبه تأليفا.

كان صاحب الترجمة – رحمه الله – من أهل العلم والصلاح [177]، والخير والبركة والنجاح، له معرفة بالفقه والنحو وغيرهما من بعض العلوم، وخبرة بطريق المنطوق منها والمفهوم.

أخذ عن والده مولاي التهامي، وعن الشيخ سيدي أحمد بن التاودي ابن سودة المري.

وتوفي أواخر العشرة الخامسة بعد المائتين والألف، ودفن بزاويته التي بحومة البليدة، بين مسجد سيدي سليمان الغماري وفرن البليدة، وقبره به عليه دربوز، وهو مزار متبرك به.

[114– الفقيه الحسين بن علال الحمومي]
(ت: 1309)

وخلف – رحمه الله – ولده الفقيه، البركة النبيه؛ سيدي الحسين الحمومي.

كان – رحمه الله – يتعاطى شيئا من التدريس بالقرويين، وأخذ النحو عن سيدي الحاج محمد – المدعو: حمارة – والفقه عن شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي.

وتوفي – رحمه الله – يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر رجب الفرد الحرام سنة تسع وثلاثمائة وألف، وصلي عليه هبوط العصر بالقرويين، ودفن مع والده عند رجليه متصلا بهما.

[115– العلامة الشريف سيدي بدر الدين بن الشاذلي الحمومي]
(ت: 1266)

ومنهم: ولد عم صاحب الترجمة قبله، الشريف الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، الزاهد الورع البركة الأواه، الخاشع الخاضع المتواضع لمولاه؛ أبو عبد الله سيدي محمد؛ المدعو: بدر الدين – ابن الشاذلي بن أحمد بن الحسين؛ المدعو: ابن الحسن الحمومي.

كان – رحمه الله – عالما عاملا، زكيا فاضلا، خاشعا خاضعا، ذاكرا لربه متواضعا، لم ير قط إلا ذاكرا أو تاليا، أو مدرسا أو مصليا. وكان مجاب الدعوة زكي الأخلاق، عاملا بما يرضي الخلاق، منقبضا عن السلطان وذويه، تاركا للكلام فيما لا يعنيه. . . وقد سمعت سيدنا الوالد يحكي أن: الوزير الأعظم في وقته، كانت له وليمة وأتى إليه بنفسه يدعوه لها؛ فامتنع ولم يذهب إليه.

أخذ رحمه الله عن جماعة من الشيوخ كالشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري، والشيخ سيدي عبد القادر ابن شقرون، والعلامة سيدي محمد الرهوني.

وأخذ عنه هو وانتفع به جماعة من علماء عصره وغيرهم؛ كشيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي؛ وقد رأيت بخط تلميذه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد الطالب ابن الحاج، في كناش له ما نصه: « الحمد لله؛ سأل شيخنا الشريف البركة سيدي بدر الدين الحمومي الحسني شيخه العلامة سيدي محمد الرهوني عن نصاب الفضة والذهب: كم من درهم وكم من دينار في النصاب بالسكة السليمانية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف؟. فأجاب: أما الفضة؛ فأربعة وعشرون مثقالا، وزنه هو بيده، والذهب ستة وأربعون دينارا ونصف ». هـ. ورأيت مقيدا ما نصه: « الحمد لله؛ سئل الفقيه [178] العلامة سيدي بدر الدين بما نصه:

أسائل بدر الدين حبي هل أتى	بعَنْصَرةٍ[1] نص بقطع المجالس
وهل قطعها عون لبدعة جاهل	أجب سائلا أنت المحلى بنافس

فأجاب رحمه الله:

جرى العرف أيها المحب بما ترى	بعنصرة فاعلم بترك المجالس
وذاك من التقصير والبدع التي	فشا ضرها على الفقيه المنافس
وإني لا أقوى على قطع بدعة	كلعب بماء في رحاب المدارس »

وإليه – رضي الله عنه – كان يرجع في وقته في مسائل الديانات وما يرجع إليها، ترد عليه بذلك المسائل الكثيرة؛ لعلمه وثقته وورعه.

وأخبرت أن رجلا سأل مرة عن مسألة الفقيه سيدي عليا التسولي، ثم سأل عنها الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي؛ فقال له: « اذهب إلى سيدي بدر الدين واعمل بما قال لك، ودع ما قاله لك غيره من التسولي وغيره ».

وقد ألف – رحمه الله – تآليف عديدة؛ منها: شرحه "للشمائل"، وشرحه "للمرشد المعين"، وشرحه "للوظيفة الزروقية"؛ وهو المسمى "بالمنح الذوقية في حل ألفاظ الزروقية"، وتأليف في السكر والآتاي.

---

[1] هو عيد العنصرة المشهور، وقد نص العلماء على النهي عن الاحتفال به.

وكانت ولادته سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة وألف، وتوفي بعيد نصف ليلة السبت الثامن من المحرم، فاتح سنة ست وستين ومائتين وألف، عما يقرب من التسعين سنة، وأثر فيه الكبر حتى رق عظمه، وضعف جسمه، وكانت له جنازة عظيمة، حضرها عامة الناس وخاصتهم، وكسر العامة أعواد نعشه تبركا، ودفن بحومة البليدة بمسجد بها، وضريحه هناك مشهور، عليه دربوز وكسوة، وهو مزار متبرك به.

ومما قيل في مدحه لبعض المدنيين:

لبدر الدين فضل ليس يخفى ... تضيء به الليالي المدلهمه
يريد الحاسدون ليطفؤوه ... ويأبى الله إلا أن يتممه

[116- الشريف سيدي علي بن عبد الرحمن الفجيجي]
(ت: 1272)

ومنهم: الشريف الزاهد، البركة العابد، الفقيه الأرضى، الولي الصالح المرتضى أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن الفجيجي.

كان – رحمه الله – من طلبة العلم القاطنين بالمدرسة المصباحية، وكان تقيا نقيا، ورعا زاهدا متقشفا ذاكرا، يصوم الدهر، ويقوم الليل، يختم السلكة في كل ليلة بالقيام، وكان من تلامذة الشيخ سيدي بدر الدين السابق يحضر مجلسه، وكان الشيخ سيدي بدر الدين المذكور يحبه ويثني عليه كثيرا لما يرى من تقواه وزهده وورعه [179] وتقشفه، وكثرة صلاته وصيامه.

توفي – رحمه الله – بعد وفاة شيخه المذكور، وأظنه سنة نيف وسبعين ومائتين وألف، ودفن معه بضريحه وراءه، وجعل على قبره مقبرية من رخام.

[117- المجذوب سيدي عبد القادر (قدور) البطوطي]
(ت: 1250)

ومنهم: الولي الصالح، المجذوب المتبرك به؛ أبو محمد سيدي عبد القادر – المدعو: قدور البطوطي.

كان – رحمه الله – بهلولا مجذوبا، على طريق الملامتية، تعتريه أحوال الجذب في كل حين، وكان ينطق بمغيبات، وشاهد الناس له كرامات كثيرة.

توفي أواسط القرن الثالث بعد الألف، ودفن بدرب حسان من حومة البليدة، بالزاوية الكائنة به عن يمين الداخل . . .

[118- الصالح سيدي أحمد حجي السلوي]
(ت: 1203)

وهي: زاوية الشيخ الولي الكبير، العارف الشهير: سيدي أحمد حجي السلوي، دفين ثغر سلا، المتوفى سنة ثلاث ومائة وألف.

وكان – كما ذكره في "سلوك الطريق الوارية" – يجتمع بها – مع من كان باقيا بها من أصحابه – بعض الفقراء من أصحاب الشيخ سيدي محمد بن عيسى، وهي الآن بيد بعض فقراء الشيخ سيدي علي ابن حمدوش – نفعنا الله بسائر أوليائه. . . آمين.

تنبيه وموعظة:

قال في "نشر المثاني" في ترجمة سيدي أحمد حجي المذكور ما نصه: « وقد حكى لنا بعض الطلبة أنه: رأى مقيدا عنه أنه: وجد في قلبه قساوة؛ فتوجه في ذلك لله تعالى، ودام راغبا له في رفع ذلك؛ فسمع يوما هاتفا يقول له: إنك تصافح الشهود ». هـ.

[119- الإمام العارف الشريف مولاي أحمد بن محمد التجاني]
(ت: 1230)

ومنهم: الشيخ الواصل، القدوة الكامل، الطود الشامخ، العارف الراسخ، جبل السنة والدين، وعلم المتقين والمهتدين، العلامة الدراكة، المشارك الفهامة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفائض النور والبركات على سائر الخليقة، الواضح الآيات والأسرار، ومعدن الجود والافتخار، البحر الزاخر الطام، المعترف بخصوصيته الخاص والعام، نادرة الزمان، ومصباح الأوان، القطب الجامع، والغوث النافع: أبو العباس مولانا أحمد بن الولي الكبير والعالم الخير؛ أبي عبد الله مَحمد (فتحا) بن المختار بن أحمد بن مَحمد (فتحا) ابن سالم الشريف الحسني الكاملي التجاني، يرفع نسبه إلى الإمام محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل.

كان - رحمه الله - من العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، ممن جمع بين شرف الجرثومة والدين، وشرف العلم والعمل واليقين، والأحوال الربانية الشريفة، والمقامات العلية المنيفة، والخوارق العظام، والكرامات الجسام، قوي الظاهر والباطن، كامل الأنوار والمحاسن، عالي المقام، راسخ التمكين والمرام، بهي المنظر، جميل المظهر، منور [180] الشيبة، عظيم الهيبة، جليل القدر، شهير الذكر، ذا صيت بعيد، وعلم وحال مفيد، وكلمة نافذة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عائدة.

ولد سنة خمسين ومائة وألف بقرية عين ماضي، ونشأ بها في عفاف وأمانة، وحفظ وصيانة، مقبلا على الجد والاجتهاد، مائلا إلى العزلة والانفراد، مشتغلا بالقراءة، معتادا للتلاوة؛ فحفظ القرآن وهو ابن سبعة أعوام، ثم اشتغل بطلب العلوم حتى رأس فيها، وحصل معانيها.

ومن شيوخه فيها: العلامة العارف سيدي مبروك بن بوعافية المضاوي التجاني، ثم ارتحل إلى ناحية المغرب لفاس وأحوازها سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وسمع فيها شيئا من الحديث، وبقي يجول بقصد الزيارة والبحث عن أهل الخير.

وأول من لقي - حينئذ - من المشايخ الكمل: القطب مولاي الطيب الوازاني بوازان، وتبرك به، وأخذ عنه، وأذن له في تلقين الأوراد، إلا أنه امتنع من التلقين لاشتغاله بنفسه.

ولقي - أيضا - القطب مولاي أحمد الصقلي، إلا أنه لم يأخذ عنه شيئا، بل لم يكلمه بشيء أصلا، ولقي الولي الصالح سيدي محمد بن الحسن الوانجلي، من بني وانجل من جبال الزبيب - بمحله، وتبرك به ولم يأخذ عنه. ولقي بفاس: العارف بالله سيدي العربي ابن عبد الله معن الأندلسي، وتبرك به، ودعا له بخير.

وأخذ بها الطريقة القادرية على يد من كان يلقنها في ذلك الوقت، ثم تركها بعد حين، ثم أخذ الطريقة الناصرية عن الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الله التزاني؛ الشهير بالريف، ثم تركها بعد حين أيضا، ثم أخذ طريق القطب سيدي أحمد الحبيب السجلماسي الصديقي عن بعض من له الإذن فيها، ثم تركها بعد مدة، ثم أخذ عن أبي العباس سيدي أحمد الطواش - نزيل تازة ودفينها.

ثم انتقل من المغرب قاصدا بلد الأبيض في ناحية الصحراء، حيث ضريح سيدي الشيخ، ومكث هناك خمسة أعوام مشتغلا بالقراءة والعبادة والتدريس والتلاوة، وزار في خلالها بلده: عين ماضي؛ دار آبائه.

ثم ارتحل منها إلى تلمسان، وأقام بها مدة يدرس فيها التفسير والحديث وغيرهما، ويعبد ربه تبارك وتعالى، إلى أن لاحت عليه بوارق الفتح ومباديه، وظهر عليه من الخوارق ما دان له به شانيه ومعاديه، وذلك أوائل سنة إحدى وثمانين ومائة وألف.

ثم انتقل من تلمسان قاصدا الحج سنة ست وثمانين، فمر بتونس؛ فحبسته الأقدار هناك سنة كاملة، ثم بعدها حج وزار سنة سبع وثمانين، ولم يزل يبحث في طريقه عن العلماء والأخيار، ويتبرك بهم في سائر النواحي والأقطار، حتى تبرك [181] بعدد كثير منهم، فلقي بزواوة الشيخ أبا عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن عبد الرحمن الأزهري، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية، وهو أخذها عن الشيخ الحفناوي، وبتونس الشيخ عبد الصمد الرحوي، وبمصر الشيخ محمود الكردي المصري العراقي وأخذ عنه، وأخذ – أيضا– بمكة عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله الهندي المكي، من غير ملاقاة له، إنما كان الشيخ المذكور يراسله مع خادمه. قال في "جواهر المعاني": « وهو معتمده في العلوم والأسرار، والخواص والأنوار »، ثم لما كان بالمدينة لقي بها القطب الشهير، والعالم الكبير، أبا عبد الله سيدي محمد ابن عبد الكريم الشهير بالسمان، أحد تلاميذ سيدي مصطفى البكري الصديقي؛ فأخذ عنه وتبرك به.

ثم لما رجع من حجه ووصل تلمسان سنة ثمان وثمانين؛ أقام بها مجتهدا في العبادة والدلالة على الله تعالى.

ثم سافر منها إلى مدينة فاس بقصد زيارة قطبها وقطب المغرب بأسره مولانا إدريس رضي الله عنه، وذلك سنة إحدى وتسعين، فوصل إليها وزاره، وبقي بها يتردد لزيارته مدة، ثم رجع لتلمسان وأقام بها مدة، ثم ارتحل منها لناحية الصحراء، سنة ست وتسعين، ونزل بقرية القطب الكبير سيدي أبي سمغون بالسين، ويقال: بالصاد، ثم سافر منها إلى بلاد: اتوات؛ فلقي بعض الأولياء بها؛ منهم سيدي محمد الفضيل؛ بالتصغير، وأخذ عنهم بعض الأمور الخاصة، واستفادوا منه علوما وأسرارا في الطريق، ثم رجع إلى قرية أبي سمغون وأقام بها واستوطنها، وفيها وقع له الفتح الكبير، وأذن له صلى الله عليه وسلم في تلقين الخلق بعد أن كان فارا من ملاقاتهم، وذلك في السنة المذكورة؛ وهي سنة ست وتسعين.

ثم لما كان رأس المائة الثانية عشر، وهو بأبي سمغون؛ وقع له الفتح الأكبر، والمدد الأغزر، على يده عليه الصلاة والسلام، ومن هذا الوقت والأسرار والأنوار تترادف عليه، والوفود من جميع النواحي تقصده وتأتي إليه.

ثم انتقل من بلاد الصحراء من قرية أبي سمغون، سابع عشر ربيع النبوي عام ثلاثة عشر ومائتين وألف، قاصدا استيطان مدينة فاس، وكان دخوله لها سادس ربيع الثاني من العام المذكور وفي محرم الحرام من السنة التي بعدها؛ وهي سنة أربع عشرة؛ حل رضي الله عنه مقام القطبانية الغوثية؛ فنال بذلك من مطلوبه كل أمنية.

وقد كان - رضي الله عنه - يقول: « أخذنا عن مشايخ عدة؛ فلم يقض الله عز وجل منهم بتحصيل المقصود، وسندنا وأستاذنا في هذا الطريق هو: سيد الوجود صلى الله عليه وسلم »، وقال أيضا: « سندنا [182] في الورد المعلوم: النبي صلى الله عليه وسلم، وأما المسبعات العشر؛ فأخذناها مشافهة، عن شيخنا الشيخ محمود الكردي المصري، وهو أخذها عن الخضر مشافهة. وأما أحزاب الشاذلي، ووظيفة زروق، و"دلائل الخيرات"، و"الدور الأعلى"؛ فكلها أخذناها بالإجازة فيها عن شيخنا القطب سيدي محمد بن عبد الكريم السمان، قاطن المدينة المنورة. . . ».

وكان - رضي الله عنه - يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن له أن من رآه يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، وأن الله تعالى أعطاه الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين وفاته، وزيادة عشرين سنة بعد وفاته.

وذكر في "الإشراف" أن والده العلامة الأكبر الصوفي المحدث الأشهر؛ أبا الفيض سيدي حمدون ابن الحاج كان يثني عليه في العلم والمعرفة بالله، ويقول: « إنه من الكمل »، ومدحه بقصيدة حين كان متوجها للحج سنة خمس ومائتين وألف؛ مطلعها:

إن شئت تصبح في رياض أمان ... وأردت تغدو في منى وأمان

ومنها:

فعليك بالبدر المنير سنا: أبي ... العباس أعني: أحمد التجاني
شمس السيادة قطب دائرة الهدى ... بدر السعادة، كوكب الإحسان
بحر الندا، مبد لنا حكما سمت ... كفرائد في العقد والتيجان
حبر إمام قد سما بمعارج ... في الصالحات ولم يكن متوان

ومناقبه - رضي الله عنه - وأحواله كثيرة، ومن أراد بسطها؛ فعليه بكتب أصحابه.

توفي - رحمه الله - صبيحة يوم الخميس سابع عشر شوال الأبرك سنة ثلاثين ومائتين وألف، وحضر جنازته من لا يحصى من علماء فاس وصلحائها وأعيانها وفضلائها وأمرائها، وصلى عليه إماما: الفقيه العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي، وازدحم الناس على حمل نعشه، وكسروا أعواده تبركا، ودفن بزاويته المشهورة من حومة البليدة، وضريحه بها مشهور معظم محترم مزار، متبرك به.

[120- سيدي سعيد المرابط بن محمد السبع]
(ت: 1151)

[121- سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي]
(ت: 1191)

ومنهم: الشيخ المسن الأخير، الناسك البركة الأنور؛ أبو عثمان سيدي سعيد المرابط بن الحاج محمد - المدعو: السبع.

كان - رحمه الله - كوالده وأخيه سيدي الحاج مَحمد من أصحاب الولي الأكبر، والعارف الأشهر، القطب الرباني، والغوث الصمداني، المقول فيه: « إنه بحر الصالحين والأولياء، وسيد الأتقيـاء »، أبي الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يعقوب بن صالح بن علي الدرعي التادلي؛ المتوفي بها في شهر ربيع النبوي عام واحد وتسعين وألف، ودفن بمنزله [183] الكائن بجبل تُمْجَتْ منها، وقبره إلى الآن مشهور مزار متبرك به، وولادته لثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأخيرة عام ثمانية عشر وألف، وبعد وفاة والد صاحب الترجمة ووفاة شيخه أبي الحسن المذكور، جدد الأخذ عن تلميذه شيخه الشيخ سيدي سعيد آحَنصال.

وكان ذاكرا قانتا، صاحب جد لا يتكلم إلا بما يعنيه، ملازما لأول الوقت ولزاوية شيخه، مواظبا على الأحزاب والأذكار، ذا همة عالية وهيبة ووقار.

توفي - رحمه الله - أوائل رمضان سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، ودفن بزنقة الجياد من حومة البليدة، بزاوية سيدي رضوان الجنوي دفين خارج باب الفتوح، الكائنة بين مسجد وحمام الزنقة المذكورة، وهي التي كان يجتمع بها بعد انقراض أصحابه أصحاب سيدي أبي الحسن المذكور، بالركن الذي عن يمين الداخل تحت محمل الكتب، وهو أول من دفن بها. ترجمه في "دوحة البستان"، وكذا في: "سلوك الطريق الوارية".

[122- الشريف مولاي أحمد بن إدريس الصقلي]
(ت: 1171)

ومنهم: الشريف المنيف، الزكي العفيف، الخامل الأفضل، المتقشف الأكمل، ذو الأخلاق الحسنة، والأوصاف المستحسنة؛ أبو العباس مولاي أحمد الأعرج بن مولاي إدريس الصقلي الحسيني.

كان - رحمه الله - مقدما على الفقراء أصحاب الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي التادلي المذكور، وكان يجتمع معهم بزنقة الجياد بزاوية سيدي رضوان المذكورة، مواظبا بها معهم على الأحزاب، صباحا ومساء، وعلى تلاوة القرآن.

إلى أن توفي صبيحة يوم الخميس ثالث ربيع النبوي عام أحد وسبعين ومائة وألف، ودفن بعد صلاة ظهر اليوم المذكور بالزاوية المذكورة عند السارية الأولى التي كانت مقابلة للباب. ترجمه في "دوحة البستان"، وكذا في "سلوك الطريق الوارية" أيضا.

[الكلام على زاوية سيدي رضوان الجنوي]:

قلت: وهذه الزاوية الآن متهدمة لا يعمرها أحد ولا يسكنها، ولم تكن لسيدي رضوان حال حياته؛ وإنما اتخذها أصحابه بعد وفاته، نص على ذلك غير واحد، وفي "النشر" في ترجمة الشيخ القصار ما نصه: « وأما الزاوية التي تنسب له - أي: لسيدي رضوان - اليوم بجوار حمام الجياد من حومة البليدة وفندق اليهودي، من عدوة فاس القرويين؛ فالذي سمعته من بعض أشياخنا الثقات: أنها اشتريت بقعتها وجعلت زاوية بعد موت سيدي رضوان؛ لأنه - رضي الله عنه - لم يترك من متخلفه بعد تجهيزه إلا الحصيرة التي كان يصلي عليها، والخيط الذي كان يشمر به أكمامه للوضوء، لشدة زهده وورعه، فبيع ذلك بثمن غال يزيد على السبعين مثقالا ونحو ذلك؛ فرفع ذلك لابنة تركها ولم يترك عاصبا معها؛ فامتنعت من قبضه، وقالت: إن الحصيرة والخيط [184] لا يبلغان هذا السوم. فاشتريت به البقعة المذكورة، وجعلت زاوية، وبنيت كما هي الآن » هـ.

وذكر بعضهم أنه: لما شرع في بنائها؛ بلغ الخبر أمير الوقت، وهو مولانا أحمد الذهبي السعدي، فبعث مالا ليستعان به على البناء؛ فبنيت وصار أصحاب سيدي رضوان يجتمعون فيها ويقرؤون أوراده، وما رتبه لهم من الأحزاب والأذكار، والآيات القرآنية والوسائل المنظومة... إلى أن ضعفوا وقلوا، ولم يبق منهم إلا القليل، فظهر حينئذ الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي المتقدم الذكر، فذهب الباقون من أصحاب سيدي رضوان إلى زيارته، فزاروه وأخذوا عنه وجعلوا يجتمعون في الزاوية المذكورة مع بقية أصحابه من أهل فاس، وزلجوها وأجروا لها الماء جزاء؛ لأنه لم يكن فيها إلا البئر الذي في وسط صحنها، وصنعوا لها الكنيف... ثم انقرض الآن أصحاب الشيخ أبي الحسن المذكور أيضا، وبقيت الزاوية كما هي خاوية، بل انهدم بعضها... والبقاء لله وحده.

ذكر من اشتهر ووقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة فندق اليهودي والحفارين
وسيدي أحمد بن يحيى وما هو منضاف إليها من داخل باب الجيسة

[123- المقدم المربي سيدي عبد السلام بن أحمد برادة]
(ت: 1164)

منهم: الفقير الأرضى، الخير المرتضى، المعرض عن الدنيا وأهلها، الزاهد فيما ينسب إليها، مقدم الطائفة العيساوية؛ سيدي الحاج عبد السلام بن الحاج أحمد برادة العيساوي طريقة.

كان – رحمه الله – من أصحاب العلامة سيدي عبد المجيد المنالي الملازمين له، لا يفارقه إلا قليلا، ولا يبرم أمرا من أموره إلا عن إذنه ومشورته، وحج معه عام ثمانية وخمسين ومائة وألف. وكان من أهل الفضل والخير والدين.

وقد قال في ترجمته من "سلوك الطريق الوارية": « كان محبا صادقا، ذاكرا قانتا، صيامه أكثر من فطره، وكان ممن يؤثر فيه الوعظ، زاهدا في الدنيا، راغبا في طريق الآخرة، أعطاه والده مالا يتسبب به؛ فعمل به حانوتا بالعطارين وتركها لعمه، وبعث له مالا من السودان؛ فتركه كذلك، ثم توفي والده وترك مالا كثيرا، وتركه مقدما على إخوته؛ فأعرض عن الجميع، وبقي متجردا خاليا من الدنيا، تابعا للسنة، معرضا عن البدعة ».

« وكان – رحمه الله – تعتريه أحوال، وتظهر عليه عند الذكر والحضرة، وكان مربيا لأصحابه بتربية أخينا – يعني: سيدي [185] عبد المجيد المنالي – وضابطا لأمورهم كلها، ولم يكن يتركهم للبدع والأهواء ».

« توفي – رحمه الله – في وباء عام أربعة وستين ومائة وألف، ودفن بجزية بفندق اليهودي، وبنيت عليه هناك زاوية، وهي التي يجتمع فيها الفقراء أصحاب سيدي محمد بن عيسى إلى الآن ».هـ. ضريحه بها مشهور مزار متبرك به إلى الآن، وهو بوسط البلاط الثاني منها، يقابل المحراب، عليه دربوز متميز به.

[124- الشيخ الكامل سيدي محمد ابن عيسى]
[شيخ الطريقة العيساوية. ت: 1041]

تنبيه: الشيخ ابن عيسى المذكور؛ هو الشيخ الولي الكبير، العارف المربي الشهير، مورد المريدين، ومفيد المسترشدين، صاحب الإجادة، والتنويه والإشادة، القطب الكامل الرباني، الشائع ذكره وخبره وصيته عند الحاضر والبادي، والقاصي والداني، الذي قيل فيه: « الصالحون كلهم غرفوا من بحر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو غرق فيه! »، أبو عبد الله سيدي محمد (فتحا) بن عيسى الفهدي السفياني الأصل، ثم المختاري، نزيل مكناسة الزيتون. كذا قال غير واحد، وقيل: إنه سملالي، وقيل: من أولاد أبي السباع، وأنه: محمد بن عيسى بن عامر بن عمر بن عمرو بن حريز بن محروز بن عبد المومن بن عيسى المكنى بأبي السباع الشريف الحسني الإدريسي، والله أعلم. وهو شيخ الطائفة العيساوية بالمغرب، وأحد المشايخ العظام الذين يقتدى بهم، ويهتدى بأنوارهم وهديهم.

وكان - رضي الله عنه - آية في المحبة والأدب، كما أن المسناوية غاية في اتباع السنة؛ حتى كان يقال: « المحبة عيساوية، والسنة مسناوية »، وكان الشيخ أبو الحجاج بن أبي مهدي تلميذه؛ يقول: « سيدي ابن عيسى هو الإكسير الذي لا نظير له »، وحكي عن الشيخ سيدي سعيد بن أبي بكر أنه لما حضر جنازته؛ أخبر أصحابه أنه ما مات حتى تقطب. وعن الشيخ بصري قال: « ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير في المغرب: سيدي ابن عيسى، وسيدي أبو محمد عبد الله الغزواني، والسيد أبو محمد عبد الله الهبطي ».

وكانت له - رضي الله عنه - كرامات كثيرة، ثابتة بالتواتر، ومناقب جمة لا تستقصى، وطريقته - رضي الله عنه - جزولية شاذلية، أخذها عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر الحارثي السفياني نزيل مكناسة ودفينها، ثم بعده وبأمره عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، ثم عن سيدي الصغير السهلي، والثلاثة عن الجزولي.

وتوفي - رضي الله عنه - في أول العشرة الرابعة من القرن العاشر، وقبره مزارة مشهورة خارج مكناسة، من ناحية الغرب، له قبة عظيمة ودربوز كبير وكسوة، وأصحابه إلى الآن من سائر أقطار المغرب يفدون [186] لزيارته كل عام في يوم المولد النبوي، ويقع هناك ازدحام عظيم على قبره. نفعنا الله به.. وانظر ترجمته في "الدوحة" وغيرها.

[125- الإمام النحوي سيدي عبد الرحمن بن علي المكّودي]
(ت: 807)

ومنهم: الشيخ البركة الإمام، العالم العلامة الهمام، الفقيه الأستاذ النحوي، والتصريفي اللغوي، الناظم الناثر، الولي الصالح العارف بالله تعالى؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن علي بن صالح الفاسي الدار، والمحتد والوفاة؛ الشهير بالمكودي؛ (بفتح الميم وضم الكاف مخففة، على ما عند غير واحد، وهو الجاري على الألسنة، وبتشديدها كما عند بعضهم، وهو المناسب)؛ لنسبته لبني مكود؛ إحدى قبائل هوارة، المعروفين الآن ببني وراين، الذين مستقرهم فيما بين تازة وفاس، وبيتهم بفاس بيت فقه وكتابة وعدالة وثروة، ولهم زقاق بها يقال له قديما: عقبة المكودي.

كان - رحمه الله - إماما بارعا في العلوم كلها، عالما عاملا ورعا، زاهدا صالحا، أحد الأعلام الأساتيذ والنحاة بفاس، وهو آخر من أقرأ كتاب سيبويه بها، وكان يقرئه بمدرسة العطارين، وكان ذا باع في التصريف، واللغة، والنحو، والعروض، والشعر. وكان من عدول فاس، له دكان بسماط العدول يشهد به، وهو المتصل بالدالية التي كانت قبل هذا به، وله ولد يقال له: حماد؛ نجب في النحو وكان دونه فيه.

ويحكى أنه كان له - أعني: لصاحب الترجمة - ولد صغير؛ فوقعت بينه وبين بعض الصبيان خصومة باليد وهو ينظر، فكانت الغلبة لولده؛ فأنشد ارتجالا:

نحن بني مكود . أهل التقى والجود . نكر في الأعادي. ككرة الأسود

أخذ - رحمه الله - عن جماعة من الأئمة؛ كالشيخ أبي محمد عبد الله الوانغيلي الضرير.

وأخذ عنه هو: جماعة من الشيوخ؛ كالعلامة أبي عبد الله محمد ابن مرزوق الحفيد، وأثنى عليه علما ودينا، والشيخ أبي عبد الله الكاواني شيخ الإمام ابن غازي؛ سمع عليه بمدرسة الصهريج "الألفية"، ينقل عليها كلام المرادي ويباحثه، والشيخ أبي زيد عبد الرحمن الجادري الفاسي؛ روى عنه مقصورته وغيرها، كما ذكره في "الروض المتون".

وله تآليف عديدة؛ منها: شرحه لألفية ابن مالك المشهور، الذي عمت بركاته، وأكب على فهمه طلبة فاس، وانتفع به الجم الغفير من الناس، وهو أول شرح وضع عليها بفاس، وبسببه اشتهرت وظهرت.

ويحكى أنه: كان يقرىء كتاب سيبويه بمدرسة العطارين؛ فحضر بمجلسه طالب من البربر قدم من المشرق، فلما فرغ الشيخ من القراءة؛ قال له: « يا سيدي؛ هنا رجز لابن مالك »، فأراه إياه مع شرحيه لابن الناظم والمرادي، فاستحسنه. واطلع [187] عليه وزير الوقت؛ فطلب منه شرحه؛ فشرحه شرحين: كبيرا وصغيرا، والكبير قيل: إنه لم يكمله، وقيل: بل كمله ولو بقي ما التفت الناس إلى غيره، لكن أحرقه أعداؤه حسدا في بيت النار من فرن حومة الشطة، إلا أوله؛ فهو موجود بفاس كما ذكره في "نيل الابتهاج"؛ فدعا عليهم - وكانت دارهم دار علم - فقطع الله منهم العلم، وكشف عنهم الستر وعن ذريتهم إلى يومنا هذا.

وله مقصورة على طريقة مقصورة ابن دريد في نحو ثلاثمائة بيت. يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها يقول:

مقصورة لكنها مقصورة	على امتداح المصطفى خير الورى
ما شابها مدح لخلق غيره	لرتبة أحظى بها ولا جرى
فاقت علاء كل ذي مقصورة	وإن همُ نالوا الأيادي والنهى
فحازمٌ قد عد غير حازمٍ	وابن دريد لم يفده ما درى

وشرح على منظومة الإمام ابن مالك في "المقصور والممدود"، وشرح على "الأجرومية": انتفع الناس به شرقا وغربا، وشرح على مقصورة المدح المذكورة، ورجز في التصرف؛ وهو المسمى "بالبسط والتعريف في علم التصريف"، في نحو أربعمائة بيت، وفيه يقول تحدثا بالنعمة لا افتخارا؛ خلافا لصاحب النيل:

فلو نهوا عن الهوى النفوسا	وجانبوا التمويه والتلبيسا
لسلموا أني فيهم ماهر	ونور فهمي في العلوم باهر
لكن كبار أهل هذا العلم	يدرون تحقيقي له وفهمي

ونظم في شرح ألفاظ الغريب، وآخر ذكر فيه ما عرب من الألفاظ العجمية. ومن شعره:

إذا عرضت لي في زماني حاجة	وقد أشكلت فيها علي المقاصد
وقفت بباب الله وقفة ضارع	وقلت: إلاهي إنني لك قاصد
ولست تراني واقفا عند باب من	يقول فتاه: سيدي اليوم راقد

وبالجملة: فقد كان ذا قدم راسخ في العلم والولاية.

توفي – رحمه الله – بفاس المحروسة في حادي عشر شعبان سنة سبع بموحدة وثمانمائة، هذا هو الأصح والأرجح في وفاته، وهو الذي في "الجذوة"، "والدرة"، "ونيل الابتهاج" و"كفاية المحتاج" . . . وغيرها، خلافا لما ذكره صاحب "الضوء اللامع في أهل القرن التاسع"، و"البدر القرافي في "توشيح الديباج " من أنه توفي سنة إحدى وثمانمائة، وعليه جرى من قال [188]:

توفي المكودي شيخ الفئة	سنة إحدى وثمانمائة
ذكره الدلائي شرحَ بسطهَ	لا تجهلن تاريخه ولمّعهَ

وخلافا لما في "طبقات ابن عجيبة" من أنه: توفي سنة إحدى وعشرين من القرن التاسع. ودفن كما في "الجذوة" وغيرها بحومة الأصدَع؛ وهي المعروفة الآن بفندق اليهودي، من عدوة فاس القرويين؛ قريبا من باب الجيسة. وفي منظومة الشيخ المدرَّع في صلحاء فاس:

ثم أبو زيد الرضى المكُّوي	ضريحه بفندق اليهودي

وما ذكره السخاوي في "الضوء اللامع" من أنه دفن بباب الفتوح غير صحيح، وقبره بها مشهور بجوار مسجده المعروف بمين الطالع من محجة فندق اليهودي لسيدي منصور، وقد أدخله اليوم بعض الوزراء لدار له هناك؛ فصار ببيت بأسطوانها يقابل الداخل، وكان قبل ذلك مقصودا للزيارة، وكان الطلبة يغدون إليه أفواجا أفواجا في كل يوم أربعاء بعد صلاة العصر.

ترجمه من أشرنا إليهم، وكذا ترجمه السيوطي في "بغية الرواة" قائلا ما نصه: « عبد الرحمن بن علي بن صالح؛ أبو زيد المكودي، صاحب "شرح الألفية"، و"شرح الجرومية"، ويعرف بالمطرزي. لم أقف له على ترجمة، لكن أخبرني المؤرخ شمس الدين بن عزم أنه وقف على ما يدل على أنه كان قريبا من الثمانمائة ». وموجب هذا تباعد الأقطار؛ وإلا فقد ترجمه الناس كما ترى، والإحاطة إنما هي لله عز وجل.

[126– الصالح سيدي منصور بو حفرة]
(ت: 1096)

ومنهم: الولي الصالح، والنور العظيم اللائح، المتبرك به؛ سيدي منصور المدعو: بو حفرة؛ قال في "الصفوة": « كان صاحب حال، كثير الذكر والبكاء، ومن كراماته: أن الناس خرجوا يستسقون؛ فأمرهم أن يربطوه، وحلف لا انفكه أحد حتى ينزل المطر؛ فجاء الغيث الغزير من حينه. قال: وهي حكاية شهيرة ».

[استطراد]

[127- العارف سيدي أبو القاسم ابن اللوشة؛ الملقب: أبو عسرية]
(ت: 1077)

وهو من أصحاب الشيخ الكامل، العارف الواصل، القطب الرباني، والخاتم النوراني، ذي الكرامات الواضحة الظاهرة، والإمدادات والخوارق الباهرة؛ سيدي أبي القاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم السفياني؛ المعروف بابن اللوشة، ويلقب عند أصحابه وغيرهم: بأبي عسرية. لأنه كان يعمل بشماله. توفي أبو القاسم هذا بآخروش، ودفن به أولا قرب طلوع فجر يوم الاثنين ثامن وعشري رجبِ الفرد الحرام سنة سبع وسبعين وألف، ولم يتزوج؛ فلم يكن له عقب، ثم نقلوه خفية إلى وادي أرْضم ودفنوه هناك، وبنوا عليه قبة، وقبره بها إلى الآن مزارة عظيمة، وله موسم عظيم في كل سنة تفد إليه الوفود [189] والركاب من كل ناحية، وبنيت على قبره الأول بآخروش قبة أخرى يزار بها، ثم جردها ملك الوقت سنة خمس وتسعين ومائة وألف، وبنى عليه أخرى أوسع منها، وصنع له حينئذ دربوز وكسوة ومصابيح، وصار الناس يعملون له بها أيضا الموسم في كل عام، والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

وهو - رضي الله عنه - ذو أتباع كثيرة، وطوائف وزوايا في كل بلدة، ومناقبه جليلة جمة، ذكر بعضها جماعة ممن ترجم له؛ كصاحب "الصفوة".

[عودة إلى الكلام على صاحب الترجمة سيدي منصور بوحفرة]:

ووفاة تلميذه - صاحب الترجمة - قال في "الصفوة": « بفاس سنة ست وتسعين وألف، قال: ودفن بالأصدع داخل باب الجيسة ». هـ. وقال في "الروضة المقصودة": « هو المدفون بأعلى محلة فندق اليهودي من عدوة فاس القرويين، قبالة الطالع من محجها ». هـ. وقال في "نشر المثاني": « هو دفين الحفارين داخل باب الجيسة من فاس القرويين، عليه مزارة شهيرة به، وضريح معروف له ». هـ. ولازال قبره شهيرا إلى الآن بمسجده المعروف به، عليه دربوز وكسوة.

تنبيه: كثير من الناس يتوهم في صاحب الترجمة هذا أنه: سيدي منصور بن أحمد. أحد الأقطاب الذين اجتمع بهم وورثهم العارف بالله مولانا عبد العزيز الدباغ حسبما في "الإبريز"، والتاريخ يأبى ذلك؛ لأن وفاة صاحب الترجمة - كما سبق - تبعا "للصفوة"، ومثله في "النشر"، و"التقاط الدرر"... وغيرهما - سنة ست وتسعين وألف، وسيدي منصور بن أحمد المذكور توفي - كما في "الإبريز" - سنة تسع وعشرين ومائة وألف... والله أعلم.

[128- العارف سيد محمد المكي الزيتوني]

ومنهم: الولي الصالح الشهير، العارف الكبير؛ سيدي أبو عبد الله محمد المكي، ويقال: الزيتوني.

أورده ابن عيشون في "التنبيه" قائلا: « ومنهم: سيدي عبد الله الزيتوني في الساباط من الحفارين، فوق رحبة الزرع، يعني: القديمة والقوس الذي عليه الساباط يسمى: باب حصن سعدون، أحد الأبواب التي عملها مولانا إدريس رضي الله عنه ». هـ.

وشهرته الآن بسيدي عبد الله المكي، وضريحه بمسجده المشهور به هناك، إزاء باب الدرب المقوّس؛ وهو مشهور، عليه دربوز يزار به، والناس يتحدثون عنه إلى الآن بكرامات وينسبون له - مما يدل على جلالته ورفعة مكانته - آيات، ولم أقف له على ترجمة؛ إلا أنه في "تحفة أهل الصديقية" لما ذكر أن الشيخ الصالح سيدي عليا ابن منصور البوزيدي؛ المعروف: بأبي الشكاوي، أخذ عن سيدي العسال عن سيدي محمد الزيتوني عن سيدي اللهبي بسكون الهاء عن سيدي مالك بن خدة. قال ما نصه: « وسيدي محمد الزيتوني هذا لا أعرفه، ولعله دفين داخل باب عجيسة من فاس ». هـ.

[129- الإمام سيدي محمد بن عبد الله الزيتوني]
(ت: 911)

وكثير من الناس [190] بل ومن طلبة العلم يعتقد فيه أنه هو: الولي الشهير، العارف بالله الكبير، بدل وقته، وإمام عصره، شيخ الشيوخ، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الزيتوني الفاسي، المتوفى كما في "الابتهاج" سنة إحدى عشرة وتسعمائة؛ وهو أحد الأبدال، وأهل الكرامات التي لا تحصى ولا تخطر على بال، وأحد أشياخ الشيخ زروق الذي خدمه بفاس سنين، وكان معه بزاوية بوقطوط من رأس القليعة، ملازما له إلى أن ارتحل للمشرق بسبب الحكاية المشهورة التي وقعت له معه، وقد ذكرها ابن عسكر في دوحته، والعلامة ابن زكري في أول شرح "النصيحة الكافية" له؛ وغيرهما.

وليس هو قطعا؛ بل شيخ الشيخ زروق هذا ضريحه بالمسيلة من بلاد الجريد كما ذكره من لا يحصى؛ كصاحب "المرآة"، و"المنح الصافية في الأسانيد اليوسفية"، و"ابتهاج القلوب"، و"المقصد"، و"تحفة أهل الصديقية"، و"الطرفة"، و"جواهر السماط"... وغيرهم.

وقد رأيت بعض الناس كتب بطرة نسخة من "جواهر السماط" ما نصه: « والتحقيق: أنه هو دفين الحفارين؛ كما نص عليه بعض العلماء في شرح الزروقية ». هـ. ونحوه قول بعضهم في تأليف له في الأعيان: « توفي - يعني: أبا عبد الله الزيتوني المذكور - في العشرة الثانية من القرن العاشر بفاس المحروسة ». هـ.

وذلك خطأ صراح؛ لمخالفته لنصوص من قدمنا من علماء هذا الميدان، وقد صرح في "المقصد" بخلافه؛ ونصه: « فأما أخذه - يعني: الشيخ زروق - إرادة؛ فعن شيخين؛ أحدهما، وهو شيخه الأول: الشيخ الولي الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني الفاسي، دفين المسيلة من بلاد الجريد، وليس هو سيدي الزيتوني دفين داخل باب الجيسة من فاس كما قد يتوهم ». انتهى المراد منه. . . والله أعلم.

[130- العلامة سيدي محمد الخروبي]
(ت: 1062)

ومنهم: الشيخ الإمام الفقيه، العالم العلامة النزيه، البركة؛ أبو عبد الله سيدي محمد الخروبي.

توفي - رحمه الله - سنة اثنين وستين وألف، ودفن بالحفارين قريبا من باب الجيسة. ذكره في كتاب "التفكر والاعتبار"، ولم أعثر على محل دفنه منها.

[131- العارف المربي سيدي أحمد بن يحيى اللمطي]
(ت: 980)

ومنهم: صدر الصدور، الشهير البركة والحكمة والنور، الولي الكبير، الشيخ الشهير، المربي النفاع، ذو التلامذة والأتباع، العارف بالله، الدال بحاله ومقاله على الله؛ أبو العباس سيدي أحمد بن يحيى اللمطي.

كان - رحمه الله - من أهل الولاية والعرفان، والرسوخ والتمكين والإيقان، ذا سيرة حسنة، وطريقة مستحسنة، ينتفع به القاصد والناهج، وتقضى على يده المطالب والحوائج، له بركات غزيرة، وكرامات ظاهرة كثيرة، وقع منها في حياته [191]، وظهر منها الكثير بعد مماته، ضريحه مزارة، ينتفع به كل من قصده وزاره، حرمة من حُرَم فاس، يتقي به كل ضر وبأس، إن استجار به مجير، ترك وأجير، لا يستطيع أحد التسور عليه، ولا يخاف من لاذ به ولجأ إليه، يظهر عليه أثر العناية الربانية، وتلوح عليه المهابة الإلهية، وقد رام مرة بعض الرؤساء من أهل الفتك أن يخرج من حرمه بعض من استجار به، فعندما قرب من حرمه؛ أخذه داء في بطنه؛ فأحس بمصارينه كأنها تقطع، ورجع عما أراد، وبقي يتوجع إلى أن مات.

وطريقته – رضي الله عنه – زروقية، أخذها عن الشيخ الولي الشهير أبي عبد الله سيدي محمد المطرفي – دفين بلاد أولاد عيسى على نهر مكس – وهو عن الشيخ الولي الجليل سيدي الزبير بن الكبير دفين مطرح الجنة خارج باب الفتوح من فاس، وعن الشيخ سيدي عبد الله الخياط دفين جبل زرهون، كلاهما عن سيدي أحمد بن يوسف الملياني، عن الشيخ زروق.

وأخذ عنه هو وتخرج به: الشيخ أبو العباس سيدي أحمد الشاوي – دفين حومة الجرف من فاس – فإليه ينتسب، وله سلب الإرادة، وإياه خدم، وبه انتفع وتربى، ويكفي في سمو رتبته، وعلو قدره ودرجته، تخرج هذا الشيخ به، وكونه أثرا من آثاره.

وقد كان له – رضي الله عنه – داران: إحداهما بفاس؛ بإزاء زاويته التي دفن بها، والأخرى بلمطة يتناوبهما، يذهب لهذه أحيانا ولهذه أخرى. وكان أصحابه يتبعونه إليهما ويقرؤون الأحزاب، ويستعملون السماع في بعض الأحيان.

توفي – رحمه الله – ، على ما ذكره بعضهم: في أوائل العشرة التاسعة من القرن العاشر، وقال في "تحفة أهل الصديقية": « كان في رمضان من سنة ثمانين وتسعمائة حيا، ثم كان في ذي القعدة من سنة خمس وثمانين وتسعمائة ميتا » . هـ.

وضريحه مشهور بزاويته التي بدرب ابن زمام من ناحية هذا الداخل – أعني: داخل باب الجيسة – عليه بها دربوز وكسوة. وقد جدد بناءها في عام سبعة وثلاثمائة وألف السلطان الأمجد مولانا الحسن بن سيدي محمد، بعد أن زاد فيها زيادة كبيرة، وأقام على ضريح الشيخ بها قبة حافلة، وجعل ما بقي مسجدا واسعا لإقامة الصلوات فيه، تقبل الله عمله، وبلغه من الخيرات مطلوبه وأمله... آمين.

ترجمه في "الروض" وغيره، وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس بقوله:

وبالـزلاقـة الإمـام الأوحـد   العـارف المكمـل المعتمـدُ
شيخ الشيوخ أحمد بن يحيى   من لطريق القوم كان أحيا [192]

ومن دفن معه بزاويته المذكورة؛ على ما رأيته في بعض المقيدات: أخوه سيدي عبد العزيز، وأبوهما سيدي يحيى، ودفن معه بها أيضا جماعة من ذريته وغيرهم.

[132– سيدي الحبيب الحمياني]
(ت: 1213)

ومن بها من غيرهم: الولي الصالح، المجذوب السائح؛ أبو البركات سيدي الحبيب الحمياني.

توفي - رحمه الله - ثامن عشر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف. ودفن عند رجلي صاحب الترجمة، وجعل على قبره دربوز صغير بزار، لكنه أزيل عند التجديد المذكور... والله أعلم.

[133- سيدي عبد السلام المطرفي]

ومنهم: الولي الصالح أبو محمد عبد السلام المطرفي؛ بجومة النواعريين قربا من زاوية شرقاوة، بالدرب المقابل للمكتب هناك، بروضة عن يمين الداخل. ولم أقف له على ترجمة.

[134- العلامة الرحلة سيدي عبد السلام بن المعطي الشرقاوي]
(ت: 1215)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العالم العلامة الهمام، المشارك النبيه، الزكي النزيه، الرحلة الراوية الأديب، البركة الصالح المنيب؛ أبو محمد سيدي عبد السلام ابن الولي الشهير، الناصح الكبير، المشار إليه بالقطبانية الكبرى، المخصوص بنعوت الخصوصية الجامعة لعز الدنيا ونعيم الأخرى، صاحب "الذخيرة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم"، وشرف ومجد وكرم وعظم، أبي عبد الله وأبي المواهب والبركات، المحمود السعي والحركات؛ سيدي محمد المعطي ابن الشيخ العارف بالله تعالى أبي عبد الله سيدي محمد - المدعو: الصالح - ابن الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد - المدعو: المعطي - ابن المرابط سيدي عبد الخالق ابن القدوة البركة العالم سيدي عبد القادر ابن الولي الصالح الكبير، والقطب الغوث الشهير، صاحب زاوية أبي الجعد من تادلا، المتوفى أول ليلة من محرم سنة عشر وألف؛ أبي عبد الله سيدي مَحمد - المدعو: الشرقي - التادلي القرشي العمري.

بيتهم بالمغرب مشيّد البنيان، على قواعد من الجد والفضل والعلم والعرفان، وهم ينتسبون لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورفع غير واحد نسبهم إليه؛ توفي والد صاحب الترجمة سيدي المعطي حادي عشر محرم الحرام فاتح سنة ثمانين ومائة وألف، ودفن بداره بجعيدان حيث زوايا آله.

وكان هو - رحمه الله - من أهل العلم والفضل والصلاح، والدين المتين والنسك والفلاح، عالما عاملا جليلا، مشاركا محققا نبيلا.

أخذ عن غير واحد من الأئمة؛ كالشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني، وله رسالة بديعة مشتملة على نثر ونظم يستدعي بها الإجازة منه، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام

الفاسي، ذكره في "عناية أولي المجد" فيمن أخذ عنه ما سوى القراءة وأحكامها من العلوم، ولقي القطب أبا العباس سيدي أحمد التيجاني - رضي الله عنه - بجامع الديوان من فاس، وأخذ عنه ورده.

وتوفي في حياته بفاس، وصلى عليه الشيخ - رضي الله عنه - ودفن بزاوية أبيه المعروفة بهذه الحومة، وقبره بها قريب من محرابها، ملاصق لحائطه من ناحية اليمين، عليه دربوز يزار ويتبرك به [193].

[135- العلامة العارف سيدي عمر بن المكي الشرقاوي]
(ت: 1260)

ومنهم: ولد أخيه: السيد الأشهر، الهمام الأكبر، الفقيه العلامة، البحر الفهامة، العارف الكامل، الولي الواصل، الإمام المعتبر؛ أبو حفص سيدنا عمر ابن السيد أبي عبد الله محمد المكي ابن الولي الشهير أبي عبد الله سيدي محمد المعطي بن الصالح التادلي الشرقاوي.

وكان - رحمه الله - فقيها نزيها، علامة نبيها، منظورا إليه بعين الرعاية، منسوبا إلى المقام الأكبر في الولاية، ولازال الناس إلى الآن يصفونه بأوصاف المجد العالية، ويحدثون عنه بما ينبئ ببلوغه المكانة العليا والمرتبة السامية؛ ومن قصيدة للفقيه الوزير أبي عبد الله سيدي محمد بن إدريس العمراوي الفاسي يمدحه بها:

هو الفرد أوصافَ المحامد جامع	له الفضل والتقديم حقًا بلا غمص
هو البحر علما والصباح هداية	هو البدر في أفق الوجود بلا نقص
له تضرب الأكباد في العلم والعلا	وتَمضى المهاري بالذُقيل وبالنص
حوى من علوم الدين جامع صدره	مواهب لا بالدرس تدرك والحرص
سما بالتقى والعلم والحلم والنهى	وحاز خلال الفضل بالسبق والنص

لقي - رحمه الله - غير واحد من الأئمة الكبار، ونال منهم عظيم الأسرار والأنوار، وذكر عن نفسه أنه لقي الصحابي الأشهر: السيد شمهروش؛ قاضي الجن، مرات كثيرة، وتبرك به وأخذ عنه.

وقد رأيت في كناش الفقيه الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد اللطيف جسوس بخطه ما نصه: « من منن الله على العبد الفقير، كاتب هذه الحروف؛ أني تذاكرت يوما مع الولي الأكبر، السيد الأشهر، حبنا وأخينا في الله سيدي عمر بن المكي في الصلوات الكوامل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد كلام طويل؛ قال لي: الصلاة المنسوبة إلى قاضي الجن وعالمهم وصالحهم المولى

السيد شمهروش الصحابي الجليل رضي الله عنه؛ وهي: *اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين* . هل تعرفها؟ . فقلت له: نعم؛ وأحفظها، إلا أني لا أعرف قائلها!، فقال لي: هي للسيد المذكور، والواحدة منها بمائة ألف صلاة بغيرها، وقد تلاقيت معه مرات كثيرة، ولا زال حيا إلى الآن. . .)).

ثم ذكر بعد هذا أنه رأى كناش صاحب الترجمة بعد وفاته بخطه وفيه طلب الإجازة من السيد شمهروش في الصلاة المذكورة، واستفهامه: هل ما يذكره كثير من الأولياء والصالحين الذين رووها عنه من أنها بمائة ألف صلاة؛ صحيح أم لا؟ . وعقبه بخط السيد شمهروش [194]: ((صحيح ذلك، وقد أجزناك وأذنا لك فيه)). وتحته متصلا به بخط صاحب الترجمة: ((الخط أعلاه خط قاضي الجن السيد شَمهَروش الذي تروى عنه الصلاة المرسومة أعلى أعلاه)) .هـ.

وله – رحمه الله – من التآليف كتاب: "موارد الصفا في الصلاة على النبي المصطفى"، صلى الله عليه وسلم، وله أيضا: "صلوات شريفة" تضمنت أسماء الكتب المؤلفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التورية والتوجيه .وأخذ عنه جماعة من أهل وقته وتبركوا به.

ولما قدم لفاس الشيخ الكامل، والعلامة المحدث الفاضل؛ أبو عبد الله سيدي محمد صالح ابن خير الله الحسيني الرضوي البخاري السمرقندي؛ اجتمع بصاحب الترجمة وتبرك به، وكان يقول فيما يحكى عنه: ((هان علي سفر كذا وكذا بملاقاة رجلين بالمغرب؛ وهما سيدي قدور العلمي، وسيدي عمر بن المكي)). ولما توفي صاحب الترجمة تولى غسله بنفسه.

وكانت وفاته – رحمه الله – ليلة الاثنين ثاني عشر شوال عام ستين ومائتين وألف، ودفن بزاوية جده المذكورة بركن يمين محرابها، وجعل على قبره دربوز وحَوْشٌ من خشب يدور به، وهو مزار متبرك به إلى الآن.

تنبيه: تقدم عن صاحب الترجمة أن السيد شمهروش لازال حيا؛ وانظره مع ما ذكره العلامة المؤرخ النسابة أبو الربيع مولانا سليمان بن محمد الحوات في كتابه المسمى "بالروضة المقصودة"؛ ونصه: ((وأما القاضي شمهروش؛ فنقلت من خط شيخنا العلامة الصدر أبي الحسن مولانا علي زين العابدين بن هاشم العراقي الحسيني رحمه الله، عن شيخه العالم العارف الصالح أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس الشدادي، بارك الله فيه؛ أنه توفي. . . قال: أظنه قال: في حدود الثمانين ومائة وألف؛ افترسه الأسد بالقرب من ضريح الشيخ أبي يعزى نفعنا الله به. ورأيت في "حياة الحيوان" للدَميري أن الأسد: مولع بأكل الجان، والله على كل شيء قدير)) .انتهى والله أعلم.

[136- المجذوب الشريف سيدي هاشم بن عبد الله المَركطاني]
(ت: 1241)

ومنهم الشريف الفاضل: الولي الكامل، المجذوب السائح، البركة الفالح؛ سيدي هاشم بن عبد الله الحسني العلمي المَرُّوني؛ المدعو: سيدي هاشم بوعصا؛ لكونه كانت له عصا في يده يتوكأ عليها عند المشي. المَركطاني: لكونه كانت له في ابتداء أمره حانوت يبيع فيها ويشتري بسوق المركطان، ثم إنه لما نزل به ما نزل من الجذب: تركها وجعل يدور بالأسواق ويقول: الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر، ويرفع بذلك صوته حتى يسمع من الأمكنة البعيدة منه، ويكاشف كثيرا من يلقاه فيخبره بما في ضميره وما [195] يريد أن يفعل، ربما قال له: لا تفعل كذا. لما يريد أن يفعله، وافعل غيره من كذا وكذا. ويتكلم بكلام يشير فيه لأمور غيبية تقع في المستقبل، وربما صرح بما يريده من ذلك؛ فيقول: « عليَّ بعهد الله لا كان كذا وكذا ». أو: حتى يكون كذا وكذا. فيصدقه الله عز وجل. وشوهدت له بركات، وأخبر الناس عنه بكرامات.

توفي – رحمه الله – في شهر صفر الخير عام واحد وأربعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية المذكورة يمين محرابها، متصلا به، رأسه عند رجلي سيدي عبد السلام الشرقاوي، وكتب في زليج عند رأسه ما نصه: « الحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده؛ هذا قبر الولي الصالح، الناسك العارف، المجذوب السالك؛ الشريف مولاي هاشم بن مولاي عبد الله العلمي المَرُّوني الحسني؛ توفي – رحمة الله علينا وعليه – يوم الأحد العشرين من صفر عام واحد وأربعين ومائتين وألف ». هـ.

[137- القاضي سيدي علي ابن محسود]

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة النبيه؛ القاضي بفاس أبو الحسن سيدي علي بن محسود.

كان – رحمه الله – أحد الفقهاء بفاس، والعلماء المرجوع إليه في الفتوى بها. وقد ذكر له في "المعيار" عدة أجوبة عن مسائل؛ منها قوله: « وسئل القاضي سيدي علي بن محسود عمن طلب من المشتري التولية فأبى عليه، ثم أراد انتزاع الشقص من يده بالشفعة. هل يكون طلب التولية مسقطا للشفعة أم لا؟! ».

« **فأجاب** بأن ذلك: لا يضر؛ بخلاف السوم على وجه البيع، وروى أشهب أن له الشفعة بعد السوم فكيف بالتولية منه؟! ». هـ.

وقوله في "نوازل الأحباس": « وسئل القاضي أبو الحسن علي ابن محسود عن أرض المساكين المحبسة عليهم؛ هل يجوز بيعها في مثل هذه السنة لعيشهم؛ لما نزل من الخصاصة والحاجة بالمساكين، أم لا! ».

« فأجاب: بيع أرض المساكين في مثل هذه السنة لعيشهم، وحياة أنفسهم؛ أفضل عند الله من بقاء الأرض بعد هلاكهم وقد أمرت ببيع كثير منها في مثل هذه السنة ». هـ.

وهذه الفتيا استشكلها العارف الفاسي وغيره؛ لما فيها من بيع الحبس في غير ما نص الأئمة على بيعه فيه. وقال بعضهم: « لا أعرف لها مستندا، ولعلها اجتهاد منه ». وبالغ بعض المتأخرين؛ فقال أثناء كلام له على ردها ما نصه: « وابن محسود هذا ليس من المجتهدين، ولا مذكور في جملة العلماء المعتبرين، بل لم يترجمه أحد من المعتنين ». هـ.

وقد بحثت غاية البحث عن ترجمة له؛ فلم أجدها، وإنما ترجموا للشيخ الصالح الفقيه القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد بن محسود الهواري، دفين خارج باب الجيسة، أسفل [196] الموضع المعروف بالقلة، ترجمه التادلي في "التشوف" وغيره، وسيأتي ترجمته – إن شاء الله تعالى – عند ذكر أولياء خارج باب الجيسة.

وضريح صاحب الترجمة – رحمه الله – بباب الدرب الذي يخرج منه لسوق النواعريين يسار الخارج منه، عليه به دربوز، وهو مزار مبترك به.

[138– سيدي عبد الله بن أحمد الصبيحي البعاج]
(ت: 1015)

ومنهم: الولي الصالح، والنور اللائح، ذو الأحوال الكثيرة، والبركات الغزيرة؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن أحمد الصبيحي؛ المعروف بالبعاج؛ (بالموحدة والعين المهملة آخره جيم). نزيل فاس ودفينها.

كان – رحمه الله – من أولياء الله المتقين، وعباده الصالحين، له الحال الصحيح الصادق والبصيرة التامة، والفراسة المسددة.

أخذ عن الشيخ الكبير، والقطب الشهير، ذي الكرامات الكثيرة الجسيمة، والتصرفات الكبيرة العظيمة؛ أبي الحجاج سيدي يوسف بن الحسين التليدي؛ دفين قبيلة بني تليد من قبائل غمارة، على مسيرة نصف يوم من مدينة شفشاون من ناحية الغرب، المتوفى عن غير عقب في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وتسعمائة، عن الشيخ أبي عبد الله الغزواني.

وكان صاحب الترجمة يقول: « لولا صحبة سيدي يوسف؛ لمت على شعبة من شعب النفاق »، وكان جلوسه مع أصحابه بجامع القرويين من فاس. وذكر في "الممتع" أن بعض الفقهاء الأساتيذ كان يتردد إليه ويجلس إليه مع أصحابه بجامع القرويين، قال: « فكان يثقل عليه، فأمر الشيخ

يوما بعض أصحابه أن يذهب إلى ذلك الأستاذ يعطيه دينارا، فذهب إليه ودقّ الباب؛ فخرج، فلما وجده وعرفه من قبل الشيخ رحب به غاية، وسأله عن الشيخ وكيف حاله؛ فقال له: إن الشيخ يقول لك: اعطني دينارا. فتبدل الفقيه وجعل يقول: حتّى إلى هنا أو أنا أغترّ[1] حتّى أعطي دينارا إنكارا لذلك، وأغلق الباب في وجه الرجل بمرة، ودخل داره، فذهب الرجل إلى الشيخ؛ فبنفس ما أشرف عليه؛ جعل الشيخ يضحك وكأنه كان حاضرا معهما، فأخبره الرجل بما كان؛ فقال له: قد استرحنا منه. فما أتاه بعد ذلك)) .هـ.

توفي - رحمه الله - حسبما في "الممتع" المذكور؛ ثاني ربيع الأول سنة خمس عشرة وألف؛ وأورده في "المطمح" فيمن توفي سنة ثمان وألف، وما للممتع هو الذي لصاحبه في "تحفة أهل الصديقية" أيضا، وتبعه عليه غير واحد، ودفن بسويقة باب الجيسة يسار الطالع بها من ناحية الحفارين، بروضة تقابل روضة الشرفاء أولاد أبي عنان، التي بها ضريح سيدي أحمد بن عمر الشرف. ترجمه في "الروض"، و"الممتع" [197] و"تحفة أهل الصديقية"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"المطمح"... وغيرها. وفي "التنبيه" أنه دفن بظهره رجل يقال له: سيدي عبد الله التواتي، ولم أعثر له على ترجمة.

[139- المجذوب سيدي أحمد بن عمر الشرف البهلول]
(ت: 1066)

ومنهم: الولي الشهير، المجذوب الكبير، الكثير الكشف والكرامات، الظاهر البراهين والآيات، أبو العباس سيدي أحمد بن عمر الشرف البهلول؛ المعروف بـ: جرانة[2].

كان - رحمه الله - صادق الفراسة، كثير الكشف، باهر الخوارق، وبهلولا. ولد كذلك ساقط التكليف متجردا، عزبا لم يتزوج قط، فلم يكن له عقب، ولم يعرف له شيخ، وولايته عند أهل فاس قطعية شهيرة، لا يشك فيها أحد، رجالا ونساء، لما شاهدوا من كراماته وتصريفاته. وشهد له الأكابر من أهل الخصوصية من أهل وقته بالولاية، وكان له القبول عند الخلق كافة، والمحبة في قلوبهم، يمشي في الأزقة فيلقى الرجل الذي لم يدخل فاسا قط؛ فيسميه باسمه واسم أبيه، ويسمي له أمه وزوجته، ويخبره بما خلف في داره، وبما غاب عنه من أموره.

---

[1] أي: إلى هذا الحد؛ وإلا أصابني الغرور.
[2] الجرانة: الضفدعة بالعامية المغربية.

وكان من عادته أنه: إذا أعطى لأحد قفة، أو أزال المنكبوت عن باب دار؛ يعلم أن صاحب القفة يموت بالقرب، وأن بالدار أحدا يموت بالقرب. وكان كلامه كله إشارة، وأحواله شهيرة، وقد ذكر شيئا منها غير واحد ممن ترجمه.

وفي "المقصد": « أنه لقي يوما في الطريق سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي في زمن صباه، فوضع يديه على عينيه، وجعل يفتحهما له هذه بعد هذه، ويوسع فتحهما له توسيعا كثيرا، يشير بذلك إلى ما يكون له من فتح البصيرة ووسعها. وأرسل له مرة في زمن صباه بمصباح زجاج نظيف، مجعول فيه الماء والفتيلة، والرصاص الذي تكون فيه الفتيلة، والسلسلة التي يعلق بها؛ وقال للمرسل معه: اعطه سيدي أحمد ابن عبد الله. يشير بذلك إلى ما يؤول إليه أمره من كونه يكون مصباحا يضيء على الخليقة، ويقتبسون من أنواره. . . فكان كذلك ».

توفي - رحمه الله - يوم الأحد الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وستين وألف؛ قال في "النشر": « ولا يعلم أحد ينتسب لوالديه ولا لقرابته في النسب، ولا للأخذ عنه في الطريقة ».

ودفن بالسويقة المذكورة، بروضة للشرفاء أولاد أبي عنان، عن يمين الطالع، وبني عليه بها بيت، وهو الذي عن يسار الداخل. ترجمه في "الروض" و"الصفوة" و"النشر". . . وغيرها، وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال:

والهائم الفياض بحر السر	أبو المعالي أحمد بن عمر
في روضة مع سادة أعيانَ	أعني بهم: بني أبي عنانَ [198]

[140- الحافظ المحدث المقرئ الشريف سيدي محمد بن محمد البوعناني]
(ت: 1063)

ومنهم: الشيخ الإمام، العلامة الهمام، الحافظ المحدث الكبير، الأستاذ المقرئ المجود الشهير، شيخ الجماعة في العلوم القرآنية؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه الزاهد الورع التالي لكتاب الله عز وجل أبي عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه أبي الربيع سليمان بن الفقيه منصور بن الفقيه الأجل أبي الحسن علي بن ثابت بن منصور الشريف الحسني الإدريسي البوعناني.

قال في "التقاط الدرر": « وصفه بالشرف وبأوصاف سامية: المحقق الورع سيدي أحمد بن علي السوسي البوسعيدي أول كتابه "بذل المناصحة في فعل المصافحة"، وكذلك: الحافظ أبو زيد الفاسي في كتابه: "أزهار البستان" ».هـ.

وقد وقفت على كلام للشيخ أبي عبد الله المسناوي، ذكر فيه أنه اطلع على ظهائر ملكية وإجازات علمية، لبعض أسلاف رهط صاحب الترجمة، تضمنت تحليتهم بالشرف النبوي والنسب العلوي من غير واحد من الأئمة المعتبرين؛ كالشيخ سيدي أحمد بن علي السوسي، والشيخ سيدي عبد الواحد بن أحمد ابن عاشر، والشيخ أبي القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني، وتلميذه أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني. . . وغيرهم. وممن شهد لهم بذلك: الشيخ ميارة الأكبر، والشيخ أبو عبد الله محمد البكري بن محمد الشاذلي الدلائي، والشيخ أبو عبد الله محمد العربي ابن عبد السلام ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي، حسبما وقفت عليه منقولا من خطوطهم بخط بعض أفاضل العلماء.

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - مشاركا في العلوم، مستحضرا لأحاديث الصحيحين، مقرئا مجودا، انتفع به الطلبة وكثر الآخذون عنه؛ كالشيخ ميارة الأكبر، والشيخ أبي زيد الفاسي الأصغر، والشيخ أبي سالم العياشي. . . وغيرهم، وهو آخر من روى عن الشيخ القصار بالسماع؛ فكان سنده أعلى سندا من معاصريه.

وأخذ - رحمه الله - أيضا عن العارف الفاسي، وقرأ عليه الصحيح بلفظه، ولازم مجلسه سنين، وأجازه مرتين، وعن أبي العباس المقري، والجنان، وصحب الرجل الصالح سيدي أحمد وُ علي السوسي البوسعيدي، وتبرك أيضا بالشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي التادلي دفينها، وأخذ عنه، وأخذ القراءات عن أبي العباس أحمد بن محمد الفشتالي، وعن أبي عبد الله محمد ابن أحمد المريي، وعن أحمد بن شعيب الأندلسي.

ولد سنة ثمان وثمانين وتسعمائة، أو في التي بعدها. وتوفي في سادس شوال سنة ثلاث وستين وألف، وعمره خمس وسبعون سنة؛ ودفن بروضتهم المذكورة، ودفن بعده معه فيها جماعة من أولاده ممن كان موصوفا بصفة العلم والقضاء، أو الفتوى والإمامة والخطابة بجامع القرويين من فاس أو غيره، وقد ذكر في "النشر" في ترجمة [199] سيدي أحمد بن عمر الشريف: « أنه أعطى صاحب الترجمة مرة حزمة من عيدان النخل. . . قال: وهي في العرف تستعمل للتوكي عليها بمنزلة العصا؛ فكان فيه إشارة لما تولاه أولاده من الخطابة في مساجد فاس وغيرها؛ لأن الخطيب يعتمد في خطبته على العصا. . . قال: فاتفق أن كان في أولاد سيدي أبي عنان من الخطباء بقدر عدد تلك العيدان؛ فحين استكملوا من الخطباء مثل عدد العيدان؛ لم يتفق منهم خطيب آخر ». هـ.

ترجمه الشيخ أبو زيد الفاسي في "أزهار البستان"، وكذا ترجمه في "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"دوحة البستان". . . وغيرها.

[141- الأستاذ سيدي محمد الشاطبي]
(ت: 1079)

ومنهم: الفقيه الأرضى، المشارك المرتضى؛ الأستاذ أبو عبد الله سيدي محمد الشاطبي قال في "النشر": « توفي تاسع شعبان - يعني: من سنة تسع وسبعين وألف - ودفن بباب الجيسة بقرب ضريح الأستاذ سيدي محمد بن محمد البوعناني ».هـ.

[142- الخطيب الشريف سيدي مَحمد بن مُحمد البوعناني]
(ت: 1098)

ومنهم: الشيخ الفقيه الأريب، العلامة الأستاذ الخطيب، الحافظ المحقق الأكمل، المشارك الأنبل الأفضل؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن الشيخ الأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد بن سليمان البوعناني المتقدم الذكر.

كان - رحمه الله - خطيبا بجامع الأندلس، ثم ولي الإمامة والخطابة بجامع القرويين، وولي أيضا قضاء فاس الجديد والخطابة بجامعها الأعظم، وكان فصيحا بليغا أستاذا مقرئا، مجودا حافظا محققا، له وجاهة عظيمة عند العامة والخاصة.

ولد سنة ثمان وعشرين وألف، وأخذ عن والده وغيره، وانتفع أيضا بالشيخ سيدي علي ابن عبد الرحمن الدرعي التادلي، وأخذ عنه طريقته.

وتوفي يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الثانية عام ثمانية وتسعين وألف، ودفن مع أبيه بالروضة المذكورة. ترجمه في "النشر"، و"دوحة البستان" . . . وغيرهما.

[143- الفقيه الشريف سيدي محمد العربي بن مَحمد البوعناني]
(ت: 1089)

ومنهم: ولده الفقيه النزيه، العالم الوجيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد العربي.

كان - رحمه الله - عالما فقيها أديبا. أخذ عن الشيخ أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، وتولى إمامة مسجد الأندلس وخطبته، ودرس بالقرويين، ثم ولي قضاء تازا. وأخذا أيضا - تبعا لأبيه وجده - عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي.

وتوفي قبل أبيه بالطاعون سنة تسع وثمانين وألف، ودفن مع جده بهذه الروضة. . . ترجمه في "النشر" وغيره.

[144- الفقيه المفتي الشريف سيدي عبد الواحد بن مَحمد البوعناني]
(ت: 1106)

ومنهم: أخوه الفقيه الأجل، العلامة المدرس الأفضل، المفتي الخطيب، الفصيح الأديب؛ القاضي أبو محمد سيدي عبد الواحد بن محمد البوعناني.

ولي - رحمه الله - الفتوى بفاس، ودرَّس بمسجدها الأعظم، وولي قضاء فاس الجديد، ورحل إلى الجزائر بأمر السلطان؛ فلقي جماعة من مشايخها، وأخذ عن مشايخ غيرهم؛ منهم: والده والشيخ أبو محمد [200] سيدي عبد القادر الفاسي، وأبو عبد الله سيدي مَحمد. وكان خطيبا واعظا، مدرسا لافظا، أديبا أريبا نبيها، دَرِبَ اللسان فصيحا وجيها، كريم الأخلاق، جميل الإرفاق. وله فتاوي تدل على مكانته في العلم.

توفي - رحمه الله - ثامن عشر صفر عام ستة بعد مائة وألف، ودفن - في غالب الظن - بالروضة المذكورة. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"... وغيرهما.

[145- القاضي الشريف سيدي علي بن عبد الواحد البوعناني]
(ت: 1153)

ومنهم: ولده الشريف الوجيه، العلامة المعظم التزيه، المدرس الدراكة النبيه، خطيب البلغاء، وبليغ الخطباء، قاضي حضرة فاس ومفتيها، ومتولي الأحكام الشرعية بها؛ أبو الحسن سيدي علي بن عبد الواحد البوعناني.

كان - رحمه الله - عالما فقيها، مدرسا وجيها، وولي القضاء بفاس والخطابة، والإمامة بمسجدها الأعظم، بعد عزل الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد ابن منصور، عن كل ما كان بيده يوم الاثنين مهل ذي القعدة الحرام سنة اثنين وعشرين ومائة وألف، وكتب أهل فاس للسلطان مولانا إسماعيل رسالة أنيقة يحمدونه فيها على توليته عليهم، ويشكرونه على ذلك، وأوقع علامته عليها كثير من العلماء والعدول، وهي مؤرخة بأوائل ربيع الثاني من عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف. وقد وقفت عليها.

وكانت وفاته عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف، ودفن بهذه الروضة ببيت سيدي أحمد بن عمر ترجمه في "النشر" على ما يوجد في بعض نسخه.

[146- القاضي الشريف سيدي عبد الواحد بن علي البوعناني]
(ت: 1151)

ومنهم: ولده الفقيه، الخطيب النبيه؛ القاضي أبو محمد سيدي عبد الواحد بن علي البوعناني.

ولي - رحمه الله - قضاء مدينة تازا، والخطابة والإمامة بها، أول دولة السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل العلوي، ثم أقيل من ذلك عام ثمانية وأربعين؛ فرجع لفاس.

وتوفي بها قبل أبيه سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، ودفن - فيما يغلب على الظن - بالروضة المذكورة. ترجمه في "النشر". على ما يوجد في بعض نسخه أيضا.

[147- القاضي سيدي يوسف الطالب البوعناني]
(ت: 1206)

ومنهم: الفقيه الأجل، العالم الأفضل، القاضي بفاس وغيرها؛ أبو الحجاج سيدي يوسف بن الفقيه الأذكر العلامة الأشهر، القاضي بمكناسة الزيتون، والمتوفى بتطوان؛ أبي عبد الله سيدي محمد الطالب بن عبد الواحد بن محمد البوعناني.

ولي - رحمه الله - القضاء بفاس وهو ابن عشرين سنة، ولاه إياه السلطان مولاي عبد الله العلوي سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، وفوض له في الولاية والعزل في القضاء والأئمة والخطباء والنظار والمحتسبين، ثم عزله عنه وولى مكانه [201] القاضي أبو خريص عام تسعة وخمسين ومائة وألف، ثم رد إليه بعد نيف وثلاثين سنة بعد عزل السلطان سيدي محمد بن عبد الله لبوخريص المذكور، وبقي به نحو ثلاث سنين، ثم عزله عن فاس وولاه قضاء مكناسة الزيتون؛ فلم يلبث إلا شهورا وعزل، ثم ولي قضاء فاس الجديد، ثم قضاء الرباط مشتركا فيه مع السيد العربي القسمطيني، ثم لما بويع مولاي اليزيد أعاده لقضاء فاس؛ فأقام فيه شهرا، ثم عزله وولى مكانه سيدي أحمد بن التاودي ابن سودة.

وبقي - رحمه الله - مصونا عن الخطة إلى أن توفي يوم الأحد الثاني والعشرين من ربيع الثاني عام ستة ومائتين وألف، ودفن بروضتهم المذكورة بالبيت الذي بآخره في يمين بابها.

[148- سيدي عبد الكريم [كريمو]]

وهو الذي دفن فيه الولي الصالح؛ سيدي عبد الكريم؛ المدعو: سيدي كريمو. قلت: وهو ولي شهير هنالك، ولم أقف له على ترجمة.

[149- الشريف سيدي الحسن بن الشاذ العلوي]
(ت: 1302)

ومنهم: الشريف البركة الصالح، المحب في الجناب النبوي الفالح؛ أبو علي سيدي الحسن بن مولاي الشاذ العلوي الحسني.

كان - رحمه الله - من المكثرين للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في "دلائل الخيرات"، وكانت له حانوت بالقفازين من هذه الحضرة يبيع فيها الدقيق والخبز، فكان يظل فيها يومه و"الدليل" بيده وهو يقرأ فيه، وكان موسوما عند الناس بالخير والبركة، محمود السعي في كل سكون وحركة، أخذ طريقة الجزولي عن سيدي أبي القاسم السجلماسي، وتولى تقديم أصحابه بتوليته؛ فكان يجمعهم للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في "دلائل الخيرات".

وأخبرني سيدنا الوالد أنه رآه مرة في المنام مع المصطفى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وجماعة أخرى بالجامع الكبير من فاس الجديد، ورآه عليه السلام تقدم للصلاة وصلى؛ وكان هو من جملة من صلى معه وراءه.

توفي - رحمه الله - في ربيع الثاني عام اثنين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة صغيرة لأولاد بنيس ملاصقة لبيت سيدي كريمو المذكور.

[150- سيدي محمد ابن عبد الله مَعَن الأندلسي]
(ت: 1010)

ومنهم: السيد الأصيل، النزيه النبيل، ذو المروءة والصيانة، والحسب والمكانة، والديانة والأمانة؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن عبد الله مَعَن؛ به دعي. الأندلسي. والد الشيخ العارف الشهير سيدي مَحمد ابن عبد الله، دفين خارج باب الفتوح.

كان - رحمه الله - رجلا زكيا، خيرا مرضيا، جوادا فاضلا، وفيا كاملا، من أماثل الأعيان، وأفاضل الزمان، يواصل الرحم والأقارب، ويواسي الجيران والأجانب، كثير السخاء؛ له فيه أفاعيل، وهو فيه نظير الشيخ والد أبي المحاسن، وكان من التجار أهل الأموال [202]، الذين يكتسبون الحلال، له حانوت بسوق القيسارية يتجر فيها، وكان إذا دُفع راتب السلطان للجيش، أغلق باب حانوته وترك البيع والشراء مدة ما بقي الجيش بالسوق يشتري من الناس الحوائج والملابس فرارا من معاملتهم، وتطهيرا لماله أن يختلط بشيء مما يدفع من مالهم، وكان يعجبه الكريم العلي الهمة، ويكره ساقطها الشحيح النفس.

ومما كان يجري كثيرا على لسانه: قول الناس في آدابهم: « إذا كان صاحبك سوقي؛ بعه بكلب أو بسلوقي[1]؛ وقد ذكر هذا الكلام ولده المذكور لشيخه العارف الفاسي؛ فأعجبه واستحسنه، لما فيه من الحكمة التي هي الحمل على علو الهمة.

توفي – رحمه الله – كما في "المقصد" في حدود عشرة وألف، زمن صحبة ولده للشيخ أبي المحاسن. قال في "المقصد": « ودفن بروضة داخل باب الجيسة، وكان سكناه بحومة الحفارين بالدار التي بإزاء مسجد سيدي الزيتوني هناك، عن يمين المار لباب الجيسة، وبهذه الدار ولد ولده الشيخ سيدي محمد نفعنا الله به ». هـ.

ترجمه في "المقصد"، وأشار إليه في منظومته المسماة: "بمناهل اللهفان إلى أسانيد أولي العرفان"؛ فقال بعد ذكر حفيده ولد ولده سيدي أحمد ابن عبد الله والثناء عليه وعلى والده المذكور:

قد كان جده أبو أبيه	ليس له في البذل من شبيه
كان جوادا فاضلا مسخاءَ	يفعل في الإعطاء ها وهاء
له عفاف وله صيانة	مع مروءة مع ديانة
ذو عزة وهمة علياء	وشيمة وسيرة غراء

[151- السيدة فاطمة بنت عبد المولى العثماني]

ومنهم: زوجته ووالدة ولده سيدي مَحمد المذكور؛ السيدة فاطمة بنت عبد المولى العثماني.

كانت – رحمة الله عليها – خيرة مرضية، حسيبة زكية، كريمة الأخلاق، جميلة الإرفاق، طيبة المعاشرة، حسنة المجاورة، لا تجازي بالسيئة السيئة، ولكن تعفو وتصفح وتصبر على إذاية من آذاها أو جهل عليها.

وفي "المقصد": « كانت هي وبعلها من أهل الديانة والأمانة، والحسب والمكانة، وممن فاز بفضل الله سبحانه، وحاز رحمته ورضوانه... قال: وقد أخبر ولدهما الشيخ سيدي مَحمد – رضي الله عنه – عندما زار مرة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به – أنه رأى سيدي عبد السلام – رضي الله عنه – وأهل الله مجتمعون عليه، ورأى معهم هناك أباه وأمه المذكورين... قال لأصحابه: وهم ينظرون إليكم وأنتم لا ترونهم... »، قال في "المقصد": « وهذه [203] مزية لهما وبشارة لولدهما – رضي الله عنه وعنهما ». هـ.

ترجمها في "المقصد"، ولم يذكر فيه تاريخ وفاتها، وذكر أنها مدفونة بروضة داخل باب الجيسة. يعني: مع زوجها المذكور... والله أعلم.

---

[1] السلوقي: نوع شرس من أنواع الكلاب.

ذكر من اشتهر ووقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء بقية داخل
باب الجيسة وحومة زقاق الرمان وما هو منضاف إليها

[152- العلامة سيدي محمد بن أحمد بَنِّيس]
(ت: 1214)

منهم: الشيخ الفقيه العلامة، الدراكة المحقق الفهامة، الضابط المتقن، المبارك المتفنن، الماهر في الفرائض والحساب، الفائق فيهما جميع الطلاب، البركة الصالح، المهتدي بهداه الواضح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمدّ بَنِّيسْ الفاسي.

ترجمه تلميذه الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة في "أزهار البستان"؛ فقال: « ومنهم – يعني: من مشاهير أهل القرن الثالث بعد الألف – شيخنا العلامة، الفقيه الفهامة، فرضي وقته، وإمام عصره، سيدي محمد بن أحمد بنيسْ؛ بكسر الباء الموحدة، وكسر النون المشددة، ثم ياء وسين مهملة. الفاسي دارا ومنشأ. له مشاركة في الفنون، واختص بعلم الفرائض؛ فإليه الملجأ بفاس في حل مشكلاته، وله شرح جيد على "فرائض خليل"، وله شرح على "الهمزية" كما أخبرني هو – رضي الله عنه – وهو في قيد الحياة. ثم مات بالوباء ثالث عشر من القرن الثالث عشر. أخذت عنه فرائض خليل، وجزءا من "التسهيل"، وأجازني إجازة عامة ». هـ.

وقال في فهرسته ما نصه: « وأخذت علم الفرائض عن فرضي وقته العلامة المشارك سيدي محمد بنيس، بكسر الباء وشد النون المكسورة، وقرأت عليه – أيضا – جزءا من "التسهيل"، وأجازني أيضا في سائر العلوم ». هـ.

وقد كانت ولادته – رضي الله عنه – ليلة الاثنين منتصف رجب سنة ستين ومائة وألف. وأخذ عن أشياخ عديدة؛ منهم: شيخ الجماعة في وقته أبو عبد الله سيدي مَحمد بن قاسم جسوس، وأبو زيد سيدي عبد الرحمن المنجرة، وأبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن البناني؛ أخذ عنه الفقه، وأبو محمد سيدي عبد القادر ابن شقرون؛ أخذ عنه العربية والبيان، وأبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي؛ عده في "عناية أولي المجد" من تلامذته الذين أخذوا عنه ما سوى القراءة وأحكامها من العلوم، ولقي في حال صباه الشيخ أبا العباس الهلالي لما قدم لفاس في حدود السبعين بموحدة وألف، وقبل يده؛ فمسح على رأسه ودعا له بخير، وذلك في دار جد صاحب الترجمة للأم العلامة البركة الفرضي سيدي أحمد بن عبد الجليل الشرايبي – نفعنا الله بهم.

ثم ارتحل [204] – رضي الله عنه – للحج عام ستة وتسعين ومائة وألف؛ فحج وزار، ولقي جماعة من الأبرار، ثم رجع لفاس ملتزما الإقراء والتدريس، حيث ضريح غوثها الجامع المولى إدريس بن إدريس، فعظم الله شانه، ورفع بالعلم والعمل مكانه، وأعلى به منازل الهداية، ورزق الناس الانتفاع به في النهاية والبداية.

وأخذ عنه جماعة من العلماء، وانتفع به غير واحد من الفقهاء؛ كالسلطان أبي الربيع مولانا سليمان بن محمد العلوي؛ أخذ عنه النحو والفقه والحساب والفرائض، والعلامة الصوفي أبي الفيض سيدي حمدون ابن الحاج، وأبي العباس سيدي أحمد ابن محمد بن عجيبة اللنجري الحسني، وأبي محمد سيدي عبد القادر بن أبي جيدة بن أحمد الكوهن، وقد عده من شيوخه في فهرسته المسماة بـ:"إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد"، وحلاه بشيخنا الحافظ اللافظ المتقن المحصل.

وألف – رحمه الله – تآليف عديدة؛ منها ما تقدمت الإشارة إليه من شرحه المشهور على "همزية" الإمام البوصيري؛ الذي أقبل الناس عليه في هذا المغرب وانتفعوا به؛ وهو المسمى بـ:"لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري".

توفي – رحمه الله – بالوباء– كما سبق – عام ثلاثة عشر، وقيل: عام أربعة عشر ومائتين وألف، ودفن على ما تلقيته من بعض أقاربه، وأخبرني بعض الثقات أن شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي كان يزوره به – بروضة مجاورة لميضاة جامع الخطبة الذي بهذا الداخل، وسط سقيف هناك بها، ورأيت بخط بعض شيوخنا أن الأصح أنه دفن هو وشقيقه سيدي العربي خارج باب الجيسة، ولعل الصواب: داخل بدل خارج... والله أعلم.

[153– العلامة الفرضي سيدي العربي بن أحمد بنيس]
(ت: 1213)

ومنهم: أخوه وشقيقه العالم العلامة، الدراكة الفهامة، الفرضي الحيسوبي؛ أبو حامد سيدي العربي بن أحمد بنيس؛ بكسر الباء؛ لأن العرب لم تنطق في هذا المثال إلا بفِعْليل. بكسر الفاء؛ كصنديد، وقطمير، وغطريف، ومنديل، وسكين، وقنديل، وبنيس؛ فهو مدغم. الفاسي.

كان – رحمه الله – فقيها فرضيا مشاركا، له مجالس في تدريس العلوم، وخصوصا الفرائض، انتفع به فيها كثير من طلبة فاس وغيرها.

أخذ عن جماعة من الأئمة الأعلام؛ منهم: العلامة سيدي الجيلاني السباعي، وتوفي – رحمه الله – بعد زوال يوم الثلاثاء آخر يوم من أيام ذي الحجة الحرام متم عام ثلاثة عشر ومائتين وألف، ودفن حيث دفن أخوه المتقدم.

[154- قاضي الجماعة الشريف مولاي مَحمد بن عبد الرحمن العلوي]
(ت: 1299)

ومنهم: شيخنا الشريف، العالم العلامة الغطريف، الحافظ المتفنن الدراكة المحقق المتقن، قاضي الجماعة بفاس ونواحيها [205]؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن عبد الرحمن الفلالي المدغري الحسني العلوي.

كان - رحمه الله - آية في الحفظ والإتقان، والتحرير العجيب والتبيان، سيدا كاملا، تاجرا فاضلا، كريم الأخلاق، جميل المعاشرة والإرفاق، سليم الصدر، شهير الذكر، موسوما بالخير والدين، مصون الجناب من كل ما يشين، حسن النية والاعتقاد، في المنتسبين ونحوهم من العباد، صبورا حليما، لين الجانب رحيما.

أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي وغيره من فقهاء فاس وغيرها. وولي خطة القضاء بفاس ونواحيها يوم الأحد سابع صفر عام أربعة وسبعين ومائتين وألف، وبقي قاضيا بها إلى أن توفي. وفي خلال توليته للقضاء بها سافر للحج والزيارة؛ وذلك سنة اثنين وثمانين؛ فحج وزار، وقضى من منيته جميع الأوطار، ثم رجع لفاس سالما من الضر والبأس، ولم يحفظ عنه منذ ولي القضاء بها إلى أن توفي أنه قبض رشوة، أو حابى في دعوة، إلا أنه - رحمه الله - كان لا يبرم الأحكام، ولا يقطع - في الغالب - بين المتنازعين الخصام، بل لا يزال يردهما إلى أن يتصالحا أو يذهبا؛ مع معرفته بظاهر الحكم وتضلعه في علم النوازل.

وكان يعاب عليه ذلك فيقول: « إنه كثر الفجور، والشهادة بالزور، ولا أعرف المحق حقيقة من المبطل »، ويحتج في ذلك بما ذكره الشيخ أبو علي في "شرح المختصر" عند قوله: « ونفذ حكم أعمى وأبكم... إلخ »، ونصه: « فائدة: الحكم يجب فورا »، ثم نقل عن البرزلي قال: «قضاء القاضي من باب تغيير المنكر؛ فتجب الفورية فيه بحسب الإمكان، وما ذكر عن بعض القضاة أنه يردد الأحكام ويطولها؛ قد اعتذر عن ذلك بكثرة طلاب الباطل؛ فيطول القضية حتى يقل الضرر؛ فيكون من باب تقابل مكروهين؛ فيرتكب أخفهما » .هـ.

لكن قال الشيخ أبو علي بعد ذكر كلام البرزلي هذا بتمامه: « قال كاتبه عفا الله عنه: وينبغي للقاضي أن يطول القضية إذا رأى مخايل الباطل من الخصم، أو كان الخصم معروفا بالباطل، وأما إذا لم يكن شيء من الأمرين؛ فلا يؤخر » .هـ.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - يوم السبت قبيل الغروب سابع وعشري رمضان المعظم عام تسعة وتسعين ومائتين وألف، ودفن من الغد بالزاوية التي أحدثها بعض الشرفاء الصقليين، قريبا من باب درب سيدي جلول، من هذا الداخل، وجعل عليه بها دربوز يزار به.

[155- المجذوب الشريف مولاي أحمد بن أحمد الصقلي]
(ت: 1304)

ومنهم: الشريف البركة المجذوب، الهائم الموله المحبوب؛ أبو العباس مولانا أحمد بن أحمد [206] ابن العباس بن أحمد بن محمد الحسيني. من السادات الصقليين الحسينيين بفاس.

كان - رحمه الله - في أول أمره من جملة طلبة العلم الشريف، يحضر مجالسه بمسجد القرويين، وكان الشريف البركة سيدي العربي التكناوتي إذا رآه يقول له: مرحبا بمولاي السلطان. وقال له مرة: « ليتني أكون عبدا من عبيدك بباب دارك، ولكن يا سيدي؛ كيف يكون فيك[1] حتى تحمل السلسلة في عنقك سبع سنين؟!!! »، أو كلاما هذا معناه؛ فكان كما قال.

اتصل صاحب الترجمة بالعارف الكبير، الولي الشهير؛ أبي العباس سيدي أحمد - المدعو: الغوان فسقاه من كأس خمرته، وأفاض عليه من سجال عطفه ومودته؛ فحصل له الجذب القوي في الحين، حتى جعلت السلسلة في عنقه، ولم تنزع عنه بالمرة إلا بعد سبع سنين، وبقي بعدها مولها غائبا عن الدنيا وأسبابها، يتكلم بكلام أكثره لا يفهم. وحدث عنه بعض الناس ممن خالطه ببعض الكرامات.

وكان عاري الرأس، يلبس جلابية ملف خضراء، ويدخل الديار، ولا يحتجب منه أحد، ويقيم عند بعض الناس مدة يبيت عنده ويأكل ويشرب، ثم ينتقل عنه إلى غيره بحسب مراده، وما يظهر له في ذلك. جالسته مرارا عديدة، وتبركت به، وكانت آثار الفلاح لائحة عليه، والناس كلهم يتوسمون فيه البركة وينسبونها إليه.

توفي - رحمه الله - صبيحة يوم الجمعة خامس عشر شهر جمادى الثانية عام أربعة وثلاثمائة وألف، ودفن بعد أن صلي عليه هبوط العصر بالقرويين بالزاوية المذكورة، ولم يتزوج؛ فلم يكن له عقب.

[156- المجذوب سيدي جلول ابن الحاج العيساوي]
(ت: 1037)

ومنهم: الشيخ الشهير، الولي الصالح الكبير، الجليل القدر، العظيم الخطر، المتفق على ولايته، وعلو مرتبته وجلالته؛ أبو الفيض سيدي عبد الجليل - المدعو: جلول - ابن الحاج العيساوي. من بادية: أولاد عيسى. والحاج الذي ينتسب إليه ليس هو أبوه حسا وإنما هو والده المعنوي، وهو شيخه: سيدي الحاج الرامي التواتي دفين خارج باب الجيسة.

---

[1] بالعامية المغربية؛ ومعناها: كيف بك إذا . . . .

كان – رحمه الله – مجذوبا هائما مولها غائبا في الله، فانيا عما سواه، دائم الغيبة، بهلولا قويا ساقط التكليف، تعتريه الأحوال دائما، وتصدر منه صيحات أحيانا، ويقول في بعض الأوقات: « واحد واحد »، ثم يغيب ويقول: « وح وح »، وتارة يقول: « انصروا جلولا! »، ويكررها. ثم يقول: « انصروا مولاي جلول!! »، ويكررها، ثم يقول هو بلسانه: « الله ينصر جلول، الله ينصر مولاي جلول، الله ينصر السلطان جلول »، وكان يقول أيضا: « بَبْ جلول؛ يا جوهرة في اخْراصي، بَبْ جلول يا عُمامة فوق راسي »، ويقول: « من أنا؟ »، فيقال له: « جلول »، [207] فيقول: « أنا بَبْ جلول تأكيدة الغرب »، ويقول: « اطلبوا الله في حياة ابن جلول؛ فإنه تأكيدة الغرب »، يعني: عمدته.

وكان العارف الفاسي يثني عليه ويشهد بصحة حاله، ويقول: « إنه رجل قوي! »، وقال فيه أيضا: « إنه من أهل الحضرة »، وقال أيضا: « إنه غول من الأغوال »، وكان سيدي قاسم الخصاصي – رضي الله عنه – يتردد إليه ويزوره، وكان إذا جلس قدامه فصاح؛ لم يتمالك سيدي قاسم أن يصيح معه.

وله – رضي الله عنه – كرامات شهيرة، وتصرفات كبيرة، ومكاشفات كثيرة، يتكلم على الخواطر، وينبئ عما في الضمائر، وربما يضمن من استضمنه في أمر من الدنيا والآخرة؛ فيظهر مصداق ذلك وأثره؛ قال في "الصفوة": « ومن كراماته – رضي الله عنه: ما هو مستفيض من أن السلطان مولاي محمد الشيخ – أي: الملقب بالمهدي، لا الوطاسي – أو ولده مولاي عبد الله ابن الشيخ؛ لما تغلب على أهل فاس في بعض مخالفتهم عليه؛ خرج له أهل فاس مستشفعين بسيدي جلول وسيدي مسعود الشراط؛ فقال لهم: ما وجدتم من تستشفعون به إلا هؤلاء الخراثين؟! . فاغتاظ سيدي جلول وحلف وقال: والله لا يتصرف فيها – أي: في فاس – أحد أربعين سنة، ولما انصرفوا من عند السلطان المذكور؛ انقلبت معدته وصار يغيط من فمه إلى أن سمع له الشيخان. . . في حكاية طويلة؛ فكان كما قال سيدي جلول؛ بقي الناس فوضى لا سائس لهم أربعين سنة ». هـ.

وكان له – رضي الله عنه – أصحاب وأتباع، وكان انتفاعه على يد سيدي الحاج محمد الرامي كما سبق، وكان لشيخه هذا التصرف بفاس قبل ورود الشيخ أبي المحاسن عليها . ولما وردها أبو المحاسن؛ خرج منها وتركها له وسكن فاسا الجديد، وأما صاحب الترجمة؛ فقال الشيخ أبو زيد الفاسي في "بستان الأذهان": « يظهر أنه كان يتصرف مع الشيخ أبي محمد – يعني: العارف الفاسي ». ثم وجه ذلك فانظره.

توفي - رحمه الله - عند طلوع الشمس من يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة ست، وقيل: سبع وثلاثين وألف، ولم يتزوج قط؛ فلم يكن له عقب. ودفن بهذا الداخل بداره التي بأقصى دربه المشهور به، وقد صارت بعده روضة لدفن الأموات بها، وقبره بها مشهور مزار متبرك به، يقصده الناس وينتفعون به كثيرا، وهو عن يسار الداخل، قريبا من الباب، عليه بناء خفيف مطبق عليه به. ترجمه في "بستان الأذهان"، وكذا في "المقصد"، و"الروض"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"الزهر الباسم"، و"رياض الورد"... وغيرها.

[157- العلامة سيدي أحمد بن حمدون الشديد]
(ت: 1170)

ومنهم: الفقيه العدل الأرضى، الناظر المرتضى، العلامة المدرس، الولي الصالح؛ أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي حمدون الشديد الأندلسي [208].

من أعيان بيوت فاس، ومن أصحاب الشيخ مولاي محمد بن مولاي عبد الله الوازاني، أخذ عنه بواسطة تلميذه سيدي الحاج الخياط الرقعي، ثم بعد وفاته أخذ عن ولده مولاي التهامي، ثم عن أخيه مولاي الطيب، ودخل بعد وفاة سيدي الحاج الخياط في تقليد سيدي مالك المومناني، ثم في تقليد سيدي قاسم ابن رحمون.

وكان يحضر مع الفقراء أصحابهم بالزاوية، ويذكر معهم الأحزاب والأوراد والجلالة، ويحضر السماع، ويذهب معه إلى زيارة أشياخه بوازان.

ثم ولي النظر في أحباس فاس، وولي تدريس "الرسالة" بمستودع القرويين؛ فكان يدرس هناك الرسالة إلى أن توفي في العشرة السابعة بعد مائة وألف. قال في "النشر": « ودفن في روضة بإزاء سيدي جلول، داخل باب الجيسة وفاس القرويين » . هـ.

[158- سيدي محمد بوقجة]
(ت: 1201)

ومنهم: البركة الصالح، المرابط الفالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد المدعو: بوقجة، من أصحاب الشيخ القطب مولاي الطيب الوازاني.

توفي - رحمه الله - في أوائل رمضان عام واحد ومائتين وألف، قال بعضهم: « ودفن بالخربة التي ملكها سيدي محمد بن سعيد الطاهري بإزاء سيدي جلول ابن الحاج داخل باب الجيسة » . هـ.

[159- الإمام الحافظ سيدي خلف الله الجاصي]
(ت: 732)

ومنهم: الولي الشهير، الهمام الكبير، سيدي خلف الله. بعقبة سيدي علي المصالي، بروضة عن يمين الطالع، ببيت بها عليه به دربوز. أورده في "التنبيه"، وتبعه الشيخ المدرع في منظومته، ولم يذكر له ترجمة.

ويغلب على ظني أنه هو: الشيخ المدرس الفقيه، العلامة الحافظ النبيه؛ خلف الله الجاصي. المترجم له في "درة الحجال"، و"جذوة الاقتباس"... وغيرهما، ونص درة الحجال: « خلف الله الجاصي المالكي أبو سعيد، كان حافظا يحفظ "المقدمات"، و"البيان والتحصيل" وكان باقعة الدهر في الحفظ. أخذ عن سليمان الونشريسي، وتوفي سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة، وإليه ينسب بفاس درب خلف الله ». هـ.

ونص "الجذوة": « خلف الله الجاصي؛ الفقيه المالكي الحافظ، أحد علماء مدينة فاس وأشياخها، وأحد الحفاظ بها؛ كان يحفظ "المقدمات" و"البيان والتحصيل" لابن رشد، أخذ عن أبي الربيع سليمان الونشريسي، وإليه ينسب بفاس درب خلف الله، توفي سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ». وقال في "كفاية المحتاج": « خلف الله الجاصي: الفقيه؛ من حفاظ فاس وشيوخها. يحفظ "المقدمات"، و"البيان" لابن رشد. أخذ عن سليمان الونشريسي، توفي سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة، من خط بعض أصحابنا ». انتهى؛ ونحوه في "النيل".

وممن أخذ عنه هو - كما في فهرسة سيدي يحيى السراج - [209] الشيخ الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الله بن عمر الوانغيلي الضرير.

وما في "التنبيه" لابن عيشون مما يوهم أن هذا المترجم له بما ذكرنا، هو سيدي خلف الله دفين قرب جامع الجنائز من جامع الأندلس؛ فيه نظر؛ لما يوجد في كثير من الرسوم التي بيد بعض الأشراف أن الذي بقرب جامع الجنائز المذكور شريف إدريسي، وتحليته فيها بالولاية والصلاح لا بالفقه، وهذا المترجم له بجاصي مشهور بالفقه، ولم يذكروا له نسبا، ودربه هذا قبل دفن سيدي جلول ابن الحاج به كان يدعى بدرب: سيدي خلف الله؛ فلما دفن به؛ صار يدعى: بدرب سيدي جلول... والله أعلم.

[160- الإمام الفقيه سيدي الحسين الزرويلي]
(ت: 1031)

ومنهم: الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، الصالح المتبرك به؛ أبو محمد سيدي حسين الزرويلي.

كان - رحمه الله - فقيها كبيرا، وعالما شهيرا، مشهورا بالصلاح والزهد في الدنيا، وكان مقيما بالمدرسة المصباحية، ولم يتزوج إلى أن مات، وهو من أصحاب الشيخ الكامل أبي العباس سيدي أحمد بن جامع الزرْوالي عن أبي عمر المراكشي عن الفلاح عن التباع.

ووصفه في "تحفة الأكابر" بالشيخ الزاهد العابد. وعده فيمن لقيهم الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، ووصفه المقري في أوائل "أزهار الرياض" بالشيخ العارف المتبتل الرباني البركة.

توفي - رحمه الله - في الثاني والعشرين من صفر سنة إحدى وثلاثين وألف، ودفن بعقبة سيدي علي المصالي. ترجمه جماعة؛ منهم: "صاحب النشر"؛ إلا أنه أورده أولا فيمن توفي سنة اثنين وعشرين وألف قائلا: « ومنهم: الشيخ الإمام العلامة سيدي عيسى الزرويلي، لم أحفظ فيه شيئا، إلا أنه من أهل الدين المتبرك بهم بفاس، ومدفنه منها بباب عجيسة ». هـ. ثم أورده ثانيا فيمن توفي سنة إحدى وثلاثين قائلا أيضا: « ومنهم الفقيه الكبير، العالم الشهير؛ أبو محمد الحسين الزرويلي، أحد أعلام وقته، وفريد نعته؛ أشار لوفاته المكلاتي بقوله:

تحيات ربي للحسين بعثتها ... لزرويل يهديها نسيم القرنفل

بقوله: « تحيات ربي »، ومجموعه: واحد وثلاثون وألف. وقبره بداخل باب عجيسة في عقبة سيدي علي المصالي ويوم وفاته هو: يوم ثان وعشرين من صفر - رحمه الله بمنه ». هـ. ولم أدر ما سبب هذا التكرار وهذا الاختلاف؟!؛ إلا أن يكون الأول عنده غير الثاني... وذلك بعيد.

[161- سيدي علي المصالي]

ومنهم: الولي الكبير، الشيخ الصالح الشهير؛ أبو الحسن سيدي علي المصالي. ويقال: المزالي بالزاي بدل الصاد.

نقل في "الروض" عن سيدي المهدي الفاسي [210] عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي، دفين خارج باب الفتوح؛ أنه كان يحكي عن صاحب الترجمة أنه: « كان يخدم نساجا في الطراز، وكان لا يأتيه للشغل حتى تطلع الشمس؛ فإذا دخل وقت الظهر؛ انصرف ولا يزيد شيئا، وكان يبارك له في الشغل؛ فيخدم في هذه المدة من النهار أكثر مما يخدم غيره من أهل طرازه من أول النهار إلى آخره، فسئل عن ذلك؛ فقال: أنا إذا صليت الصبح؛ امتثلت السنة وقعدت أذكر الله تعالى

إلى أن تطلع الشمس، فإذا جئت وأخذت في الشغل؛ رأيت نفسي آلة من جملة هذه الآلات التي للشغل. يعني: ولم ير لنفسه حولا ولا قوة؛ فلذلك يطلع الشغل وتحصل فيه البركة؛ فهو الذي ترون ». أو كلاما هذا معناه. هذا ما ذكره في ترجمته من "الروض" ببعض اختصار، ولم يذكر له فيه وفاة ولا غيرها، وكأنه لم يقف له على ترجمة.

وضريحه – رحمه الله – بهذا الداخل في محل مشرف على المدينة يعرف به، وحوله حوش عالي البناء، وقبره بوسطه، وهو مشهور معروف، والناس يزورنه يوم السبت قبل طلوع الشمس، خصوصا من به سعال؛ فيجدون بركة زيارته.

[162- سيدي محمد بن علي ابن حَيون]

ومنهم: السيد الصالح، والمتجر الرابح، أبو عبد الله سيدي محمد بن علي ابن حَيّون الفاسي دارا، الأندلسي أصلا.

كان – رحمه الله – من أهل الخير والدين، والصلاح واليقين، حبس كثيرا من الرباع على مسجد القرويين وغيره، وكان يسكن بإزائه بالدرب المعروف به إلى الآن؛ فيقال: درب ابن حيون، وكان يسمى قديما بدرب الغماري.

وقد رأيت في تأليف لبعض العلماء من أهل القرن التاسع في بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم ما نصه: « ومنهم: بيت بني الغماري من غمارة، وغمارة من البربر؛ وبيتهم بيت ثروة، ولهم زقاق بفاس يقال له في القديم: درب الغماري. بإزاء جامع القرويين؛ ويقال له في هذا العهد: درب ابن حيون. وبنو الغماري المذكورون انقرضوا ولا عقب لهم، ونسب الدرب لابن حيون الذي حبس الرباع على جامع القرويين وغيرها، وهو أندلسي من ذرية العلامة المدرس الحافظ المحدث حسين بن محمد بن فيرة الصوفي؛ شيخ العلامة المدرس القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ودفن بمراكش. ودفن ابن حيون عن يسار المار من زقاق الرمان لباب عجيسة ». هـ. وأخبرت أن قبره بالخربة الكائنة بباب درب سيدي جلول، يسار الطالع، ويمين الهابط، في مقابلة الفندق الكائن ببابه. . . والله أعلم.

[163- سيدي حاحا]

ومعهم: الولي الصالح سيدي حاحا؛ بحائين مهملتين بينهما ألف. بيبت عن يمين الهابط من المحجة [211] الطالعة لباب الجيسة، أسفل باب درب سيدي جلول، قريبا من الفندق. وهناك عليه به دربوز متميز به.

أورده في "التنبيه" قائلا: « ومنهم: سيدي حاحا؛ قرب جامع سيدي عبد الله ابن حسون ».هـ. ولم أقف له على ترجمة؛ إلا أنه يحكى على ألسنة كثير من الناس أنه أحد الثلاثة الذين ضمنوا فاسا وما والاها مدة من أربعين سنة أن لا يوجد بها جوع ولا فتنة من غير سلطان قائم، ولا أمين حاكم، ولعل الثاني والثالث: سيدي جلول وسيدي مسعود الشراط؛ لما ذكرناه في ترجمة سيدي جُلول. . . والله أعلم.

[164- سيدي علي الدشيش]
(ت: 1021)

ومنهم: الشيخ الصالح الفقيه، الزاهد الورع النزيه؛ أبو الحسن سيدي علي بن محمد الزرهوني المعروف بالدُشَيْشْ بالتصغير. وصفه العلامة سيدي علي البطوني بالتصوف والزهد والورع. وكان من كبار الزهادَ. أخذ عن الشيخ أبي النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي. وأخذ عنه سيدي أحمد بن علي بن يوسف الفاسي وغيره.

توفي – رحمه الله – بفاس تاسع عشر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وألف. قال في "النشر": « وضريحه بعدوة القرويين منها بزقاق الرمان ».هـ. ترجمه فيه، وفي "التقاط الدرر" وغيرهما، وأشار إليه في "التنبيه" بقوله: « ومنهم: سيدي علي الدشيش بزقاق الرمان أيضا ».هـ.

وروضته الآن مندثرة، وقد أضيفت إلى عرصة تقابل داخل الدرب الذي به صاحب الترجمة بعده.

[165- سيدي محمد بن أحمد البقال]
(ت: 1289)

ومنهم: السيد الأجل، البركة الصالح الأفضل؛ أبو عبد الله سيدي محمد (فتحا) بن أحمد البقال من أولاد البقال المشهورين.

كان – رحمه الله – ملامتيا؛ تصدر منه أقوال وأفعال ينكر ظاهرها، والناس مع ذلك ينسبون له كرامات، ويصفونه بالصلاح والولاية.

وأخبرني ثقة عن الولي العارف الملامتي سيدي أبي بكر زويتن أنه كان يقول فيه: « إنه من أهل التصريف ».

توفي – رحمه الله – في شهر ذي القعدة الحرام عام تسعة وثمانين ومائتين وألف، ودفن قريبا من روض صاحب الترجمة قبله، وجعل عليه بناء خفيف للتمييز؛ وهو مشهور مزار.

[166- السيدة منانة المجذوبية]
(ت: 1300)

ومنهم: المرأة الصالحة المتبرك بها؛ السيدة منانة المجذوبية. توفيت أوائل القرن الثالث بعد الألف، وضريحها بإزاء المعاصر التي بقرب درب العامر، بمسجد هناك متهدم، عن يسار الذاهب إلى الدرب المذكور، من ناحية رأس زقاق الرمان، ولم أعثر لها على ترجمة.

[167- سيدي العربي ابن أبي زيان]
(ت: 1143)

ومنهم: الفقيه الأنور، البركة الأظهر؛ أبو حامد سيدي العربي بن أبي زيان. ينسب أهله وأقاربه إلى الولي الصالح سيدي كدار. دفين الغرب، من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن [212] الدرعي التادلي؛ دفينها، وظهرت عليه بركته، ورأى مرة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فقبل يده المباركة، وطلب منه الشفاعة؛ فقال له: « الأمان الأمان عليك ».

وتوفي – رحمه الله – عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف. قال في "دوحة البستان": « ودفن بسيدي الزرهوني، إزاء سيدي الحاج العجالي من زقاق الرمان ». هـ.

[168- سيدي الزرهوني]

وسيدي الزرهوني هذا أورده في "التنبيه" قائلا: « ومنهم سيدي الزرهوني بالدرب الجديد». هـ. ولم أقف له على ترجمة.

[169- المجذوب سيدي أحمد الخبزي السفياني العجالي]
(ت: 1091)

ومنهم: الشيخ الشهير، الولي الصالح الكبير، المجذوب؛ أبو العباس سيدي أحمد الخبزي السفياني. ويعرف: بالحاج العجالي. من ذرية القائد: إبراهيم السفياني.

كان – رحمه الله – ممن تعتريه الأحوال، ويشار إليه بالكشف، أصلع الرأس عاريه، حافي القدمين، يمكث في داره شهورا لا يخرج ولا يتكلم مع أحد ولا يراه أحد في تلك المدة، ثم يخرج فيطوف بالأسواق ويخبر بأمور منها ما يقع ومنها ما لا يقع؛ فحصلت له بذلك شهرة عند العوام.

وكان ربما يشطح على المدّاح في الأسواق، ويجري على لسانه كثيرا أن يقول: « الخبائث! »، يكررها مرارا، ويقول في أثناء ذلك: « من يده إلى جنبه! »، وجاء يوما لزاوية الشيخ أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي؛ فوجده يقرأ العلم وهو جالس على الكرسي، فجعل يصيح ويتمرغ في الزاوية؛ فلما فرغ الشيخ من القراءة؛ قال: « أعوذ بالله؛ إن هذا الرجل لا يشير بخير قط »، فمن الغد طعن الشيخ. كما هو مذكور في "تحفة الأكابر".

ومر مرة على طالب يقرأ لوحة بجامع القرويين، فوجده يقرأ: ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾. [النحل : 71]. فوقف عنده: وقال له: « يا أخي؛ في الركيعات والسجيدات لا في الدريهمات والموزونات!! ».

وحج - رحمه الله - حجتين لم يحمل معه فيهما زادا، وكان يلبس ثوبا واحدا لا يزيد عليه، صيفا وشتاء، حضرا وسفرا. وكان يحفظ القرآن، وصحب الشيخ أبا عبد الله سيدي محمد ابن عطية دفين الرميلة، ثم صحب بعده خليفته سيدي الصغير ابن القاضي.

وأخذ أيضا - كما في "دوحة البستان" - عن الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي، التادلي وكان يجيء إلى زاوية سيدي رضوان بالبليدة؛ ويقول: « بابا يا بابا، الحرف على الحرف؛ سيدي رضوان وسيدي علي بن عبد الرحمن ».

توفي - رحمه الله - بالطاعون ظهر عاشر جمادى الثاني عام واحد - وفي "دوحة البستان": عام اثنين وتسعين وألف. ودفن برأس زقاق الرمان، بعرصة هناك عن يمين الذاهب لناحية درب العامر، وبنيت عليه بها قبة، وهي مشهورة معروفة. ترجمه في "الصفوة"، وفي "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"دوحة البستان" [213]...

[170- المجذوب العارف سيدي عبد الله بن محمد يَزرور]
(ت: 1199)

ومنهم: الولي الكبير، الواضح الشهير، ذو الكرامات الظاهرة، والآيات الكثيرة الباهرة، العارف الرباني، القوي في مدده العرفاني، الزاهد الورع المجذوب، الملامتي المقرب المحبوب؛ أبو محمد سيدي الحاج عبد الله بن مَحمد (فتحا) يزرور الشرقي أصلا؛ الفاسي دارا، اللمطي نسبا. من أولاد يَزرور اللمطيين الكائنين بفاس.

كان - رحمه الله - في صغره يخدم صناعة الحياكة؛ أكسية وكرازي وما شاكل ذلك، ثم في عام الخمسين أزعجه الشوق للحج والزيارة؛ فحج وزار، ورجع إلى تونس؛ فأقام بها مدة؛ ولقي بها من لقي من الأشياخ الأكابر؛ فأمده من بحره، وانتفع به في سره وجهره، وبعثه إلى فاس، التي هي له نعم

الكناس، فقدم عليها مملو الوطاب محمود الإياب، يتوقد باطنه بأنوار الأسرار، ويتفجر حكمة كأنه العين تجري منها الأنهار، فبقي بها على قدم ثابت من الزهد والورع، يأخذ حبله ويذهب إلى الجبل الذي لا ملك لأحد عليه، ويحتطب منه حزمة حطب ويبيعها ويأكل من ثمنها، ثم في آخر أمره كان يخرج إلى الجبل أيضا ويأتي منه بالعَزَف[1] ويشد منه المكانس؛ وهي: الشطاطيب، ويبيعها بما يقدر لها من القيمة المعتادة، من غير زيادة ولا نقص؛ لورعه، ولو أراد الزيادة؛ لباع الواحدة منها بالمثاقيل؛ لإجماع الناس على اعتقاد ولايته.

وكان عظيم الهيبة، بعيد الصحبة، لا يقدر أحد أن يبدأه بالكلام، ولا أن يقصده بالزيارة وطلب الدعاء في مقام، وإنما كان شأن الصبيان ومن شاكلهم أن يقولوا إذا رأوه من بعد: « مُتَاعْ الله لله »؛[2] فيرد عليهم بمثل ذلك غالبا، وربما رشح إناؤه بما فيه، وكاشف بعضهم من أمره بما يكفيه، وكان لا يزيد في لباسه على كساء صوف خشن خَلَقٍ يجعله تارة على لحمه.

وفي زمن المصيف يأتزر به، ويترك ما فوق ذلك عاريا، وما رأى أحد منه عورة قط، وعلى رأسه قلنسوة بالية، وعمامة من صوف ممزقة من طول البلاء، ومع ذلك لا تعلو الأوساخ شيئا منه أبدا؛ فلا تجد أطرافه وثيابه إلا في غاية النظافة؛ على أنه ما رئي قط يصلي، وقلما تجده يسبغ الوضوء، وما رئي - أيضا - داخلا للميضأة التي في الأسواق والمساجد، ولا خارجا منها، وما تزوج قط ولا تسرى.

وكان من دأبه: الدخول للمساجد وقت إقامة الجماعة للصلوات، وخصوصا جامع الشرفاء في الحرم الإدريسي، وجامع القرويين، ثم الناس يصلون وهو يخاصم من غير مخاصم بأعلى صوته خزيا ولعنا، ويأتي في خلال ذلك [214] بكلمات قرآنية، إلا أنه ربما يحرف ألفاظها . وكان يفعل - أيضا - مثل ذلك في مجالس العلم حتى يفسد على المدرسين تقاريرهم، ولا يمكنهم إلا السكوت حتى يذهب.

وظهرت عليه كرامات، ورئي مع الواقفين بعرفة غير مرة، وهو لم يخرج من فاس. وكان من شأنه في الإخبار بالمغيبات وما يكاشف به أن يقصد الإنسان؛ فيواجهه، أو يواجه غيره، والعناية له بآية قرآنية أو أمثلة عامية، ثم يقول: « أقرأتها ؟! »... حتى يقول: « نعم أو لا »، وأكثر ما كان يخبر بنعي الموتى والحوادث النازلة في زمن الفتن، وعزل الولاة، وتوليتهم، وكل ذلك بالإشارة القولية أو الفعلية، ولا يفهمها منه إلا القليل، وكان يحمل في يده عصى يعتمد عليها قصيرة، ولا يقبل من أحد شيئا، وكانت له عرصة قرب داره، فيها تين؛ فيأتي به أول ظهوره يفرقه على الصبيان في المكاتب.

---

[1] العزف: هو الدُّوم. مؤلف.

[2] لفظة يقولها الشحاذون - في العادة - لطلب الصدقة.

قال في "الروضة المقصودة": « وما رأينا مثله في عصرنا زهدا وورعا، وهيبة وسكينة ووقارا، وصمتا واعتبارا، وغلظة ونفارا، وسطوة وجلالا، وعظمة في قلوب الخلق وكمالا، لا يخالف في ولايته شريف ولا مشروف، ولا مجهول ولا معروف، بل الكل إليه مذعنون، ولخصوصيته مصدقون، غير أنه في أعينهم كالأسد المصور، لا يستطيع أحد أن يقرب منه حتى الجريء الجسور، وكراماته من حديث البحر؛ فحدث ولا حرج، ومن ذا يطيق أن يخوض في إحصائها، أو يحوم حول استقصائها ؟!، وهي اليوم من صحاح الأخبار المتواترة، إذا عدد الناس مناقبه ومآثره » .هـ.

وقال في "سلوك الطريق الوارية": « لقيته يوما قرب المغرب بالحفارين، وأنا بباب حانوت الحداد وأنا أنظر إلى الحديد أخرجوه من النار واجتمعوا عليه بمطاريق يطرقونه والنار طائرة منه إلى الحجة؛ فناداني من باب فندق الحمص: يا سيدي الزبادي؛ سمعت الطرقة ما تقول ؟!. تقول قلت: لا! ؛ فقال: تقول: طنْ طنْ في رأس من لا يفطن... قال: وكلامه ومعانيه لا تنحصر ولا تحصى، منها ما يفهم ومنها ما لا يفهم، وكان لا يقطع القناطير التي بين العدوتين؛ فلا تراه لجهة الأندلس ولا بالعدوة قط. توفي يوم الجمعة يوم عرفة تاسع ذي الحجة الحرام متم تسعة وتسعين ومائة وألف، ودفن بداره بزقاق الرمان، وكنت المباشر لغسله وإنزاله في قبره » .هـ.

وعبارته في "الروضة المقصودة": « كانت وفاته ليلة الجمعة، واتفق أن كانت ليلة عرفة، سنة تسع وتسعين – بتقديم المثناة العليا – في النيف والعقد ومائة وألف، وأرخه بعض نجباء الأشراف من أبناء عمنا العلميين بقوله: **أقبر في يوم عرفة**، ودفن ببيت من دار سكناه [215] من درب المرنيسي من زقاق الرمان عدوة فاس القرويين، وضريحه اليوم مزارة تشاهد عنده البركات » .هـ.

ترجمه في "الروضة" المذكورة وأطال في ترجمته فيها، وكذا ترجمه صاحب "سلوك الطريق الوارية"، وأورده الشيخ التاودي في فهرسته آخرها فيمن لقي من صلحاء المغرب قائلا ما نصه: « **ومنهم**: الولي الصالح، أزهد أهل زمانه أبو محمد سيدي الحاج عبد الله أزرور – رحمه الله ونفعنا به – آمين » .هـ. وضريحه مشهور إلى الآن مزار متبرك به.

[171– الصالح سيدي أحمد بن عزوز التازي]
(ت: 1300)

ومنهم: الشيخ الكبير، الولي الصالح الشهير، المجذوب السالك؛ أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج عزوز التازي. من أولاد التازي المعروفين بفاس.

كان – رحمه الله – كبير الشأن، عظيم البرهان، تظهر على يديه الكرامات، ويتحدث الناس عنه بكثير من الخوارق والآيات، وكان الغالب عليه في ابتداء أمره الجذب، وقوي حاله فيه حتى جعلت السلسلة في عنقه ثم أزيلت عنه، وكان يسيح في الأزقة والأسواق، ويبادر من يلقاه بالكشف، ويلبس جلابية صوف بونداف، وسئل مرة: « ما مقامك؟ »، فقال: « وتد، وأخي الطاهر: غوث »، وأخوه هذا مدفون خارج باب الفتوح بروضة لأهله بأعلى القباب.

توفي صاحب الترجمة – رحمه الله – من غير عقب؛ لكونه لم يتزوج قط. في أوائل القرن الثالث بعد الألف، ودفن بدار سكناه بدرب الزيات من حومة التواعريين؛ وهي الأولى عن يسار الداخل، ببيت صغير بها، وهو مزار متبرك به إلى الآن وحتى الآن.

[من مزارات هذه الحومة: المحل المعروف بسيدي فرج]:

ومن مزارات هذه الحومة: المحل الذي يكون به مرضى العقول؛ وهم: الحمقى. وهو مشهور؛ بجوار سوق العطارين، وسوق الحناء، ويسمى بالمارستان، والعامة تعبر عنه بـ: سيدي فرج. وتظن أن هناك ضريحا لأحد من الأولياء يسمى بهذا الاسم، وليس لذلك أصل يعول عليه، ولا يعرف لأحد هناك ذكر ولا قبر.

وإنما هو: محل بناه بعض الملوك ليكون مأوى لمن ذكر ولغيرهم من المساكين والمرضى الذين لا مأوى لهم؛ وسماه بـ: باب الفرج. تفاؤلا بأن يحصل الفرج لمن يحل به. وحبس الناس عليه لذلك أوقافا كثيرة. . . والله أعلم.

[172– الإمام المقرئ سيدي عبد الرحمن بن عبد الواحد الفلالي السجلماسي] (ت: 1029)

ومنهم: الشيخ الإمام، العلامة المقرئ الهمام، الأستاذ المجود؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن عبد الواحد السجلماسي الفاسي.

كان – رحمه الله – فقيها نبيها، أستاذا مقرئا مجودا وجيها، أخذ عن الشيخ العلامة الحافظ خطيب فاس ومفتيها أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي الشريف الأندلسي المرسي ثم التلمساني ثم الفاسي الدار والمنشأ، المتوفى بها سنة ثمان عشرة وألف عن الشيخ العلامة أبي القاسم ابن محمد [216] ابن إبراهيم بن موسى الدكالي المشنزائي عن أبي عبد الله ابن غازي. وأخذ أيضا عن الشيخ أبي العباس المنجور وغيره.

وأخذ عنه هو وانتفع به جماعة من الأعيان؛ منهم شيخ القراء بالمغرب وأستاذ الأساتيذ أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي. المكناسي الأصل الفاسي الدار والمنشأ والوفاة.

توفي – رحمه الله – سنة تسع وعشرين وألف.

[173– سيدي خيار]

ورأيت في بعض المقيدات المقيدة في صلحاء فاس ما نصه: « سيدي خيار: مسجده عند دار الدمناتي، والمدفون فيه الأستاذ سيدي عبد الرحمن الفلالي شيخ سيدي عبد الرحمن ابن القاضي ».

وفي "التنبيه" لابن عيشون: « ومنهم: سيدي عبد الرحمن الفلالي؛ ضريحه بصحن المسجد عن اليسار، والمسجد له بابان: باب لسقاية الدمناتي، وباب لدرب ديور بني عامر »، أي: وهو المعروف الآن بالدرب المقوس. وضريحه بالمسجد المذكور مشهور إلى الآن، عليه دربوز يزار به. وأما سيدي خيار الذي ينسب له هذا المسجد؛ فذكر في "التنبيه" أن ضريحه عن يمين خارج زنقة الفواح، في آخر دار منها؛ بقرب سقاية الدمناتي... والله أعلم.

[174– المجذوب سيدي يُدير بن محمد الگراري]
(ت: 1042)

ومنهم: الولي الصالح، المجذوب الغائب السائح، صاحب الأحوال والكرامات، والمناقب والآيات؛ أبو محمد سيدي يُدِير بن محمد السوسي الجراري؛ أحد حفدة الولي الشهير سيدي سعيد وَعْمَتِي الجراري.

كان – رحمه الله – بهلولا تعتريه الأحوال دائما، وينطق بالمغيبات، وتظهر عليه المكاشفات، ولا يعرف له شيخ ولا سند. وفي "المقصد": « إن الشيخ سيدي قاسما الخصاصي كان يعده فيمن لقي »، وفي "الرحلة العياشية": « إن الولي الصالح الناسك، المجذوب السالك، سيدي أبا زيد عبد الرحمن بن أحمد المكناسي الحسني الإدريسي أخذ عن رجل من الصالحين بمكناسة يسمى: سيدي مالكا، ولقي بفاس سيدي يدير، و سيدي موسى القاطن بكرنيز واستمد منهم مددا قويا، وأخذ بالقصر عن سيدي محمد القجَايري. قال: وكل هؤلاء كانوا من أهل الحال القوي، غير معروفين بالتسليك والتربية، وإنما يتصرفون بالحال والجذبة ». هـ.

وذكر غير واحد أن الشيخ العارف بالله القطب الكامل سيدي أبا القاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم ابن لوشة السفياني؛ الشهير بأبي عسرية، لقي صاحب الترجمة – أيضا – حين قدم به أبوه: سيدي أحمد المذكور لفاس، لما قدم إليها لبيع السمن – وكان سمانا – وتبرك به. وفي "سلوك الطريق الوارية": « إنه لما قدم لفاس وباع سمنه، وولدُه المذكور معه؛ وهو يطوف بالأسواق وليتخلص[1] في سمنه، لقيا صاحب الترجمة وهو يقول: من يشتري مني الغرب بخبزه؟ . فقال الولد سيدي قاسم لوالده سيدي أحمد: يا أبت؛ اشتر لي خبزة أعطيها لهذا المرابط! [217]. فاشتراها له وأعطاها لصاحب الترجمة؛ فأخذها منه وقال له: اشتريت مني؟ . فقال له سيدي قاسم: اشتريت منك! . فقال صاحب الترجمة: وأنا بعت لك؛ والله الموفق والمسخر لك سبحانه. ولما كبر سيدي قاسم وبلغ الحلم؛ ظهر فيه ما ظهر مما لا يخفى ولا ينكر ولا يجحد ».

توفي صاحب الترجمة – رحمه الله – بفاس سنة اثنين وأربعين وألف، ودفن بداره التي بقعر الزنقة التي بإزاء خلوة الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني التي بالنيالين من عدوة فاس القرويين، وضريحه بها مشهور، عليه دربوز يزار به. ترجمه في "المقصد"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم" . . . وغيرها.

وأورده في "الصفوة" فيمن لم يقف لهم على ترجمة؛ فقال: « ومنهم: من لم أقف له على ترجمة: سيدي يَدّير؛ أصله من سوس. وكان مجذوبا تؤثر عنه كرامات، توفي بفاس بعد الأربعين والألف، ودفن بداره قريبا من عين علون » . . . هـ. وفي منظومة الشيخ المدرع في صلحاء فاس:

وسيــدي يـدّيــر ذو الأحــوال لــدى النّيـاليـن مـن الكمـال

[175- الشريف مولاي اسنانو]
(ت: 1074)

ومنهم: الشيخ الشهير، الشريف الحسني الكبير، صاحب الأحوال السنية، والكرامات العديدة البهية؛ سيدي المســاري، المدعو: مولاي اسنانو. شهر بذلك لكونه نزع أسنانه في يوم واحد من فمه، وقال حين قلعها: « قلعت – والله – عني لذة الدنيا، وأرحت نفسي منها! ».

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ سيدي يدير المذكور، وكان خديما له. وكانت الأحوال تعتريه، ويخبر في الأزقة بكلام يقف الناس عليه في أقرب مدة، وظهرت له كرامات.

---

[1]. أي: يتقاضى أجره.

توفي سنة أربع وسبعين وألف. قال في كتاب "الفكر والاعتبار": « ودفن بإزاء ضريح شيخه سيدي يدير بالتيالين عدوة فاس القرويين ».هـ. وأورده في "التنبيه"؛ فقال: « ومنهم: سيدي المستاري؛ المدعو بَاسنانو. خديم سيدي يدير ضريحه مع شيخه بدار بالتيالين ».هـ.

[176- الشريف سيدي العربي بن محمد المومناني التڭاوتي]
(ت: 1274)

ومنهم: الولي الصالح، النور اللائح، العلم الواضح، الشريف الأطهر، البركة الأظهر؛ أبو حامد سيدي العربي بن محمد المومناني؛ المعروف بالتڭاوتي. من الشرفاء المومنانيين الحسنيين، الذين هم من أبناء يحيى الفقيه بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل، كان مأوى سلفهم في القديم بالمحل المعروف بمنى، على مسافة من مكة، وبه لقبوا؛ ومنهم الولي الصالح سيدي أبو الحسن علي؛ نزيل تاكنوت ودفينها من بلاد مصمودة الغرب، قرب وازان؛ من الأولياء الكبار، وهو ابن الولي الصالح العابد الزاهد أبي العباس سيدي أحمد الشريف المومناني [218] السجلماسي؛ دفين بني سلمان بعين البقر من بلاد لمطة فاس، خارج باب الجيسة.

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - من الأولياء الكبار، والصلحاء الأخيار، له كشف وتصرف وإخبار بمغيبات؛ فتقع كما أخبر.

وكان له صيام وقيام وإكثار من ذكر الاسم المفرد وغيره، وتعتريه في بعض الأحايين أحوال فتخرجه عن حسه، ثم يرجع بعدها لحاله من السكون. وكانت له زوجة وأولاد، وله أصحاب يعترفون له بالولاية الكبرى، ويحدثون عنه بأنواع من الكرامات.

أخذ عن الولي الصالح سيدي الحفيد بن عدو؛ دفين خارج باب الفتوح، وصحبه وانتسب إليه، وعول في طريق الوصول إلى الله عز وجل عليه، ومنه نال ما نال، وانتفع غاية النفع وأدرك الآمال.

وممن أخذ عنه هو وانتفع به: الشريف الولي الصالح الملامتي، صاحب الأحوال والخوارق؛ سيدي عبد الكريم الوازاني؛ الذي كان قاطنا بزاوية زرهون، وتوفي بمكناسة الزيتون ودفن بها.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة الحرام سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، ودفن بخلوة مولانا عبد القادر الجيلاني بالتيالين، إزاء محرابها، بالقبر الثالث من القبور المتصلة بعرضه.

[خلوة مولانا عبد القادر الجيلاني بالتيالين]

وهذه الخلوة: هي إحدى الأماكن المزورة عندنا بفاس، ونسبتها للشيخ المذكور جارية منذ قديم على لسان عامة أهل فاس، وقد تكلم عليها في "التقاط الدرر" في الكلام على سنة أربع ومائة وألف، عقب كلام له على خلوته الأخرى التي بالقرويين؛ ونصه: « وأما هذه التي يسمونها بالخلوة؛ إنما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن، أمر ببنائها الأمير أبو سالم إبراهيم المستعين بالله المريني، وتم بناؤها في أواخر رمضان عام اثنين وستين (بمثناة) وسبعمائة (بموحدة)، ورتب فيهاطلبة يقرؤون القرآن ويختمونه بطول سبعة أيام الأزمان، وأجرى لهم جرايات في كل شهر ينتفعون بها، وقد غيروا اليوم ذلك الختم بما هم عليه اليوم، فمن أوهم الناس خلاف هذا؛ فهو كذاب مفتر ».هـ.

وهي اليوم لا تنسب إلا للشيخ المذكور، ولا تعرف إلا به، والناس يقصدونها ويتطلبون بركاته منها، ويأتون إليها بالصدقات؛ فيأخذها أحفاده من الشرفاء القادريين. وكان سبب ذلك: اجتماع بعض أصحابه - رضي الله عنه - بها، وذكرهم لأوراده بناحيتها، حتى صارت مشهورة به، ومقصورة عليه. . . والله أعلم.

وللأديب الكاتب سيدي إدريس ابن الوزير الفقيه سيدي محمد بن إدريس العمراوي الفاسي أبيات قصد بها أن تكتب في قبلة بهذه الزاوية؛ فلم تكتب، أو كتبت ثم محيت؛ نصها[219]:

يا زائرا حط الرحال أماميه	واغنم؛ هديت، وصل خلف إماميهْ
نلت الأمان بذا المقام المجتبى	ورقيت في درج المعالي الساميه
وحللت زاوية تعالى قدرها	فيها سحاب الخير تسكب هاميه
للشيخ عبد القادر القطب انتما	فيها فعال البر تزكو ناميه
حاشى يضام مؤمل أو يختشي	من كان محي الدين حقا حاميه
رضي الإلاه عن الإمام المتقي	وإليه يرفع عَرْفُ طيب سلاميه

[177- ترجمة الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني]
(ت: 561)

والشيخ عبد القادر المذكور: هو إمام الأولياء، ورئيس الأصفياء، وسلطان العارفين، وقطب دائرة الصالحين، محيي الدين؛ أبو محمد مولانا عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى

الزاهد بن محمد بن دواد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل الشريف الحسني الموسوي؛ المعروف بالجيلاني؛ نسبة إلى جيلان، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها أيضا: كيلان بالكاف، ولذا يقال له أيضا: الكيلاني. نزيل بغداد ودفينها، ذو المناقب المشهورة، والأحوال الجميلة المأثورة، والكرامات الكثيرة التي بلغت حد التواتر؛ قال عز الدين بن عبد السلام: « ما وصلت إلينا كرامات أحد بطريق التواتر مثل ما وصلت إلينا كرامات الشيخ عبد القـادر ».

ولد - رحمه الله - بجيلان، سنة سبعين، أو إحدى وسبعين وأربعمائة، وتوفي ببغداد ليلة السبت الثامن أو العاشر من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة وله تسعون سنة. ودفن بمدرسته منها، وصلى عليه ولده الشيخ عبد الوهاب.

وكان يقول: « أخذت العهد على ربي ألا يدخل النار أحد من أتباعي إلى يوم القيامة »؛ قال في "الرحلة العياشية" في أواخرها: « وهو محمول على من اتبع طريقه؛ لا على مجرد الانتساب باللسان[1] ». وكان يقول أيضا: « إن لم يكن صاحبي جيدا؛ فأنا جيد، وعزة ربي لا برحت قدماي بين يدي ربي حتى ينطلق بي وبأصحابي إلى الجنة ». وضمن لمريده إلى يوم القيامة أن لا يموت إلا على توبة. وقال: « من استغاث بي في كربة؛ كشفت عنه، ومن ناداني في شدة؛ فرجت عنه، ومن توسل بي إلى الله تعالى في حاجة؛ قضيتُ ».

وكيفية التوسل به - كما ذكره غير واحد كصاحب "المُعزى": « أن تصلي ركعتين بالفاتحة والإخلاص إحدى عشرة مرة، في كل ركعة، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة، وتبدأ قبل ذلك بالاستغفار، وتتوب من الذنوب، ثم تخطو إلى جهة العراق [220] - وهي عين المشرق الذي تطلع منه الشمس يوم الاعتدال - ومن النجوم: مطلع العواء إحدى عشرة خطوة، وتذكر اسمه، وتذكر حاجتك؛ فإنها تقضى - إن شاء الله تعالى ».

وترجمته - رضي الله عنه - واسعة جدا، ومناقبه جمة، وهي مبسوطة في غير ما ديوان من الدواوين المؤلفة فيه - رضي الله عنه وأرضاه، ونفعنا ببركاته. . . آمين.

---

[1] في هذا الحمل نظر؛ لأن مجرد الانتماء إلى الرجال يكفي مع كرم الله تعالى، وعلم الله تعالى محيط بأحوال جميع أصحاب الشيخ - رضي الله عنه - و[هبه] لاحظ سبحانه فيه مقام المحبوبية وعدم كسر الخاطر؛ فأعطاه العهد على ما تضمنه علمه الكريم بهم، ولا تحجير عليه سبحانه في شيء؛ فله أن يرحم الطائع ويعذب العاصي، وله أيضا أن يعكس. وإذا كان جميع أصحابه - رضي الله عنهم - على الاستقامة الغريزية؛ فهم مستحقون للجنة بفضل الله [بدونه]؛ فما ثمرة الانتماء وهو - رضي الله عنه - يقول: « إن لم يكن صاحبي جيد؛ فأنا جيد »؟! ،مع ضمانته لمريده التوبة. والله أعلم. انتهى. مؤلف.

[لا يخلو سوق عين علون من أهل الخير]

تنبيه: هذا المحل يسمى برأس التيالين، وبجداره أسفل منه سوق آخر يسمى: سوق عين علون، وكلاهما لا يخلو من أهل الخير والصلاح والتصرف، وقد ذكر في "النشر" في ترجمة أبي عبد الله التساق الأندلسي الفقيه العلامة القاضي عنه؛ أنه قال مرة: « إن أهل الخير يقولون: إن ذلك السوق - يعني: سوق عين علون - لا يخلو من رجال التصرف، ولابد أن أمر به »، يعني: لعله يلتقي ببعض من يكون به من الأخيار. قال: « فمررت بالسوق حتى خرجت إلى الباب الذي يدخل منه للجوطية؛ فتركته وانعطفت على النجارين قاصدا زيارة مولانا إدريس، وإذا برجل اعترضني وقال لي: أنا من الرجال الذين لا يخلو هذا السوق منهم ». ثم ذكر في "النشر" أن هذا الرجل هو: « سيدي قاسم ابن رحمون الزرهوني؛ دفين النجارين - رحمه الله تعالى ».

ذكر من اشتهر ووقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة زقاق الحجر وسويقة ابن صافي
وما هو مضاف إليها

حانوت النبي ﷺ

من المزارات المشهورة عندنا بفاس بهذه الحومة: الموضع المعروف بحانوت النبي صلى الله عليه وسلم. نسب إليه؛ لأن بعضهم – على ما يقولون – رأى النبي صلى الله عليه وسلم فيها. فصاروا يتبركون بها ويزورونها تعظيما له عليه السلام، وتيمنا بآثاره.

وبلغني عن بعض علماء العصر أنه أنكر هذه التسمية لما فيها من الإيهام – بحسب ظاهر اللفظ – في حقّ من غلبت عليه الأمية والجهل؛ فيظن أنه عليه السلام وصل إلى فاس حال حياته وكان يجلس بهذه الحانوت منها، وذلك باطل. قال: « وكان الأولى أن يقولوا: مظهر النبي، أو مرآه، أو نحو ذلك من الألفاظ السالمة من هذا الإيهام... ».

قلت: وهذا الذي قاله ظاهر جلي. والله أعلم.

[178 – سيدي محمد العابد]
(ت: 1070)

ومن الأولياء بها: الشيخ الصالح، صاحب الأحوال والبركات؛ أبو عبد الله سيدي محمد العابد. به عرف.

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ سيدي يدير بن محمد السوسي دفين التيالين، وكان خديما له.

وتوفي سنة سبعين وألف. قال في كتاب: "التفكر والاعتبار": « وهو دفين رحاة الحناء في الدار الأولى عن يسار منعطف الهابط من زقاق الحجر ». وأورده في "التنبيه"؛ فقال: «ومنهم [221]: سيدي محمد العابد؛ خديم سيدي يدير برحاة الحناء من النجارين، في الدار المقابلة للمسيد».

[000- سيدي عبد الله بن إبراهيم القليز][1]

ومنهم: الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله بن إبراهيم القليز. تقدمت ترجمته عند ذكر سيدي قاسم ابن رحمون دفين درب مينة من حومة النجارين.

[179- سيدي عبد الوارث بن محمد اليلصوتي (الصغير)]
(ت: 1076)

ومنهم: السيد الصالح الأرضى، الخير الأحظى، سلالة الأخيار، ونجل الأولياء الأبرار؛ أبو محمد سيدي عبد الوارث بن سيدي محمد ابن الولي سيدي محمد بن الولي الكبير الشيخ العارف بالله أبي البقاء سيدي عبد الوارث بن عبد الله - أو ابن موسى - اليلصوتي الأموي القرشي، من بني يلصو من قبائل غمارة، على مقربة من قرية شفشاون، ويقال: إن يلصو هذا جده هو: يلصو بن عبد الله بن أبان بن عثمان بن عفان. ذكر ذلك في "الدوحة"، ونقله عنه في "الممتع"، وفي "ابتهاج القلوب". وقال في "الروضة المقصودة": « هو خطأ صراح؛ إذ ليس في بني أبان بن عثمان من اسمه عبد الله أصلا».

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - دينا خيرا، ذا وجاهة وأتباع، وله زاوية بناها قرب داره بزقاق الحجر، يجتمع فيها أصحابه، ويقرؤون الأحزاب وغيرها صباحا ومساء. وكان يعمل الحضرة ولا تعمل إلا بمحضره، ولم يكن يتحرك، إلا أنه يهتز عند السماع يمينا وشمالا وهو جالس.

أخذ عن الشيخ سيدي مسعود بن محمد الشراط - دفين خارج باب الجيسة - وانتفع به، ونال الخير العظيم ببركته وسببه.

وتوفي - رحمه الله - يوم الأحد الثالث من ربيع النبوي سنة ست وسبعين وألف، ودفن بزاويته المذكورة، وهي التي بإزاء زنقة الشحم يمين الطالع قبيل دار الشرفاء أحفاد السلطان مولانا سليمان، وجعل على ضريحه بها دربوز يزار به.

ترجمه في "الروض" في ترجمة سيدي مسعود الشراط، وكذا ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر".

---

[1] انظر الترجمة رقم (34)، بينما توجد ترجمة سيدي قاسم ابن رحمون تحت الرقم (19).

[180- سيدي علي بن عبد الوارث اليلصوتي]
(ت: 1090)

ومنهم: ولده الصالح البركة؛ أبو الحسن سيدي علي. توفي - رحمه الله - سابع جمادى الأولى سنة تسعين وألف، ودفن بزاوية أبيه المذكورة.

[181- سيدي علي بن محمد اليلصوتي]
(ت: 1204)

ومنهم: "المرابط الأرضى، المسن البركة المرتضى، الخير الناسك؛ أبو الحسن سيدي علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن الشيخ سيدي عبد الوارث اليلصوتي.

كان - رحمه الله - في أول نشأته فارا من الخلق، كثير الذكر، لا يفتر لسانه عنه ولا عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يدور "طَرْنوا" بالأجرة، وطول نهاره يده تدور، ولسانه يذكر ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم. بقي على هذه الحالة سنين. وفي آخر عمره، عمل جنّانا بلمطة قرب سيدي أحمد البرنسي؛ فكان يخدم [222] بيده فيه بالفأس، ويغرس ولسانه مشتغل بالذكر لا يفتر.

وكانت له أخلاق حسنة، ومحبة عظيمة في جانب الله وفي جانب آل بيت رسوله، كثير الخشوع والخضوع والبشاشة والوطوبة، واللين والحياء. وكان من أهل الحب في الله والبغض فيه، ساقط الدعوة بريئا منها. وكان يميل للشيخ سيدي عبد الوهاب التازي دفين خارج باب الفتوح، ويجالسه ويلازمه، ثم انتقل إلى مولانا إدريس رضي الله عنه، فكان يظل فيه بباب القبة معتكفا على "دلائل الخيرات". بقي على ذلك سنين، ثم زاد على ذلك: قراءة المصحف. وبقي على هذه الحالة، مداوما عليها إلى أن توفي، وكان من الأولياء المعدودين أهل الدائرة والعدد، رضي الله عنهم، وممن يظن به حضور الديوان.

توفي - رحمه الله - يوم الجمعة أوائل ربيع النبوي عام ثلاثة أو أربعة ومائتين وألف، ودفن بزاوية عم جده سيدي عبد الوارث المذكور. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[182- الشريف سيدي الوليد بن أبي القاسم العراقي]
(ت: 1196)

ومنهم: الفقيه الفاضل، المكين الحافل، ذو الأخلاق الحسنة، والأوصاف المستحسنة؛ أبو الفضل وأبو العباس سيدي الوليد بن أبي القاسم بن محمد العربي الشريف الحسيني العراقي، جد العلامة سيدي الوليد العراقي إمام الضريح الإدريسي دفين خارج باب الفتوح.

كان - رحمه الله - أحد الفقهاء الفضلاء، النبلاء الوجهاء، موصوفا بالعلم والصلاح، والخير والبركة والفلاح، وكان إماما بمسجد سيدي موسى بجرنيز، ومدرسا به، وكان حسن الخط جدا، ومن مناقبه: أن العارف بالله سيدي أبا شعيب المطيري - أحد أكابر أصحاب القطب مولاي أحمد الصقلي - رأى مرة النبي صلى الله عليه وسلم، ورأى معه صاحب الترجمة وابن عمه مولاي إدريس بن عبد السلام بن إدريس العراقي، وهم دائرون به - عليه الصلاة والسلام - وهو عليه السلام؛ فرح بهم غاية؛ فقال: « يا رسول الله، أهؤلاء أولادك؟ »، فقال عليه السلام: « هم أولادي حقا! ». فلما أصبح؛ جاء إلى صاحب الترجمة وقص عليه الرؤيا المذكورة؛ فأخبر بذلك جده مولاي العربي؛ فقال له: الليلة رأيت مثل ذلك! ».

أخذ - رحمه الله - العلم عن جماعة من العلماء، وعمدته منهم: الشيخ أبو حفص الفاسي. ولقي غير واحد من الأولياء وانتفع بهم؛ كالقطب مولانا أحمد الصقلي، والعارف بالله أبي القاسم الوزير . .وغيرهما.

وتوفي سنة ست وتسعين ومائة وألف، ودفن بالزاوية المذكورة. ترجمه في "الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس".

[183- المجذوب سيدي الحاج محمد المنظري]
(ت: 1213)

ومنهم: الولي الصالح، البهلول السائح؛ سيدي الحاج محمد المنظري [223]. من أولاد المنظري الكائنين بفاس.

كان - رحمه الله - مجذوبا بهلولا، يدور بالأسواق عريانا ويخبر بمغيبات، وظهرت له كرامات.

توفي في الثامن والعشرين من محرم الحرام عام ثلاثة عشر ومائتين وألف، ودفن بالدار الرابعة التي بالركن الذي عن يمين الطالع من المحجة الخارجة من درب الروم، والطالعة من ناحية وادي رشاشة إلى ناحية السياج، وقبره بها بأحد مباحاتها، وهو مزدج وحوله ملوَّحٌ من خشب.

[184- الإمام الحافظ سيدي أبو بكر بن خلف بن صافي المواق]
(ت: 599)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، الحافظ المحدث الهمام، سيدي أبو بكر بن خلف بن صافي الأنصاري؛ المعروف بالمواق. يكنى: أبا يحيى. من أهل قرطبة وسكن فاسا.

سمع أبا إسحاق بن قُرقُول، وأبا عبد الله بن الرمَامة، وأبا الربيع سليمان بن عبد الرحمن بن المعز الصنهاجي... وغيرهم، وكان معاصرا للشيخ سيدي أبي عبد الله التاودي دفين خارج باب الجيسة ويجتمع معه.

وكان حافظا حافلا في علم الفقه والخلاف، ملازما للتدريس، تام النظر، لا يدانيه أحد في ذلك وله تنبيهات ومقالات. منها: في المكايل والأوزان. وعني بالحديث على وجه التفقه والتعليم، والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات، وما يعارض أو يعاضد. ولم يعن بالرواية. وقد حدث وسمع منه أبو الحسن ابن القطان، وسماه أبو الربيع بن سالم في شيوخه، وحظي بخدمة السلطان بمراكش، فنال دنيا عريضة، واعتقل أموالا جزيلة.

وولي القضاء بفاس. وتوفي بها وهو يتولاه في آخر شوال سنة تسع وتسعين وخمسمائة؛ قال في "الجذوة": « ودفن بداره المعروفة بدرب ابن صافي. في داخلها ». هـ.

ومن خط بعض الفضلاء قال: « المدفون بدرب ابن صافي هو: أبو بكر بن خلف بن صافي المواق الأنصاري؛ قاضي فاس، تلميذ ابن قرقول، أصله من قرطبة، توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة ». وفي "التنبيه" ما نصه: « ومنهم: سيدي صافي؛ بدرب ابن صافي، الدار الأولى عن يسار الداخل للدرب المذكور ». هـ.

قلت: ولازال ضريحه معروفا بها إلى الآن، عليه مقبرية من رخام ودربوز، وهو مزار متبرك به.

[185- العلامة المقرئ سيدي يحيى العباس]

ومنهم: قدوة الزمان، ونبراس الأوان، الفقيه المجود للقراءة، الولي الزاهد، الناسك العابد؛ أبو زكرياء سيدي يحيى العباس.

أخذ - رحمه الله - عن الشيخ سيدي مسعود الشراط، دفين خارج باب الجيسة، عن الشيخ أبي الشتاء؛ دفين أمركو من فشتالة، عن الغزواني عن التباع عن الجزولي.

أورده في "الروض" في ترجمة سيدي مسعود المذكور. وقال: « إنه دفين زقاق الرواح، قبره مشهور هنالك. قال: ولم أقف على تاريخ وفاته ». انتهى.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به [224]
من صلحاء وعلماء حومة الشرابليين والمنية والشرشور
وما هو مضاف إليها

[186- سيدي علي بن سعيد اللوشي]
(ت: 1094)

منهم: السيد الصالح البركة أبو الحسن سيدي علي بن سعيد اللوشي (بلامين)؛ توفي - رحمه الله - عام أربعة وتسعين وألف، ودفن بداره بالتناكين[1] - أي: الطرافين - من عدوة فاس القرويين، ترجمه في "النشر" وفي "التقاط الدرر".

[187- العارف المربي سيدي الشيخ بن أحمد الصحراوي]
(ت؟: 1200)

ومنهم: الولي الصالح الكبير، الهمام العارف الشهير؛ أبو محمد سيدي الشيخ بن أحمد الصحراوي، من ناحية الصحراء.

ضريحه - رحمه الله - على ما هو مشهور عند الناس بزاويته التي بآخر زنقة الفواح، عن يسار الخارج منها إلى سقاية الدمناتي، عن يمين محرابها، عليه دربوز صغير يزار به، ولم أقف له على ترجمة.

غير أني وجدت في "سلوة المحبين" لسيدي عبد الله بن يخلف الأندلسي ما نصه: « ومما وقع للشريف الوجيه، الفقيه النزيه، سيدي محمد بن عبد الوهاب الكتاني الحسني؛ وذلك أنه كان من أصحاب الولي الصالح سيدي الشيخ بن أحمد بالصحراء - نفعنا الله به - وكان يأوي مع أبناء عمه زاوية الشيخ سيدي محمد بن الفقيه، ويجلس مع الفقراء، ويجتمع معهم أبناء عمه وغيرهم، وقد كان الشرفاء الكتانيون كلهم من أصحاب سيدي محمد ابن الفقيه، حتى إنه لا يخلو جمع من الفقراء عن واحد منهم، ثم بدا له وأخذ عن الشيخ سيدي محمد لما رأى من تواطؤ أبناء عمه على الأخذ عنه وتمالئهم عليه ».

---

[1] تسمى بذلك وبالشرابليين، وهي: الجادة المسلوك عليها إلى طالعة فاس، وكانت في القديم تسمى: الصفارين. مؤلف. ومعناه: مصلحو الأحذية. محقق.

« فلما كان ذات يوم؛ جلس للإقراء مع الطلبة كعادته؛ فلم يجد جزئية واحدة يتكلم بها؛ فأخبر أبناء عمه بذلك؛ فجاءوا معه إلى الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه. وقال له: يا سيدي؛ تعلم بأني كنت من أصحاب سيدي الشيخ، ثم إني أخذت عنك كأبناء عمي؛ فوقع لي ما ترى، فأدخل الشيخ رأسه معه، وبقي كذلك هنيئة، وأخرجه، وقال له: قم تقريء الطلبة، والله لقد تشارعت مع سيدي الشيخ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال له سيدي الشيخ: يا رسول الله؛ طبعته في بطن أمه. فقلت له: وأنا يا رسول الله طبعته وهو في صلب أبيه! . فقام وذهب وقد رد الله عليه - رضي الله عنه - وحشرنا في زمرته ».

ولا شك أن هذه القضية تدل على علو شأنه وعظيم مقامه، إذ لا يصلح لتربية المريدين والاجتماع بسيد العابدين إلا أكابر العارفين رضي الله عنهم. ويؤخذ من هذه القضية أيضا: أنه كان معاصرا للشيخ سيدي محمد ابن الفقيه. وهو دفين مدارج العيون، فيكون من أهل القرن الثاني عشر. والله أعلم.

[188- العارف سيدي عبد القادر بن محمد؛ المدعو: سيدي الشيخ]
(ت؟: 1100)

تنبيه: صاحب الترجمة - كما هو واضح - غير الشيخ الكبير، والولي [225] الشهير، القطب الرباني، والعارف بالله الصمداني؛ أبي محمد سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان ابن بوسماحة الصديقي؛ صاحب الضريح والزاوية ببلد الأبيض قرب بوسمغون، المعروف عند أهل بلده: بسيدي الشيخ أيضا. وأولاده إلى الآن يدعون بأولاد سيدي الشيخ، وسيدي الشيخ هذا له في بلاده حرمة كبيرة، وصيت عظيم، وهو من أهل القرن الحادي[1]. نفعنا الله به.

[189- المجذوب الشريف سيدي محمد الزگاري]
(ت: 1179)

ومنهم: الشريف الطالب المجذوب أبو عبد الله سيدي محمد الزگاري.

كان - رحمه الله - يأوي لحانوت فوق البكّار الكائن يسرة الداخل لرحبة الزرع القديمة، من ناحية قبيبة الناقص، لا يبيع فيها ولا يشتري، وإنما يتلو فيها ويذكر الله سرا، وعنده أوراق كان مكتبا عليها يطالعها، ثم يقع له ما يقع وينزع عنه ثيابه، وينزل من الحانوت، ويسيح في الأسواق كذلك. وحين يسكن حاله يرجع إلى الحانوت، ويرد عليه ثيابه.

---

[1] أي: بعد الألف.

ثم إنه صار يضرب الناس، ويضرب اليهود؛ ويضرب النساء، وكسر مرة لشريف فقير يتمعش في الفخارين بباب القرويين نحو المثقالين من فخار بعصا، وضرب مرة امرأة بحجر من الملح، وأعمل بالمارستان. فرغب فيه سيدي الحاج بزرور؛ فأطلق، ثم إنه فعل أفعالا أخرى من نحو هذا النمط؛ فقبضه الحاكم وسجنه في المارستان، وعمل له السلسلة، وبقي فيه أربعة عشر شهرا، ثم سرح. فقال له شخص: « من أطلقك؟ »؛ فقال: « الذي قبضني! ».

وبقي بعد خروجه من المارستان يسيح نهارا وعليه ثيابه، ثم يرجع إليه ليلا، ويبيت فيه ببيت حتى توفي عام تسعة وسبعين ومائة وألف. قال في "سلوك الطريق الوارية": « ودفن بسقاية الدمناتي بزاوية الشيخ سيدي الشيخ بن أحمد ». هـ.

[190– سيدي محمد بوعجّارة]
(ت: 1189)

ومنهم: المجذوب الغائب غيبة اتصال: أبو عبد الله سيدي محمد – المدعو: بو عَجّارة؛ أصله من الجبل.

وكان في أول نشأته – قبل غيبته – يخدم بجنان بوعجارة القريب من باب الجديد، ثم إنه تبدل حاله، وابتدأ بشيء من الجذب، فكانوا يسمونه بأبي عجارة، فكان يغضب من ذلك: ثم إنه تكامل جذبه، وصار يتكلم بكلام مشتمل على إشارات ومعان لا تفهم، وجلس بالفخارين قرب البلاجين مدة، ثم انتقل إلى عين علون، وجلس هناك تحت بساط حانوت سفاج، وبقي هناك يشير بإشارات، ويكاشف بمخبآت، ويخبر بمغيبات.

وتوفي – رحمه الله – عام تسعة وثمانين ومائة وألف. قال في "سلوك الطريق الوارية": « ودفن بسقاية الدمناتي بزاوية سيدي الشيخ بن أحمد – نفعنا الله به ». هـ.

[191– الشريف سيدي عبد المالك الدقاق]

ومنهم: الشريف الأجل، الولي [226] الصالح الأفضل، المسن البركة؛ مولاي عبد المالك الرويفي الشهير بالدقاق؛ لبيعه الدقيق.

كان – رحمه الله – ذاكرا الله تعالى، ملازما لقراءة الدليل، محبا لأهل الخير، وكان الناس يردون عليه كثيرا بقصد زيارته. وكان من أهل العناية الربانية، والأسرار الوهبية، والأحوال العرفانية. ومن الذين لو أقسموا على الله لأبرهم، ويخبر بأمور غيبية؛ فتقع كما أخبر.

وكان إذا كان منبسطا يفعل الشخص معه ما شاء، وإذا حصل له القبض؛ لم يقدر أحد أن يقرب منه خوفا من أن يدعو عليه، وكانت لا تسقط له دعوة. وكان أهل الخير الموجودون في وقته يجيئون إليه ويتبركون به ويتشاورون معه. قال في "سلوك الطريق الوارية": « ولا أعرف له شيخا ». هـ.

ومن لقيه وتبرك به: العلامة الصالح أبو عبد الله سيدي محمد التاودي ابن سودة المري، وقد أورده في فهرسته فيمن لقي من صلحاء المغرب؛ وقال: « كان يبيع الدقيق بالقشاشين، وكان معنا بتطوان عام خمسين، وكان – رحمه الله – كثير المكاشفة ولا يبالي، بات عندنا يوما في وليمة؛ فقال: رأيت نعشين؛ أحدهما فوق الآخر، وقذف بهما لهذه الدار. فلم تمض إلا ثلاث ومات رجل من أبناء عمي وشرف طالب من أولاد مولاي عبد السلام ابن مَشيش كان مريضا عندي في الدوِيرة الصغرى، وأرسلت وراء المغسل؛ فجاءني الصحاف وأنا بباب الدار بمغسلين أحدهما فوق الآخر. مات رحمه الله سنة نيف وستين ومائة وألف، ودفن بقنطرة بوروص حول كرمة هنالك ». هـ. وقال غيره: « توفي عام ثلاثة وستين ومائة وألف، ودفن بجزبة بإزاء حمام قنطرة أبي الرؤوس؛ المسمى بحمام العرائس. من طالعة فاس القرويين ». هـ.

قلت: محل ضريحه عن يمين الطالع بالقنطرة[1] المذكورة قريبا من المنية، تحت الحمام المذكور، وإلى جانبه به كرمة، وحوله بناء محيط به.

[192– سيدي أحمد بورمضان]

ومنهم: الشيخ الجليل، الولي الصالح الحفيل، أبو العباس سيدي أحمد – المدعو: أبو رمضان، بالمنية الصغيرة بدار؛ وهي الأولى عن يمين الداخل ببيت بها يسار الداخل، عليه دربوز يزار به، ولم أقف له على ترجمة. وهذه الدار اليوم مقبرة عظيمة معدة لدفن الأموات بها.

---

[1] القنطرة: الجسر الصغير.

[193- القاضي سيدي علي بن محمد الهواري]
(ت: 1299)

ومن جملة من دفن بها من أهل هذا العصر: الفقيه القاضي بفاس الجديد أبو الحسن سيدي علي بن محمد الهواري. توفي - رحمه الله - سابع وعشري ذي الحجة الحرام متم عام تسعة وتسعين ومائتين وألف.

[194- سيدي عبد الله ابن أحمد]

ومنهم: الولي الكبير، الصالح الشهير؛ أبو محمد سيدي عبد الله ابن أحمد. بالمنية الوسطية، بروضة بأقصاها، بيد [227] الشرفاء التكاوتيين، عليه بها قبة صغيرة. أورده في "التنبيه"، ولم أقف له على ترجمة.

وكثير من الناس يزعم أنه هو دفين مكناسة الزيتون خارج سورها، قريبا من الباب الذي يذهب منه لناحية جبل زرهون، يسار الذاهب. وأنه ذو قبرين، وليس لذلك أصل، بل غير صحيح.

[195- الإمام العارف الشريف سيدي عبد الله بن حَمَدْ (دفين مكناسة)]
(ت: 833)

ودفين مكناسة هذا: هو الشيخ الإمام الفقيه، الشريف الحسني النبيه، الصالح الخاشع، الزاهد المتواضع؛ أبو محمد مولاي عبد الله ابن حَمَد.

كان آية الله في الزهد والورع والعبادة، وكان سكناه أولا بفاس، وله بيت حسب بها، ثم ارتحل عنها للمشرق، وحج ولقي خيار المشايخ، فأشار عليه بعضهم - فيما يقال - باستيطان مكناسة الزيتون، فاستوطنها حتى توفي بها، وذلك سنة إحدى وثلاثين على ما في وفيات الونشريسي، أو اثنتين أو ثلاثة وثلاثين وثمانمائة على ما في غيرها.

وقد ترجمه ابن غازي في "الروض الهتون"، وأبو العباس بابا السوداني في "كفاية المحتاج"، وفي "نيل الابتهاج"، وأبو العباس ابن القاضي في "جذوة الاقتباس"، وفي "درة الحجال".

ونصه في "الجذوة": « عبد الله بن حمد. من بيت بني حَمَد بفاس، بفتح الحاء والميم بغير ألف؛ يكنى: أبا محمد. من أهل مدينة فاس، الولي الصالح، نزيل مكناسة الزيتون وبها توفي. له مناقب كثيرة، وكان مجاب الدعوة، والدعاء عند قبره مستجاب، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ». هـ.

وقال في "الدرة" ما نصه: « عبد الله بن حمد؛ بفتح الحاء والميم بغير ألف؛ أبو محمد؛ الولي الصالح المقطوع بولايته، ذو الكرامات الظاهرة، والمناقب الباهرة، نزيل مكناسة المحروسة. له مناقب جليلة. توفي بمكناسة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وقبره مزار بها. وهو من تلامذة الولي أبي الحسن ابن وفا ». هـ.

ثم وجدت بعضهم ذكر أن صاحب الترجمة هو: السيد الصالح عبد الله بن أحمد بن ناصر التوزرتي. قال: « وكان من عباد الله الصالحين؛ نفعنا الله ببركاته ». هـ.

[196- الشريفة الصالحة للا خديجة بنت عبد الرحمن المومنانية]
(ت: 1119)

ومنهم: المرأة الفاضلة، العفيفة الصالحة، البركة الشريفة؛ السيدة خديجة بنت الشريف الأرضى الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الشريف الحسني المومناني؛ دفين خارج باب الجيسة.

كانت - رحمة الله عليها - من الصالحات، وظهرت لها كرامات وخوارق عادات.

توفيت في أوائل ذي الحجة الحرام سنة تسع عشرة ومائة وألف عن نحو سبع وتسعين سنة، ودفنت مع سيدي عبد الله ابن أحمد المذكور، يتصل رأسها بعقبه من ناحية رجليه. وكان بوسط قبرها مقبرية من رخام كبيرة [228]، فأزيلت. وزيارتها - رحمة الله عليها - يوم الاثنين. نفعنا الله بها.

[197- الشريف سيدي علي الخياط بن إبراهيم الرفاعي]
(ت: 1098)

ومنهم: الولي الصالح، ذو البرهان الواضح، الفقيه السني الناسك، الخاضع المتواضع السالك، ذو الأحوال والبركات، والمناقب والآيات؛ أبو الحسن سيدي علي الخياط ابن العلامة المدرس أبي إسحاق إبراهيم ابن العارف الكبير، والقطب الشهير؛ أبي محمد سيدي عبد الله الخياط - دفين جبل زرهون الشريف الحسَنِي الرفاعي؛ الذي هو من ذرية القطب الكبير، الزاهد الورع الشهير؛ أبي العباس سيدي أحمد بن علي الرفاعي المغربي دفين البطايح، المتوفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. دعي بالرفاعي: نسبة إلى رفاعة قبيلة من العرب، ولعله نسب إليها من حيث كونه ولد فيها، وإلا؛ فهو شريف حُسَيْنِي؛ من ذرية إبراهيم الملقب بالمجاب بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. وممن نص

على أنه شرف من ذرية جعفر الصادق: الكازروني في تأليف له في مناقبه، وابن باديس في شرح سينيته.

أخذ صاحب الترجمة – رحمه الله – عن والده سيدي إبراهيم. كان يقرأ عليه في صغره بزاوية جده الذي بزرهون إلى أن توفي والده، فانتقل لمدينة فاس بقصد القراءة بها، ثم إنه غلب عليه الحال واشتغل بالعبادة، وقصد الشيخ أبا الطيب ابن يحيى دفين بلاد ميسور من بلاد ملوية؛ فأخذ عنه. وكان لقيه له مرتين؛ مرة بميسور ومرة أخرى بفاس. ويقال: إن أخذه عنه كان بوصية من والده سيدي إبراهيم للشيخ أبي الطيب عليه، وإن أبا الطيب جاء مرة زائرا لزرهون على العادة؛ فاجتمع معه سيدي إبراهيم ونادى ولده سيدي عليا، فلما دخل عليهما؛ قال له: « يا ولدي؛ ادن من الشيخ أبي الطيب وسلم عليه! ». ثم قال لسيدي أبي الطيب: « إن أنا مت؛ فأنت الوصي على ولدي هذا ». ثم قال لسيدي علي: « يا ولدي؛ هذا شيخك ». فلما كبر سيدي علي؛ ذهب إلى الشيخ أبي الطيب ولازمه حتى كان منه ما كان، ولم ينتسب – رحمه الله – إلا إليه، ولم يكن له التعويل في طريق الصوفية إلا عليه.

وكان هو الخليفة بزاوية جده بعد وفاة والده، وكان والده قبله هو الخليفة بها بعد وفاة والده سيدي عبد الله الخياط.

وبعد صحبة صاحب الترجمة لسيدي أبي الطيب المذكور، وإشراق أنواره، ووصول المدد الغزير منه إليه، لزم داره بالمنية الفوقية من حومة قنطرة أبي الرؤوس مشتغلا بعبادة ربه، إلى أن توفي ودفن بها؛ وهي الدار الخامسة عن يمين الداخل. وتعرف بدار: الخياطة.

ترجمه في "جواهر السماط في التعريف بسيدي عبد الله الخياط"، وأثنى عليه في مواضع منه؛ منها [229] قوله: في موضع: « القطب الرباني، العارف بالحقيقة، ذو الكرامات الشهيرة؛ أبو الحسن سيدي علي الخياط؛ دفين داره بالمنية من طالعة فاس ». إلا أنه لم يذكر له وفاة.

ووفاة شيخه سيدي أبي الطيب –كما ذكره غير واحد – كانت في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين من القرن العاشر، فيكون هو من أهله أيضا. وقد أشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال:

والسيد الخياط واسمه علي	ذو الجاه والهمة والقدر العلي
كذاك سيدي مغيث أحيى	ذكرهما معا دريب المنيا

[198- العارف سيدي الحاج محمد الخياط الرقعي]
(ت: 1115)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الصوفي النبيه، الولي الصالح، النور اللائح، العارف بالله، الدال عليه في سره ونجواه؛ أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: الحاج الخياط. الأنصاري نسبا، الرقعي أصلا، الفاسي دارا وقرارا، ومنشأ ومزارا.

أصله - رحمه الله - من رقعة: موضع كانت به قرية عظيمة وخربت من بلاد لَمْطة، على نصف مرحلة من فاس، وبه ضريح الإمام الرقعي صاحب الفقهية المشهورة، ومنه قدم سلف صاحب الترجمة لفاس، واستوطنوا حومة الشرشور منها.

خرج - رضي الله عنه - في أيام طفوليته من فاس لبني مسارة، وذلك بعد موت أمه؛ فاحتضنته خالة له كانت هنالك، وجعلت تنظر في حاله، ووجهته لقراءة القرآن في المكتب مع الصبيان، ولم يزل عندها حتى احتلم، وحفظ القرآن وتعلم، فتوجه بعض أهل تلك القرية في تلك الأيام لزيارة الشريف مولاي عبد الله الوازاني، وكان بقبيلة مصمودة، فزاره معهم، فكانت تلك الزيارة سببا في الفتح عليه، وفي وصول الخيرات إليه، وصار من ذلك الوقت وهو ملازم لقيام الليل، في كل ليلة يختم القرآن بالتهجد، إلى أن مضى له نحو الثمانية عشر شهرا، وهو في خلال تلك المدة يتردد لزيارة الشيخ مولاي عبد الله ويكثر مواصلته وزيارته، وجوارحه لا تزيد في فعل الطاعة إلا نشاطا، وقلبه لا يزيد في محبة الشيخ المذكور إلا اغتباطا، فصارت الواردات تكثر عليه، والأشياء تنكشف له نوما ويقظة، ويسمع الهواتف، ويرى خوارق العادات، وأنواع المكاشفات.

فلما علم الشيخ منه بذلك؛ أمره بعدم الالتفات إليه، والتوجه إلى المولى سبحانه والإقبال عليه، ولحه مرة بطرفه؛ وقال له: « يا خياط؛ عليك بذكر الله والصلاة على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم! ». قال - رضي الله عنه: « فأبصرت بتلك اللمحة التي لحني بها العرش والفرش، ورأيت مكتوبا على العرش: الخياط مقبول [230] مقبول من عرفه! ».

وكان شيخه المذكور يَعِده ويقول: « يكون من ولدي كذا وكذا، وتكون لك زاوية بفاس، وأصحاب وأتباع ». فكان كذلك، فإنه - رحمه الله - لم يزل مع شيخه المذكور إلى أن بعثه لفاس وجعله عريفا على الفقراء بها.

ولما توفي واستخلف بعده ولده سيدي محمد؛ أقره على ذلك، وفي أيامه اتخذ الزاوية التي له بالشرشور، ولما مات دفنوه بها.

وتقديم الشيخين المذكورين له مشهور، وصلاحه عند الناس مستفيض مذكور.

وكان له أتباع، وتلامذة وأشياع؛ من أجلهم: سيدي قاسم ابن رَحمون الزَرهوني؛ دفين درب مينة من حَومة النجارين، وكانوا يحكون عنه كرامات، وخوارق للعادة وتصريفات، ويحدثون عنه بعجائب، وغرائب ومناقب، وكان مأذونا له في قبول الخلق وتربيتهم، حسن التربية، زاهدا في الدنيا، معرضا عن أهلها، صادق الحال، سالكا في الظاهر، مجذوبا في الباطن، يحضر السماع ويرقص عنده، ويكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ حتى امتزجت بدمه ولحمه، وكان يعتريه حال، فيسمع كل شعرة منه تقول: « اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم »، وكان من الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل لرؤيتهم.

وله أخبار مشهورة، وكرامات معلومة مذكورة؛ منها: أن السلطان مولانا إسماعيل كان قد سخط على أهل الزوايا وشدد عليهم، وبعث من وراء مولاي التهامي الوازاني، وذلك في حياة والده مولاي محمد، فجاء من وازان ودخل جامع الخضراء من مكناس، والناس خائفون من أجل ذلك، فبينما السلطان المذكور نائما نهارا واستيقظ ونزل الغداء بين يديه، وهو في أثناء الأكل؛ إذ دخل عليه صاحب الترجمة لقبـه وبيده شاقور مطحونة، ووقف عليه وقال له: « والله لو تغيرت في ولد سيدي شعرة واحدة؛ لشقفتك بهذه الشاقور ! »، فقال له السلطان: « ومن أنت؟! »، قال: « الخياط ». قال: « ومن ولد سيدك؟ »، قال: « مولاي التهامي؛ ها هو ذا بجامع الخضراء! »... وانصرف.

فقام السلطان للبوابين؛ فقالوا: « لم يدخل أحد قط ». فسأل من في الدار؛ فقالوا: « ما رأينا أحدا ». فخرج مغضبا وأمر بفرسه وركب، فجعل الفرس يرجع وراء؛ وإذا ببهموت عظيم؛ فنزل عنه وقال: « قولوا للمرابط مولاي التهامي يمشي لداره؛ الله يهنيه بالعافية!! ».

ثم رجع لداره، وبعث وراء عبد الله الروسي وسأله: « أعندكم بفاس سيد اسمه الخياط؟ »، فقال له: « نعم؛ هو بالزَربطانة مدفون، يقال له: سيدي الخياط ذو الوادي »، فأمره أن يبعث لولده أبي علي – وكان حاكما بفاس – ويأمره أن يبني عليه قبة جيدة، فجاء الأمر، وأقام القائد أبو علي البناء على سيدي الخياط [231] ذي الوادي؛ فكان عند ذلك صاحب الترجمة يجيء عند البنائين في كل يوم ويقول لهم: « الدق للترابة، والشنعة للاجْواد، لا خياط إلا خياط الواد! »، حتى انتهت القبة بالبناء، ولم يتفطن أحد لقوله. ذكر هذه الحكاية في "سلوك الطريق الوارية".

ومن كراماته رضي الله عنه: أنه كان يطعم الجم الغفير من الطعام اليسير، له في ذلك قضايا عديدة.

وبالجملة؛ فقد كان من أكابر الأولياء، وخواص أهل الله الأصفياء، والناس مطبقون على ولايته وخصوصيته. وفي "النشر" في ترجمة العلامة القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد التَّاق الأندلسي الغرناطي الفاسي أنه: « رأى مرة النبي صلى الله عليه وسلم مناما وهو يقول له: عليك بالخياط الرقعي؛ فإنه يخيط الثياب الممزقة ».

وكان – رحمه الله – قد ذهب إلى المشرق في حال بدايته؛ فحج وزار، ونال من منيته جميع الأوطار. . .

ولم يزل على حالة مرضية، وسيرة حميدة مهدية؛ إلى أن توفي بفاس ليلة الثلاثاء ثاني عشر محرم الحرام، فاتح عام خمسة عشر ومائة وألف، ودفن بزاويته التي نسبها لشيخه سيدي محمد بن مولانا عبد الله الشريف، بالشَرشور من فاس القرويين، بجوار دار الدَبغ الشهيرة هناك، وقبره بها مشهور، عليه دربوز يزار به، ويتبرك نفعنا الله به. . . آمين. ترجمه في "النشر"، و"تحفة الإخوان"، و"سلوك الطريق الوارية".

[199– سيدي مالك بن عبد السلام المومْناني]
(ت: 1140)

ومنهم: المرابط الفقيه، الصوفي السالك النبيه، الولي الصالح المتعفف؛ سيدي مالك بن سيدي عبد السلام. أخي سيدي عبد الرحمن الشريف – دفين باب الجيسة – ابني الشيخ أبي الحسن علي – صاحب الضريح بتاجَنَوت من قبيلة مَصمودة – ابن الولي الصالح الزاهد العابد أبي العباس سيدي أحمد الشريف الحسني المومْناني السجلماسي؛ دفين مدشر بني سلمان بعين البقر من بلاد لمطة فاس، وهو من عقب الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الله بن عيسى الشريف المومْناني؛ الذي ضريحه بحومة برج الذهب من غرناطة؛ حضرة بلاد الأندلس. وحيث كان سلفهم بغرناطة؛ كانوا مشهورين بنسبة الشرف، ثم بعد انتقالهم منها؛ خرجوا عن الانتساب من الشرف، ثم الآن رجعوا إليه. قال ابن السكاك: « إني لأعجب من بيوت خرجوا عن الشرف؛ وهم: المومْنانيون »، وقد ذكرهم ابن الأبار وغيره.

توفي والد صاحب الترجمة منهم وتركه طفلا؛ فتزوج أمه الشيخ سيدي محمد بن مولاي عبد الله الوازاني، وربي في حجره يتيما؛ فأخذ عنه ولزم خدمته وأحزابه إلى أن توفي سيدي الحاج الخياط الرَقعي، فقدمه سيدي محمد على الفقراء أصحابه من أهل فاس؛ فحمل عياله من مَدْشر تجْنَاوْت من مَصْمودة وقدم بهم على فاس، واستَوطن المنية منها. ولزم [232] زاوية الشرشور والفقراء مجتمعون عليه بها إلى أن توفي سيدي محمد، وولي بعده ولده مولاي التهامي، فأقره على ولايته. وكان يعظمه لإحسان أبيه؛ إلى أن توفي مولاي التهامي؛ فأوصى بأخيه مولاي الطيب؛ فأقره على ولايته، إلى أن توفي سيدي مالك في حياته بفاس من غير عقب؛ فقدم مولاي الطيب الشيخ سيدي قاسم ابن رحمون.

وكانت وفاته – أعني: صاحب الترجمة – في العشرة الرابعة بعد مائة وألف، ودفن بزاوية سيدي الحاج الخياط، عن يمين محرابها؛ وقبره ملاصق للحائط، عليه مقبرية رخام... ترجمه في "النشر" في خاتمة الجزء الثاني.

[200– العارف الشريف سيدي محمد بن التهامي الوزاني]
(ت: 1150)

ومنهم: الشيخ الجليل، صاحب الجمع الحفيل، العارف بالله، الدال على الله، ذو الهدي الصالح، والنور اللائح، المتبرك به حيا وميتا؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن القطب مولاي التهامي؛ أخي القطب مولاي الطيب ابني القطب سيدي محمد بن القطب مولاي عبد الله الشريف الحسني العلمي اليملاحي الوزاني.

كان – رحمه الله – من أهل البركة والصلاح، والولاية والخير والدين والنجاح، كثير الإنفاق وإطعام الطعام، للضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام، كثير المحبة لهم وآل البيت الكرام، والفقراء والعلماء الأعلام، يواصل الناس بقدميه وماله، ولا يصده عن أفعال الخير شيء من أشغاله، شديد الاتباع للسنة المحمدية، مجانبا للأهواء المزعومة الردية، كريم الأخلاق، جميل الأرفاق، يحضر الجنائز، ويجيب دعوة من دعاه ولو من الفقراء أو من النساء العجائز.

أخذ عن والده المذكور، وبه تربى وتهذب، وتخلق وتأدب، ولقنه الأوراد والجلالة والأحزاب، وأذن له في تلقين ذلك لذوي الألباب، واستوطن في حياته بني زكار؛ على نصف مرحلة من وازان، وكان في كل جمعة يأتي لصلاة الجمعة ويزور والده، واجتمع عليه هناك جماعة من الفقراء وأخذوا عنه ، فلقنهم وسلك بهم الطريق، ثم اختار سكنى الحاضرة؛ فاستأذن والده في ذلك؛ فأذن له، فاشترى بفاس دارا بإزاء زاوية جده المذكورة، وارتحل إليها؛ فكانت له بفاس الشهرة التامة، والوجاهة الكبرى، وصارت داره حرما يستجار به، ومقصدا للوفود، ومرتاعا للواردين، والضعفاء والمساكين، والفقراء أصحاب أبيه، والفقهاء وآل البيت وغيرهم من أبناء السبيل.

وكان يجلس في زاوية جده المذكور مع أصحاب والده ومعه مقدمهم؛ فيقرأ الأحزاب صباحا ومساء معهم، ويحضر تدريس "الرسالة" [233] و"المرشد" بين العشاءين من فصل الشتاء، وفي الصباح بعد قراءة الأحزاب سرد ابن عباد، و"القوت"، و"الإحياء"؛ وقواعد زروق... وغير ذلك.

قال في "النشر": « وسمعنا غير ما مـــرة ممن أدركنا ممن هـو موصوف بالخير والولاية والصلاح، أنه: كان أحد الأقطاب الأربعة الذين مرتبتهم بعد القطب الجامع. قال: ولا مدافع لذلك؛ لأنه كان يقف عند حدود الله، ويجتنب ما نهى عنه، ويتبع ما أمر به ».هـ.

توفي – رحمه الله – في العشرة الخامسة بعد مائة وألف، ودفن في دار له بَراحا، بإزاء داره من حومة الشَرشور. وقد بنوها عليه قبة، واتخذوها مقبرة للدفن، وضريحه وسطها عليه بناء خفيف، مطبق عليه به، وهو مشهور مزار متبرك به إلى الآن. ترجمه في "نشر المثاني" في خاتمة الجزء الثاني.

[201– الشريف سيدي أحمد الخضر بن محمد الوزاني]
(ت: 1160)

ومنهم: ولده السيد الأنزه الأرضى، الولي الصالح الأحظى؛ ذو الكرامات العديدة، والمآثر الحميدة؛ أبو العباس مولاي أحمد الخضر.

كان – رحمه الله – خيرا دينا نزيها، عفيفا متعففا وجيها، وليا صالحا، وعلما للخيرات واضحا، له كرامات وافرة، ومآثر ظاهرة.

توفي أوائل العشرة السادسة بعد مائة وألف، ودفن مع أبيه أمامه متصلا به من غير عقب من الذكور أشار لشيء من ترجمته في "النشر" في خاتمة الجزء الثاني أيضا.

[202– الشريف مولاي الطيب بن محمد الوزاني]

وتوفي بعده: أخوه البركة الصالح، والنور اللائح؛ أبو البركات مولاي الطيب. ودفن أمامه متصلا به ولم أقف على شيء من أحواله.

[203– المجذوب سيدي عبد السلام الرَكّال]

ومنهم: الشيخ المجذوب الهائم، الغائب غيبة اتصال في الحي القيوم الدائم؛ أبو محمد سيدي عبد السلام؛ المدعو: الركال.

كان – رحمه الله – أولا من أهل النخوة والافتخار في الأكل واللباس، يلبس الثياب الرفيعة، وبيده شيء من مال الدنيا، ثم إنه اتصل بالشيخ سيدي محمد بن القطب مولاي التهامي الوزاني السابق، فأخذ عنه ولازمه.

ولما توفي شيخه المذكور ورث سره وحاله، واعتراه الجذب، وغاب عن الجوع والعطش، والبرد والحرارة، ونزع ثيابه كلها، وتستر في عورته بتليس ونحوه، وصار لا يتكلم مع أحد إلا في النادر، ويأوي إلى فرن حمام عين علون، ولا يبيت إلا في بيت النار منه صيفا وشتاء، ويخرج منه في بعض الأحيان: يطوف في أسواق فاس التي بجهة اللمطيين، وقلما يخرج منها إلى غيرها، ولا يقبض من أحد شيئا، وإذا احتاج إلى ما يتقوت به؛ أخذه بيده من حوانيت مخصوصة، وإن أعطاه له أربابها من أول وهلة؛ لا يأخذه.

وكان إذا وجد من يشرب الدخان؛ يأخذه [234] من يده ويشرب منه، ثم يرده له. وإن أعطاه له صاحبه من أول وهلة؛ لا يأخذه منه. وكانت له كرامات عديدة في حياته وبعد وفاته. ولم يتزوج قط.

توفي – رحمه الله – على ما ذكره في "النشر" سنة أربع. وقال في "سلوك الطريق الوارية": سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بروضة شيخه الشيخ سيدي محمد بن مولاي التهامي الحسني المذكور، الكائنة بحومة الشرشور من فاس القرويين ». هـ. وضريحه – رحمه الله – خارج قبة شيخه الصغرى بالمباح المتصل بها من ناحية رجليه. ترجمه في "النشر"، وكذا في "سلوك الطريق الوارية".

[204– النحوي الحافظ سيدي محمد بن الحسين الجندوز]
(ت: 1148)

ومنهم: الشيخ الشهير، النحوي الكبير، الحافظ المحقق، الضابط المحصل المدقق، الصالح الزاهد الأورع، العلامة المدرس، الأنفع سيبويه زمانه، والمقدم في علم العربية والتصرف على سائر الأئمة في عصره وأوانه، أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسين الجندوز؛ به عرف. الفاسي دارا، المصمودي نجارا.

من مصمودة زاوية وازان؛ وهي قبيل من البربر الذين بالمغرب، ولم تزل البركة في قبائل المصامدة من قديم الزمان.

كان – رحمه الله – من العلماء العاملين، والصلحاء الفاضلين، له عكوف على تعليم العلم وتعلمه، لا سيما علم العربية، فإنه برع فيه، وكان أحد أعيانه، مشارا إليه بإتقانه، معلوما بتحقيقه، يقوم على ألفية ابن مالك بشروحها وحواشيها، ويستحضر كثيرا من تحقيقات الدماميني في شرح

"التسهيل"، ومن شرح الرضي على "كافية" ابن الحاجب وغيرها من كتب العربية، ويحفظ كثيرا من الأدب، والحكم واللغة وأيام العرب، ماهرا في جميع ذلك، مقبلا على التدريس. وله فيه لسان فصيح وتبليغ بليغ، بجلسه مجلس هيبة ووقار، لا يستطيع أحد أن يجلس فيه إلا مشمرا عن ساعد الجد، وله فيه مكانة وعلو وجلالة، لا يسع أحدا الجلوس في مجلسه إلا مطرقا مستمعا، مصغيا مستجمعا.

وكان حافظا للشروط والأحكام، عارفا بالتعليلات، ماهرا في ذلك كله، منصفا حسن الطوية، واسع الخلق، كريم النفس، طيب اللقاء، جميل الإلقاء، حسن البهجة، واضح المحجة، قوي الورع واليقين، متين الدين، دؤوبا على الذكر لا يفتر عنه مهما انفرد عن التدريس والطلبة، له المحبة الكبيرة في آل البيت، عظيم المودة لهم، يؤثرهم بنفسه وماله.

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ المسناوي وأبي العباس الوجّاري، وأبي العباس أحمد الشدّادي الأكبر. . . وغيرهم ممن هو في طبقتهم.

وكان من خلقه: أنه يرافق تلامذته في الجلوس في درس من هو دونه في العلم تواضعا وحرصا. وأخذ عنه جماعة من الأعيان [235]: كسيدي عبد المجيد المنالي، وأبي عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري صاحب "النشر"، والشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري. . . وغيرهم ممن يكثر.

وكان – رحمه الله – يقول: « هذه مدة من اثنين وأربعين عاما وأنا في قراءة العربية؛ ووددت لو اقتصرت في قراءتها على ستة أعوام، وجعلت ما بقي في قراءة غيرها من العلوم ».

وكان كثير المحبة للشرفاء أهل وازان نفعنا الله بهم، شديد التعظيم لجنابهم. وأخذ عن القطب مولاي التهامي وصاحبه وتبرك به، وكان الشرفاء المذكورون أيضا يحبونه ويواسونه.

إلى أن توفي عشية يوم الخميس الثالث من المحرم عام ثمانية وأربعين ومائة وألف. كذا ذكر وفاته في "النشر"، وقال في "الروضة المقصودة": « الذي وجدته بخط الإمام – يعني: شيخه سيدي التاودي ابن سودة المري – أنه توفي عشية يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة متم سبعة وأربعين » هـ.

ودفن من الغد – وهو: يوم الجمعة – في عرصة من هذه الحومة للشرفاء أهل وازان، اتخذوها مقبرة لهم بجوار روضة الشيخ سيدي محمد بن مولاي التهامي. وكان في جنازته موقف عظيم من الخلائق، لم يتخلف عنها أحد من عامة فاس وخاصتها. ورثاه تلميذه سيدي عبد المجيد المنالي بقصيدة.

ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الروضة المقصودة". . . وغيرها، وأورده الشيخ التاودي في فهرسته من جملة أشياخه.

[205- سيدي الهاشمي الجندوز]
(ت: 1176)

ومنهم: ابن أخيه الفقيه؛ المدرس النزيه، العالم النحوي النبيه؛ سيدي الهاشمي الجندوز المصمودي.

أخذ – رحمه الله – النحو عن عمه المذكور. وكان يدرسه للمبتدئين، يدرس فيه "الجرومية" و"الألفية" و"الجمل" و"لامية الأفعال"، مع تعاطي الأسباب. وكان خيرا دينا ثقة متعففا.

توفي في أواخر سنة ست وسبعين ومائة وألف قال في "النشر": « ودفن مع عمه في المقبرة التي في عرصة الشرفاء اليملاحيين أهل وازان، المجاورة لروضة الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ مولاي التهامي، الكائنة بالشرشور من فاس القرويين ». هـ.

[206- الشريف الأخباري سيدي أحمد بن علي الوازاني]
(ت: 1231)

ومنهم: الشريف الفقيه الجليل، العالم النبيه الحفيل، الولي الصالح، ذو الهدي الواضح، سلالة الأخيار، ونجل السادات الأطيبين الأبرار، الحاذق الأخباري؛ أبو العباس سيدي أحمد ابن الشيخ المسن الشهير، العارف الكبير، المتبرك به حيا وميتا؛ أبي الحسن مولاي علي ابن الشيخ الأكبر، القطب الأشهر، مولاي التهامي اليملاحي الحسني العلمي.

قال فيه في "النشر" في ترجمة والده المذكور: « فقيه لبيب مطالع، محب للعلماء والفقهاء، له نخوة في مطالعة الكتب وشرائها ونسخها، فريد العصر اليوم بمدينة فاس، لم يكن لأحد [236] اعتناء بذلك مثله، وأمه بنت الشيخ الجليل سيدي الحاج الخياط الرقعي دفين الشرشور من فاس القرويين، جمع علو النسبة والعلم والصلاح من الأب والأم، وقل من جمع فيه ذلك، جعل الله التقوى لباسه والتواضع مأواه ». هـ.

وذكر غيره أنه: كان فقيها عالما صالحا، ووليا ذا كرامات عديدة، ومناقب حميدة، أخذ عن والده مولاي علي، ويغلب على الظن أنه أخذ أيضا عن عم والده القطب مولاي الطيب الوازاني. وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بزاويته المقابلة لداخل درب سيدي محمد بن التهامي؛ بالبلاط الأول منها بركنه الذي عن يمين المحراب، وجعل على قبره حوش من خشب يدور به.

[207- الشريف سيدي محمد بن أحمد الوازاني]
(ت: 1266)

ومنهم: ولده الشريف الفقيه، المسن التنزيه، البركة الجليل، الماجد الأصيل، الخير الدين الصالح، الأرشد الفالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد.

كان - رحمه الله - من أهل الخير والصمت والعزلة والصدقة؛ كثير الذكر والتلاوة في المصحف والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم "بدلائل الخيرات"، وشوهدت له بركات وكرامات.

توفي يوم السبت خامس رجب الفرد الحرام عام ستة وستين ومائتين وألف، وكانت له جنازة حفيلة حضرها أعيان البلد فمن دونهم، ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين مع والده المذكور متصلا بظهره.

[208- الشريف مولاي عبد الله بن محمد الوازاني]
(ت: 1274)

وخلف رضي الله عنه أولادا عدة؛ من جملتهم: الشريف المنيف، الفقيه العفيف، مولاي عبد الله. توفي - رحمه الله - ثاني محرم الحرام فاتح عام ثلاثة أو أربعة وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية المذكورة، بالبلاط الأول منها، جهة يسار محرابها.

[209- الشريف مولاي الطاهر بن محمد الوازاني]
(ت: 1301)

ومن جملتهم: الفقيه الأوحد، البركة الصالح الأرشد، مولاي الطاهر. توفي - رحمه الله - ليلة الجمعة خامس أو سادس صفر الخير عام واحد وثلاثمائة وألف، ودفن بها أيضا داخل حوش الخشب الذي يدور بأبيه وجده عند رأسيهما.

[210- العلامة الشريف مولاي أحمد بن محمد الوازاني]
(ت: 1311)

ومن جملتهم: الفقيه المدرس الإمام، العالم الأوجه الهمام، الكثير الذكر والتهجد بالأسحار، والزيارة للضريح الإدريسي بالليل والنهار؛ أبو العباس مولاي أحمد.

أخذ – رحمه الله – العلم عن جماعة من الشيوخ؛ كالفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحَجَرتي، والفقيه سيدي الحاج محمد بن المدني جنون، والفقيه سيدي محمد المهدي بن محمد ابن الحاج، والفقيه مولاي أحمد العراقي؛ إمام الضريح الإدريسي وخطيبه، والفقيه سيدي الطيب بن أبي بكر ابن كيران.

وتوفي في شهر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف، ودفن بها أيضا بالبلاط الثاني منها، متصلا [237] بالسارية الكائنة وراء قبر والده وجده، من ناحية رجليهما.

[211– قاضي الجماعة سيدي علي بن عبد السلام التسولي]
(ت: 1258)

ومنهم: الشيخ الهمام الفقيه، العالم العلامة النزيه، حامل راية المذهب المالكي بالمغرب، والممد بالمواهب الربانية والسر المطرب، النوازلي الموثق، المحرر المحقق، القاضي الأعدل، المسن البركة الأحفل؛ أبو الحسن سيدي علي بن عبد السلام بن علي مديدش التسولي.

كان – رحمه الله – فقيها مشاركا، مطلعا محررا، له اليد الطولى في علم النوازل والأحكام، وكان موصوفا بالخير والدين، والزهد والورع واليقين.

ولي قضاء الجماعة بفاس في شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين وألف؛ فحمدت سيرته، وأحسن الناس الثناء عليه، ثم أعفي منه في عام الخمسين، ثم وليه مرة أخرى بتطوان، ثم أقيل منه ورجع إلى فاس.

وألف – رحمه الله – تآليف عديدة؛ منها: "شرح التحفة"، و"شرح الشامل"، وحاشية على شرح الشيخ التاودي على "لامية الزقاق"، و"النوازل" في سفرين... وغير ذلك. وجمع وثائق الزياتي ورتبها أحسن ترتيب.

وكان أخذه عن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج، والمفتي أبي عبد الله سيدي محمد ابن إبراهيم الدكالي... وغيرهما ممن هو في طبقتهما.

وتوفي صبيحة يوم السبت خامس عشر شوال الأبرك عام ثمانية وخمسين ومائتين وألف، وصلى عليه بعد صلاة العصر بالقرويين، ودفن بالزاوية المذكورة، بين الساريتين الكائنتين وراء ظهر سيدي أحمد بن علي وولده.

[212- العلامة سيدي محمد المهدي بن محمد ابن الحاج السلمي]
(ت: 1258)

ومنهم: الفقيه العالم العلامة، الخير المحقق الفهامة، الصالح البركة الأولى، الأوجه الأنزه الأتقى؛ أبو عبد الله سيدي محمد المهدي ابن الفقيه العلامة سيدي محمد ابن العلامة الكبير، الصوفي المحدث الشهير، أبي الفيض سيدي حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي.

ولد - رحمه الله - كما ذكره في "رياض الورد" رابع عشر رمضان سنة أربع وأربعين ومائتين وألف، وكان فقيها علامة مدرسا نفاعا، له مشاركة في فنون عديدة، وصناعة بديعة في التدريس، حلو المنطق، كريم النفس، جميل الأخلاق، خيرا دينا، هينا لينا، خاضعا متواضعا منصفا.

أخذ عن والده، وعن شيخ المشايخ سيدي الوليد العراقي، وشيخ الجماعة أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي، والعلامة سيدي أحمد المرنيسي، وعن عمه القاضي الأعدل سيدي الطالب بن حمدون ابن الحاج. . . وغيرهم. وتخرج على يده جماعة من الأعيان؛ منهم شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد المدني ابن جلون.

وتوفي - رحمه الله - في شعبان عام تسعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية المذكورة أيضا، بالبلاط الثاني منها، بركنه الذي عن يمين الداخل، بالقبر الثاني منه، بينه وبين قبر الشيخ التسولي قبران [238].

[213- سيدي مَحمد التواتي]
(ت: 1254)

ومنهم: الولي الصالح، الشهير الواضح، ذو الكرامات العديدة، والمناقب الحميدة، أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) التواتي.

كان - رحمه الله - بسابط الحياديين من فاس القرويين بحانوت هناك. وكان له فتق عظيم مثل الدلاحة[1] العظيمة بين يديه، وكانت له كرامات واضحة، وأسرار لائحة، سمعنا بعضها من أفواه الناس.

أخذ عن كبير السادات الشرفاء أهل وازان في وقته: الولي الصالح سيدي علي بن أحمد، وبعده عن ولده سيدي الحاج العربي الوازاني، وأخبرني بعض الثقات من الأشراف القادريين أنه بات ليلة بوليمة عند بعض الناس؛ ثم إنه خرج منها في جوف الليل، ومر بحومة النواعريين؛ فوجد سيدي الحاج

---

[1] أي: البطيخة.

العربي المذكور قد بات هناك عند بعض الناس، وهو يركب في ذلك الوقت على بغلة له ومعه بعض أصحابه؛ قال: فقلت: « أذهب معه وأستأنس به في هذا الليل »، قال: « فما وصل إلى درب من الدروب إلا قال لبعض أصحابه: مد يدك إليه وحله فيحله. حتى وصل إلى سابط الهيادريين الذي به سيدي محمد التواتي؛ فقام سيدي محمد إليه وجعل يبندق[1] له ويقول: الله يبارك في عمر سيدي. حتى بندق له ثلاث مرات؛ فقال له الشيخ سيدي الحاج العربي: أمحمد التواتي، هل عمر المشور[2]؟. فقال له: نعم يا سيدي؛ فقال له: هل اشتكى بنا أحد؟ فقال له: لا؛ فكر راجعا من حيث جاء ». قلت: وهذه القضية تدل على أنه من أهل مشور سيدنا ومولانا إدريس رضي الله عنه، وناهيك بذلك؛ فإنه لا يحضره إلا الأكابر.

توفي - رحمه الله - ثاني شوال عام أربعة وخمسين ومائتين وألف، ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين بالزاوية المذكورة يسار محرابها قريبا منه، وكسرت العامة أعواد نعشه تبركا.

[214- العلامة سيدي محمد بن أحمد الصباغ البوعقيلي]
(ت: 1076)

ومنهم: الفقيه الجليل، العلامة المشارك النبيل، الحيسوبي الفرائضي؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الصباغ لقبا، البوعقيلي نسبا.

أصله من مكناسة الزيتون، ونشأ بفاس، وأخذ بها عن أبي العباس ابن القاضي، وابن عمه أبي عبد الله محمد ابن القاضي... وغيرهما، وكان - رحمه الله - عارفا بعلم الحديث، مشاركا في الفقه، ماهرا في علم الحساب والهيئة والفرائض، سلم له أهل عصره في ذلك، ورجعوا له في خبايا تلك العلوم، وتصدى هو لتعليمها، فانتفع به قوم.

وله شرح حسن على المنية لابن غازي؛ سماه: "البغية في شرح المنية"، وله "اليواقيت في الحساب والفرائض والمواقيت"، و"كشف قناع الالتباس عن بعض ما تضمنته من البدع مدينة فاس"، وشرح "الروضة"، واختصر شرح المنجور على "المنهاج"، وله غير ذلك من التقاييد الحسنة.

توفي - رحمه الله - عام ستة وسبعين وألف. قال في "الصفوة": « ودفن بعين أصليتن بدار ضريح ابن عبد الكريم من فاس، وعمره ست وثمانون سنة » [239]. هـ.

---

[1] البندقة: انحناء على هيئة الركوع، يفعل عادة للسلاطين.
[2] المشور: قصر الملك. والله يبارك في عمر سيدي: تحية يحيى بها الملوك في العادة.

[215- سيدي الحسن بن إبراهيم السفياني]
(ت: 1098)

ومنهم: الشيخ الجليل، الولي الصالح الحفيل، المجذوب السالك الأبر، الغريق في بحر محبة الحبيب الأكبر، صاحب الأحوال الربانية، والأسرار العرفانية، والأنوار المحمدية، والمواهب اللدنية؛ أبو علي سيدي الحسن بن إبراهيم السفياني أصلا، الفاسي دارا وقرارا، ومزارا.

كان - رحمه الله - سالكا ومجذوبا، والجذب أغلب عليه، غريقا في بحر محبة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان له أصحاب وأتباع، وتلامذة وأشياع، يؤثرون عنه كرامات وخوارق للعادات، ويحدثون عنه بالفتح العميم، والكشف القويم، والنفع للعباد، الحاضر منهم والباد. وكانت له زوايا عديدة في البوادي والحواضر.

أخذ أولا: عن الشيخ سيدي قاسم أبي عسرية، وثانيا: عن الشيخ المجذوب الولي الكامل العارف الرباني القوي الحال، الغريق في بحر محبته عليه السلام أبي العباس سيدي أحمد بن الحسين ابن لهبوب الشريف الحسني السوسي، صاحب الضريح الذي على مرحلة من فاس لناحية صفرو، وهو عمدته، وسيدي أحمد هذا أخذ عن الشيخ سيدي غانم بن سعد السباعي دفين مراكش، وهو عن العارف بالله سيدي عبد الله بن ساسي دفين حوز مراكش، عن القطب أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني عن التباع عن الجزولي.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - في خامس عشر ذي القعدة الحرام عام ثمانية وتسعين وألف، ودفن بزاويته الشهيرة به من داخل عين أصليتن من فاس القرويين، وأقيم على ضريحه دربوز كبير وكسوة كأعظم ضرائح الأولياء، وهو معروف مزار متبرك به. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر" و"سلوك الطريق الوارية"... وغيرها.

وقد رأيت مكتوبا في مشهد جعل عند رأسه بضريحه ما نص المراد منه: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾. [القمر: 54، 55] صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم: هذا ضريح الولي الشهير، السالك الناسك الأثير، العارف بالله الرباني؛ سيدي الحسن بن إبراهيم السفياني، توفي - رحمه الله ورضي عنه - يوم الثلاثاء منتصف القعدة الحرام عام ثمانية وتسعين وألف، وكانت طريقته - رضي الله عنه - طريقة واضحة، أخذها عن شيخه سيدي أحمد بن لهبوب عن شيخه سيدي غانم السباعي عن شيخه سيدي عبد الله بن ساسي عن شيخه سيدي عبد الله الغزواني عن شيخه سيدي عبد العزيز التباع عن شيخه سيدي محمد بن سليمان الجزولي ».هـ. والمكتوب فيه بعد هذا هو باقي السند المذكور إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم... لا غير.

[216- سيدي محمد بن العربي ابن منصور]
(ت: 1187)

ومنهم: الشيخ المسن البركة، الناسك المؤدب الجلاب؛ أبو عبد الله سيدي محمد [240] بن العربي ابن منصور؛ الدلاء حرفة.

كان - رحمه الله - يصنع الدلاء ويخيطها بالدلائين من سوق عين علون، وكان مواظبا على قراءة "دلائل الخيرات" في الثلث الأخير من الليل عند ضريح مولانا إدريس رضي الله عنه، وكان من أهل الخير، وصاحب أحوال ربانية ومواهب لدنية، وأخلاق كريمة من خشوع وخضوع، محبا في الله وفي جانب آل بيت رسوله، وكانت الأحوال تعتريه؛ فيظهر عليه آثارها، ويشير بأمور غيبية فتكون في القرب أو في البعد، وفي بعض الأحيان يتكلم بكلام لا يفهمه إلا من له ذوق به، وهو من أصحاب الشيخ سيدي الحسن السفياني، وكان قبل صحبته له كثيرا ما يجتمع بسيدي قاسم ابن رحمون بالقرويين وغيرها، وكان من عادته: جلب الشبان الصغار وترويضهم لطريقه، وللزوم الزاوية؛ يلتقطهم القاطا، حتى اتهم بسبب ذلك، وقيل فيه ما قيل وبلغه؛ فقال: « الغرس الصغير كله يقبض، والكبير يخطئ جله، ولا يقبض منه إلا القليل ».

توفي - رحمه الله - عام سبعة وثمانين ومائة وألف، ودفن بزاوية شيخه سيدي الحسن السفياني قريبا من قبره. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[217- سيدي علي ابن عبد الدائم]

ومنهم: الولي الشهير، الصالح الكبير؛ أبو الحسن سيدي علي بن عبد الدائم. بعين أصليتن بالروضة المقابلة للعين المشهورة هناك، أورده الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال:

هكذا المجيد سيدي علي ... هو ابن عبد الدايم الشيخ الجلي

ولم أقف له على ترجمة.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به من صلحاء وعلماء حومة طالعة فاس وما هو منضاف إليها

[218- الفقيه سيدي محمد بن يحيى ابن عتيق العبدري]

منهم: الشيخ الفقيه، الولي الصالح النزيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي زكرياء يحيى بن عتيق العبدري القرشي.

من بني عتيق العبدريين القرشيين، بيتهم بفاس بيت علم وحسب، ولهم زقاق بطالعتها يسمى قديماً بدرب ابن عتيق، وقد رأيت في تأليف لبعضهم في بعض مشاهير أعيان فاس في القديم ما نصه: « ومنهم: بيت بني عتيق العبدريين من بني عبد الدار من قريش، بيتهم بيت علم وثروة وحسب، ولهم درب بطالعة فاس يقال له: درب ابن عتيق؛ منهم الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عتيق العبدري، توفي بفاس ودفن بداره بالدرب المذكور، وكانت جماعة منهم فقهاء وعدول ».

وإليه – والله أعلم – يشير في "التنبيه" بقوله: « ومنهم سيدي عتيق؛ بدرب ابن عتيق »، وفي بعض التقاييد المقيدة [241] في صلحاء فاس عند تعرض صاحبها للأولياء داخل المدينة؛ ما نصه: « أبو عبد الله بن عتيق بدرب ابن عتيق ». هـ.

وهو – والله أعلم – غير أبي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد العبدري الفاسي، المعروف بالصدفي، المترجم له في "جذوة الاقتباس"، و"بغية الرواة"... وغيرهما. فراجع ذلك.

[219- الشريف سيدي علي بن إسحاق (سيدي يعلى)]

ومنهم: الشريف الأكمل، الولي الصالح الأحفل؛ أبو الحسن سيدي علي الملقب بيعلى بن إسحاق الملقب بعبد العلا بن أحمد بن محمد بن إدريس باني فاس رضي الله عنهم.

كان – رحمه الله – بفاس قبل زمن موسى بن أبي العافية، وذلك في المائة الثالثة من الهجرة، إلى أن توفي ودفن بها بدربه المشهور بدرب سيدي يعلى من طالعة فاس، وقبره مشهور إلى الآن بروضة بأقصاه، تجاور زاوية سيدي علي بن علي الجذوبي، وعند رجليه منها كرمة نابتة، وبوسطه رخامة بيضاء مكتوب فيها اسمه ونسبه.

وقد رأيت لبعضهم في تأليف له ما نصه: « ومن بني الإمام محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل: الشرفاء الودغيريون؛ وهم الأدارسة من أولاد السيد يعلي دفين درب سيدي يعلى بطالعة فاس ابن إسحاق دفين درب مصمودة عدوة فاس الأندلس بن مولانا أحمد دفين جرواوة عدوة فاس الأندلس أيضا بن الإمام محمد بن إدريس ». هـ.

[220- سيدي علي بن علي الجذوبي]

ومنهم: الشيخ الناسك، العارف السالك، ذو الأحوال الربانية، والمكاشفات العرفانية؛ أبو الحسن سيدي علي بن علي الجذوبي. من حفدة الشيخ الشهير: أبي زيد سيدي عبد الرحمن المجذوب.

كان - رحمه الله - سالكا من أهل الأحوال، كريم الأخلاق، جميل المعاشرة، كثير الكشف، متجردا خاملا، وكان قاطنا بدرب سيدي يعلى المذكور، وله زاوية بأقصاه.

أخذ عن الشيخ سيدي علي بن ناصر الورياجلي دفين خارج باب الجيسة، وعن الشيخ سيدي أحمد الأغصاوي دفين زاوية شيبوبة، وهما معا عن الشيخ سيدي علي بن حمدوش.

وتوفي - رحمه الله - في أواخر القرن الثاني بعد الألف، ودفن بزاويته المذكورة مع أخيه الفقيه المرابط أبي محمد سيدي عبد الوهاب، لكن بعد دفنه بنحو من عشرين شهرا أخرجه ولده سيدي محمد من قبره خفية؛ فوجده على حاله كيوم دفن، وسار به إلى بلده صرصر ودفنه هنالك.

[221- سيدي محمد بن علي الجذوبي]
(ت: 1194)

ذكر ذلك في "سلوك الطريق الوارية"، قال: « وكان ولده سيدي محمد المذكور سالكا مجذوبا، والجذب أغلب عليه، وكان ضيق الصدر، لقيته مرة في حياة أبيه ومرة يوم جنازته، ومرة أخرى بعد ذلك، وكان والده كلما ذكر ولده عنده يقول: أدعوا إخواننا لولدي محمد، الله يوسع قشّابته[1]، فكان رحمه الله قوي الحال، مقداما على الأمور، ضيق الأخلاق، حتى توفي كذلك - رحمه الله تعالى [242] - سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن ببلاده رحمه الله ».

---

[1] يوسع قشابته: يوسع صدره.

وانظر قوله: ودفن ببلاده. أي: التي هي: صرصر، مع ما هو مشهور عند الناس، وصرح به بعض المتأخرين من أن سيدي محمد بن علي هذا هو صاحب القبة التي عن يمين داخل الزاوية المذكورة، إلا أن تكون نسبت إليه لكونه الباني لها على قبر والده قبل النقل أو بعده، والله أعلم.

[222- سيدي علي بن أحمد طورة الأندلسي]
(ت: 1191)

ومنهم: الشيخ الولي الصالح، المتمكن الجوال السائح، البركة الناسك، المسن السالك؛ أبو الحسن سيدي الحاج علي بن أحمد طورة الأندلسي ثم التونسي ثم الفاسي.

كان - رحمه الله - من الأكابر، وكان في أول أمره تاجرا يتجر حضرا وسفرا، ثم إنه تجرد عن الأسباب، وجال في البلاد حاضرها وباديها، في تونس وطرابلس ومصر والإسكندرية والصعيد والحجاز، ومكة والطائف والمدينة المنورة، والشام وبغداد والبصرة، والكوفة والعراق وبعض المغرب، وزار قبور الأنبياء والأولياء، ولقي جماعة من الأحياء وتبرك بهم وأخذ عنهم، واستفاد منهم ونال ما نال، ولبس الخرقة ثم رجع إلى فاس، وكان قاطنا بحومة جزاء ابن عامر منها، ذاكرا شاكرا صابرا حازما متبرئا من الدعوى، لا ينسب لنفسه شيئا إلا عند غلبة الأحوال عليه في نادر الأوقات.

ويذكر عنه أنه كان يقول: من زارني أحد وعشرين يوما متوالية وطلب من الله تعالى حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة؛ قضيت له، وإن لم تقض فليطالبني بين يدي الله تعالى.

وعمي - رضي الله عنه - في آخر عمره وكان يمرض، وكلما مرض يقول: « إني لا أموت من هذا المرض وإنما أموت عام كذا وكذا، ويوم كذا من شهر كذا »، قال في "سلوك الطريق الوارية": « فكان الأمر كذلك كما كان يقول. توفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ربيع الثاني، ودفن يوم الأربعاء سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، وأوصى - رحمه الله - بمباشرتي لغسله؛ فباشرته، ودفن بزاوية الشيخ سيدي علي بن علي الجذوبي - المذكور آنفا - بدرب سيدي يعلى من طالعة فاس، وبنيت عليه قبة هنالك، وكانت له جنازة عظيمة حفيلة كان فيها كالعروس رحمه الله تعالى ونفعنا بأمثاله ». انتهى.

ورأيت بخط بعضهم ما نصه: « الحمد لله؛ توفي الأرضي المسن البركة سيدي الحاج علي طورة قرب زوال يوم الاثنين السادس والعشرين من ربيع الثاني سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بروضة الشيخ البركة سيدي علي الجذوبي بالطالعة ». هـ.

وقبته هي الكائنة عن يسار داخل الروضة المذكورة، تقابل القبة المنسوبة لسيدي محمد بن علي رحمهم الله تعالى. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية"، وأشار إليه في "عناية أولى المجد" في ترجمة [243] سيدي عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي؛ فقال: « لقي - أي سيدي عبد الرحمن المذكور - كثيرا من أولياء الله المخلصين، وتردد إليهم، فانتفع بهم ظاهرا وباطنا؛ كالشيخ السالك المتمكن الجوال أبي الحسن علي طورة التونسي ثم الفاسي... وغيره ». انتهى.

[223- الشريف مولاي المهدي بن سعيد العلوي]

(ت: 1301)

ومنهم: الشريف الأجل، البركة الصالح الأحفل، الغريق في بحر الحقيقة، السالك من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أمثل طريقة؛ أبو محمد مولاي المهدي بن السعيد العلوي.

كان - رحمه الله - غريقا في بحار الحقيقة المحمدية، غواصا على استخراج دقائق معاني الصفات الأحمدية، مادحا للجناب النبوي بأمداح رفيعة شريفة، مصليا عليه بصلوات رقيقة منيفة، سمعت من لفظه كثيرا منها.

وكان من عادته فيها: أنه يختم كل صلاة بآية مشيرة لما يورده فيها من الأوصاف الجامعة، والكمالات الفائقة والأزهار اليانعة، وله كتاب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم؛ سماه: "نزهة الأرواح النورانية، في الصلاة على الذات المحمدية"، يقول في أول صلاة منه: « اللهم صل على سيدنا محمد مفتاح باب حصن لا إله إلا الله، ومعاني أسرار معية حديث: لي وقت مع الله... ». إلى آخره، وكان يتكلم بالتوحيد الخاص، وينبئ فيها بما يبهر الخواص، مع غلبة الأمية عليه، وعدم مخالطته لمن ينتمي للعلم أو ينتسب إليه.

وله كلام على طريقة أهل الملحون[1] يشير فيه لأمور عالية، ومقامات رفيعة سامية، منه قوله:

الله في الكل موجود	والكل بالله واجد
الله في الكل مشهود	واغْمَ من لا يشاهد

وقوله:

أنا الحبيب وأنا المحبوب	وأنا الكاس وأنا الخمرة
أنا الساقي وأنا المشروب	سكران غائب في الحضرة

[1] الملحون: الشعر المكتوب باللهجة العامية المغربية.

وقوله:

عـلـم الحقـائـق ذُرْكْـت   بشهـود سـر المعانـي
كـأس المحـبّ شـربْـتُ   الحبيـب بيـدِ سُقَـانـي

وقوله:

بَـرّي وبحـري مُحَقَّـق   والكـل مجمـوع فـيَّ
الكَـون منـي تـفـرق   والحـق مشهـود فـي

إلى غير ذلك. وكم من مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرض عليه شيئا من صلواته وهو عليه السلام يضرب على صدره الشريف ويتمايل فرحا وطربا.

لقيته [244] وجالسته وذاكرته وانتفعت به، وسمعت منه أمورا عجيبة تدل على علو مقامه وكبر معرفته بالله عز وجل. وكان كل من جالسه وذاكره في هذا المقام يقضي منه العجب؛ إلا أنه كان له كلام هزلي وأمور تشبه أمور الملامتية يدفع بها عن نفسه.

أخذ عن الولي الصالح المجذوب: مولاي التقي بن عبد الكبير العلوي دفين خارج باب الفتوح، ولازمه مدة يلتمس فيها من بركاته، ويستنشق طيب نفحاته، وكان يذكر أن ما أفيض عليه من الخيرات والبركات إنما هو بسببه وعلى يده، وينتسب له انتساب التلميذ لشيخه، وينسبه لمقام عال في الولاية، وتبرك بغيره من الأولياء، والصلحاء الأتقياء.

ولد - رحمه الله - سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف بالصحراء، ولما ترعرع؛ قدم فاسا مع والده واستوطنها إلى أن توفي بها قرب زوال يوم الاثنين عاشر رمضان المعظم عام واحد وثلاثمائة وألف، بعد أن مرض نحوا من ثمانية عشرة يوما، وعدته في مرضه المذكور مرارا، وبأول مرة دخلت عليه؛ أشار لي بدنو أجله وانتقاله إلى الدار الآخرة من ذلك المرض، وقال لي حين دخلت عليه: « آخر صلاة عملتها في الدنيا هي كذا وكذا وسردها علي - وها هي عند فلان - لرجل من أصحابه - فهي آخر صلاة عملتها في الدنيا . . . ». وجعل يكرر ذلك ويقول: « الوصية حسنة »، وكذا قال لبعض أصحابنا الأخيار لما دخل عليه يعوده: « الفخار إذا عاب، ما يَرْفدُه غير مولاه ».

وبقي - رحمه الله - على عقله يعرف كل من دخل عليه ويميزه ويكلمه، ويتكلم بما يبهر العقول في التوحيد والحقيقة المحمدية؛ إلى أن توفي وصلي عليه من يومه بضريح مولانا إدريس رضي الله عنه، بعد هبوط العصر، ودفن بالروضة المذكورة فوق قبة سيدي محمد بن علي، بينه وبينها نحو الثمانية أذرع، يتصل رأسه بحائط روضة سيد يعلى.

[224- سيدي مَحمد الصنهاجي]

ومنهم: الولي الصالح الأجل، البركة الأمثل، التالي لكتاب الله عز وجل: أبو عبد الله سيدي مَحمد الصنهاجي.

أورده الشيخ التاودي في "فهرسته" فيمن لقي من صلحاء المغرب؛ فقال: « ومنهم: سيدي محمد الصنهاجي، ساكن الطالعة، وبها دفن بدويرة هناك، كانت له حانوت بالطالعة وبيده المصحف الكريم مكبا عليه، بلغني أنه بلغ أمره إلى أن كان يختم ست ختمات في اليوم، كنت ألقاه وأسلم عليه، وعدته في مرضه، فقلت له: بلغني عنك، وأردت أن تسمعني شيئا من قراءتك؛ فقال كان ذلك الأمر وليس هو عندي الآن » . هـ . ولم يذكر له وفاة وضريحه - رحمه الله - بالدرب المقابل لدرب سيدي يعلى؛ بانحراف يسير إلى فوق، يسار الداخل، وهو الآن روضة معدة لدفن الأموات [245] .

[225- سيدي المكتفي]

ومنهم: سيدي المكتفي بدرب مولاي عبد المالك، بسويقة الطالعة، بقعر الدرب بروضة عن يسار الداخل. ولم أقف له على ترجمة.

[226- سيدي اللزاز]

ومنهم: الولي الشهير سيدي اللزاز. (بزاي مشمة بالصاد) . بمسجده المشهور به بسويقة الطالعة بقوس هناك عن يمين المحراب. أورده في التنبيه، وتبعه الشيخ المدرع في منظومته قائلا :

وسيدي اللزاز عند الباب بجامع عن يمنة المحراب

ولم أقف له على ترجمة، والناس اليوم يحلفون عنده من ترتبت لهم عليه يمين، لما اعتادوه من سرعة انتقام الله عز وجل من الحالف عنده كاذبا .

[227- سيدي أحمد الجريري]

ومنهم: الولي الصالح أبو العباس سيدي أحمد الجريري. ويقال له: الجرد . بداخل قصبة الأنوار المجاورة لباب المحروق بالمحل المشهور به منها .

كان قبره مندثرا ثم جدد لهذا العهد، ينسب الناس له بعض الكرامات، وأخبرني رجل مسن من أهل القصبة المذكورة أنه كان مرة جالسا قريبا من قبره، وصبيان يلعبان فوقه؛ إذ رأى نارا ظهرت بين أرجلهما. قال: ثم إنهما ماتا قريبا من ذلك ولم أعثر له - رحمه الله - على ترجمة.

[228- سيدي العربي]

ومنهم: سيدي العربي. بالقصبة التي بجوار جامع أبي الجنود، يدور به حوش بناء، وبوسطه زيتونة عظيمة. ولم أقف له على ترجمة.

[229- سيدي العربي [آخر]]

ومنهم: سيدي العربي أيضا. بالفضاء الكائن وراء ميضأة جامع أبي الجنود وما اتصل بها يدور به حوش بناء، وبإزائه سدرة محررة... ولم أقف له أيضا على ترجمة.

[230- سيدي عزوز ابن مسعود]
(ت: 1136)

ومنهم: الولي الشهير، المجذوب الخطير، السيد الصالح، البدر اللائح، صاحب السر المشهود، والفضل الممدود؛ أبو البركات والإمدادات سيدي عبد العزيز - المدعو: عزوز - ابن مسعود.

قال في "سلوك الطريق الوارية" في خاتمة الكتاب: «كان شابا صغيرا، بهلولا غائبا مقعدا، واللعاب والخنانن[1] سائلا من أنفه وفمه دائما، وكان له خديم يخدمه ويحمله على ظهره لأي موضع شاء، وهو رجل غليظ أسمر طويل، وبعد وفاة السيد كان يجلس بباب روضته، وفي بعض الأحيان تراه قاعدا بباب الشيخ سيدي أبي بكر ابن العربي» اهـ.

وقال في "الروضة المقصودة": «كان - نفعنا الله به - غائبا عن نفسه، وعالم حسه، ذهب منه عقل التصرف، فسقط عنه حكم التكليف، مقعدا لا يستطيع القيام، واللعاب يسيل من فمه على الدوام، لا يخلو عن خديم يخدمه، وهو الذي يؤخره أو يقدمه، يحمله حينا على ظهره، وحينا يحمله على بهيمة له أو لغيره، ويذهب به إلى حيث يريد، من المكان القريب أو البعيد، وإذا سأل [246]

---

[1] المخاط.

خديمه شيئا لأحد؛ يناديه من فوق ظهره بقوله: تكذب؛ إن هذا الشيء عندنا. والخلق يتساقطون عليه من كل فج للتبرك به، والسعيد عندهم من أشار إليه أو قرب منه أو كلمه أو دخل مكانه وكان يدخل لبعض الدور؛ فيبقى موضع جلوسه منها محترما عند أهلها؛ لما يعتقدون فيه ويشاهدون من بركاته، وتحكى عنه كرامات كثيرة، وأخبار بمغيبات خطيرة ». هـ.

وقال الشيخ التاودي في "فهرسته": « لقيته وأنا ابن ست سنين أو نحوها، خرجت من المكتب في جملة من الصبيان، ولوحي يومئذ ما بين "عم" و"سبح"؛ فوجدته جالسا بباب الفرن الذي بسيدي أحمد الشاوي، وأصحابه قيام حوله؛ فدعاني من دون أولائك الصبيان، وأخرج شيئا من فمه وأعطانيه، وما شعرت بإشارته، وانتبهت لبركته إلا بعد سنين عديدة وبعد أن مات وشيد عليه البناء. فعددته أول الأشياخ، وجعلت لا أمر به إلا زرته وأهديت له ما تيسر ».

وأكثر ما يحكى عنه - رضي الله عنه - من الكرامات، باعتبار الكنايات والإشارات، ومما يدل على جلالة أمره، وعلو شأنه وفخره؛ الحكاية التي وقعت له مع الشريف المجذوب سيدي الحفيد العمراني دفين مزارة مولانا إدريس - رضي الله عنه - وقد تقدمت في ترجمته؛ فراجعها.

وهو - رضي الله عنه - سبب فتح الشيخ الصالح سيدي عبد السلام التواتي، دفين الروضة المقابلة لدرب أهل تادلا من هذه الطالعة؛ بسبب أن صاحب الترجمة أكل طعاما عند وفاته وقاءه، ثم أمره بأكله ففعل. فحصل من ساعتئذ على النفع العميم، والكنز العظيم، وكان من أمره ما كان، كما يأتي في ترجمته.

توفي صاحب الترجمة - رضي الله عنه - وهو لازال في سن الشباب سنة ست وثلاثين ومائة وألف، هكذا ذكر وفاته في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الروضة المقصودة". ورأيتها كذلك أيضا مقيدة بخط بعضهم. وذكر في "سلوك الطريق الوارية" أنه توفي سنة إحدى وأربعين ومائة وألف؛ وأورده الشيخ التاودي في فهرسته فيمن لقي من صلحاء المغرب مصدرا به، وقال في آخر ترجمته عقب ما سبق عنه: « مات في حدود الثلاثين »، وذكر صدرها أنه: دفين الطالعة فوق حمام العقال، متصلا بباب الدرب المقابل لبرج القصبة البالية. وقال غيره: « إنه: دفن بطالعة فاس بباب السراجين متصلا بباب الدرب الذاهب إلى الدوح، وبنيت عليه قبة أنيقة، وجعل عليه بها دربوز، وهو الآن مزارة عظيمة ترجى إجابة الدعاء عنده وتلتمس الحاجات من بركته؛ فتقضى إن شاء الله تعالى ». قال في "الروضة المقصودة": « ولا يعرف ما يرجع إليه من أصل أو شيخ ينتسب إليه ». هـ. [247]

[231- سيدي يونس]

ومنهم: الشيخ الشهير سيدي يونس. بجامعه بأقصى درب السراج، الكائن أسفل ضريح سيدي عزوز يمين الهابط، عليه دربوز يزار به، ولم أقف له على ترجمة.

[232- سيدي فرج]

ومنهم: الولي الصالح سيدي فرج، ببيت فوق الزنقة التي فوق مدرسة أبي عنان، يسار الهابط من سيدي عزوز، ولم أقف له على ترجمة، إلا أنه أشار إليه الشيخ المدَرَّع في منظومته في صلحاء فاس. فقال:

وفَرَجٌ بدا بسوق القصر ... منبع كل وارث وسر

[233- سيدي أبو الرجاء]

ومنهم: الشيخ الصالح الشهير، سيدي أبو الرجاء. بمسجده المقابل لباب درب رحيبة قنديل، المسمى الآن بدرب أهل تادلا، عن يمين المحراب قريبا منه بنحو أربعة أذرع، وهو مزدج ممد مع الحائط مجاور، لروضة سيدي عبد السلام التواتي، ولم أقف له على ترجمة، إلا أنه أورده في "التنبيه" وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته بعد ذكر سيدي صافي؛ فقال:

وفوقه في تلكم الأرجاء ... الشامخ القدر أبو الرجاء

ومن خط بعض الفضلاء نقلا عن خط أبي عبد الله الأندرشي تلميذ سيدي رضوان الجنوي ما نصه: « أبو الرجاء، مدفون بمسجد رحيبة قنديل، وقرب منه سيدي يونس بالمسجد ». هـ.

[234- العارف سيدي عبد السلام بن محمد التواتي]
(ت: 1155)

ومنهم: الشيخ الزاهد العابد، السالك السني المتواجد، ذو الأحوال الربانية، والإشارات العرفانية، والمعارف الوهبية، المقطوع بولايته، المتفق على جلالته وخصوصيته، العارف بالله، الدال عليه بظاهره ونجواه؛ أبو محمد سيدي عبد السلام ابن الصالح البركة سيدي الحاج محمد التواتي الجعفري، ثم الفاسي، ينتسب لسيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي.

كان – رحمه الله – في أول أمره، على ما ذكره الشيخ التاودي في فهرسته: غبَّارا. قال فيها: « قلت له يوما: هل كنت تصلي في ذلك الزمان؟. قال: لا ». هـ.

وقال غيره: كان يتعاطى أسباب الدنيا؛ فلم يحصل له مقدار نصاب الزكاة منها أصلا، وكان يبيع الكبريت قرب سوق الغزل من عدوة فاس القرويين، ثم إنه ورد لفاس مولاي التهامي الوازاني؛ فذهب إليه وزاره وتبرك به، ثم جعل يتردد لسيدي عزوز، دفين طالعة فاس، فحصلت له حينئذ الكراهة للدنيا والخوض فيها، وكان في زمان غفلته قد ضيع صلوات كثيرة؛ فتجرد لقضائها حتى قضى صلاة ثلاث عشرة سنة، ثم خرج لبعض الكهوف بجبل زعفران خارج باب الجيسة، وجعل يتعبد فيه، ويقتصر على القوت من الأعشاب، وما يسقط من التين قبل طيبه مما [248] يلتقط من تلك الجهات، ويشرب عليه الماء، مع إدمان الصوم والذكر، يذكر كل يوم سبعين ألفا من الهيللة، ومثلها بالليل، ورأى في ذلك من العجائب ما لا يحصى، وكانت الجمادات تكلمه وتبشره بما حصل له من الفتح العظيم، وتقول له: « هنيئا لك، لم يبلغ هذا المقام أحد إلا أمن من السلب؛ إلا القليل! ».

ثم كشف الحجاب بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فصار لا يشاهد في العالم إلا وجهه الشريف حيث توجه، وبقي كذلك مدة؛ قال: « فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ها أنت وربك ». وحينئذ طلعت عليه شموس المعارف، وأدرك ما لا يكيف من الأسرار واللطائف، ولقي الخضر عليه السلام، وقال له: « أنا الخضر؛ بعثني الله إليك لأخبرك بأن ما تشاء يعطيك الله إياه». وأذن له في الجلوس في القرويين؛ فلازم الجلوس فيها، وكان يجلس إليه أقوام لاستماع معارفه؛ فكان يأتي من ذلك بما يسحر الألباب، ويقضي منه العجب والعجاب.

وكان – رضي الله عنه – من الذاكرين الله كثيرا، لا تراه قط ساكن الشفتين، مستغرقا في مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يظهر ذلك عليه في بعض الأحيان؛ فتارة يهيم، وتارة يمازح بأمور في طيها فوائد، وكان إذا اعتراه الحال احمرت عيناه، وعلا صدره عن جسده حتى تراه يستند في مشيه إلى الجدارات، وينفخ نفخا شديدا، ويعرق جبينه جدا، وترى العرق ينحدر منه كالجوهر. وكان إذا دخل في الصلاة خلف الإمام؛ لا يكاد يطيق ما يلقاه من المشاهدات، فإذا سلم الإمام؛ سلم هو وقام بسرعة، ويخبر عن نفسه بأنه يستريح بالتحرك والمكالمة مع الناس، وكان من لا علم عنده ينكر عليه ذلك.

ومن كلامه: « أجساد الشرفاء أقوى على المشاهدة من أجساد غيرهم »، وكان أيضا يقول: « أولها – يعني: الطريق – فنون، ووسطها جنون، وآخرها قيل يكون وقيل لا يكون! ». ويقول: « من اشتغل بالله عن غيره؛ فهو حي، ومن غاب عن الله في غيره؛ فهو ميت ».

أدرك - رحمه الله - جماعة من الأولياء وتبرك بهم، وأخذ عنهم؛ منهم سيدي عبد الرحمن معاذ؛ دفين خارج باب الجيسة، وسيدي عنتر الخلطي دفين داخل باب الفتوح، وطريقته الأولى عن أبيه عن جده عن سيدي علي بن أحمد اللنجري دفين صرصر، عن سيدي عيسى بن الحسن المصباحي الخلطي دفين الغرب، ثم أخذ - كما سبق - عن مولاي التهامي الوازاني، عن أبيه عن جده، ثم عن سيدي عزوز بن مسعود، وكان يعتمده ويقول: « إن سيدي عزوز أكل طعاما عند وفاته [249] وقاءه، وأمرني بأكله؛ فأكلته، ففتح علي ».

وكان له أصحاب وأتباع، وتلامذة وأشياع، يذكرون عنه أمورا كبيرة، ومقامات خطيرة، وينهون أمره لما أدركه كبار الأولياء، وخاصة الخاصة من الأصفياء، وكان الناس كلهم يتبركون به، ويرجون من الله الفضل بسببه، وكان أكثر دعائه إذا سئل منه الدعاء: « الله يرحمنا بالمرحوم ». وكان يتفجر علما مع كونه أميا لا يعرف الحروف، ووقع لغير واحد من الناس معه مكاشفات، وإخبار بمغيبات.

قال الشيخ التاودي في فهرسته: « وأخبرني بعض من وثقت به أنه: جاءه رجل يوما وهو بصحن القرويين؛ فقال له: يا سيدي، أردت أن أرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، فقال: ائتني بجميع ما تملك. فذهب ثم جاء بعد يوم أو يومين بدراهم، وقال: هذه القرويون؛ وبالله الذي لا إله إلا هو لا أملك شيئا آخر. فعجب منه وجعل يقول له: أنت هبيل أحمق؛ اذهب حتى يرجع لك عقلك. والرجل يبكي ويقول: لا أقيلك. فلم يزل به حتى قال له: اذهب إلى سيدي محمد بن الحسن وارجع. فرجع الرجل وذكر أنه عندما خرج من باب الجيسة إذا بالنبي صلى الله عليه وسلم منحدر من ناحية القلة عن يسار الباب هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؛ فكلمه وقال: أقرئ عبد السلام مني السلام. فلما وصل له قال له: اسكت فوالله ما ذكر له ذلك حتى قال له: والله إن حدثت بهذا أحدا لا تنظر بعينيك. فما حدث به إلا بعد موته ».هـ.

وبالجملة؛ فمقامه كبير عظيم، وشأنه رفيع فخيم، توفي - رحمه الله - في مهل رجب سنة خمس وخمسين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بدار براحا اشتريت له بقصد أن يدفن فيها، وبنى عليه قبة بعض الرؤساء[1] قرب سيدي أبي الرجاء من طالعة فاس واتخذ ضريحه مقبرة للدفن ». قال في "الروضة المقصودة": « دفن برحبة قنديل من طالعة فاس، أسفل من قبة شيخه ولي الله سيدي عزوز بن مسعود بنحو مائتي ذراع، وذلك بالقرب من سيدي أبي الرجاء، وبنيت عليه قبة ».

---

[1] هو: الرئيس الأنوه الشيخ أحمد بن الشيخ موسى العوفي السنوسي الشركي، كما صرح به في "النشر" في بعض نسخه. مؤلف.

وروضته هي المقابلة لدرب أهل تادلا عن يمين الحائط، وهي مشهورة معروفة، وعلى ضريحه بها دربوز يزار به ويتبرك. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"سلوك الطريق الوارية"، و"الروضة المقصودة" . . . وغيرها . وأورده الشيخ التاودي في فهرسته فيمن لقي من صلحاء المغرب.

[235- الإمام سيدي محمد بن المبارك الجابري]
(ت: 1164)

ومنهم: الفقيه الإمام، العالم العلامة الهمام، المدرس البركة النوازلي؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن المبارك الجابري ثم الورديغي. كان – رحمه الله –، يدرس مختصر خليل، وكان يقوم عليه "بالتوضيح" والمواق [250] والحطاب، وابن عرفة، وابن يونس، وغيرهم من كتب المذهب. وكانت عليه سمة الخير، يتعاهد الذكر والتنفل والجلوس بمسجد القرويين، وكان حسن الأخلاق عالي الهمة مؤثرا للمكارم.

أخذ طريق التصوف عن الشيخ سيدي عبد السلام التواتي، والعلم عن ابن رحال، ولازم القراءة على الشيخ أبي عبد الله محمد – المدعو: الكبير – السرغيني، وله طرر على شرح ميارة للامية الزقاق، وأخرى على مختصر خليل، جمعها تلميذه الشريف الفقيه العلامة سيدي التهامي بن أحمد الحمومي الحسني؛ فجاءت – مع ما أضافه إليها – شرحا كاملا على مختصر خليل سماه: "قرة البصر في درر المختصر".

توفي ثاني عشرين[1] من ذي القعدة عام أربعة وستين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بطالعة فاس القرويين بضريح شيخه سيدي عبد السلام التواتي معه تحت دربوزه ») . هـ .

والدربوز اليوم؛ إنما هو على سيدي عبد السلام، وضريح صاحب الترجمة أمامه متصلا به، ليس عليه شيء سوى مقبرية رخام بوسطه. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدر" . . . وغيرهما .

[236- لال الجيلانية]

ومنهم: امرأة متبرك بها تسمى بلال الجيلانية. لسلوكها طريقة الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، بروضة متصلة بروضة سيدي عبد السلام التواتي.

وكان النسوة قبل هذا يجتمعن عندها بالتسابيح، ويذكرن أحزابا وأورادا . ولم أقف لها على ترجمة.

---

[1] كذا في نسختين من "التقاط الدرر"، إحداهما بخط المؤلف. مؤلف.

[237- سيدي عبد الله ابن ناصر]
(ت: 1100)

ومنهم: الشيخ الولي الصالح، الجلي الواضح؛ أبو محمد سيدي عبد الله ابن ناصر.

كان - رحمه الله - رجلا صالحا، وسيدا واضحا، ذا هيئة ولباس حسن، وكان صاحب قبض وجد تابعا للسنة محافظا عليها، وكان صاحب حال يتحرك ويتكلم في بعض الأوقات عندما يعتريه الحالُ بكلام لا يفهم، وكان يوما في سماع؛ فاعتراه حال؛ فرمى بنفسه من موضع عال جدا على أم رأسه، وقام سريعا ما به قلبة، وشاهد ذلك جميع الحاضرين وتعجبوا منه؛ لأن من سقط من مثل ذلك الموضع لا يعيش عادة.

وظهرت له - رضي الله عنه - كرامات كثيرة، ومكاشفات غزيرة، وكان يقول: « من قال: إنه يكاشف أو يرى شيئا؛ فها أنا ذا؛ فليجئني قدامي ». يتحدى بذلك، وكانت امرأة استجارت بداره؛ فأراد رجل أن يخرجها منها؛ فمد يده إليها ثم تركها، فضربت يد الرجل بالسيف، ومرضت رجله التي أدخلها داخل الباب.

وكان يوما جالسا بحانوت رجل يقال له: السبع. فتركه رب الحانوت جالسا بها، وذهب خفية يتبع امرأة؛ فلما خلا بها وأراد بها ما يريد الرجل من المرأة؛ لم يجد من نفسه شهوة ولا إنعاظا، فرجع؛ فلما أشرف عليه؛ كاشفه بفعله وبما [251] وقع له فيه، وقال له: « تركتني نحفظ لك الحانوت، وصيرتني قوادا ؟! ». يعاتبه بذلك، ثم قال له: « تب إلى الله والله لولا كذا لبقيت كذلك ». يعني: لا يحصل له إنعاظ أبدا. فتاب إلى الله في الحين، ولزم صحبته.

أخذ - رحمه الله - عن الشيخ سيدي أحمد الشاوي؛ دفين الجرف، وانتفع به انتفاعا لا يجهل، ومناقبه كثيرة، وأوصافه غزيرة.

ترجمه في "الروض" ولم يذكر له وفاة، وأورده في "النشر" في خاتمة الجزء الأول، في ذكر تراجم من لم يقف له على وفاة، وهو من أهل القرن الحادي[1]، وضريحه بدرب أهل تادلة بروضة صغيرة بأوله عن يمين الداخل، وكان عليه بها دربوز متميز به؛ لكنه انكسر.

---

[1] أي: بعد الألف.

[238- سيدي يونس]

ومنهم: الولي الصالح المتبرك به: سيدي يونس. بمسجد بأقصى الدرب المذكور، يسار الداخل إليه، وهو عن يمين داخل المسجد، متصل بالحائط، عليه دربوز. ولم أقف له على ترجمة. إلا أنه أورده في "التنبيه"، وتبعه الشيخ المدرع في منظومته.

[239- سيدي الحاج الصهيبي]

وبدار فوق هذا المسجد ببيت منها مجاور له: رجل آخر يقال له: سيدي الحاج الصهيبي، عليه دربوز يزار، ولم أقف له أيضا على ترجمة.

[240- سيدي قَجَّاج]

ومنهم: الولي الصالح، النور اللائح؛ سيدي قَجَّاج. بفتح القاف، وتشديد الجيم، بالدرب الكائن أسفل الفرن الذي تحت درب أهل تادلة، بمسجد به عن يسار المحراب، عليه دربوز صغير يزار به. أورده في "التنبيه"، وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال:

وسيدي قجاج عند دربه   بمسجد ضريحه يدعى به

ولم أقف له على ترجمة.

[241- سيدي محمد بن موسى السريفي]
(ت: 1022)

نعم؛ ترجم في "المرآة" و"الممتع" وغيرهما؛ للشيخ الولي، ذي الغيبة في الحق مع حفظ الأوقات؛ أبي عبد الله محمد بن موسى السريفي، المعروف بالقجاج. ممن أخذ عن أبي الشتاء دفين فشتالة، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد الصباغ القصري، وعن أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، وأقام مرة عنده بفاس مدة، وكان - كما في "المرآة" - من أهل البله في أمور الدنيا، والفطنة في أمور الآخرة، حاله كحال الساهي كأنه في عالم آخر، فإذا نبه انتبه، وكانت وفاته - على المعتمد - سنة اثنين وعشرين وألف.

[242- الشريف سيدي العربي الصَّرصَري]

ومنهم: السيد الصالح البركة؛ أبو حامد سيدي العربي الشريف الحسني الصَّرصَري؛ من ذرية الشيخ الإمام العارف بالله أبي الحسن علي بن أحمد اللنجَري الصرصري، نزيل مدشر المغاصي من جبل صرصر من قبيل مصمودة كتامة، من بلاد الهبط. وبه دفن.

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - رجلا صالحا سُنيا، أخذ عن القطب مولاي التهامي [252] الوازاني، ولزم خدمته، واستأذنه في السكنى بفاس، فأذن له؛ فاشترى دارا بدرب الحرة من طالعة فاس، واستقر بها، وشكا إلى مولاي الطيب كثرة العيال والفاقة؛ فأمر مقدمه على قبيلة حجاوة أن يعطيه الهدية التي يجمعها إليه عند قصدهم زيارته في كل سنة، كما هي العادة عندهم؛ فكان يفعل ذلك، وكانت القبيلة المذكورة تحرث له النوائز، واستمر فعلهم معه على ذلك إلى أن توفي بفاس.

ولما مرض وضعف؛ أرسل إلى مولاي الطيب بوازان يعلمه بخبر ضعفه، وطلب منه أن يكتب إلى أهل فاس يتركونه يدفن بداره؛ لكونه طلب هو منهم ذلك؛ فامتنعوا، فأرسل مولاي الطيب إليهم بالكلام؛ فقبلوا. ولما توفي دفن بها. قال الشيخ أبو محمد سيدي عبد السلام بن الخياط القادري في تأليف له في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوازاني: «وقد زرته بها مرارا بعد بيع ورثته لها لغيرهم». قلت: وهي بالدرب الكائن فوق ضريح سيدي مَحمد ابن إبراهيم الخياطي، بالزنقة الكائنة به، يسار الخارج منه لدرب الحرة تقابل الداخل، وقد صار محل ضريحه منها خارجا عنها، ودفن معه فيه بعض الأموات... وهو مزار متبرك به إلى الآن.

[243- العلامة سيدي علي بن محمد ابن جلون]
(ت: 1292)

ومنهم: الفقيه الإمام، العالم الهمام، الصوفي الأنور، البركة الأخْيَر؛ أبو الحسن سيدي علي - المدعو: علالا - ابن محمد بن أحمد ابن جلون الكومي لقبا، الفاسي دارا.

قرأ - رحمه الله - على عدة من الشيوخ؛ كالشيخ سيدي الطيب ابن كيران، وسيدي حمدون ابن الحاج، وأبي عبد الله الزروالي، وأبي عبد الله ابن منصور، وأبي عبد الله اليازغي، وأبي العلاء العراقي الحسيني، وأبي محمد الأزمي، وسيدي العربي الزرهوني، وأبي عبد الله سيدي مَحمد بن أحمد بناني تلميذ أبي عبد الله جسوس؛ المتوفى بالقيروان بعد قفوله من الحج، ودفن مع سيدي ابن زَمْعَة البلوي - الصحابي في قبره.

وأخذ الطريقة الشاذلية عن مولاي العربي الدرقاوي، والطريقة التجانية عن إمامها سيدي أحمد التجاني، والطريقة الناصرية عن بعض من له الإذن فيها في الوقت. وتبرك بسيدي محمد الرهوني، واستفاد من غير واحد من الأخيار خواص وأدعية وأذكارا.

وله تقاييد على الأبي، وأخرى على "مصابيح السنة" للبغوي، وأخرى على ابن سلمون، وأخرى على "الكشاف" لم يكمل، وأخرى متفرقة في أوراق، وكان له فهم ثاقب، ورأي صائب، وتهجد وتلاوة وذكر، سريع الدمعة، خافض الجناح، حافظ اللسان من الغيبة وسائر العثرات، خامل الذكر.

قال عنه ولده شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد المدني ابن جلون: « ما حفظت عنه أنه اغتاب أحدا، أو أخرج [253] صلاة عن وقتها، أو مدح الدنيا ».

وكان - رحمه الله - قد ولي مرة خطة الحسبة بفاس، فقام بها أحسن قيام، وأجمل الناس الثناء عليه.

توفي صبيحة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف ودفن بروضة مجاورة لزاوية سيدي محمد بن إبراهيم الخياطي، التي بدرب الحرة من هذه الطالعة، تفصل بينهما الزنقة المسماة بدرب أهل تادلة.

[244- الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم الخياط]
(ت: 1140)

ومنهم: الشيخ الفقيه، السني النزيه، الولي الكبير، البعيد الصيت الشهير، التابع للطريقة، ومنهاج الحقيقة؛ أبو عبد الله سيدي محمد (فتحا) ابن الفقيه سيدي إبراهيم ابن الفقيه سيدي عبد العزيز ابن الشيخ أبي الحسن سيدي علي الخياط، دفين داره بالمنية من حومة قنطرة أبي الرؤوس ابن الفقيه العلامة المدرس، وارث والده وخليفته بالزاوية من بعده؛ أبي إسحاق سيدي إبراهيم ابن القطب الرباني أبي محمد سيدي عبد الله الخياط الشريف الحسيني الرفاعي.

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - في بداية أمره يقرأ القرآن حتى جوده بحرف نافع، ثم اشتغل بقراءة العلم، وكان غزير الفهم، رسي العقل، حافظا لا يجارى، كلما وقع بصره على شيء حفظه مشتغلا بما يعنيه، لا يجالس أصحاب اللهو ولا يرافقهم، ثم اشتغل بعد ذلك بعلم التصوف، والحديث، فأولع بهما حتى إن من رآه ظن أنه لا يعرف غيرهما.

وكان – رضي الله عنه – يحب الخلوة من صغره، ولا تجده فيها إلا قارئا أو مصليا أو ذاكرا، بقي كذلك سنين عديدة، وهو إذ ذاك بدار والده بدرب الحرة من هذه الطالعة. ثم إنه ذهب لزيارة الشيخ أبي عبد الله سيدي مَحمد بن ناصر الدرعي – دفينها – مع الفقراء، وكان من عادتهم: الذهاب لزيارته في كل عام بالأركاب الكثيرة، ولما دخل عليه قال له: ((مرحبا بحبيبنا))، وأجلسه بين يديه، ولقنه الذكر، وكان – فيما قيل – لا يفارقه مدة إقامته عنده، ولما أراد الرجوع من عنده؛ أوصى به أصحابه خيرا، وقال لهم : ((الله الله في ولدي الخياط، استوصوا به خيرا إلى أن ترجعوا إلى دياركم، وهو خليفتنا بالزاوية، ومن تعذر عليه الوصول إلينا من الفقراء؛ فليذهب إليه فمن رآه؛ فكأنما رآني))، ثم أمره بالدنو منه؛ فدنا فساره في أذنه ساعة، ثم دعا له بخير وودعه؛ فأدرك السر من حينه.

ولما وصل فاسا؛ أقبل على عبادة الله تعالى، وتلاوة القرآن، وكان صواما بالنهار، قواما بالليل، لا تجده إلا تاليا أو ذاكرا، أو مصليا.

وكانت له قريحة قوية في إقامة الدين، فطار صيته في البلدان، وجاءت إليه البرابر والعربان، وكثر [254] الازدحام على بابه؛ فلم يشغله ذلك عن ربه، ولا صده عن جنابه، وبقي على ذلك مدة.

ثم رجع لزيارة شيخه المذكور مرة ثانية، ومعه عدد كثير من الفقراء، فلما كان قرب تادلة؛ لقي جماعة من الفقراء كانوا عند الشيخ بدرعة بقصد الزيارة، وكان الشيخ بعث معهم عكازا؛ وقال لهم: ((إن لقيتم سيدي مَحمد الخياط في أثناء الطريق؛ فأعطوه هذه الأمانة، وقولوا له يرجع إلى مدينة فاس لقضاء حوائج الخلق فإنك تركتهم يتامى مهملين، وذلك آكد من القدوم إلينا)).

فلما سمع صاحب الترجمة كلامهم؛ أخذ العكاز من أيديهم، وامتثل ورجع لمدينة فاس، ثم اشتغل ببناء زاوية شيخه المذكور الكائنة بحومة السياج، حتى كملت بالبناء والزليج، وإجراء الماء، وكان ينفق عليها من ماله الخاص به، مع إعانة بعض الفقراء له، وكانت الخلائق تتوارد عليه في كل يوم أفواجا أفواجا، ولا يشغله ذلك عن عبادة ربه، ولا عما يفعله في كل يوم من ورده، وكان يذهب إلى الزاوية المذكورة في كل يوم جمعة، مع جمع من الفقراء في وقت الصباح، فيخرجون ورد الشيخ ابن ناصر، ويقرؤون سلكة من القرآن مع بعض الأدعية على عادة الفقراء وكثر الازدحام في الزاوية المذكورة، وعظم نفع الخلائق على يديه.

وممن أخذ عنه وانتفع به: أبو العباس سيدي أحمد الخطاب من حفدة الشيخ القطب سيدي عمر الخطاب دفين جبل زرهون، وظهرت له – رضي الله عنه – كرامات لا تحصى، ومآثر كثيرة لا تستقصى، وقد ذكر جملة منها – مع بعض ما يتعلق بأخباره – صاحب "جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط" . . . فراجعه.

توفي يوم الأربعاء أواخر ربيع الأول عام أربعين ومائة وألف، ودفن بزاويته المشهورة به، بدرب الحرة من طالعة فاس، وضريحه بها يمين محرابها، عليه دربوز، وهو مشهور متبرك به إلى الآن.

ترجمه مؤلف "جواهر السماط" المذكور، ومنه لخصت هذا الذي ذكرته هنا، وأشار أيضا لشيء من ترجمته في "نشر المثاني" في خاتمة الجزء الثاني، إلا أنه حاد فيه عن المرام، وسلك سبيل التعسف والملام. . . والله أعلم.

[245، 246- سيدي عبد القادر وسيدي محمد ابنا سيدي محمد ابن إبراهيم]

(ت: أواخر القرن الثاني عشر)

ومنهم: ولداه الأوحدان، والسيدان الفاضلان الأمجدان؛ البدر الزاهر، أبو محمد سيدي عبد القادر، والسري الأرشد؛ أبو عبد الله سيدي محمد، توفي الأول منهما ودفن قريبا من والده عند رأسه، وجعل عليه دربوز صغير، والثاني: ودفن بمقابلة من أخيه قريبا منه، وجعل عليه دربوز صغير أيضا، ولم أقف لهما على ترجمة ولا على وفاة، إلا أنهما – فيما يغلب على الظن– [255] [توفيا] في أواخر القرن الثاني بعد الألف.

[247- سيدي حمدون بن عبد الرحمن الملاحفي]

(ت: 1072)

ومنهم: السيد الصالح، الخير الناصح، الشيخ المجذوب، المقرب المحبوب؛ أبو العباس سيدي أحمد – المدعو: حمدون – بن عبد الرحمن الملاحفي؛ نسبة إلى عمل: الملاحف، كان سلفه يعملونها؛ فنسبوا إلى عملها. وهم ينتسبون لبني كنانة.

أخذ – رحمه الله – عن سيدي مسعود الشراط دفين خارج باب الجيسة، وكان ذا حال وديانة، له ذكر يواظب عليه، ويقوم من الليل ما تيسر، وكان يعمل الحضرة – أي: السماع – بالرقص والتصفيق، وله زاوية بدرب الحرة المذكور، عن يمين الخارج منه، تقابل الآن زاوية سيدي محمد بن علي الوازاني، وأصحاب وأتباع يجتمعون عليه بها، ويواظبون على قراءة الأحزاب، وما تيسر من الأوراد، صباحا ومساء.

وتذكر له - رضي الله عنه - كرامات ومكاشفات؛ أورد بعضها في "الروض" في ترجمة سيدي مسعود الشراط، وكان - رحمه الله - ملامتيا، يستعمل الحناء في يده كالنساء، وكانت له وفرة طويلة، وهو أحد أشياخ الفقير المرابط، أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن عَيشون الشَراط، الذي ينسب له "الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس".

وكانت وفاته عند عصر يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وألف عن نحو سبعين سنة، ودفن بزاويته المذكورة، وقبره بها مشهور عليه دربوز. ترجمه في "الروض" و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر".

[248- القاضي سيدي محمد بن عبد الواحد السجلماسي الدوَيري] (ت: 1302)

ومنهم: الفقيه العلامة، المدرس الفهامة، القاضي بحضرة مراكش؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الواحد السجلماسي الدويري.

كان - رحمه الله - فقيها عالما، مشاركا مفتيا نوازليا، أخذ عن شيخ الجماعة أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي، وعن القاضي مولاي عبد الهادي بن عبد الله العلوي، وغيرهما. وولي القضاء بحضرة مراكش مدة، ثم أعفي منه، ورجع إلى فاس؛ فتوفي بها في ثامن ربيع الأول سنة اثنين وثلاثمائة وألف، ودفن بزاوية سيدي الملاحفي المذكور بأقصاها أمام الداخل.

[249- الشريف سيدي محمد بن علي الوازاني]

ومنهم: السيد الشريف، ذو القدر المنيف، الوجيه النبيه، الشهير الذكر النزيه، الولي الصالح، البركة الفالح، أبو عبد الله سيدي محمد بن المسن البركة، الولي الصالح؛ أبي الحسن سيدي علي بن القطب مولاي التهامي بن القطب مولاي محمد بن القطب مولاي عبد الله الشريف الحسني اليملاحي الوازاني.

أخذ - رحمه الله - عن والده مولاي علي، وعن عم والده القطب مولاي الطيب الوازاني، ولقنه الأوراد، والجلالة، وتبرك [256] بالولي الصالح المجذوب سيدي عبد السلام الركال، ولما توفي سيدي عبد السلام المذكور حمله إلى داره بالجوطية من عدوة فاس القرويين وغسله وكفنه بها، وكانت داره مرتعا للوفود من الشرفاء الواردين من وازان، وأصحاب عم والده مولاي الطيب الواردين على فاس ينزلون عنده، ويقوم بهم، وكان يحب الفقراء ويجالسهم ويطعمهم الطعام، شهير الذكر وجيها عند الناس، منسوبا إلى الخير والبركة، أورده في "نشر المثاني" في ترجمة والده مولاي علي وأثنى عليه،

وذكر أنه أكبر سنا من أخيه سيدي أحمد بن علي – يعني: دفين الشرشور – وأنه لازال في قيد الحياة، وحلاه في "الإشراف" بالولي الصالح، وذكر أنه دفين زاوية درب الحرة، وضريحه – رحمه الله – بها مشهور، وهو عن يمين محرابها عليه دربوز، ولم أقف على تاريخ وفاته.

[250– سيدي علال بن محمد الوازاني]
(ت: 1314)

ومنهم: السيد الصامت، الذاكر القانت، البركة الصالح، النور اللائح؛ أبو الحسن سيدي علي – المدعو: علالا – بن محمد بن عبد الله بن الشيخ سيدي محمد بن علي – المذكور – الوازاني.

كان – رحمه الله – من أهل الذكر والنّسك والعبادة، طويل الصمت، لا تكاد تراه يتكلم، وإذا تكلم لا تكاد تسمع صوته، وكانت له معرفة بشيء من علم الأسماء، ويؤم بمسجد حومة النواعريين، وكان هينا لينا خاملا متواضعا، يغلب عليه الفرار من مخالطة الناس والانفراد عنهم.

وحدث عنه بعض من خالطه بأمور تدل على خصوصيته؛ منها: قال: « كنت في زمن الشباب، وكان يغلب علي ما يغلب على الناس من الشهوة، وكنت أريد أن أفعل شيئا مما لا يحل؛ فأجد صورته حائلة بيني وبين ذلك ».

توفي – رحمه الله – ليلة السبت ثامن عشر شهر رمضان المعظم، عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بالضريح الإدريسي، ودفن بالزاوية المذكورة بالمباح المتصل بقبتها، بركنه الذي عن يسار الداخل إليها، وحضر جنازته جم غفير من الناس، وتزاحمت العامة على نعشه، وكسرت أعواده تبركا.

[251– المجذوب الشريف مولاي الرضي بن أحمد الوازاني]
(ت: 1304)

ومنهم: الشريف المجذوب الهائم، الغائب غيبة اتصال في حضرة القيوم الدائم؛ مولاي الرضى بن أحمد بن الشيخ سيدي محمد بن علي أيضا.

كان – رحمه الله – صالحا مجذوبا، هائما مولها محبوبا، يمشي في الأزقة والأسواق وهو يتكلم بكلام أكثره لا يفهمه حتى الحذاق، وتعتريه في بعض الأوقات أحوال، فتصدر منه عندها من الأمور الخارقة للعادة أفعال، حتى توفي – رحمه الله – يوم الاثنين ثامن رجب سنة أربع [257] وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية المذكورة؛ بالفناء الكائن عن يسار الداخل إليها، قريبا من ركنه الأيمن، وجعل على قبره مقبرية صغيرة من الرخام.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة الصياغ والدوح والجرف والعيون
وما هو منضاف إليها

[252- الشيخ المربي الشريف سيدي عبد الواحد بن علال الدباغ]
(ت: 1271)

منهم: الولي الكبير، الصوفي الشهير، المربي النفاع، الكثير التلامذة والأتباع؛ أبو مالك وأبو المواهب سيدي عبد الواحد بن علال بن إدريس الشريف الحسني الإدريسي؛ الشهير بالدباغ.

كان – رحمه الله – جبلا راسخا، وطودا شامخا، عارفا مربيا كاملا، وفاضلا محققا واصلا، دالا على الله بسائر أقواله، مشيرا إلى التعلق به في جميع أحواله، وكان لا يتكلف تحسين العبارة، ولا يحاول تزيين اللفظ عند المذاكرة، بل يتكلم بحسب ما سمح له به الوقت، وربما اكتفى بالتلويح عن التصريح، ويقول كثيرا: « كلامنا في الطريق كله إشارة، وإذا صار عبارة؛ خفي! ». وكان يقول الحق عند المذاكرة، ولا يخشى من أحد. أشد الناس كراهية للكذب؛ لا يغضب لشيء من الكبائر كغضبه عنده، تاركا للجدال والمراء، متكلما مع الفقراء والزائرين له كلام الناصح المشفق، ويكثر من ذكر حديث: « الدين النصيحة »، ويقول: « الفقير إما ذاكر، أو مذكر، أو متفكر؛ وإلا فهو غافل، ولا يتكلم مع الفقراء إلا في المباح شرعا، وأما غيره من واجب ومندوب وحرام ومكروه؛ فقد تكفل الشرع ببيانه، فعلا وتركا، ولا محيد للفقير عن امتثال أمر ربه فيه ».

وكان لا يدعو أحدا بفلان، ولا بـ: السي فلان. بل بسيد الكل، ويكره دعاء الناس لبعضهم بـ: السي فلان. دون ذكر الدال، ويقول: « إن ذلك من رعونات النفس، وتكبرها، وتجبرها! ».

وكان في أفعاله من أهل الصدق مع الله، لا يتصنع لمخلوق، ولا يقف مع عبادة خاصة، ولا يتقيد بمسجد مخصوص، ولا بمكان مخصوص، ولا بلباس ولا بطعام مخصوص، بل يعمل بحسب ما سمح له به الوقت، ولا يداوم إلا على الفرائض وما تأكد من السنن والمندوبات والرغائب، ويحض أصحابه على مداومة الوضوء والاستعداد للصلاة قبل دخولها، ويتعجب من جلوس الفقير بلا وضوء من غير ضرورة.

وكان يتعاطى الأسباب الشرعية ما أمكنه بنية صالحة، من غير حرص ولا طمع في مخلوق، ويرى الأسباب مع سكون القلب، وثقته بالله أفضل من تركها مع تشويش القلب وتشوفه [258] إلى الخلق، ولا يسأل إلا لضرورة كبيرة، ولا يزيد عند السؤال فوق الحاجة، ويؤثر على نفسه وإن كان محتاجا،

ويتصدق بالكثير ولا يبالي، ولا يقول بالادخار، ويعيب على من يقول به، وكان قانعا باليسير من الدنيا مكتفيا بأقل القليل منها، رفيع الهمة عن أبنائها، متواضعا هينا لينا رفيقا، رحيما حليما، يعفو عمن ظلمه، ويتجاوز عمن شتمه، دائم البشر وطلاقة الوجه، لا يعبس في وجه أحد ولا يعنفه، دائم الصمت والجولان والاعتبار، ولا يتكلم إلا بذكر أو مذاكرة، ويتودد إلى الناس ويحبهم، ويوافق أصحابه ويتألفهم، ويؤثر محبتهم على محبة غيرهم.

ولد - رحمه الله - في حدود التسعين ومائة وألف، وأخذ - أولا - عن الشيخ سيدي محمد ابن بكار؛ تلميذ أخيه أبي العلاء مولانا إدريس، وبعد وفاته عن سيدي عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي تلميذ أخيه المذكور أيضا، وبعد وفاته عن سيدي مَحمد ابن إبراهيم تلميذ العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي وخليفته على فقرائه بفاس، ولم يزل في صحبته وخدمته إلى أن قدم لفاس مولاي العربي من بني زروال؛ فجدد عليه الورد وسلب له الإرادة، وتولى هو تربيته حينئذ إلى أن كمل أمره، وفاض بحره، وانتصب لتربية المريدين؛ فكانت له تلامذة وأتباع، وأصحاب وأشياع، ظهرت عليهم بركته، وشملتهم عنايته ونفحته، وذكر بعض أصحابه في تآليف له أنه: أدرك القطبانية، وأن حلوله فيها كان في شعبان من عام تسعة وستين ومائتين وألف.

وتوفي - رحمه الله - طلوع فجر يوم السبت، أو بعده بقليل؛ ثامن أو سابع عشر ربيع النبوي سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، وحضر جنازته جم غفير، ودفن أولا بالرميلة بضريح شيخ شيخه العارف بالله سيدي علي الجمل، بيسار الداخل لقبته من ناحية الصحن، في القوس الذي بني عليه هناك، ثم بعد ذلك يوم الأحد بُعَيد الفجر سابع عشر ذي القعدة عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف، نقل إلى محل جعل له زاوية بالسياج قريبا من سويقة ابن صافي، وجعل عليه به دربوز وهو مشهور مزار متبرك به.

وقد ألف فيه وفي شيخه المذكور بعض تلامذته تأليفا في مجلد صغير؛ سماه "النور القوي في ذكر شيخنا مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي الدرقوي". فلينظر.

[253- العلامة اللغوي سيدي أحمد بن محمد المرنيسي]
(ت: 1277)

ومنهم: شيخ بعض شيوخنا؛ الفقيه الصالح، الخل الناصح، ذو الأخلاق الكريمة الحسان، ومبدي البشاشة لأهل الإيمان، العلامة الناسك، النفاعة السالك؛ أبو العباس سيدي أحمد بن مَحمد (فتحا) ابن علي المرنيسي الفاسي.

كان – رحمه الله – مشاركا في عدة فنون، قائما منها بالمفروض والمسنون، ولكن غلب عليه علم العربية، حتى صار [259] المشار إليه فيه في الأقطار المغربية، كانت "الخلاصة " بجميع شروحها وحواشيها نصب عينيه، بحيث يقرئها من غير مطالعة، ولا توقف ولا مراجعة، وله حاشية على المكودي وقفت على شيء من أولها، وكانت فيه دعابة، يمزح مع الطلبة في مجلس درسه كثيرا، ويلقي عليهم ما ينيلهم سرورا وحبورا كبيرا، ويورد نوادر غريبة، وحكايات عجيبة، ومستملحات تسلي المحزون، ولطائف تزري بالدر المكنون، وكانت لأقواله حلاوة، وعليها طلاوة، وعليه أثر الخير لائح، ونور السر في جبينه واضح.

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ سيدي أحمد بن التاودي ابن سودة، والشيخ سيدي الطيب ابن كيران، والشيخ سيدي حمدون ابن الحاج، والشيخ سيدي محمد بن عمرو الزروالي الفاسي... وغيرهم ممن هو في طبقتهم. وتخرج به هو وانتفع جماعة كثيرة من الأعيان.

وكان – رحمه الله – يؤم الناس بمسجد الأبارين من حومة حارة قيس، وبه توفي فجأة، بعد صلاة عصر يوم الجمعة ثالث عشر صفر الخير سنة سبع وسبعين ومائتين وألف، ودفن من الغد بزاوية مولاي عبد الواحد الدباغ المذكورة، بإزائه متصلا به.

[254– الشيخ المربي سيدي أحمد البدوي بن أحمد زويتن]
(ت: 1275)

ومنهم: الشيخ الكبير، الولي الشهير، اللائح الأنوار، الواضح الأسرار، القدوة الهمام، البركة الإمام، الناصح النفاع، الوافر الأتباع، العارف بالله، الدال بحاله ومقاله على الله: أبو العباس سيدي أحمد البدوي بن الحاج أحمد الشهير بزويتن، الدرقاوي طريقة.

نشأ – رحمه الله – في عفاف وديانة، وكانت له حانوت بسوق العطارين، ثم إنه تركها، وانقطع إلى الله تعالى، واشتغل بتعلم العلم، فكان يحضر مجلس الشيخ سيدي الطيب ابن كيران، وسيدي حمدون ابن الحاج، وسيدي عبد السلام الأزمي... وغيرهم.

وقرأ علم التجويد على الشيخ الأستاذ مولاي إدريس بن عبد الله الملقب بالبكراوي، ولم يطل اشتغاله بعلم الظاهر، ولم يحصل له منه سوى القدر المحتاج إليه، وكان عاملا بعلمه، تابعا للسنة وإماما وموقتا بمسجد الشرابليين، ثم إنه صار يطلب من يأخذ بيده إلى الله تعالى، وحصل له ولوع بكتب القوم، إلى أن لقي الشيخ الأكبر، والقطب الأشهر، مولاي العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي الحسني – نزيل القبيلة الزروالية – وذلك سنة خمس عشرة ومائتين وألف، أو قبلها بيسير، فانتفع به انتفاعا

عظيما وتربى به وتهذب، وتخلق وتأدب، وكان من كبار أصحابه وخواصهم، وذوي الأحوال العجيبة منهم، متقشفا زاهدا، ورعا متواضعا، صابرا حليما، محتملا صادقا، مخلصا [260] عارفا معرفا، سالكا مسلكا؛ يربي المريدين، ويرشد المرادين، ويترقى في مقامات اليقين، ويؤم أولياء الله المتقين، وقد ظهرت له رضي الله عنه كرامات، وخوارق عادات.

وله زاوية وأتباع، وأصحاب وأشياع، ظهرت عليهم بركته، وشملتهم عطفته، وزاويته المشار إليها: هي التي برأس عقبة حومة جرنيز، قرب داره، وكان - رضي الله عنه - يجلس بها، ويجتمع عليه أصحابه فيها، وكانوا على أكمل حالة في القيام بأمور الدين، والتخلق بأخلاق المهتدين، معمرين أوقاتهم بالذكر والأذكار، والصلوات والقيام بالأسحار، سالكين سبيل الجد والاجتهاد، والقيام بوظيفة الأحزاب والأوراد.

وسبب تلقيبه بالبدوي: أن والده المذكور ذهب للحج؛ فلما بلغ مصر ذهب لزيارة سيدي أحمد البدوي في يوم من الأيام، وكان يوم موسمه، فحلف لا باع ولا اشترى في ذلك اليوم، وإنما يتفرغ للزيارة؛ فسأل الله تعالى عند قبره أن يرزقه ولدا صالحا، وقال: « إن أعطانيه الله تعالى؛ لأسمينه باسم هذا الولي تبركا، ورجاء أن يكون مثله »؛ فاستجاب الله دعاءه، فإنه بعد ما رجع من الحج ازداد عنده صاحب الترجمة؛ فسماه بالاسم المذكور، وظهر عليه بعد ذلك فضل هذه التسمية وبركتها.

وقد كان شيخه مولاي العربي الدرقاوي يشهد له بالصديقية، وذكر بعضهم أنه لم يخلف مثله في مقامه وحاله، وأنه هو وارث سره وخليفته من بعده.

وذكر تلميذ صاحب الترجمة الشريف الفقيه، المرشد النبيه، الشهير الذكر في الآفاق، الواقع على جلالته وولايته الإطباق، العارف بالله، الدال بحاله ومقاله على الله؛ أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن محمد الهاشمي المدغري الحسني؛ المتوفى في أواخر شهر جمادى الأخيرة من عام تسعة وثلاثمائة وألف، في تأليفه له ضمنه التعريف بشيخه المذكور، صاحب الترجمة، وذكر فيه أحواله، وبعض مناقبه ومعارفه؛ أنه - رضي الله عنه - أدرك درجة القطبانية الغوثية؛ قال: « ومن رأى رسائله وتآليفه في أنواع العلوم؛ خصوصا علم الحقائق؛ لا يمتري في أنه قطب زمانه؛ لأن الأوصاف التي ذكر أهل الطريق للقطب، والعلوم التي ذكروا أنه مختص بها كلها موجودة في الشيخ رضي الله عنه». هـ.

وقد وقفت على رسائله الكبرى في سفر كبير ضخم: وهي المسماة بكتاب "المناجاة الفردية الإلهية في تبيين معالم عزائم الطريقة المحمدية، وكشف أستار الحقيقة الأحدية، تبيينا واضحا لمن هو مخلص في النية، مجد في [261] صفاء الطوية"، وهي من أحسن الرسائل وأنفسها. وله أيضا رسائل صغرى.

توفي – رحمه الله – ليلة الأحد قرب الفجر بيسير؛ ثالث وعشري ذي الحجة الحرام عام خمسة وسبعين ومائتين وألف. ودفن بزاويته المحدثة بحومة السياج، تقابل زاوية سيدي عبد الواحد الدباغ، وضريحه بها بالفناء الذي عن يمين الداخل، عليه مقبرية من الخشب، وهو مزار متبرك به.

[255– العلامة الشريف سيدي الحاج الداودي التلمساني]
(ت: 1271)

ومنهم: شيخ بعض شيوخنا؛ الشيخ الفقيه، العلامة المشارك النبيه، الدراكة المتقن، النحوي اللغوي البياني الأصولي المتفنن، الشريف الصالح، البركة الناصح؛ أبو محمد سيدي الحاج الداودي التلمساني، قدم على فاس من حضرة تلمسان، فارا بدينه من جملة من فر منها حين استولى عليها عدو الله الكافر، وأقرأ بها علوما جمة، وانتفع على يده فيها خلائق.

أخذ عن عدة أشياخ ببلده تلمسان، وكانت له قبل استيطانه بفاس رحلة إليها وقراءة بها على أشياخها، ثم إلى مصر، وأخذ بها عن جماعة، وحج واعتمر، وولي القضاء بتلمسان، وكان متفننا في علوم شتى؛ من فقه، وحديث، ونحو، ومنطق، وبيان، وعروض... وغير ذلك. وألف تآليف عديدة؛ منها: "شرح همزية البوصيري"، و"شرح البردة"، و"حاشية على السعد"، و"شرح على البخاري" لم يكمل... إلى غير ذلك.

وكان له إذن في الطريقة الناصرية وخدمة لها أخذها عن بعض مشايخها، وكان من أهل الخير والدين والصلاح، وممن ظهرت عليهم آثار الفلاح.

توفي – رحمه الله – ليلة السبت رابع عشر محرم الحرام فاتح عام واحد وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية الناصرية من هذه الحومة، بالمباح المتصل بقبتها، بركنه الذي عن يمين الداخل، بالقبر الثاني من القبور التي به متصلة بحائط القبة، وذلك بأمر مولوي، وحضر جنازته جم غفير من الناس، وكسرت العامة أعواد نعشه، وقطعوا الحصيرة التي كان عليها تبركا.

[256– العالم الواعظ سيدي محمد مسواك بن محمد التازي]
(ت: 1283)

ومنهم: شيخ بعض شيوخنا أيضا؛ الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، الفصيح البليغ الأمثل، الواعظ المحدث الأحفل؛ أبو عبد الله سيدي محمد مسواك – به دعي – ابن محمد التازي الفاسي.

كان – رحمه الله – فقيها نحويا، عالما مدرسا واعظا، يعظ الناس بكرسي بالقرويين وآخر بجامع الرصيف، وكان له صوت جهير، وفيه دعابة وبسط كثير.

أخذ – رحمه الله – عن شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي، وعن القاضي مولاي عبد الهادي العلوي. . . وغيرهما من أهل طبقتهما، وولي قضاء مدينة [262] صفرو، وكان واعظا بها مدة. ثم أقيل من ذلك.

وتوفي ثالث ربيع الثاني سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية المذكورة بالمباح الأول منها عن يمين الداخل. وقد رأيت مكتوبا في زليج عند رأسه ما نصه: « الحمد لله وحده، هذا ضريح الفقيه العالم العلامة سيدي محمد بن محمد التازي، صار إلى عفو الله في أوائل ربيع الثاني عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف » .هـ.

[257– المؤرخ الكاتب السيد أبو القاسم بن أحمد الزياني]
(ت: 1249)

ومن بهذه الزاوية أيضا: بالمباح المتصل بقبتها، وكان دفنه فيها بأمر مولوي: الفقيه الأديب، الكاتب المؤرخ الأريب؛ السيد أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني.

كان من الكتاب بالحضرة السلطانية، وكان مولعا بالتقييد والتأليف، ومما وقفت عليه من تآليفه: "الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب". و"ألفية السلوك في وفيات الملوك"، وشرحها، و"فهرسة"، ذكر فيها أشياخ السلطان مولانا سليمان بن محمد العلوي. وله قصائد مدحا وذما، ومعرفة بالتاريخ، والعربية، والحساب، والعروض، والتنجيم، والجدول، والأسماء، والتدبير.

وكانت جمجمة رأسه من القرع؛ لأنه ضرب عليها بسيف فطارت؛ فجعلوا له مكانها طرفا من القرع، فطلع عليه اللحم وعاش، ولذلك كان لا يكشف رأسه، وكانت فيه حدة، وله لسان لا يبقي ولا يذر؛ حتى أداه ذلك إلى الوقوع في الأولياء الكبار. . . نعوذ بالله من ذلك.

توفي عند طلوع العصر من يوم الأحد رابع رجب الفرد الحرام عام تسعة وأربعين ومائتين وألف عن نحو مائة سنة وست سنين.

[الزاوية الناصرية بفاس]

[258- الإمام سيدي مَحمد بن ناصر الدرعي]

(ت: 1085)

تنبيه: هذه الزاوية اشتهرت نسبتها إلى الشيخ الكبير، الولي الشهير، البحر الزاخر، ذي المآثر الصالحة والمفاخر، العارف بالله تعالى أبي العباس سيدي أحمد ابن الولي العارف بالله تعالى القطب الرباني، والغوث الصمداني، عالم الصالحين باتفاق، وصالح العلماء على الإطلاق؛ أبي عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان الدادسي أصلا، الدرعي إقليما، الأغلاني دارا، المقدادي نسبا؛ نسبة إلى الصحابي الجليل: المقداد بن عمرو الكندي. على ما في "الدرر المرصعة"، و"فهرسة سيدي إدريس المنجرة" . . . وغيرهما . وقيل: إنه جعفري؛ نسبة إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، وجرى عليه في "رياض الورد" وغيره، وذكر لي بعض العلماء منهم أنه التحقيق. . . والله أعلم.

وهي في الأصل لوالده سيدي محمد المذكور، بناها تلميذه سيدي محمد بن إبراهيم الخياطي؛ دفين درب الحرة من طالعة فاس كما تقدم التنبيه عليه في ترجمته[1]، وإنما اشتهرت نسبتها إلى الابن؛ لأنه كان خليفة [263] عن والده من بعده، وكان له من الشهرة بهذه الديار ما ليس له، وكان سيدي مَحمد المذكور - رحمه الله تعالى - رأسا في العلم والعمل والولاية، ماهرا في التفسير والحديث والتصوف، يستظهر "تسهيل ابن مالك"، وجل استفادته في العلوم الظاهرة عن شيخه سيدي علي بن يوسف الدرعي، وأجاز له سيدي محمد بن سعيد المراكشي، ولقي سيدي أبا بكر السجستاني في رحلته للمشرق، واستفاد منه، وأما شيخه في طريق القوم؛ فهو: الشيخ القطب سيدي عبد الله بن حسين التمجروتي الدرعي الرقي، عن سيدي أحمد بن علي الدرعي، عن سيدي الغازي.

وأخذ عنه هو أئمة أعلام؛ كالعلامة اليوسي، وهو الممدوح بداليته المشهورة بين أهل الأدب التي لم تسمح قريحة بمثلها، وعارض بها "دالية" البوصيري في مدح أبي الحسن الشاذلي، وأبي العباس المرسي. وتلامذته وأتباعه كثيرون جدا، وصيته كبير. ومن كلامه إذا رأى من أحد فترة في طلب العلم: « مسألة تستفاد وتزداد، خير أو أفضل من مُلك بغداد » .

---

[1] انظر الترجمة رقم (244) .

توفي - رحمه الله - في صفر الخير، غروب شمس الثلاثاء السادس عشر منه سنة خمس وثمانين وألف بوادي درعة، ودفن من الغد بزاوية شيخه سيدي عبد الله بن حسين المذكور، بإزاء شيخه أيضا، وأخيه في الله ومحبه سيدي أحمد بن عبد الله الأنصاري الدرعي، خلف ظهره.

[259- الإمام سيدي أحمد بن ناصر الدرعي]
(ت: 1129)

وخلفه من بعده: ولده أبو العباس المذكور، وكان وليا صالحا، عارفا ناصحا، نحويا لغويا؛ له كتاب "الأجوبة"، وتأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ورحلة ألفها في ذهابه للمشرق، وكلام في الطريق وحض على اتباع السنة، وأتباع كثيرون جدا في جهات أقطار المغرب.

ومما أنشده فيه بعض الأدباء؛ وهو أبو عبد الله الدقاق الدغيمي:

لئن فاتنا المرسي قطب زمانه	ولم نجن من ذاك الرياض له قطفا
فعنه أبو العباس نجل ابن ناصر	كفانا وأغنانا ولان لنا عطفا

وذكر بعض أهل الكشف؛ أنه كان من الأبدال، وذكر بعضهم أنه أخذ عنه من مومني الجن أحد وعشرون أو اثنان وعشرون ألفا، وأنه مات منهم يوم موته ثلاثة من الازدحام عليه.

وقد جمع مناقبه تلميذه ومرافقه في رحلتيه: العالم الصالح أبو محمد سيدي الحسين بن محمد بن شرَحبيل الدَرعي.

توفي - رحمه الله - بدرعة ليلة الجمعة بين العشاءين تاسع عشر ربيع الثاني سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ودفن من الغد بعد صلاة الجمعة خلف قبر والده، في روضة أشياخه بالزاوية الشهيرة لهم بدَرعة. [264].

[260- استطراد: العلامة سيدي موسى بن المكي الناصري]

وأما القبر الذي بداخل قبة هذه الزاوية الفاسية، وعليه دربوز وكسوة؛ فلم أتحقق الآن اسم صاحبه، لاختلاف الروايات فيه عن الناس، غير أنه من ذرية الشيخ سيدي مَحمد ابن ناصر المذكور.

ثم سألت عنه بعض السادات الناصريين؛ وهو الفقيه العلامة المؤرخ سيدي أحمد بن خالد الناصري: فأجابني بعد مفارقتي له بكتابة نص المراد منها: « وأما صاحب الضريح بالزاوية الذي مضت المذاكرة فيه قبيل؛ فهو العلامة الأديب البارع سيدي موسى بن محمد المكي؛ صاحب "الدرر

المرصعة في صلحاء درعة" ابن موسى بن محمد ابن الشيخ الأكبر سيدي مَحمد ابن ناصر الدرعي الجعفري الزنبي، كان – رحمه الله – من جلة علماء عصره، ذا همة وكمال مروءة، قد لاحت عليه بركة أسلافه، واعتقده الخاصة فضلا عن العامة، واستوطن فاسا، وولد له بها . وكان ذا نظم بارع؛ له قصيدة تائية تنيف على ثلاثمائة بيت من بحر الطويل، ذكر فيها كبار أسلافه ومآثرهم، ووصايا، وحكما وفقهيات، وحج بمعونة السلطان المولى سليمان، سنة عشر ومائتين وألف، ونظم في طريق حجه – حينذاك[1] – رجزا في أحكام الحج يشتمل على ستمائة بيت فأكثر، وهو مفيد جدا، ولم أقف الآن على تاريخ وفاته. وجدت هذا في مسوداتي وهو محقق لا شك فيه)). . .انتهى. والله أعلم.

[عودة إلى ترجمة الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر الدرعي]

وقد قال الشيخ أبو علي سيدي الحسن بن رحال المعداني في "الروض اليانع" عند تعرضه لأشياخ سيدي الصالح بن سيدي المعطي الشرقاوي، وأن من جملتهم الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر الدرعي، وأن سيدي الصالح كان يعظمه ويفخمه ويثني عليه في المحافل ويبجله، وإذا ذكر عنده؛ تضاءل عند ذكره، وإذا استشفع به إليه؛ قبل الشفاعة، على مر أيامه ودهره، وأنه عقد مرة الرحلة إليه لزيارته؛ ما نصه: ((وكان سيدنا الصالح يحض من يحبه على الدخول لحضرته، والانخراط في سلكه، والدخول في زمرته، ويعظم الطريق الناصرية ويجل قدرها، ويفخم شأنها وأمرها، لأنه بني على أساس السنة المحمدية أصلها، وظهر كظهور شمس الظهيرة شرفها وفضلها، وذلك مستفيض ومشهور؛ عند الخاصة والجمهور)). . .انتهى.

[261– الإمام الشهيد سيدي محمد بن علي الحاج الأغصاوي البقال]
(ش: 1017)

ومنهم: الشيخ الكبير، الولي الشهير، أبو عبد الله سيدي محمد بن الشيخ أبي الحسن علي الحاج؛ به عرف، الأغصاوي البقال. من أولاد الحاج البقال المشهورين، أهل الزاوية العظمى المسماة بالحرائق من قبيلة غصاوة، إحدى قبائل جبال الزبيب من غمارة، وبيتهم بالمغرب بيت عظيم لا يكاد يعدله بيت في تعدد الأولياء، ما بين سالك ومجذوب، في الكثير من حواضر المغرب وبواديه، [265] على مر الليالي منذ أزمان إلى الآن، وهم اليوم ينتسبون للشرف الحسني بالتكبير، ويرفعون نسبهم لمولانا إدريس – باني فاس – من طريق ولده حمزة.

[1] في الأصل: حرف "ح" فقط، والمقصود به: حينذاك حيث. . . إلخ. حسب السياق.

وأول من انتسب منهم: السيد الجليل، الولي الصالح الحفيل؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد المفضل الحاج البقّال بالحرائق؛ قال في "البدور الضاوية": « وهذا السيد ولي جليل؛ لا يقدم على الانتساب للجناب النبوي إلا عن دليل، ولا يبعد أن يكون وقع له شهود للحضرة النبوية، فشهد له فيها سيد الوجود عليه الصلاة والسلام بالبنوة، وناهيك بذلك، قال: ومما يرشد إلى أنها دعوى عن دليل؛ أنها لازالت تفشو وتشيع، حتى كادت أن تبلغ في الشهرة الحد المعتبر في الجميع ». هـ.

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - من أصحاب الشيخ سيدي أبي الشتاء، وذوي الأحوال منهم، وكان مرة عنده في سلسلة، وكانت تعتريه في بعض الأوقات أحوال تخرجه عن حسه، وكان يقول فيه سيدي مسعود الشراط - دفين خارج باب الجيسة: « سيدي محمد الحاج باشة سيدي أبي الشتاء »، والباشة عندهم: كالوزير ونحوه من الملك.

وكان له التلميذ الكثير؛ ومن جملة تلامذته: الشيخ العارف، صاحب الكرامات والبركات والكشوفات؛ أبو عبد الله سيدي محمد المجول القصري دفين مدينة القصر الكبير، وظهرت له - رضي الله عنه - بركات، وكانت له مكاشفات وإخبار بمغيبات، وكلام كثير على طريقة أهل الملحون، واعتراه يوما حال، وهو ببلاده غصاوة، فجعل يقول: « انصروني انصروني »، ويكررها؛ فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله محمد الشيخ المأمون بن أبي العباس المنصور الذهبي، فتخوف منه أن يدعي الملك، سيما وكان يكاتبه بأمر غليظ؛ إذ تحقق إعطاءه العرائش للنصارى بعد أن طلب من علماء الوقت أن يفتوه بإباحة بيعها لهم؛ فمنهم من أجابه على ذلك؛ كالقاضي أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن إبراهيم الدكالي ومن تابعه، ومنهم من امتنع. والممتنعون افترقوا على ثلاث فرق:

- *فرقة منهم فرت من فاس؛* كالإمام الحجة سيدي العربي بن يوسف الفاسي، وأخيه الحافظ أبي العباس أحمد.
- *وفرقة اختفت حتى انجلى الأمر وخمدت نار الفتنة؛* كالقاضي أبي القاسم محمد بن أبي النعيم الغساني الأندلسي، والعلامة ابن عاشر، وأبي الحسن علي بن قاسم البطوئي.
- *وفرقة ناقشت السلطان وأغلظت له القول؛* كصاحب الترجمة، ووقعت بينه وبينه في ذلك مراسلات؛ فأنفذ أعوانه، فأتوا به إلى فاس؛ فقتله بها صبرا عام سبعة عشر وألف، وقبل ذلك أخبر أصحابه بأنه يموت قتيلا، ودفن بعد قتله بوطا ابن فرقاشة [266] المعروف الآن بالسياج، وبنيت عليه قبة، وقبره بها مشهور إلى الآن عليه دربوز يزار به ويتبرك.

ترجمه في "الروض"، و"النشر"، و"التقاط الدرر" . . . وغيرها . وأورده في "الصفوة" في ترجمة من لم يقف له على ترجمة، وهو من أهل القرن الحادي. وقال في "ممتع الأسماع" ما نصه: « ومن أصحاب سيدي أبي شتاء أيضا: السيد أبو عبد الله محمد بن سيدي علي الحاج الأغصاوي، قتيل أمير فاس في وقته، وكان صاحب حال ». هـ. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال:

وارجع إلى الشيخ أبي محمد	المرتضي بن الحاج بحر المدد
شيخ إمام أحد الفحول	ذي البركات الفائض الوصول

[262- المجذوب سيدي العربي البقال]

ومنهم: الولي الصالح المجذوب، الهائم المتيم المحبوب؛ أبو حامد سيدي العربي البقال، من أولاد الحاج البقال المذكورين.

كان - رحمه الله - من المجاذيب الكبار، قل ما يصحب جذبه سلوك، وكان إذا أفاق من سكره لا يضيع شيئا من أعماله، وقوي سكره، وطاب وقته في أواخره عمره؛ فكان لا يراه أحد من الناس إلا امتلأ بمحبته، وقد شهد له بالولاية: العارف الأكبر مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، وأورده في رسائله المشهورة في جملة من لقيه وزاره وتبرك به من الأولياء، وأثنى عليه فيها، وذكر أنه: كان يوما مسافرا إلى القبيلة الحيانية، فوجد صاحب الترجمة واقفا بحانوت بالمحل المعروف ببين السواري من فاس، وهو في غاية السكر، والناس مجتمعون عليه، وهو يتكلم معهم لا يتكلم إلا هو؛ قال: « فرآني آت نحوه؛ فناداني حتى دنوت منه؛ فضمني إلى صدره وجعل لسانه في فمي، وقال: مص. مص. مص. ثم بعد ذلك قال لي سرْ أعطيناك الشرق والغرب. قال: فخرجت إلى الحياينة، ثم رجعت منها؛ فوجدته قد مات - رحمه الله - بعد ذلك اليوم بيوم أو يومين، وأوصى أن يدفن بزاوية شيخنا بالرميلة؛ فإذا بإخواننا الفقراء أهل فاس اختلفوا في ذلك فدفن مع جده أو عمه، وهو: ولي الله تعالى سيدي محمد الحاج البقال، قتيل السلطان مولاي محمد الشيخ الشريف السعدي، المجاور لزاوية الشيخ الجليل سيدي أحمد ابن ناصر الدراوي، بقرب سويقة ابن صافي - رضي الله عنهما ». هـ.

وضريحه معروف إلى الآن يزار ويتبرك به خارج قبة جده أوعمه المذكور، وخارج الفناء المتصل بها أيضا بالعريصة التي جعلت مقبرة للدفن، وأضيفت إلى الضريح المذكور، يدور به حوش بناء صغير للتمييز لا غير. . . نفعنا الله به.

[263- الفقيه سيدي محمد بن علي المتيوي]
(ت: 1304)

ومنهم: الفقيه العالم النبيه [267]، المدرس النحوي الوجيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن العلامة النحوي المشارك أبي الحسن سيدي علي بن عبد الله المتيوي.

أخذ - رحمه الله - عن والده المذكور، وعن الأستاذ سيدي إدريس البكَراوي، وعن شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي. . . وغيرهم.

وكان يدرس النحو بمَنْزَة القرويين من فاس، ويؤم بجامع الحجاج من حومة زقاق الحجر، وكانت فيه حدة ودعابة، وله مخالطة لبعض الرؤساء من القواد ونحوهم، وكان ربما يأخذ من عندهم الطعام وغيره، ويتصدق به بالليل خفية، وكانت له أحوال عجيبة، وأمور غريبة تشبه أمور الملامتية، فكان بعض الناس من أجل ذلك يتهمه بالصلاح، وبعضهم يتكلم فيه، وكان له ولوع بزيارة الضريح الإدريسي من فاس، ومحبة في صاحبه.

توفي - رحمه الله - يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول عام أربعة وثلاثمائة وألف، وصلي عليه بالقرويين بعد هبوط العصر؛ صلى عليه سيدنا الوالد، ودفن بضريح سيدي محمد الحاج المذكور، خارج قبته بداخل الفناء المتصل بها.

[264- الولي الكبير سيدي محمد الهبطي]

ومنهم: الولي الكبير، والشيخ الصالح الشهير؛ أبو عبد الله سيدي محمد الهبطي؛ نسبة لبلاد الهبط، ضريحه بباب الزربطانة، يسار الطالع بروضة صغيرة هناك في الطريق، أورده في "التنبيه" ولم يذكر له ترجمة.

[265- الإمام المقرئ سيدي محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي]
(ت: 930)

واشتهر عند كثير من الناس أنه: الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، الفقيه الأستاذ الكبير، النحوي الفرضي الشهير؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي؛ صاحب "تقييد وقف القرآن"؛ المترجم له "في جذوة الاقتباس"، و"درة الحجال"، و"كفاية المحتاج"، و"نيل الابتهاج" . . . وغيرها.

وصرح بذلك في "نشر المثاني" في ترجمة الفقيه العلامة القاضي أبي عبد الله محمد الهبطي ابن الإمام الكبير الشيخ الصالح الشهير أبي محمد سيدي عبد الله الهبطي، وذلك أنه بعدما ذكر وفاة سيدي عبد الله المذكور، وأنها سنة ثلاث وستين وتسعمائة، وأن قبره مشهور بزاويته حوز شفشاون، وذكر وفاة ولده أيضا وأنها سنة إحدى وألف، قال ما نصه: « وليس أحد منهما صاحب "تقييد وقف القرآن العظيم"؛ فإنه: محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي بالصاد والميم والتاء، كما بخط من يعتمد، وصحح عليه، وتوفي هذا بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة. قاله في "الجذوة"، وقبره معروف بطالعة فاس قرب الزربطانة، وهو ممن أخذ عن الإمام ابن غازي، وعنه قيد الوقف - رحم الله الجميع ». هـ. ونحوه رأيته مقيدا بخط بعض علماء العصر، وأظنه قلده فيه.

وذكر لي بعض من يوثق به من نجباء الطلبة أنه رأى في [268] حاشية للشيخ سيدي إدريس بن محمد المنجري على ابن بري في علم القراءات أن صاحب "تقييد وقف القرآن" هذا، مدفون داخل باب الفتوح، قريبا من ضريح الشيخ أبي زيد الهزميري، وفي منظومة الشيخ المدرع في صلحاء فاس عند عده لبعض من أقبر بباب صمعة سيدي أبي زيد الهزميري؛ أن من جملتهم: الإمام الهبطي. ويأتي هناك إن شاء الله تعالى نصه.

وفي كتاب "التفكر والاعتبار" للسيد أبي العباس أحمد بن محمد ابن عطية السلوى الأندلسي ما نصه: « ومنهم: الشيخ الهبطي. توفي سنة تسع وستين وتسعمائة، ودفن بباب صمعة سيدي أبي زيد الهزميري، ذكره الشيخ سيدي عبد الرحمن ابن القاضي. وزرناه معه مرارا ». هـ.

ولم أدر هل عنى به: الهبطي المذكور صاحب "تقييد وقف القرآن" كما هو الظاهر، أو عنى به غيره؟. وعلى الأول: يكون قد وقع له غلط في ذكر وفاته؛ لأنها سنة ثلاثين وتسعمائة كما تقدم وذكره غير واحد، وفي "نيل الابتهاج" ما نصه: « محمد بن أبي جمعة الهبطي، العالم الفاسي توفي عام ثلاثين وتسعمائة ». هـ. وفي "درة الحجال": « محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي؛ الأستاذ أبو عبد الله، توفي بفاس سنة ثلاثين وتسعمائة ». والله أعلم.

[266- الإمام أبو عبد الله سيدي محمد الخياط]

(ت : أوائل القرن السادس)

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العالم العارف الهمام، البركة الصالح، القدوة الفالح؛ أبو عبد الله سيدي محمد الخياط.

ذكره التميمي في "المستفاد"، وذكر أنه: « كان عالما فاضلا، صواما قواما، كثير البكاء [كان] على خديه من أثر الدموع طرقا ». قال: « وأخبرني بعض من أثق به من أصحابنا عن الفقيه أبي الحسن ابن حرازم قال: بعثني والدي للشيخ أبي عبد الله الخياط للتبرك بدعائه، وكنت إذ ذاك صغيرا، فمشيت إليه في آخر النهار، فوجدته في المسجد ينتظر صلاة المغرب، فأعلمته بسلام والدي عليه، ودعا لي، وحانت الصلاة، فلما وقف لتكبيرة الإحرام، سمعت لأعضائه خشخشة كالثوب الجديد المكمود إذا تفرقع ».هـ.

وفي "المقصد" عن سيدي أحمد ابن عبد الله مَعَنْ الأندلسي ما نصه: « وقال في سيدي أبي عبد الله الخياط دفين الدوح من فاس على ضفة الوادي هنالك؛ إنه رجل جمالي. واستعظم أمره في ذلك جدا، وقال: سبحان الله، ما أكثر جمالك يا رجل!! ».هـ.

وأورده في "المطمح" في ترجمة الفقيه الأستاذ سيدي أحمد الزموري الآتي، ووصفه بالولي الكبير، العالم العارف الشهير. وسماه بأبي عبد الله الخياط قال بخاء معجمة ومثناة تحتية بعدها ألف ثم طاء مهملة ثم قال: « والشيخ أبو عبد الله ابن الخياط هذا: أحد المزارات المشهورة بفاس، ظهر له في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء بركات، وكان الشيخ [269] العارف أبو زيد عبد الرحمن الفاسي إذا زاره يثني عليه ويصفه بقوة الحال. قال: وقد ذكره الشيخ أبو عبد الله التميمي في كتابه "المستفاد"». ثم ذكر ما تقدم عنه.

وفي "جواهر السماط" ما نصه: « وأخذ ابن حرزهم - أيضا - العلم الظاهر والباطن عن الفقيه الولي الصالح سيدي أبي عبد الله الخياط؛ دفين حومة الدوح من فاس أيضا ».هـ. وفي "تحفة أهل الصديقية" ما نصه: « وأخذ سيدي علي - يعني: ابن حرزهم - تبركا أيضا عن الشيخ الفقيه العالم الولي الصالح سيدي أبي عبد الله الخياط »، وممن ترجمه أيضا: صاحب "الروض"؛ إلا أنه لم يذكر له - كغيره ممن تقدم - وفاة، وربما يؤخذ مما سبق أنها في أوائل القرن السادس، لأن تلميذه ابن حرزهم توفي في أواسطه. . . والله أعلم.

وضريحه - رحمه الله - بروضته المشهورة به من حومة الدوح على ضفة الوادي الكائن هنالك يمين الطالع، وعليه بها قبة يراها المار في الطريق، ومقبرية من رخام، وهو مشهور مزار متبرك به، وإليه وإلى شخص آخر معه بروضته، يقال له سيدي عبد الرحمن السوسي، يشير الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس، بعد ذكر سيدي عبد الله الخياط الذي بالدوح الفوقي وبعض من معه بقوله:

بقربهم ذو السر والأنوار	محمد الخياط ذو الفخار
وعابد الرحمن أعني: السوسي	شمس المعارف وتاج الروس

[267- الإمام سيدي أحمد بن علي الزموري]
(ت: 1001)

ومنهم: الشيخ الأستاذ الفقيه العلامة النحوي النزيه، الناظم الناثر الأديب، الحافظ المفسر الأريب؛ أبو العباس سيدي أحمد بن علي الزموري.

انتقل جده من أزمور إلى فاس سنة سبع عشرة وتسعمائة، وولد هو بها بعد الثلاثين وتسعمائة، وكان أحد مشايخ فاس وأعلامها، له معرفة وافرة بالمقاري السبعة، وبالعلوم القرآنية وغيرها من رسوم وآداب، وتفسير، وحديث، وعربية. . . وغير ذلك.

وكان يدرس التفسير بالقرويين، ويحفظ مختصر ابن الحاجب الفرعي، ويقوم عليه، ويحفظ أيضا غالب تسهيل ابن مالك عن ظهر قلب، وله نظم كثير، وكان السلطان أبو العباس المنصور يبعث إليه في رمضان يستقدمه لمراكش يصلي به التراويح لحسن صوته، وجودة حفظه.

أخذ عن اليستيتني، وابن مجبر، وأبي القاسم بن محمد ابن إبراهيم الدكالي. . . وغيرهم، وبالإجازة عن الشيخ نجم الدين الغيطي، وأخذ عنه جماعة؛ كأبي العباس ابن القاضي، وأبي العباس ابن جلال، وأبي الحسن ابن عمران، وأبي الحسن علي ابن الزبير. . . [270] وغيرهم.

وكان حلو العبارة، فصيح اللسان، جيد الحفظ، دقيق الفهم، وكانت له مخالطة لعلم الأدب، وشعره لا يقصر عن درجة الحسن، وقد ذكر منه طرفا في "نزهة الحادي".

توفي - رحمه الله - بهذه الحضرة ليلة السبت أول يوم من رجب سنة إحدى وألف، وحضر جنازته خلائق عديدة، وسائر فقهاء فاس إلا الحميدي، ودفن ظهر ذلك اليوم بروضة سيدي أبي عبد الله الخياط المذكور. ترجمه في "الجذوة"، و"الدرة"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"مطمح النظر" . . . وغيرها.

[268- الإمام العارف سيدي عبد الله بوطاق الخياط]

ومنهم: الشيخ الفقيه الإمام، العالم العامل الهمام، العارف الرباني، والنور الساطع الصمداني؛ أبو محمد سيدي عبد الله - المدعو: بوطاق - الخياط.

ولي كبير، وعارف شهير، وإمام خبير، وقدوة ظهير، أثنى عليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال بعد أن ذكر جماعة ممن أقبر بالدوح الفوقي:

وستة أيضا هناك منهمُ — سيدنا الشيخ الإمام العالم
والعارف المحقق الزكي — الواصل المقرب المرضي
مصباح أهل الفضل والتمكين — عمدة أهل السر محيي الدين
القدوة الإمام عبد الله — شهر بالخياط عالي الجاه

وأورده في "التنبيه"؛ فقال: « ومنهم: سيدي عبد الله أبو طاق الخياط بالدوح الفوقي، ودفن عنده سيدي أحمد البادسي بوكموسة ». هـ.

وهو – والله أعلم – الذي بالروضة التي كانت مسجدا وصارت الآن من جملة العرصة المقابلة لروضة سيدي أبي عبد الله الخياط صاحب الوادي عن يسار الطالع وضريحه بها يمين المحراب القائم بها الآن، عليه مقبرية من رخام.

[269- سيدي الخياط (آخر)]

وبالعرصة المسماة الآن بالدوح، وهي التي تقابل باب الدرب الذاهب للحمية يمين الطالع. رجل يقال له أيضا: سيدي الخياط، ولم أعرفه؛ إلا أني وجدت بخط بعض الأفاضل نقلا عن أبي عبد الله الأندلسي تلميذ سيدي رضوان الجنوي ما نصه: « سيدي الخياط: مدفون بالزربطانة من فاس، وله ولدان: أحدهما بمسجد السويقة – أي: سويقة الدوح – والآخر بالمسجد الآخر ». هـ.

والأقرب أنه عنى بسيدي الخياط: أبا عبد الله السابق الذي على ضفة الوادي، وتسمية محل ضريحه بالزربطانة واقعة في كلام صاحب "مطمح النظر"، وبولده الذي بمسجد السويقة: هذا الذي بهذه العرصة، والذي بالمسجد الآخر. سيدي عبد الله صاحب الترجمة، وفي بعض التقايد المقيدة في صلحاء فاس عند تعرض صاحبها لأولياء داخل المدينة ما نصه: « سيدي الخياط وأبوه وأخوه بالدوح ». هـ. والله أعلم.

[270- المجذوب سيدي أحمد بن يحيى البادسي]
(ت: 1100)

ومنهم: الشيخ الملامتي، البهلول [271] المجذوب صاحب الأحوال الربانية؛ أبو الغنائم سيدي أحمد بن يحيى البادسي الفاسي؛ المشهور بأبي كموسة.

كان – رحمه الله – بهلولا ساقط التكليف، وظهرت له كرامات، وسبب تلقيبه بأبي كموسة: أنه كانت عنده كموسة من الدارهم فيها مائة مثقال رشيدية، أعطاها له السلطان، وكانت دائما على كتفه، وكان الناس يجتنبون إذايته؛ لما يعلمون من سرعة الانتقام ممن آذاه، فأغفله بعض الطغاة وأخذها؛ ففطن بذلك؛ فأراد أن يردها له؛ فامتنع من قبولها، وقال له: « حيث فعلت فلا تردها، بل خذها، قد كان ما كان ». فاتفق أن قتل ذلك الشخص الآخذ من يومه في أروى ودفن فيها .

وكان صاحب الترجمة يواجه السلطان بالفحش حيثما رآه، ولا يكني؛ بل يصرح بألفاظ بشيعة جدا، وكانت عادة السلطان أن يحترمه؛ فدخل السلطان يوما لزيارة سيدي علي ابن حرزهم، وأمر بإغلاق الروضة عليه، وترك صاحب الترجمة خارجها، وإذا به وجده داخل الروضة معه بإزائه؛ فعلم أن ذلك من خوارقه، وقال له: « علمت أنك من المرابطين – أي: الأولياء ولكن أنت السّفالي متاعهم »[1] .

توفي – رحمه الله – على ما في "النشر"، و"التقاط الدرر": رابع المحرم عام تمام المائة والألف، ودفن بروضة سيدي الخياط المذكور قبله، حضر جنازته جم غفير، وفي خط بعضهم ما نصه: « توفي الولي الصالح سيدي أحمد البادسي في نصف ليلة الأحد الرابع والعشرين من ذي الحجة عام تمام مائة وألف، ودفن بروضة سيدي الخياط الذي بزنقة الدوح »... انتهى والله أعلم. ترجمه في "النشر" وفي "التقاط الدرر" .

[271– الولي الصالح سيدي أحمد الغماري]

ومنهم: الولي الصالح، الشهير الواضح، ذو الكرامات العديدة، والمزايا الحميدة؛ أبو العباس سيدي أحمد الغماري.

له كرامات واضحة، وأسرار لائحة، وهو بعرصة الغماري التي بالحمية من حومة الدوح، وعلى ضريحه بها قبة ودربوز، والناس يزورونه إلى الآن ويتبركون به، ويشاهدون له كرامات، ولم أقف له على ترجمة، وغالب الظن أنه المشار إليه بقول صاحب "التنبيه": « ومنهم: سيدي أحمد الغماري بالزيات ». والله أعلم.

[1] أي: فاحشهم، أو عنيفهم. والسّفالي باللهجة المغربية: حاد اللسان كثير الصراخ.

[272- العارف المربي سيدي عبد الواحد بن البدوي بناني]

(ت: 1285)

ومنهم: السيد الأنور، البركة الأشهر، المرشد الناصح، الولي الصالح؛ أبو محمد سيدي عبد الواحد بن الحاج البدوي بناني.

كان - رحمه الله - من جلة أصحاب الشيخ سيدي محمد بن الغالي أبوب الحسني دفين زاويته بحومة زنقة الرطل من هذه الحضرة، وكان مشتغلا بما يعنيه، عاملا بما يقربه من المولى ويدنيه، وبعد وفاة شيخه المذكور؛ انحاش بعض الفقراء إليه، وصاروا يجتمعون في بعض الأماكن عليه، ويدلهم [272] على الذكر والمذاكرة، والانحياش إلى الله تعالى، على طريقة شيخ التربية، ويذكر معهم ويذاكرهم، فيستفيدون من مذاكراته.

وأخذ عنه وانتفع به جماعة من الأخيار؛ كشيخنا العلامة الصوفي أبي العباس سيدي أحمد بن الخياط الحسني، ورفيقه الصالح البركة الذاكر التالي سيدي مَحمد ابن إبراهيم، وشيخهما بعده الخير الدين البركة المحب سيدي أحمد ربيع. . . وغيرهم.

وأخبرني سيدي مَحمد ابن إبراهيم المذكور أنه سمع شيخه صاحب الترجمة مرة يقول: « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لي: من رآك فقد رآني، ومن قبل يدك فقد قبل يدي ». ولازال أصحابه إلى الآن يثنون عليه الثناء العميم، وينسبونه إلى الخير العظيم.

وكانت له - رحمه الله - حانوت بسوق العطارين يبيع فيها الجوهر والمرجان والطيب ونحو ذلك، فكان بعض الناس يحط منه من أجل ذلك حسدا وجهلا، وتلك سنة الله في عباده.

توفي عام خمسة وثمانين ومائتين وألف، ودفن بمحل قريب من الجامع المزلجة يسار الذاهب منه إلى ناحية وادي الصوافين كان أصحابه شرعوا في بنائه له زاوية؛ فمنعهم من ذلك بعض القضاة، فباعوه وجعله من صار إليه رياضا به أشجار وغروس ومساكن تسكن، وقبره به مزدج، وهو معروف مزار.

[273- العلامة النوازلي سيدي محمد بن عبد الصادق الدكالي الفرجي]

(ت: 1175)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العالم العلامة النزيه، النوازلي المفتي المحصل؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الصادق الدكالي الفرجي.

قرأ على الشيخ أبي علي سيدي الحسن بن رحال المعداني التادلي دفين مكناسة الزيتون بروضة سيدي سعيد، وعلى الشيخ أبي البقاء سيدي يعيش بن الرغاي وغيرهما، وولي الخطابة بمسجد الشرفاء حيث ضريح مولانا إدريس رضي الله عنه، فلما أحس من نفسه عدم القيام بها؛ أخر نفسه عنها، وكان يدرس بمسجد القرويين مختصر خليل زمنا طويلا، وشرحه شرحا حسنا.

وكان من المرجوع إليهم في الفتيا بفاس بين الخصوم مدة من ثلاثين سنة، وكان منصفا في فتواه، حائدا عن التعسف، وله اطلاع على كتب الأحكام والوثائق، وسيرة حسنة وأخلاق مستحسنة، ولا بأس بهديه ومروءته ودينه.

وكان ينوب في الأحكام في - بعض الأحيان - عن شيخه القاضي بفاس سيدي يعيش بن الرغاي إذا عرض له موجب لذلك.

توفي - رحمه الله - ثاني شعبان عام خمسة وسبعين - بموحدة - ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بدار لبعض أصهاره تجاور الجامع المزلجة التي بوطى ابن فرقاشة، ومن الناحية الأخرى: درب العزفي [273] في القديم، والدار المذكورة: بأقصى زنقة غدير الجوزة من فاس القرويين، وصلى عليه الفقيه الحافظ المحدث أبو العلاء سيدي إدريس بن العلامة مولاي محمد الشريف العراقي الحسيني، بوصية من صاحب الترجمة، بجامع الجنائز المتصلة بمسجد القرويين ».هـ. وقال في "التقاط الدرر": « دفن بدار متصلة بالجامع المزلجة بأعلى حومة الجرف بطالعة فاس - رحمه الله ».هـ. ترجمه في الكتابين المذكورين، وكذا أبو العباس ابن عجيبة في طبقاته.

[274- الإمام المربي سيدي أحمد بن محمد الشاوي]
(ت: 1014)

ومنهم: الشيخ الإمام، القدوة الهمام، الولي الكبير، المعمر الخطير، الفائض الأنوار، الغزير الأسرار، العارف المجذوب، الفياض المحبوب، المتمكن في الحال، العظيم البركة والنوال، المربي النفاع، الكثير التلامذة والأتباع، ذو الكرامات الكثيرة، والبركات الغزيرة، والآيات العديدة، والمناقب الحميدة، أحد مشايخ زمانه، ومشاهير أوانه، المبرز لتربية المريدين، وهداية المقتدين، الشهير الذكر بآياته الباهرة وفضله التام، المطبق على خصوصيته في وقته وبعد وقته الخاص والعام، الآخذ عن شيخه وراثة والمخصص بمجال الإغاثة؛ مقصد الناوي: أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الشاوي.

أصله - رحمه الله - من عرب الشاوية أهل بلاد تامسنا، وإليهم نسبه الذي به يدعى، وهم من نعرب الحجازيين من أحياء بني هلال وسليم الذين نقلهم العبيديون ملوك مصر إلى صعيد مصر، ثم دفعوا إلى برقة وإفريقية، ثم إلى المغرب، أدخلهم إياه يعقوب المنصور الموحدي، كل ذلك لأسباب ذكرها ابن خلدون.

وكان هو القادم على فاس؛ قدم عليها من بلاده بعد بلوغ الحلم، فاتصل بالشيخ العارف سيدي أحمد بن يحيى الهواري اللمطي دفين محلة النواعريين من فاس القرويين، فأخذ عنه وأكب عليه، وانضم له بكليته، وانضاف إليه، وسلب له الإرادة، وألقى إليه قياده، وكان يلازم باب داره بقصد قضاء حوائج الشيخ من إيصال عجين أو طحين بمحلهما، وردهما إلى الدار، وشراء ما يحتاج إليه من لحم وخضرة وفاكهة وغير ذلك من أمور النفقة وغيرها، ويعلف له فرسه، ويقوم بمؤونتها من إيرادها الماء وربطها في الأروى. . . ونحو ذلك، وهو مع ذلك لابس جلابية فقط، يفتل العزق.

ثم زوجه الشيخ امرأة من عنده من الدار، وأسكنه وأعطاه بيت أروى بباب داره؛ فكانت المرأة تخدم داخل الدار، وهو خارجها، ثم بعد مدة طويلة؛ سكن [274] عن إذن الشيخ دارا أخرى في محل قريب من محل الشيخ، وبقي هنالك إلى أن انتقل بعد وفاة الشيخ لداره المجاورة لروضته.

وكان يفيض عليه الحال في حياة شيخه، ويطلب منه أمورا يزعجه إلى طلبها باعث الحال، وما لاح له بنور البصيرة، من حصولها في المآل، فكان كثيرا ما يقول له: « يا سيدي؛ اعطني الدنيا والآخرة، واعطني أربع نسوة، واعطني من يخدمني »، وربما يكون ساجدا ويطلب ربعة مملوءة بمثاقيل الذهب ؛ قال في "نشر المثاني": « وهذا طلب حالي لا اختياري ».

وكان لشيخه اعتناء به، وربما يريد الشيخ إخفاء ذلك عن الحاضرين، فيزجره بلسانه، ويظهر عدم الإقبال عليه وهو يمده باطنا، وكان ينوه أحيانا بقدره، ويشير أوقاتا إلى ظهور أمره، وأنه صاحب سره، والمنفرد بجمله، في حكايات شائعة.

من ذلك أنه: قيل له يوما : « إن أهل دار الشيخ تمنوا توت الزُرُوب ». فذهب من فوره إلى لمطة، وملأ منه سلة وجاء بها لدار الشيخ، واتفق عندما ذهب إليه أن الشيخ كان جالسا مع أصحابه في سماع؛ فقال وهم كذلك: « ذهب بها صاحب التوت ». يعني: بالحكمة التي يصحب المشايخ عليها .

وجاء مرة إلى الشيخ قرب وفاته ؛ فوجده مع أصحابه وهو يقول: « ليطلب كل واحد منكم ما شاء »، فطلبوا . فقال: « هل بقي أحد ؟ ». قالوا: « ما بقي إلا الشاوي ». فأمر به؛ فأدخل عليه؛ فقال له: « اطلب أنت ما بدا لك ». فقال: « أطلب الدنيا والآخرة »، فقال له: « طلبتهما معا ؟! ». فأعاد الشيخ وأعاد له، وفي الآخرة قال له الشيخ: « أعطاكهما الله معا ».

وكان الشيخ يوما مع أصحابه، إما في حضرة أو غيرها، فقال لهم مشيرا إليه: « ذهب بها الأصلع ». وكان هو الأصلع من بينهم، إذ لم تكن له جمة ولا وفرة، بل كان رأسه أملس لا ينبت شعرا.

وقيل: إن الشيخ لما دنت وفاته؛ أغمي عليه، ثم أفاق؛ فقال: « من بالباب؟ »، فقيل له: « الشاوي »، فأعاد مرارا، ثم قال: « لا إله إلا الله؛ ما أراد الله إلا الشاوي ». فتوفي الشيخ. وكان صاحب الترجمة هو الوارث لحاله وسره.

ومن حينه تصدى لتربية المريدين، ورفع الراية للزائرين، وأتته الدنيا راغمة من تكسبه بالزرع والماشية، ومما يأتي به إليه الناس من الهدايا، حتى قيل: إنه كال أربعين مدا من الذهب فكان يصرفها في وجوه الخير ولا يبالي، ويفعل المصالح فحبس أوقافا كثيرة حتى؛ إن الأحباس كثرت بسببه، وبنى قنطرة ابن طاطو خارج باب بني مسافر لما أفسدها السيل، وأصلح ماء جامع الأندلس الجاري من ناحية باب الحديد، بالحاء المهملة، وجدد القوس [275] الذي يمر عليه في باب الجديد، بالجيم، فصرف على الجميع سبعة آلاف أوقية، وصرف ذلك بعد موته، لكونه عين العدة في حياته، وكان آخر أعماله الصالحة ومتاجره الرابحة رضي الله عنه ونفعنا به.

وكانت له خمس زوايا يطعم فيها الطعام، وكان له بكل واحدة منها تلامذة وأصحاب كثيرون يعمرونها بإقامة الصلوات فيها وقراءة الأحزاب وذكر الله عز وجل، وكان يطعم الطعام في سائر الأيام ويكثره في المولد النبوي، فيكون عنده مثل الوليمة فرحا به.

وكان حاله: الأخذ والإعطاء، يعطي كثيرا ويدل على الإعطاء، حتى إنه ليقول لبعض القبائل المتعلقين به: « إذا رفعتم طرفا من اللحم في أيديكم؛ فاجعلوا منه عظما للشاوي ». يعني نفسه. وظهرت له كرامات وخوارق ومكاشفات لا تدخل تحت حصر. ولم تزل كراماته مستمرة من موته إلى الآن، يرى كثير من الناس منها العجائب.

وشهد له الأكابر من أهل وقته بالخصوصية؛ كسيدي أبي الشتاء دفين أمركو من بلاد فشتالة، حتى إنه ارتحل من أجله من بلاد كربال، التي بها إحدى زوايا صاحب الترجمة، بعدما شرع في بناء زاوية بها وأشرف على التمام قبل أن يبني الزاوية التي له إلى الآن بأمركو من فشتالة، وترك الموضع له. فقيل له في ذلك؛ فقال: « إن هنا رجلا يقال له: الشاوي فاتك غيور، والله لا يترك أحدا منكم يمر على هذه الطريق ويقطع هذا المشرع! »، يعني: مشرعا من مشارع وادي سبو، قرب البناء الذي كانوا أحدثوه هنالك.

وكالشيخ أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي دفين أبي الجعد: في كرامة وقعت له مع بعض أصحابه؛ كالشيخ أبي عبد الله الكومي دفين القليعة من داخل باب الفتوح؛ حيث جاءه زائرا له وكالشيخ سيدي محمد ابن عبد الله معن الأندلسي دفين خارج باب الفتوح بالقباب؛ فقد كان يجله ويعظمه ويثني عليه، ويذكر بعض كراماته وحكاياته. وكالشيخ العارف بالله أبي زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي.

وفي "المقصد" عن الشيخ العارف بالله سيدي أحمد ابن عبد الله معن أنه كان يقول فيه - أعني: في صاحب الترجمة: « إنه ولي الله حقا! ».

وكان - رضي الله عنه - ركنا للإسلام مشيدا، وعمادا للدين عميدا، ممن رحم به البلاد، وانتفع به العباد، وفاض بحره الطام على الخاص والعام، وعم به الانتفاع، وشاع به للسنة الاتباع، وكثرت عنده الأتباع، وتوفرت لديه الأشياع، وملئت بالثناء عليه الأفواه والأسماع، معظما عند الكافة يُسمع له ويطاع، منور الشيبة [276] عظيم الهيبة، ظاهر القوة والعناية، واضح الخصوصية والولاية، متفقا على ولايته، مطبقا على خصوصيته، ذا أحوال قوية، وإمدادات روية، واتباع قويم، ونهج مستقيم، وغيرة عظيمة، وهمة جسيمة، له الإغاثة والسخاء والأفاعيل الكبيرة، والمآثر الخطيرة.

وكان يقع له الفيض أحيانا، وتظهر عليه سطوة الحال وصولته، ويصرح بالإعطاء والمنع، والنفع والدفع، مطلق اللسان بذلك كما هو شأن المتصرف المأذون، ويصرح أيضا بما يؤذن بإمامته ونفوذ أمره وأنه في ذلك على بصيرة من ربه ونور منه، واصل إلى قلبه؛ كقوله لبعض أصحابه فيما قيد عنه: « نحن بالله وأنت بنا »، وقوله مشيرا إلى نفسه: « لا طير إلا الذي طار وعلا فوق أبيه »، يشير إلى بلوغه مبلغ شيخه وزيادته عليه.

وكان شديد الغيرة على أصحابه، وعلى كل من تعلق بجنابه، سريع الإغاثة لهم ولكل من نادى به، ويقول مشيرا إلى نفسه: « الصاحب الذي لا يغيث صاحبه ليس بصاحب ». ويقول أيضا: « شيخ لا يغيث مريده ما هو بمريد ». يعني: ما هو بشيخ، ومريده ما هو بمريد. وكان يجمعهم عليه، ولا يترك لهم نظرا إلى غيره، ويحوطهم ظاهرا، ويجذبهم إليه باطنا، ويقول لمن رآه يلتفت لغيره منهم: « من لم يقنعه السبع؛ يأكله الذيب »؛ ويقول أيضا: « صاحبي إن وجدته على باب أحد؛ قرَضته »، يعني: كسرت عظامه، يريد بذلك إهلاكه، وله في ذلك مع أصحابه حكايات كثيرة يطول ذكرها.

وكان يحثهم على السنة والحزم في الدين، واتباع سنن المهتدين، ويحملهم على رفع الهمة عن الخلق، والاكتفاء بالواحد الحق، ولا يحب من يركن إلى الخلق، أو يظهر شيئا من الفاقة إليهم، ولا أن يعول في شيء من الأشياء عليهم، ويقول: « السعاية[1] في مذهبنا حرام »، حتى كان أصحابه إذا وجدوا واحدا ينتسب للشيخ وهو يتعاطى شيئا من ذلك يقولون له: « لست من أصحابه، ولا تكون منهم ».

وكان يكثر زيارة الأشياخ الثلاثة الذين تشد إليهم الركاب في مغربنا؛ لعظم أمرهم وكثرة بركاتهم، وهم: سيدي عبد السلام بن مشيش، وسيدي أبو يعزى، وسيدي أبو سلهام، كان يزورهم في ركب من أصحابه على عادة أهل المغرب من زيارتهم مرة كل سنة، وكان يزور غيرهم من الأموات ممن كان ببلاد لمطة.

ومن دعائه: « اللهم ارزقنا القناعة، والصلاة في الجماعة، والخروج من الدنيا بلا تباعة ».

وأحواله وأخباره وكراماته حيا وميتا لا تفي بها العبارة. وقد اعتنى بشيء منها تلميذه وملازمه الفاضل الخير المحب أبو العباس أحمد بن محمد الشامي، ولخص ذلك في نحو خمسة أوراق، وزاد عليه تقاييد [277] مفردة: العلامة سيدي العربي بن الطيب القادري. وأفرده بمؤلف في سفر صغير: العلامة الصوفي أبو محمد سيدي عبد السلام القادري شقيق سيدي العربي المذكور؛ سماه: « معتمد الراوي في أخبار سيدي أحمد الشاوي ». وذيله حفيده العلامة المؤرخ أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري، وسمى ذيله المذكور بـ: "الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي" ، فمن أراد الشفاء من مآثره؛ فعليه بذلك.

توفي – رحمه الله – على ما هو المعتمد في وفاته قرب طلوع فجر يوم الأربعاء سادس وعشري محرم الحرام عام أربعة عشر وألف، ولم يخلف عقبا، ولم يلد قط ذكرا ولا أنثى، ودفن يوم الخميس عند الضحى بزاويته من محلة الجرف عدوة فاس القرويين، وحضر جنازته أهل فاس وأهل البوادي، ولم يبق شريف ولا عالم ولا أحد إلا أتى، وكان حاكم القصبة أمام النعش يعمل الطريق للصحافين لما ذهبوا به إلى جامع القرويين للصلاة عليه، وكذلك لما رجعوا ليدفنوه، وضريحه بزاويته المذكورة واضح شهير، لا يحتاج إلى تعريف، وهو من أعظم المزارات بفاس.

قال في "الروضة المقصودة": « ولم يزل يتصرف بعد موته تصرف الأكابر، ويغترف من بحر عنايته كل زائر، ترياقا مجربا، في قطع دابر الظلمة، لمن يقصد في الدعاء عليهم حرمه، يحمي من استجار به، ويصول؛ فلا يجد أحد من الفراعنة ما يقول، لا تجد أحدا يفزع إليه، إلا فاز في الحال بما يطلبه لديه، جاره مامون، وسيفه للمتعدي مسنون ». هـ.

---

[1] السعاية: الشحاذة.

ومن خط الشيخ التاودي – رحمه الله – بواسطة بعض أحفاده ما نصه: « حدثني بعض الثقات عن الشيخ سيدي محمد العياشي أنه: سأله رجل عن سيدي أحمد الخضر؛ فقال له: إن شئته؛ فعليك بسيدي أحمد الشاوي؛ فإنه يزوره في كل يوم ثلاث مرات، وكان القائد الخطيب على بيت المال لمولانا الرشيد ثم لمولانا إسماعيل، وكان يسكن الدار الموالية لبابه، فوشى به بعض الناس؛ فأمر بحبسه، وأخذ ماله، فلم يشعر السلطان حتى وقف عليه نوما وقال له: ما جسرك علي؟! ، والله لتنتهين أو لأشقن رأسك بهذه الشاقور!! . فقال: ومن أنت؟، فقال: أحمد الشاوي. فانتبه فزعا وقام من حينه وكتب بخط يده أن يخلى سبيله، وأن يزاد في الحرم إلى باب جامع مزلجة، ودار الصوان كما هو مكتوب عليهما ».

« ولم يزل كتابه هذا بيد رضوان بعد أن وضع على القبر، وبه كان احترام رضوان عند السلطان المذكور، وكان صاحبنا الحاج عبد القادر بن الحسن في صغره تأتيه القرينة ويحرق لحمه وجسده بما أمكنه من حديد أو قصب، ويلقي بنفسه في الوادي وغيره، حتى ذهبت أمه لسيدي أحمد الشاوي واستغاثت به، وقالت: إن كان عندك سابع [278] مولود؛ أتيتك بكبش. فبرئ من حينه مدة من أربعة أشهر، ثم كان سابع المولود، ولم تأته بشيء؛ لعدم علمها به، فجاءت القرينة للصبي من حينه، فصرخت أمه: كيف يا سيدي أحمد بعدما فرحتني بولدي؟ . فنطق الجن على لسانه: سيدك أحمد الشاوي هذه أربعة أشهر وأنا مسجون عنده واليوم أطلقني، قد جاز السابع ولم تأته بما وعدتيه!! . فخرجت من حينها بنفسها في طلب شراء الكبش وذبحه؛ فبرأ[1] من حينه، ومثل هذا شاهدناه من شيخه سيدي أحمد بن يحيى نفعنا الله به » . هـ .

وقد كان له – رضي الله عنه – أربع نسوة اجتمعن في عصمة واحدة، وهن: السيدة الشريفة حليمة، والسيدة فاطمة الضحاكية، والسيدة آمنة الدكمسية بالكاف المعقودة، وهما من اللمطيين، ورابعتهن امرأة تدعى بـ: حمدونة. قال في "معتمد الراوي": « لا أعرف نسبها »، وقد توفي عنهن كلهن، وورثنه وخرجن بالدار المجاورة لزاويته، ومكثن فيها إلى أن توفين بها؛ إلا واحدة منهن باعت نصيبها للأخر، وذهبت فتزوجت رجلا بفاس، فوقع لها وله ما وقع من إصابتهما بالجذام؛ نسأل الله العافية.

وكان الثلاث الباقيات بعد الشيخ على سيرة حسنة، كما كن عليه على عهده صالحات خيرات يكرمن الأضياف ومن واخاهن من النساء في الله، ويتصدقن ويعظمن أصحاب الشيخ، وكان من عادتهن: إطعام الطعام لكل وارد، كما كان عليه الشيخ، وما أتاهن أحد مفردا إلا أعطينه خبزة بيده يزودنه بها، وفي كل مولد نبوي يصنعن مثل الوليمة كما كان الشيخ يفعله، وبقين على ذلك إلى وفاتهن. قال في "معتمد الراوي": « وكلهن مدفون بروضة الشيخ رضي الله عنه ورحمهن أجمعين. . . آمين» . هـ .

---

[1] برئ من المرض (بالكسر)، بُرءا (بالضم)، وعند أهل الحجاز: برأ من المرض من باب قطع. (مختار الصحاح) .

وقد جدد بناء روضته وأحكمها بناء وتزويقا، وزاد في مساحتها وجعلها جامعا تقام فيه الجمعة: السلطان مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمن العلوي طيب الله ثراه، وجعل الجنة مأواه، وذلك سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف، وأول جمعة أقيمت فيها: آخر جمعة من رمضان العام المذكور.

وترجمه - رضي الله عنه - في "الروض"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الروضة المقصودة"... وغيرها، وشرع في "المطمح" في ترجمته ؛ فلم يكملها، وكانت آخر ترجمة فيه.

[275- سيدي محمد بن زمام الرياحي]

(ت: 1024)

ومنهم: الشيخ الصالح، البركة الناصح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن زَمَام (بالتخفيف)، الرياحي الفاسي.

كان - رحمه الله - خيرا ماجدا فاضلا، وليا صالحا كاملا، ذا سيرة سديدة، ومآثر حميدة، وكان قارئا لكتاب الله واقفا على حدوده، مقيما للدين على سنن المهتدين، وكانت له قدم في العبادة، وله [279] في داره مصلى أعده لذلك، يتهجد فيه ليلا بالصلاة والقراءة والذكر، وكانت له كرامات وفضائل سنية وآيات.

ولد بوادي الأزار على نصف مرحلة من فاس، وقدم فاسا صغيرا بقصد القراءة؛ فلقيه الشيخ سيدي أحمد الشاوي بالعطارين الكبرى، وشيخه سيدي أحمد بن يحيى اللمطي - رضي الله عنه - إذ ذاك حي فأخذ بأذنيه ورفعه في الهواء، وجعل يطيشه، ثم أنزله وضربه بكفه بين كتفيه، وقال له: « أنا وراءك وأنا قدامك ». فعلق قلبه به، فكان يقرأ في المكتب والشيخ يتعاهده، ثم انجمع عليه ولازمه وجعل يخدمه ويخدم شيخه تبعا له، إلى أن توفي الشيخ سيدي أحمد بن يحيى، وظهر بعده وارث حاله الشيخ سيدي أحمد الشاوي وتصدى للمشيخة، فبقي ملازما له يخدمه، وكان يحبه محبة عظيمة، ويعظم جانبه غاية التعظيم، حتى إنه رأى يوما بداره قفة من النارنج جيء بها لأن تعمل في الزيتون، فقال لهم على سبيل الإنكار: « نارنج سيدي تعملونه في العطاطير[1]؟!، قدموه إلي! »، فقدموه إليه؛ فأكل جميعه.

---

[1] العطاطير: ج عطارة، وهي: مجرى الصرف الصحي. باللهجة الفاسية.

ثم إن شيخه المذكور بنى له زاوية على نهر سبو على نصف مرحلة من فاس، وهي زاوية بني ظهير (بالظاء المشالة المعجمة، على وزن: أمير)، ويقال لها: زاوية ابن زمام. فكان يعمرها في حياة شيخه بإذنه مع جماعة من الأصحاب، يقرؤون هنالك الأحزاب، وكان مع ذلك ملازما للإتيان إليه، والكون معه، ملقيا إليه القيادة، وسالبا له الإرادة، إلى أن مات الشيخ وهو على تلك الحال، وقيل لها زاوية ابن زمام. مع أنها - بحسب الأصل - لشيخه سيدي أحمد الشاوي؛ لأنه عمرها بعد وفاة شيخه، واستقر بها إلى أن ثارت فتن وشرور، وتعذر مقامه بها؛ فانتقل إلى فاس وبقي بها إلى أن توفي.

وكان في آخر عمره قد ظهر عليه أثر البله والغيبة، حتى كان يسأل من يُعلّمه ما يصلي به، ولما دنت وفاته؛ وادع أهله وجلس وهو في حال صحته على كرسي له، وأخذ قطفا من العنب يفرقه عليهم، وقال لهم: « والله لا يتفقدكم أحد بشيء بعد هذا اليوم ». يعني لهم نفسه. ثم سأل عن وقت الظهر؛ فأخبر بدخوله؛ فتيمم وصلى، ثم في وقت العصر كذلك، ثم أرسل إلى مواخيه في الله الشيخ أبي محمد سيدي عبد الله بن ناصر؛ فأسنده إلى صدره، ثم جعل يقول: «أنا في حمى سيدنا محمد . . . »، ثم قال: « أسيدي يا حنيني ». مرتين وخرجت روحه رحمة الله عليه.

وكانت وفاته أواخر سنة أربع وعشرين وألف، ودفن بروضة شيخه سيدي أحمد الشاوي وراءه، بينه وبينه قبر واحد، وهو من قدماء أصحابه. ترجمه في "الروض"، و"النشر"، و"التقاط الدرر". [280].

[276- سيدي موسى بن سعيد الدَّراوي]

ومنهم: الولي الصالح، ذو الكرامات الباهرة والسر الواضح؛ أبو عمران سيدي موسى بن سعيد الدَّراوي[1].

كان - رحمه الله - ذا حال قوي، وشوكة وعناية، وسهم نافذ لا يحام حول حماه، شديد الشكيمة على الظلمة، من آذاه انتقم الله منه في الحين. ظهرت له في ذلك كرامات وآيات.

وكان أسود اللون جدا، وكان يتحرك ويظهر عليه الحال، ويخبر بمغيبات، وكان له أتباع وأصحاب وزاوية اتخذها في حياة شيخه عن إذنه بمدشر تاغزوت من الموضع المعروف بدار العطار، بينه وبين قرية صفرو نحو مسافتين.

---

[1] نسبة إلى وادي درعة شرقي المغرب، وهو على غير قياس.

وكان – رضي الله عنه – من أهل الإغاثة؛ يحكى أن رجلا يقال له: أحمد بن عامر. أصابه صداع في رأسه؛ فاضطجع واستغاث به، وجعل يقول: « يا سيدي موسى! »، ثم غلب عليه النوم؛ فرآه آتيا إليه، ثم أفاق واستراح، وكان يوم جمعة، فلما ذهب الرجل إلى الصلاة؛ لقي سيدي موسى؛ فسلم عليه وأخبره بما رأى مناما، وقال له: « رأيتك يا سيدي؛ أتيت وكساؤك مرخي تجره وراءك؛ وسباطك في رجلك طيفي »، فقال له: « أنت قلت: موسى فقط؛ فلو قلت: يا موسى بن سعيد الدراوي ولد الشيخ الفحل؛ لأتيتك نجري وكسائي ملوي على يدي ».

وكان – رحمه الله – في أول أمره رباعا عند شيخه ثلاث سنين. أورده في "الروض" ولم يذكر له وفاة، غير أنه ذكر أن ضريحه بروضة شيخه سيدي أحمد الشاوي، ورآه بينه وبينه ثلاثة قبور.

[277- العالم الشريف سيدي أبو القاسم بن عبد السلام القادري]
(ت: 1151)

ومنهم: الفقيه الأشهر، الصالح البركة الأنور، العالم النزيه، العابد الوجيه؛ أبو البركات والمكارم سيدي أبو القاسم ابن الفقيه العلامة الصوفي أبي محمد سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني.

كان – رحمه الله – خيرا دينا، صواما قواما، دؤوبا على الذكر وتلاوة القرآن، وأوراد ونوافل بالليل والنهار، يتنفل الثلث الأخير من الليل إلى طلوع الفجر، ويصلي أوقاته مع الجماعة، ويجلس للذكر بعد صلاة الصبح إلى أن تحل النافلة، وأوقاته كلها عامرة بأوراده، في ضبط وحزم ومحافظة على السنة، وركوب لطريق الجادة، مع العقل التام والإدراك الصحيح، والفطنة وجودة النظر والفهم، والنسك والورع والمروءة والعفاف، والكرم والسخاء والإنصاف، والفتوة، ولم يكن يسافر إلا لزيارة الصالحين؛ كالشيخ مولانا عبد السلام وأبي يعزى.

وأخذ العلم عن المَسناوي والوَجاري... وغيرهما من فقهاء فاس، وأخذ الطريقة عن الشيخ العارف سيدي محمد المدرع، وسيدي [281] أحمد بن عبد الله معن وبه تربى وتأدب، وتخلص وتهذب، ورحل للحج، فحج وزار، وصحب الشيخ العارف سيدي محمد المدرع، وسيدي أبا بكر الدلائي بعد موت سيدي أحمد ابن عبد الله المذكور.

وكان من شأنه: سرد صحيح البخاري في كل عام في رجب وشعبان، ويختمه مع تمام رمضان.

ولد ليلة يوم عاشوراء عام تسعة وتسعين وألف، وتوفي من غير عقب، لا من ذكر ولا من أنثى، بعد عشاء يوم الاثنين سابع العشرين من جمادى الثانية عام واحد وخمسين ومائة وألف، بعد أن مرض نحو نصف شهر. قال في "المورد الهني": « ودفن بروضة ولي الله سيدي أحمد الشاوي، وراء ظهره، بينهما قبر واحد ».هـ. ونحوه في "نشر المثاني"، وفي "السر الظاهر": « وعليه يكون قد دفن في قبر سيدي محمد بن زمام المتقدم، وفي ذلك بعد ».

وقال في "التقاط الدرر" بخط مؤلفه في ترجمته ما نصه: « ودفن بروضة سيدي أحمد الشاوي من فاس القرويين، بينه وبينه من ورائه نحو قبرين: رحمه الله ».هـ. وقال في "الزهر الباسم": « دفن بضريح سيدي أحمد الشاوي - نفعنا الله به - بالروضة القديمة خلف ظهره بقبرين ».هـ. وهذا هو الظاهر والله أعلم.

ترجمه في "المورد الهني"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم"، و"السر الظاهر"... وغيرها.

[278- المؤرخ الشريف مولاي إدريس بن محمد العراقي]
(ت: 1150)

ومنهم: الفقيه الأديب، الألمعي الأريب، الشريف الوجيه النبيه، المؤرخ النسابة النزيه، لسان الدنيا في زمانه، وعين أعيان أهل عصره وأوانه، الصالح البركة: أبو العلاء مولاي إدريس بن محمد العراقي الحسيني.

كان - رحمه الله - ممن لحظه الخاص والعام بالتوقير والإجلال والإعظام، جبلا راسخا في السخاء والجود، إرثا عن الأسلاف والجدود، وكان له بفاس صيت عظيم لا يدرك شأوه فيه، وله الظهور التام عند الملوك فمن دونهم، وكان أمر الشورى في خلافة السلطان أبي النصر مولاي إسماعيل وأولاده مقصورا عليه، لا يقطعون أمرا دونه، لما له من العقل الراجح، والجد الشامخ اللائح، والسمت البهي، والذهن الذكي، وحسن الخلق والتواضع.

وكان مولعا باقتناء الكتب، خصوصا كتب الأدب والتواريخ، حتى حصل بيده منها ما لا يحصل إلا تحت يد ملك شامخ الملك، وكانت خزانته يضرب بها المثل بفاس، ولأدباء عصره فيه أمداح كثيرة، وقد نقل منها في "الأنيس المطرب"جملة وافرة.

ومن مآثره: بناء مسجد بإزاء داره بفرن الشطة من فاس، وحبس عليه أوقافا إعانة للمؤذن والإمام، وقراء حزب القرآن.

توفي يوم الجمعة سابع صفر عام خمسين ومائة وألف، ودفن بروضة سيدي أحمد الشاوي المذكور. وترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الدر النفيس" لسيدي الوليد العراقي... وغير ذلك.

[279- الصالح سيدي موسى العطار]

ومنهم: الولي الصالح، المرابط [282] الفالح، أبو عمران سيدي موسى العطار. من أصحاب الشيخ سيدي أحمد الشاوي المذكور، كما رأيته بخط العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري الحسني، بهامش نسخة من "معتمد الراوي في أخبار سيدي أحمد الشاوي".

وذلك أن صاحب "معتمد الراوي" المذكور؛ ذكر أنه فصله ستة أبواب، ثم قال: « الباب الخامس: في بعض أصحابه الظاهرين به، المتأدبين بآدابه، الباب السادس: في ذكر شيخه في الطريق، ورفع سنده فيه على التحقيق ». فكتب عليه حفيده أبو عبد الله المذكور ما نصه: « بقي على المؤلف هذا الباب - يعني: الباب الخامس والذي بعده - لم يتفق له إتمامهما، أما أصحابه؛ فمنهم: سيدي محمد بن زمام، وسيدي موسى العطار، وسيدي عبد الله بن ناصر، والإمام سيدي علي البطوني، وترجمنا هؤلاء الأربع في مؤلفنا في أهل القرن الحادي، وأما شيخه في الطريق فهو: الإمام الصالح العارف سيدي أحمد بن يحيى، وهو ممن أخذ عن سيدي محمد المطرفي عن سيدي الزبير بن الكبير عن سيدي أحمد بن يوسف الملياني عن الشيخ زروق، وهذه الطريقة مبسوطة في "المقصد" للمؤلف، وفي "التحفة الصديقية" لسيدي محمد المهدي الفاسي، و"الإلماع" له ». هـ.

وقد راجعت نسخة من مؤلفه المذكور في أهل القرن الحادي؛ فلم أجد فيها ذكرا لصاحب الترجمة، وربما يكون مذكورا في نسخ أخرى؛ لأن نسخه مختلفة، وغالب الظن أن يكون قد ذكره أيضا في "الكوكب الضاوي"؛ فليراجع... والله أعلم.

وضريحه - رحمه الله - بروضة شيخه المذكور، وراء قبته، فوق سقاية الماء الخارجة لباب الجفاء.

[280- سيدي عبد الله الجزار]

وبالقرب منه، في ناحية شباك القبة هناك، رجل آخر يقال له: سيدي عبد الله الجزار، والناس يذكرون أنه من أصحاب الشيخ سيدي أحمد الشاوي أيضا، ولم أقف الآن على ما يشهد لذلك، ولا له على ترجمة.

[281- العارف الشريف سيدي محمد بن الغالي أيوب]
(ت: 1273)

ومنهم: الشيخ الصالح، البركة الواضح، ذو الأحوال البهية، والأخلاق المرضية، العارف بربه تعالى أبو عبد الله سيدي محمد بن سيدي الغالي أيوب. الشريف الحسني الإدريسي.

كان - رحمه الله - من أهل الولاية والصلاح، والخير والبركة والنجاح، ذا أحوال سنية، وبركات جلية، أخذ عن السيد الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري، وهو عن الشيخ القطب مولاي العربي الدرقاوي.

وكانت له أتباع، وتلامذة وأشياع، ظهرت عليهم بركته، ونالتهم مودته وعطفته، من جملتهم سيدي عبد الواحد بناني المتقدم الذكر. توفي - رحمه الله - ثالث صفر عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف، ودفن بزاويته التي بداخل حومة زنقة الرطل، ولها باب إلى حومة العيون، وقبره بها معروف عليه دربوز يزار به.

[282- الشريف سيدي محمد بن الهادي الدباغ]
(ت: 1284)

ومنهم: السيد الشريف، البركة المنيف، أبو [283] عبد الله سيدي محمد بن الهادي الدباغ.

كان - رحمه الله - من فقراء الطريقة الكتانية، مقدما على العاملين بها من فاس، أخذها عن الشيخ سيدي محمد بن دحو عن الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ القطب سيدي المختار الكنتي عن والده المذكور نفعنا الله به.

توفي - رحمه الله - في حادي عشري جمادى الثانية، عام أربعة وثمانين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية التي شرع في بنائها بالعيون، قريبا من ضريح الشيخ سيدي علي أبي الذباب.

[283- الشيخ الصالح سيدي علي أبو الذباب]

ومنهم: الشيخ الشهير، الولي الصالح الكبير؛ أبو الحسن سيدي علي أبو الذباب، دفين أعلا حومة العيون من فاس القرويين، بمسجد هناك شهير به.

قال في "الروض": « ولي شهير، وقبره معلوم بروضته يزار ويتبرك به، وظهرت له بركات، وجاء ضريحه يوما الشيخ الولي المكاشف سيدي محمد حكيم قابضا على رجل من أهل الصرامة والفتك والإذاية، وشرب الخمر، وسيفه في عنقه، وجعل يخاطبه كالحي ويقول له: يا سيدي أبا الذباب؛ قال لك فلان - يعني: المقبوض في يده - أنا تائب إلى الله! . ويكررها . ثم أرسله، ثم بعد ذلك تاب الرجل وأقلع عما كان عليه، وحسنت توبته ». هـ. وهذا ما ذكره في "الروض" في ترجمته، ولم أقف له على ترجمة في غيره.

والناس يذكرون أنه كان معاصرا للشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني، وأن الشيخ عبد القادر بينما هو يوما مع بعض تلامذته ببغداد، إذا بحفنة من التراب وقعت بينهم، ولم يدرون من أين أتت، فسألوا الشيخ عن ذلك؛ فقال لهم: « رجل بفاس يقال له: سيدي علي أبو الذباب، له عرصة بها، وهو يحوض أحواضها، فتباسطنا معه، وأزلنا له ما يحوضه بأرجلنا؛ فاغتاظ ورمانا بهذه الحفنة من التراب ». فقال له جماعة منهم: « يا سيدي؛ نريد أن تأذن لنا في الذهاب لزيارته ». فأذن لهم، فقدموا فاسا، وكانوا أربعين رجلا؛ فزاروه وبقوا في خدمته إلى أن مات، وماتوا هم أيضا، فدفنوا بحومة العيون وما قاربها . والله أعلم بصحة ذلك. والناس إلى الآن يشاهدون له كرامات، ويرون لضريحه بركات، نفعنا الله به.

[284- سيدي مَحمد أكَمكَام]

(ت: 1050)

ومنهم: الشيخ الشهير، الولي المجذوب الخطير؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد أكَمكَام. بكافين معقودين.

كان - رحمه الله - سيدا صالحا، ووليا واضحا، صاحب حال وتصريف، وظهرت له بركات كثيرة، وكرامات غزيرة، وكان كوشا؛ أسود اللون، ذا سمت بهي، وحال سني.

لقيه الشيخ مولاي عبد الله الشريف الوازاني دفين وازان، وزاره وتبرك به، وذلك لما قدم لفاس لقراءة العلم بها، وكذلك لقيه الشيخ سيدي قاسم الخصاصي مرارا وتبرك به، وذكر في "المقصد" أنه لا يعرف له شيخ ولا سند .

وفي "الممتع" أنه: « كان بحومة العيون، وكان يقال له: الأكحل. لكونه كان أكحل. قال: وكان صاحب حال، ولا نعرف له شيخا، وكان معاصر لأبي عبد الله الأكحل صاحب سيدي يوسف [284]، ولم يكن أكحل ».

وفي "الصفوة" ما نصه: « ومنهم: الشيخ سيدي مَحمد أَكَمكَام، كان أسود صاحب حال وتصرف لا يعرف له شيخ، وله كرامات. توفي - رحمه الله - بفاس عام خمسين وألف ».هـ. وفي "المقصد" أنه: توفي في العشرة الخامسة من القرن الحادي. قال: « ودفن بروضة الولي سيدي علي أبي الذباب بحومة العيون من فاس القرويين ».هـ. وضريحه مشهور إلى الآن بالروضة المذكورة، متصلا بحائط قبلتها يمين المتوجه إليه، بينه وبين رأس سيدي علي أبي الذباب نحو من قبر طولا. ترجمه في "المقصد" و"الروض"، و"الزهر الباسم"... وغيرها.

[285- الشريف سيدي هاشم بن محمد القادري]
(ت: 1187)

ومنهم: الصالح المنور، الخير الذكي المطهر؛ أبو البركات سيدي هاشم بن المرابط سيدي محمد بن علال الشريف الحسني القادري.

ولد سنة عشرين ومائة وألف، ولقي أشياخ وقته من أهل العرفان في جميع أقطار المغرب، وأخذ عنهم، وانتفع بهم، وكان مباركا أغر الطلعة جميل المخبر، حسن الاعتقاد، دينا محبا لأهل العلم والصلاح، منحاشا إليهم، جوالا في الآفاق، متبركا به نفاعا، أثنى عليه أعيان علماء وقته وصلحائهم، وخطوا فيما يتعلق بالتعرف بحاله ونسبه ما يروي ويمير، وهم في العدد جمّ غفير.

توفي - رحمه الله - أوائل سنة سبع وثمانين ومائة وألف. قال: في "السر الظاهر": « ودفن بروضة سيدي علي أبي الذباب من حومة العيون ».هـ.

[286- الشريف الصالح مولاي عبد الهادي بن محمد ابن عبد النبي الإدريسي]
(ت: 1188)

ومنهم: الشريف الجليل، الماجد الأصيل، الولي الصالح، والبدر اللائح، ذو الكرامات العديدة، والمناقب الحميدة؛ مولاي عبد الهادي ابن الشريف الأسعد، الموفق الأرشد، الأهدى الأمجد؛ سيدي محمد ابن الشريف البركة سيدي علي الحسني الإدريسي المعروف بابن عبد النبي، ورهطه من أولاد سيدي احمد بن إدريس رضي الله عنهما.

كان – رحمه الله – يسكن حومة العيون من فاس، وكان زاهدا ورعا، كبير الشأن عظيم الكرامات، حدث عنه تلميذه العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي في رسائله بكرامات، وذكر أنه لم يأكل طعام الناس من حيث هم مدة نحو الخمسين سنة، احتياطا على أكل الحلال، وكان على ذلك حتى توفاه الله عز وجل.

عمرَ – رحمه الله – طويلا، ووقفت على زمام تركته مؤرخا بموفي محرم الحرام فاتح عام ثمانية وثمانين ومائة وألف، وضريحه بحومة العيون، بالروضة التي تقابل الداخل للدرب الصغير المقابل للفرن هناك، بانحراف يسير، قبل وصوله يسار الذاهب لناحية جزاء ابن عامر.

[287– الصالح سيدي عبد الواحد الزنبور الغَنْدور]
(ت: 1175)

ومنهم: الولي الصالح المجذوب، المقرب المحبوب، صاحب الأحوال والكرامات؛ سيدي الحاج عبد الواحد الزنبور، الملقب بالغندور.

أورده الشيخ التاودي في فهرسته فيمن [285] لقي من صلحاء المغرب، فقال: « ومنهم الولي المشهور، السيد عبد الواحد الزنبور، أخبرني صاحبنا القاضي أبو محمد سيدي عبد القادر بوخريص أنه كان مارا يوما بالبرادعيين من فاس، وذلك قبل أن يخطر بباله القضاء، ولا أن سولته له نفسه، وهو من البعد منه بمكان، أبوه فرّان، وهو أيضا بنفسه فرّان[1] ولبّان، إذا برجل ينادي وراءه: القاضي أدْيالنا[2]، القاضي آديالنا. قال: فاستحييت ونظرت أمامي، فلم أر أحدا؛ فالتفت فإذا أنا به، ومد يده إلي في موضع فيه تمرة كبيرة لا أدري من أين أتى بها. فمن يومئذ طمع في القضاء حتى أدركه، ومكث فيه ثلاثا وثلاثين سنة ونيفا . . . ».

« وبلغني – أيضا – عن الفقيه الأستاذ سيدي عبد الرحمن المنجرة حين كان يطلع لفاس الجديد يُسَلِّكُ للطلبة كل يوم وهو من ذلك في عناء، حتى اختار الشرط بالبادية على ذلك، وشاوره فيه؛ فكان يقول له: السلطان يحتاجك. فلما مات العلامة سيدي الكبير السرغيني: أرسلوا وراءه وولوه الخطبة والإمامة بمولانا إدريس رضي الله عنه، وكان رحمه الله يمشي حافيا في قشّابة[3]، ويحمل العظام في ذراعيه وعلى يديه من أحناك البقر وغيرها، ويتخذ منه أندرا مرتبا لقيه مع الفقيه الحاج

---

[1] الفران: المشتغل بالفرن.
[2] ديالي [بسكون الدال]: بمعنى: ملكي باللهجة المغربية، فيقال: الساعة ديالي، بمعنى: ساعتي.
[3] قميص خاص من نوع مغربي، يلبس عادة في البيت فقط.

العربي ابن الكبير مؤدب الصبيان بمكتب مولانا إدريس، وجدناه واقفا بباب السلسلة، فسلمنا عليه؛ فقال: الحاج العربي يقف معي، وهذا يمشي في حاله. يعني يتخلق بالعلم فيعيب الناس عليه وقوفه معي، وهذا لا يبالي »، هـ.

وقال فيه في "سلوك الطريق الوارية": « ومنهم: الشيخ المتجرد، الجامع بين السلوك والجذب، والجذب أغلب: أبو عبد الله سيدي الحاج عبد الواحد الزنبور، كان - رحمه الله - في أول أمره من أكابر اللصوص في وقته، ومن أهل الخمر والدخان والحشيش، وكانت له تباعة، وكان اجتماعهم على الدوام عند ضريح الشيخ سيدي حرازم بالسخونات، ثم وقع له ما وقع مع ذلك الشيخ، وتاب إلى الله تعالى وسافر للحج؛ فحج ودخل تونس ولقي بها من لقي من أهل الخير؛ كسيدي أبي العظام، وسيدي علي عزوز صاحب العناية الربانية، وأمثالهما، ثم رجع إلى فاس على غير الحالة التي خرج عليها؛ فكان متجردا عن الدنيا وزينتها، ويمشي دائما في قشابة خضراء من غير حائك، وبرأسه طربوش، ولم يلبس النعل قط، ودائما يحمل أحناك البهائم الجيف وغيرها حميرا وبغالا وأفراسا، لا يطرحها عنه لحظة واحدة، حتى مات وكان إذا ظهرت جيفة أخذ أحناكها وطرح أحناك التي قبلها بداره، حتى توفي عن كثير من تلك الأحناك، وتركها مرتبة في داره، وهي السيرة التي أخذها عن الشيخ أبي العظام دفين تونس وكان له [286] كلاب وقناجير عظام بقصد الصيد، معدة له مسجونة عنده، وأصحابه يأتونها بلحوم تلك الجيف المنزوعة الأحناك ».

« وأكثر الناس القول فيه على شأن تلك الأحناك التي يحمل في ذراعه، حتى قالوا: إنه لا يصلي قط، ولا يدخل المسجد، ولا رأوه فيه قط، ولو في الجمعة. واحتج عليه بذلك قاضي الوقت سيدي علي بن العلامة سيدي عبد الواحد بوعنان، وقبضه وضربه، وطوقه وسجنه على أن يطرح تلك الأحناك؛ فأبى إلا حملها، وبقي في السجن أياما حتى بعث إلى القاضي المذكور سيدي أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وكانت داره مثوى للمجاذيب في وقته، كلهم يأوون إليها، وقال له: هذا سوق غير سوقك، فاترك عنك الزنبور، ولا تتعرض له في شيء قبل أن تلدغك الزنابير. فلم يبال القاضي بكلامه، حتى وقع له ما وقع في فضيحة لا ينبغي ذكرها، فكان الزنبور بعد ذلك يلقاه ويقول له: ما أنا بقاض، وإنما أنا زنبور!؛ وكان من عادته أنه يطلب من خصوص الناس الفلس والموزونة، ويعطي ذلك للضعفاء من آل البيت ».

« توفي - رحمه الله - سنة خمس وسبعين ومائة وألف وأوصى بالدفن في داره، فدفن بها بعقبة الفران، وصارت زاوية لأصحابه يجتمعون بها، وكانت له جنازة عظيمة حضرها الخاص والعام من الناس ». انتهى ملخصا، وانظره فقد أطال في ترجمته، وذكر له فيها عدة كرامات، وانظر أيضا له ترجمة أخرى في "الروضة المقصودة" لسيدي سليمان الحوات.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة رأس الجنان ورحبة الزبيب
وما هو مضاف إليها

[288- المجذوب سيدي حَمادي بن الحسين ابن كيران]
(ت: 1308)

منهم: الولي المجذوب، الهائم المتيم المحبوب؛ سيدي حمادي بن الحسين ابن كيران. من أولاد ابن كيران المعروفين بفاس.

كان - رحمه الله - بهلولا هائما متجردا من الثياب في غالب أوقاته، لا يرى عليه شيء منها، ولو ساتر العورة، وليس له قرار، بل كانت له حصائر ينام عليها، ويجلس في بعض الأحيان، فكان تارة يجعلها في محل ويأوي إليه، وتارة ينقلها منه إلى محل آخر. . . وهكذا، ويتكلم بكلام شبيه برطانة الأعاجم، لا يفهم أكثره، وإذا احتاج إلى شيء يأكله؛ يأتي إلى باب الحانوت التي يريد أن يأخذ منها ما يأكل، ويقبض على واحد من المارة ويقول: « بابا »، ويشير له إلى الخبز، وإلى ما يأكله به، فيشتري له ذلك الشخص ذلك الشيء.

وكان من عادته أن يدخل الحمام ويبقى فيه السوائع المتعددة [287]، ثم يخرج منه عريانا كما ولدته أمه، ولحمه يفور، وربما يكون الزمن زمن الشتاء والمطر الغزير ينزل عليه وهو كذلك ولا يضره ذلك، وأحيانا يحبس في يده واحدة أو اثنتين من الشطاطيب التي يكنس بها، ويكنس بها الطرق، فكان بعض الناس يقول: « إنه إنما يفعل ذلك عند نزول الوباء ونحوه بالناس »، وكان الناس يتبركون به ويتوسمون فيه الخير، ولا تجد أحدا منهم إلا يعتقده ويحترز من إذايته وإحراجه.

توفي - رحمه الله - بدارهم التي لهم برأس الجنان بالدرب المقابل للحمام هناك، بقَعْره، عن يمين الداخل، ليلة الجمعة سادس شوال عام ثمانية وثلاثمائة وألف، وكانت له جنازة حضرها العامة والخاصة، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد القرويين، ودفن بالدار المذكورة بصحنها، وكسر العامة أعواد نعشه تبركا، وجعل على قبره دربوز صغير، وهو الآن مزار متبرك به.

[289- الفقيه الشريف سيدي محمد بن علي القادري]
(ت: 1162)

ومنهم: الفقيه الجليل، الذاكر الناسك الحفيل، الشريف الأجل، المسن البركة الأكمل؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن علي - المدعو: علالا - بن عبد القادر بن علي الشريف الحسني القادري.

ولد في جمادى الأخيرة سنة خمس وثمانين وألف، وكان فاضلا صالحا صادق اللهجة، واضح الحجة، طيب الأخلاق، كثير الإشفاق، تام المروءة، جميل المعاشرة.

أخذ الطريقة عن مولاي التهامي الوازاني، واستعمل الرحلة إليه، وصحبه وانتفع به وبغيره كالشيخ سيدي قاسم ابن رحمون، وتأدب بالسنة والجماعة إلى أن لقي الله تعالى.

وتوفي صبيحة الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني سنة اثنين وستين ومائة وألف، ودفن بحومة رأس الجنان في دار اتخذت زاوية له، وهي التي عن يمين الهابط ويسار الطالع فيما بين المسجد الأعلى والحمام هناك، وتعرف الآن بزاوية القادريين. ترجمه في "السر الظاهر"، وكذا في "سلوك الطريق الوارية"، إلا أنه جعله فيه من أصحاب الشيخ سيدي قاسم ابن رحمون، وذكر أن وفاته سنة ست وخمسين ومائة وألف. . . والله أعلم.

[290- الشريف سيدي عبد الله الخياط بن محمد القادري]
(ت: 1187)

ومنهم: ولده الفقيه الناسك الصالح، البركة المسن الفالح؛ أبو محمد سيدي عبد الله الخياط[1] بن محمد بن علال القادري.

ولد سنة ثمان عشرة ومائة وألف، وتفقه ما شاء الله على الشيخ سيدي عبد الكبير السرغيني، وسمع منه ومن الشيخ أبي العباس الهلالي وغيرهما، وأخذ عن القطب مولاي الطيب الوازاني، وعن الشيخ سيدي قاسم ابن رحمون، ولقي بعدهما مولاي أحمد بن الطيب الوازاني وولده سيدي علي بن أحمد، وكان محبا لجناب السادة الوازانيين، معظما له جوالا زوارا، حسن المحاضرة، حفيل المعاشرة، تقيا نقيا، فاضلا بهيا، واعية راوية، يستحضر النوادر في الفنون الكثيرة [288] ويحسن المسامرة بها، ويذكر وينصح، ذاكرا صواما قواما محبوبا في القلوب، أثر التقرب ظاهر في غرته.

---

[1] هذا ما في "سلوك الطريق الوارية"، وسماه فيه بـ: مولاي الخياط. مؤلف.

وتحكى عنه كرامات في البوادي والحواضر، وكانت تعتريه الأحوال في آخره؛ فيخبر عن أمور غيبية، وينسب لنفسه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ورؤية مولانا إدريس، والحضور مع أهل الديوان وغيرهم من الأولياء.

توفي - رحمه الله - آخر صفر عام ثمانية، أو سبعة، وتسعين ومائة وألف، ودفن مع أبيه في زاويته المذكورة، وكانت له جنازة عظيمة حفيلة، وكان المباشر لغسله: الشريف البركة سيدي مَحمد الزبادي. وقد ترجمه في كتابه "سلوك الطريق الوارية"، وكذا ترجمه في "السر الظاهر".

[291- المدرس الشريف سيدي الهادي بن عبد الواحد القادري]
(ت: 1229)

ومنهم: الشريف الفقيه، المدرس النبيه، العالم العلامة، الدراكة الفهامة؛ أبو محمد سيدي الهادي بن عبد الواحد القادري الحسني.

كان - رحمه الله - من أهل الفقه والمشاركة في العلوم، عفيفا زكيا، فاضلا بهيا، دينا حسيبا، خيرا لبيبا، أخذ عنه العلامة سيدي الوليد بن العربي العراقي وغيره، وتوفي في رمضان سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية المذكورة.

[292- الصالح سيدي الدَّقاق]

ومنهم: الولي الصالح، سيدي الدقاق، بروضة بأقصى حومة رأس الجنان، وهي التي دفن بعده بها سيدي عزوز الزعيم الأندلسي ثم الريفي المذكور بعده.

وسيدي الدقاق هذا: أورده في "التنبيه" وتبعه الشيخ المدرع في منظومته، ولم يذكرا له ترجمة، وأشار إليه أيضا في "الصفوة" في ترجمة سيدي عزوز المذكور كما يأتي عنه، ورأيت لبعض الأشراف من القادريين في تأليف له في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوازاني فيه كلاما متناقضا.

وذلك أنه قال في محل استطرد فيه ذكر الولي الكبير، الشيخ الشهير أبي عبد الله سيدي محمد الدقاق خديم الشيخ الغزواني، وأحد كبار أصحابه المختصين به، ما نصه: « قلت: ولعل الدقاق هذا هو المدفون بروضتنا - نحن القادريين - التي بأقصى حومة رأس الجنان من فاس القرويين، فيما بين قدمي الولي الصالح سيدي عَزوز والفقيه مولاي عبد الكريم بن الفقيه مولاي إدريس بن علال القادري الحسني، وبين الحجارة التي كانت هنالك، التي نبشها والدي في عام ستين ومائة وألف، وحفر

في موضعها قبرين، لكن سألت والدي عن هذا؛ فأخبرني أن الحجارة المذكورة كان إذا سأل عنها من لا يعرفها غيره يمازحه ويقول له: ذلك قبر ولي الله سيدي الدقاق فإذا انحدر إليها برأسه ليقبلها؛ دق الممازح له جبهته بها ويقول له: ذاك سيدي الدقاق. فسميت الحجارة: قبر سيدي الدقاق، ولا شخص كان مقبرا بها، وربما أوقد عليها [289] بعض الجهلة المصابيح والشموع، ويهدون لها الصدقات؛ فيأخذ ذلك بعض الضعفاء من أهلنا، فلذلك نبشها والدي وبنى بها قبرين. . »

« وقال لي: الموضع كان بيت أروى لجدنا الفقيه سيدي عبد القادر بن علي بن محمد نزيل فاس القادري الحسني، وكان الولي سيدي عزوز المجذوب يأوي إليها ويبيت بها في بعض الأوقات، فلما وقع القتال بين الأندلسيين واللمطيين بفاس، وقتل سيدي عزوز المذكور برصاصة بالصفارين؛ حمله جدنا المذكور ودفنه في الأروى المذكورة، وبنى عليه تلك الروضة، وذلك بعد ذلك، أي: بعد زمن أبي عبد الله الدقاق المذكور تلميذا للغزواني. بدلالة التاريخ ». هـ.

وقال في محل آخر تكلم فيه على أبي عبد الله الدقاق أحد أشياخ الشيخ أبي مدين ودفين خارج باب الجيسة ما نصه: « وبفاس أيضا: أبو عبد الله محمد الدقاق الفاسي، ونسبته هذه إلى بيع الدقيق بفاس قبل أن يأخذ الطريقة عن مولاي عبد الله الغزواني وصحبته له، فلما أخذ عنه؛ ترك بيع الدقيق، وصار يتبعه ولا يفارقه، إلى أن توفي الغزواني؛ فرجع إلى فاس، وظهرت عليه كرامات، وتلمذ له قوم من الملامتية؛ منهم سيدي عزوز الزعيم، الأندلسي ثم الريفي، وتوفي الدقاق بفاس، ودفن في أروى إلى جنب حجر نابت في أقصاها مساويا معه، ثم دفن بعده تلميذه سيدي عبد العزيز المذكور إلى جنب الحائط الأكبر المجاور للمحج، ورأس سيدي عزوز عند رجل سيدي الدقاق. وبنى عليهما الأروى روضة أربابها، وهم الشرفاء القادريون، وهي باقية إلى الآن بأيديهم، وقد أشار إلى الدقاق هذا في "دوحة الناشر" وفي "ممتع الأسماع" ». هـ.

قلت: قد ذكر في "ممتع الإسماع"، وكذا في "تحفة أهل الصديقية" واختصارها للعلامة سيدي العربي القادري في الكلام على الدقاق المذكور أنه: دفين مراكش. فبطل كونه دفين هذه "الروضة"، وتعين أن المدفون فيها غيره، وانظر من هو؟، وانظر أيضا ما ذكره هذا السيد أولا من أنه فيما بين قدمي سيدي عزوز ومولاي عبد الكريم وبين الحجارة التي كانت هنالك، فإنه مناف لقوله ثانيا: ورأس سيدي عزوز عند رجل سيدي الدقاق. فتأمل ذلك. ولعل صوابه أن يقول: « ورجل سيدي عزوز عند رأس سيدي الدقاق ». . . والله أعلم.

[293- الصالح سيدي عبد العزيز الزعيم]
(ت: 1031)

ومنهم: الولي الصالح، الشيخ الجليل الواضح، الملامتي البهلول؛ أبو محمد سيدي عبد العزيز الزعيم الأندلسي ثم الريفي؛ المدعو: سيدي عزوزا دّالله. (بتشديد الدال) . أي: الذي لله.

كان - رحمه الله - بهلولا مولها غائبا في التوحيد، ساقط التكليف ملامتيا، وكان من عادته: إذا كان زمن المصيف والحر؛ اصطلى بالنار، وإذا كان زمن الشتاء والبرد: تبرد بالماء [290]، وربما قام فيه. ووجه ذلك في "المقصد" نقلا عن الشيخ العارف سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي؛ فقال ما نصه: « وقال - رضي الله عنه - فيما كان يفعله سيدي عزوز البهلول دفين رأس الجنان من فاس، حيث كان يتسخن بالنار زمن المصيف، ويتبرد بالماء زمن البرد: ذلك منه مبالغة في موافقة القدر، وجريانا مع مراد الحق سبحانه، فحيث كان المصيف أحب الحرارة؛ لأنها مراد الحق سبحانه، في ذلك الوقت؛ فتسخن بالنار، وحيث كان الشتاء أحب البرد؛ لأنه مراد الله حينئذ في ذلك الوقت؛ فتبرد بالماء، فهو تابع لمراد الله أبدا، ومحب له سرمدا » .هـ.

وكان من أهل الإغاثة والخطوة، وله كرامات ومكاشفات، ولم يتزوج قط، فلم يكن له عقب، وذكر في "المقصد" أنه: « لا يعرف له شيخ ولا سند »، ونحوه قوله في "الصفوة": « ولم أقف لـه على شيخ » .هـ.

وتقدم في ترجمة صاحب الترجمة قبله نقلا عمن ذكر فيها أنه: أخذ عن الشيخ أبي عبد الله الدقاق تلميذ الغزواني. فانظر هل يصح ذلك أم لا؟، وهو أحد المشايخ الذين لقيهم الشيخ سيدي قاسم الخصاصي وتبرك بهم، وكان لقيه له مرارا، ولقيه وتبرك به أيضا؛ القطب مولاي عبد الله الوازاني، وذلك في ابتداء أمره، عند قدومه لفاس بنية طلب العلم بها . . . ذكر ذلك بعضهم.

توفي - رضي الله عنه - شهيدا؛ أصابته رصاصة مدفع في الشرور التي كانت بين أهل فاس في وقته، في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وثلاثين وألف. قال في "الصفوة": « ودفن في رأس الجنان مع سيدي الدقاق، ويقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب » .هـ. قال في "المقصد": « وقبره ظاهر مزار مجرب لقضاء الحاجات » .هـ.

ولازال معظما إلى الآن، يشاهد الناس له من الكرامات والصولة على أهل البغي والفساد بحرمه أو قربه ما لا يحصى، وقد حض على زيارته وحث على استجلاب الرحمة ببركته غير واحد، ترجمه في "المقصد"، و"الروض"، و"الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الزهر الباسم" . . . وغيرها .

[294- الإمام سيدي أحمد بن العربي ابن سليمان]
(ت: 1141)

ومنهم: الفقيه الإمام، العلامة الهمام، المحدث الحافظ، المحقق اللافظ، القدوة النفاع، الذي حصل له من كل فن باع: أبو العباس سيدي أحمد ابن التاجر الخير الدين البركة سيدي العربي ابن الوجيه النزيه الحاذق الإخباري الحاج سليمان الأندلسي ثم الفاسي. من أولاد ابن سليمان المشهورين بفاس، وهم القاطنون بجزاء ابن عامر من عدوة فاس القرويين، وبيتهم بيت علم ودين، ومروءة وحسب.

كان - رحمه الله - أحد كبار علماء فاس ومشاهيرها، واشتهر بتدريس الحديث والسير بها، وكان عارفا باصطلاح ذلك [291] وممارسا لكتبه، ويدرس أيضا تفسير القرآن العظيم، وكان تدريسه بمسجده الذي كان يؤم به بالقرب من قنطرة الرصيف، وهو المسمى الآن بجامع الزليج.

أخذ عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي؛ وقرأ عليه عدة من كتب الحديث والسير والتصوف. . . وغير ذلك، وأجازه. كما قرأ على ولده سيدي مَحمد، وأجازه أيضا. وعلى حفيده سيدي الطيب. وأخذ - أيضا - عن الشيخ سيدي محمد بن أحمد القسنطيني، وسيدي عبد السلام القادري، وانتفع به هو جماعة من طلبة العلم، وكثير من عامة أهل محلته.

وكان مولعا بالنسخ حتى نسخ كتبا عديدة، وكان لا يرى إلا مدرسا أو مطالعا أو ناسخا، أو مصليا، أو تاليا، مقبلا على شأنه فيما يعنيه.

ومن براعته: أنه نسخ نسخة من "فتح الباري" لابن حجر في سفر واحد، وهي عند حفدته إلى الآن.

توفي - رحمه الله - سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، ودفن بوصية منه بدار سكناه من حومة جزاء ابن عامر، عدوة فاس القرويين، وهي الثالثة عن يمين داخل الدرب المقابل للمسجد هناك. . . ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر".

وقد رأيت مكتوبا بالجدار الموالي لقبره، وهو الذي عن يسار الداخل للدار التي هو بها؛ ما نصه: « الحمد لله، والصلاة على مولانا رسول الله، هذا ضريح العالم العلامة الجليل، المحدث البركة الأثيل، أبي العباس سيدي الحاج أحمد ابن سيدي الحاج العربي ابن سليمان الأندلسي، توفي رحمه الله منتصف رجب سنة إحدى وأربعين ومائة وألف ». هـ.

[295- الصالح سيدي قاسم فنجيرو]
(ت: 1111)

ومنهم: الولي الصالح، ذو الهدي الواضح؛ أبو محمد سيدي قاسم فنجيرو، يقال: إنه من أصحاب شيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي.

توفي - رحمه الله - كما رأيته مقيدا بخط بعضهم؛ يوم الثلاثاء رابع ربيع النبوي سنة إحدى عشرة ومائة وألف، ودفن بداره من قوس جزاء ابن عامر من فاس القرويين، وهي السابعة عن يسار الداخل من ناحية الحومة المذكورة، وضريحه بها مشهور إلى الآن، عليه دربوز يزار به ويتبرك.

وإليه يشير الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس بقوله:

وبِجَـزَا ابـن عـامـرٍ تنـويـرُ أدْخَلَـهُ قاسمنـا فنجيـرُ

[296- الإمام العارف الشريف سيدي مَحمد ابن الفقيه الزجني]
(ت: 1136)

ومنهم: الشيخ الشهير، الغوث الكبير، العارف الكامل، المحقق الواصل، صاحب الكرامات الظاهرة، والخوارق الباهرة، والأحوال الربانية، والمواهب اللدنية: أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) - المدعو: بابن الفقيه. الزجني الدار، الفاسي الرحلة والمزار - ابن البركة سيدي محمد بن الفقيه الأستاذ سيدي محمد بن سيدي [292] عيسى الزاهد بن الولي الصالح سيدي عبد الله بن الشيخ الكبير، العارف الشهير، سيد العافية بن الولي الصالح، والقطب الواضح، سيدي أحمد بن عمر دفين قرية أَزَجّنْ من قبيلة مصمودة؛ فهو من أحفاد سيدي عبد الله المذكور لا من أحفاد أخيه سيدي الحسن، خلافا لما في "تحفة الإخوان" وغيرها، يعرف رهطه قديما بأولاد ابن عمر، والآن بأولاد ابن الفقيه؛ لأن جد صاحب الترجمة أبا أبيه كان أستاذا، وكان يقرأ عليه من الطلبة الجم الغفير، وكانوا لا يقولون له إلا الفقيه، فلقب أولاده به، وهم شرفاء النسب حسنيون إدريسيون من ذرية الإمام سيدي عمر بن إدريس رضي الله عنهما، وكان هو - رضي الله عنه - يرفع نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب، وحلف مرة ثلاث مرات إنه لمن ذرية المصطفى صلى الله عليه وسلم، ثم قال: « والله إني لمحمد بن محمد بن محمد بن عيسى... ». إلى أن بلغ علي بن أبي طالب.

كان – رحمه الله – من أرسخ المحققين في علم الطريقة، وأثبت العارفين بسير الحقيقة؛ مستقيما على المحجة البيضاء، مقتفيا آثار الشريعة السمحاء، صادق النية، عالي الهمة، صحيح العزم، وكان عالما عاملا، ماهرا في أصول الدين وفروعه، عارفا بالله وبصفاته وأفعاله، سالما مذهبه من شوب فرق المبتدعة وشبههم، جاريا على مذهب أهل السنة رضي الله عنهم.

وكان كلامه حسن المعنى، بَسْط العبارة، واضح المثال، بزح الإشكال، لا يتعاصى فهمه على العوام – فضلا عن غيرهم – وكان يجالس علماء وقته ويسألونه عن المسائل؛ فيجيبهم على البديهة بما يمتعهم ويفرحون بجوابه، وكان من السباق وذوي الأسرار الربانية، والأحوال والمواجيد الإلهية، والجذب القائم والقلب الهائم، يخبر بأخبار السماوات والأرضين وما فيهن، وعن المقامات العرفانية ومواضع البر والبحر، قريب الصرخة لمن يستغيث به.

وكان لا يفتر لسانه عن الذكر؛ وخصوصا عن قوله: « ***اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تخرجنا بها من ظلمات الوهم، وتكرمنا بنور الفهم، وتكشف ما خفي وأبهم*** ». وكان يقول: « إن شيخي مولاي عبد الله الشريف كان يأمرني أن نكثر: من اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضين عليه، واجر يا رب لطفك الخفي علي ». وفي رواية عنه: « واجر – يا مولاي – لطفك الخفي في أمري ». وكان يكثر منها أيضا.

وكانت له البركات الظاهرة، والكرامات الوافرة، ومن أهل الخطوة، لا يبعد عليه شيء، حتى قال بعضهم: « غيبته في السماء أكثر من حضوره في الأرض »، وكان هو يقول: « والله إني لأعرف بالطرق في السماء بي من الأرض ». [293] وكان الشيخ سيدي قاسم ابن رحمون يقول: « لقد انقطع عنا خبر السماء منذ مات سيدي محمد ابن الفقيه ».

وأثنى عليه بالولاية والمعرفة والخصوصية جماعة من الأولياء: منهم مولاي التهامي، ومولاي الطيب؛ وكان يقول فيه كما في "تحفة الإخوان": « إنه من أكابر الأولياء! ». وسيدي الحاج الخياط الرقعي، وسيدي قاسم ابن رحمون.

وكان أخذه – رحمه الله، ورضي عنه – عن القطب مولاي عبد الله الوازاني ورباه صغيرا، وكان يأتيه من قرية أزجن إلى وازان؛ فيصلي معه صلاة الفجر، ويلازمه يومه ذلك، وينزل نفسه في خدمته إلى أن يصلي معه العشاء الأخيرة، ويروح إلى منزله، فكانت أمه تخاف عليه لذهابه ورواحه ليلا؛ فجاءت إلى شيخه المذكور وقالت: « يا سيدي؛ ولدي صغير، وأنا أخاف عليه بالليل! ». فقال لها: « إن خاف لا يأتي، وإن أتى لا يخاف... ». فتركته واستأمنت، ولم يزل في خدمته هو

وسيدي الخياط الرقمي إلى أن توفي الشيخ، وولي بعده ولده سيدي محمد؛ فاستخلفه سيدي الحاج الخياط، وتوقف صاحب الترجمة عن استخلافه، وكان يقول: « ما توفي الشيخ مولاي عبد الله حتى قسم سره بيني وبين ولده سيدي محمد نصفين ».

ولما قدم – رضي الله عنه – لفاس وكثر صيته، واجتمعت عليه الخلائق؛ وراموا الشروع في بناء الزاوية، أو شرعوا؛ سمع به الشيخ سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي، وكان مقعدا؛ فأراد لقاءه والاجتماع به، فبعث إليه ليجيء عنده تبركا به، واعتذر إليه بإقعاده؛ فقبل عذره، وأتى إليه، ففرح به سيدي مَحمد، وجال معه في الكلام، وجعل يسأله عن المقامات والطريق والمنازل، مقاما مقاما، ومنزلا منزلا، وهو يجيبه عن كل مقام؛ ويقول: « أنا فوق ذلك ». حتى سأله عن السماوات والأرضين، وعن البحار وما فيهن، وهو يجيبه، ويقول: « أنا من الأبدال »، ومرة: « أنا من الأجراس »، ومرة: « أنا القطب »، ومرة: « أنا الغوث »...

حتى قال له سيدي مَحمد: « وهل رأيت البحر المكفوف؟! ». قال: « نعم ». فقال له: « وهل فيه حوت ». فأدخل رأسه في طرف قشابته ويده، ومكث قدر ما يقرأ القارئ: ﴿ قل هو الله أحد ﴾. ثلاث مرات، ثم أخرج يده ورأسه من قشابته، وقال له: « ليس فيه شيء من الحوت، وإنما فيه شيء من الجران[1]، مثل هذه »، فنظر سيدي محمد؛ فإذا بجران على كفه صغار خضر ينزل مثلها مع الشتاء[2]، واحدة واثنتان، فبهت سيدي محمد، وكان ذلك معدودا من كرامات صاحب الترجمة.

وكراماته – رضي الله عنه – وأحواله وأخلاقه وأشواقه وأذواقه كثيرة، وقد اشتهر النفع على يده لكثير من الفقراء والمريدين، بل وللأشياخ الراسخين [294]، والأفراد المحققين.

وممن تخرج على يديه منهم: الشيخ الكبير، والولي الشهير، العالم العامل؛ سيدي داود التواتي، دفين توات، والشيخ العارف سيدي أحمد بوالسباع، من أولاد أبي السباع حوز مراكش. والولي الصالح سيدي أبو سلهام الضعيفي المالكي، دفين وادي ورغة، وولده الولي الصالح سيدي الطاهر دفين قرب والده، والشيخ الأكبر، والولي الأشهر سيدي الحاج أبو القاسم اليازغي العتابي، من آيت عتاب، والشيخ الأستاذ سيدي عبد الله بن يخلف مؤلف مناقبه.

---

1. الجران: ج. جرانة: الضفدعة.
2. الشتاء: المطر بالعامية المغربية.

وممن أخذ عنه وانتفع به: الشريف الجليل، الماجد الأصيل، الصالح البركة، مولاي عبد الهادي بن إدريس بن أحمد بن علي الكتاني، وصاهره ببنته السيدة فاطمة، والشريف الصالح أبو محمد سيدي عبد الله بن أبي طالب النسب[1]، وكلاهما كان من خواص أصحابه وفضلائهم، وكبراء أتباعه وصلحائهم.

والشريف الوجيه، الفقيه العالم النزيه، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الوهاب الكتاني، وكان - أولا - من أصحاب الولي الصالح سيدي الشيخ بن أحمد الصحراوي، وذكر صاحب "سلوة المحبين" أن صاحب الترجمة تشارع مع سيدي الشيخ ابن أحمد المذكور في هذا الشريف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال سيدي الشيخ: « يا رسول الله؛ طبعته في بطن أمه »، فقال صاحب الترجمة: « وأنا يا رسول الله؛ طبعته وهو في صلب أبيه ». فكانت الغلبة له، وحازه إليه، وكان من تلامذته.

والشريف الأسعد: مولاي العربي الكتاني. وهو أحد الشرفاء الثلاثة الذين ذهبوا معه للشيخ سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي حين أرسل إليه بعض أصحابه يطلب منه أن يقدم إليه ليتبرك به.

[297- الشريف سيدي عبد الرحمن بن عبد العزيز الكتاني]
(ت: 1192)

والشريف الأحفل، المسن البركة الأفضل؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن المسن البركة مولاي عزوز[2] بن أحمد بن علي بن قاسم بن عبد العزيز الكتاني العشاب، وقد قال في ترجمته من "سلوك الطريق الوارية" ما نصه: « كان - رحمه الله - خاملا متقشفا ذاكرا ممن ذكر فنفعته الذكرى، ذا أخلاق حسنة، وخشوع وخضوع، يؤثر فيه الذكر والوعظ، ويتواجد لذلك، ملازما لكراسي العلم والوعظ، وكان من أهل الخير والصلاح، ويحب أهل الخير والفلاح، أخذ - رحمه الله - عن الشيخ سيدي محمد ابن الفقيه، وتوفي عن سن عالية عام اثنين وتسعين ومائة وألف ». هـ.

---

[1] أي: نفس نسب سابقه ؛ يعني: الكتاني.
[2] المقصود: عبد العزيز.

[رجوع لترجمة سيدي مَحمد ابن الفقيه]:

وقد كان صاحب الترجمة - رضي الله عنه - يقول: « لو أخرجت مقدار هذه - وقبض على أنملته الصغيرة - ما تركت مريدا لشيخ، ولكن لا يزاحم على النقل إلا من لا عنده عقل »، ويقول: « والله ما ذهب أحد من أصحابي إلى أحد من المشايخ إلا وانتفعوا هم به دون [295] أن ينتفع هو بهم؛ لأنهم لا يحتاجون إلى أحد في شيء ». ويقول: « والله لأنفع صاحبي وأنا ميت أكثر مما أنفعه وأنا حي ». ويقول: « صاحبي - والله - لا أسقيه بكأس ولا غيره، ولكن أقبضه وأرميه في بحر المصطفى صلى الله عليه وسلم ». ويقول: « الشيخ الكامل هو الذي لا يقول لصاحبه: صُمْ، صَل. ولكن يقبضه ويقول له: ها أنت وربك ونبيك »، ويقول: « والله لأجوزن الصراط مع أصحابي بالعلوم والجلالة حتى يقال: من هذا ؟!. فيقال: إنه مَحمد ابن الفقيه وأصحابه ».

ويقول: « الناس يسألون جهنم ويقولون لها: هل فيك أحد من أصحابنا. وأنا - والله - ما لها علي ولا على أحد من أصحابي سبيل؛ لأني سعيد، ومن عرفني سعيد، وإذا كان واحد في الدار محسوبا علي، فالدار كلها محسوبة علي ». ومن كلامه: « إذا رأيت طيرا يطير، وفوق جو السماء يطير، ولم يكن موافقا للسنة؛ فذلك استدراج أو بدعة ». ومنه: « بع بالسنة واشتر بالسنة؛ تدرك ما تتمناه »...

وكان - رضي الله عنه - يخبر بحاله، وينبئ عن مقامه بمقاله.. من ذلك: أنه مر يوما على قوم وهم يتذاكرون في مراتب الأولياء، ويقولون: « يعلم الله؛ هل القطب موجود ؟! ، وإذا كان؛ ففي أي أرض هو ؟! »، فقال لهم: « أنا القطب، أنا الجرس، أنا الغوث، أنا الوتد، ومن قال شيئا؛ فها أنا »، وكان يقول : « أنا قطب الأقطاب، ويدي على سائر الأقطاب من قاف إلى قاف ». ويقول: « إن مولاي عبد السلام كان يقول في دعائه: اللهم لا تبعث لنا من حكمت عليه بالشقاوة. وأنا أقول مثل ذلك، ودعاء القطب مستجاب ». ويقول: « إن مولاي عبد السلام كان على الطابع، وأنا عليه اليوم ».

ويقول: « إن شيخي مولاي عبد الله الشريف كان يقول: أغلايا الموتُ اليوم والبعْث غدًا، وترى مقام الرجال عند سيدها. وأنا أقول: أغلايا الموت اليوم والبعث اليوم، وترى مقام الرجال عند سيدها ». ويقول: « مقامي هذا لم يتقدم إلا لرجلين »، ويسمى صاحب هذا المقام: بالقاضي والخاضري. ويقول: « من رأى من رآنا إلى عشر؛ لم تحرق عظامه النار ». ويقول: « لا يدخل النار من شهد جنازتي، وإن كان يهوديا، أسلم »... إلى غير ذلك من كلامه، المشير لعلو مقامه.

وله - رحمه الله - تأليف في "سر النقطة"، وآخر سماه "شمس القلوب، وخرق الحجوب، في معرفة علام الغيوب".

توفي يوم الاثنين بعد الزوال سابع ربيع الأول سنة ست وثلاثين ومائة وألف، ودفن بزاويته التي بالمدارج، القريبة من حومة العيون من فاس القرويين [296]، وهي مشهورة عن يسار الطالع، وقبره بها عن يمين المحراب، مشهور عليه دربوز، يزار ويتبرك به. . . نفعنا الله به. . . آمين.

ترجمه في "تحفة الإخوان"، وفي "النشر"، و"سلوك الطريق الوارية". . . وغيرها، وألف في مناقبه بالخصوص: تلميذه سيدي عبد الله ابن يخلف تأليفا سماه: "سلوة المحبين والمريدين، ونكاية الحاسدين والجاحدين، في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأفراد العارفين". حصره في مقدمة وستة أبواب، وهو مشتمل على نحو سبع كراريس في القالب الرباعي.

وللشيخ سيدي سليمان الحوات قصيدة رجزية نظم فيها نسبه، وبالغ فيها في مدحه والثناء عليه، وذكر أن ضريحه مجرب لقضاء الحوائج، وأن الدعاء عنده مستجاب.

[298- الشريف مولاي أحمد بن محمد ابن الفقيه الزجني]
[299- الشريف مولاي إدريس بن محمد بن محمد ابن الفقيه الزجني]

وقد دفن معه في زاويته المذكورة جماعة من ذريته وأحفاده؛ منهم: ولده الفاضل الذكي الكامل مولاي أحمد. قال في كتاب "سلوة المحبين": « هو في غالب أوقاته صائم، ويقوم بعض الليل، وإن شئت لا تراه إلا ذاكرا؛ رأيته، أو تاليا؛ فكذلك، ورأينا علماء بلدنا يعظمونه ويحترمونه، ويلتمسون منه الدعاء ». هـ.

ومنهم: حفيده - أعني: حفيد الشيخ - أبو العلاء مولاي إدريس بن الولي المعظم المهاب المحترم، الكريم الجواد، صاحب السر والحال؛ سيدي محمد بن الشيخ سيدي محمد ابن الفقيه.

وكذلك دفن معه بها جماعة من غيرهم ممن له مزيد صلاح وولاية، ممن أخذ عنه وممن لم يأخذ. ولم أذكرهم؛ لعدم وقوفي على تراجمهم.

تنبيه وفائدة
[في ضرورة تأويل كلام كثير من أكابر الأولياء]

يذكر عن كثير من أكابر الأولياء أنهم كانوا يقولون: « من رآنا لم تمسه النار! »، أو نحو هذا من العبارات. قال في الرحلة العياشية: « وهو كلام محتاج إلى تأويل، ويبعد حمله على ظاهره، وأن المراد

بمجرد الرؤية البصرية؛ فإن القواعد تأبى بقاءه على عمومه؛ فإن الولي يراه البر والفاجر، والمصر على الكبائر، المقارف لها، والجاهل الذي يتطرق الخلل إلى إيمانه؛ لغلبة الجهل والآراء الفاسدة، ولكثرتهم جدا؛ فيبعد موت جميعهم على التوبة النصوح الموجبة لغفران جميع الذنوب، الموجب للنجاة من النار)).

((إلا أن كلام الأولياء لا ينبغي أن يرمى به جزافا؛ فليحرص المرء على لقائهم ورؤيتهم، والتبرك بهم، فعسى أن يصادف نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنيا وآخرة؛ فإن لله عبادا إذا نظروا إلى أحد أغنوه. ومع ذلك فلا يركن إلى ما يجري على ظواهر ألسنتهم كل الركون حتى يعتقد أنه إن رأى أحدا ممن قال مثل ما تقدم أمن من النار؛ فإن لكلامهم وجوها واحتمالات تدق عن أفهام أكثر الخلق ممن لم يسلك طريقتهم)).

((وأقرب ما يحمل عليه الكلام [297] المتقدم؛ أن تحمل الرؤية على القلبية، والمرئي على صورته الباطنية، التي توجب العلم بما هو عليه من سني الأحوال، وسمي الأوصاف، ورفيع المقامات، ولا شك أن من منح شهود ذلك وأشرف عليه؛ فإنه يكون له نصيب وافر من التخلق بأخلاق الأولياء، والورود من موارد الأصفياء، وحينئذ يكون جديرا بأن لا تمسه النار))...

ثم قال: ((ولو صح حمل الكلام المتقدم على ظاهره وعمومه؛ لكان أولى بذلك الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكثير ممن رآهم رؤية بصرية لم يوفق للاهتداء بهديهم؛ فحرم بركة رؤيتهم، وكل مقام ناله ولي من الأولياء؛ فهو ميراث أتباعه لنبيه، وما كان ميراثا لا يصح أن يكون شيئا لم يكن لموروثه، بل يستحيل عند أرباب القلوب أن ينال ولي ولو ذرة من مقام أو حال لم تكن بكمالها لمتبوعه، ومعلوم أن هذه الحال لم تكن لأحد قط فلابد من التأويل، وما أطنبت في هذا؛ إلا لأني رأيت كثيرا من الجهلة يغتر بأمثال هذا، ويحمله على ظاهره...)). انتهى. كلام أبي سالم رحمه الله ونفعنا به... والله أعلم.

[300- العلامة المقرئ سيدي عبد الله بن محمد ابن يخلف]
(ت: 1162)

ومنهم: تلميذه الفقيه المؤدب الأجل، الأستاذ المجود الأفضل، المسن الواعظ الأحفل، الصالح البركة الأكمل؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن محمد؛ المدعو: ابن يخلف، الأنصاري نسبا الأندلسي أصلا، الفاسي دارا ومنشأ.

كان – رحمه الله – من الأئمة المعتمدين في فن القراءات، مرجوعا إليه في المقاري السبعة فما فوقها إلى العشر. وأخذ ها عنه خلائق من فاس وغيرها، وصُدِّر لذلك بمسجد القرويين.

وكان كثير الصمت، حسن السمت، كريم الأخلاق، ذا حياء وهيبة وهمة، ووقار وسكينة، تعتريه الأحوال الربانية عند الذكر ونحوه، وكثيرا ما تظهر عليه علامات الخير عند الواردات الوهبية، وتغلب عليه؛ فيبشر ويخبر، ولا يتبدل حاله إلا إذا غلب عليه ذلك؛ فيخرج منه ما يخرج، وكان يقرئ الصبيان بمكتب باب زنقة الجياد من حومة البليدة، ويؤم الناس في صلاة تراويح رمضان بمسجد مولانا إدريس، ويورق كتب الوعظ عند الفجر به أيضا، والتفسير بعد صلاة الصبح عند محراب القرويين، و"الحلية" بظهر صومعتها عند العصر.

وكان لقراءته حلاوة، وعليها طلاوة، قال في "نشر المثاني": « وسمعت بعض الناس ممن خالطه يحدث عنه بكرامات وخوارق عادات ». هـ.

أخذ علم القراءات عن العلامة الأستاذ البركة سيدي إدريس بن مَحمد بن أحمد المنجرة الشريف الحسني الإدريسي، وطريقة التصوف عن الشيخ العارف بالله سيدي محمد ابن الفقيه، وبه تربى وتهذب، وتخلق وتأدب، حتى ظهرت عليه بركته، وشملته عنايته وعطفته، وألف في مناقبه تأليفا كما تقدم [298]، وقد أخبر في هذا التأليف عن نفسه أنه: كان مرة جالسا في بيت من داره صبيحة إحدى وعشرين من رمضان عام ثلاثين ومائة وألف؛ إذ قيل له في باطنه: « غفر الله لسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا، ولسبعمائة هكذا . . . »، قال: « يعني من أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، وجنبا من جهة الركن الأيمن، وجنبا من جهة الركن الأيسر ». وقال فيه أيضا: « كنت جالسا بضريح مولانا إدريس – رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته – قبل وقت صاحب السلام، إذ قيل لي في باطني: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾. [النحل : 125]، فعلمت أنه قد أذن لي في القبول ». هـ. يعني: في قبول الخلق وتربيتهم.

وكان شيخه المذكور قد جعله مقدما على الفقراء؛ فطلب منه بعض أصحابه أن يقدم عليهم غيره لكونه مشغولا بالقراءة مع الطلبة فتغيظ وقال له: «والله ما قدمته عليكم حتى أذن لي النبي صلى الله عليه وسلم في تقديمه . . .»، وقال له شيخه المذكور مرة: « لا تَخرجُ من الدنيا حتى تتولى هذا الأمر ». وقال يوما للفقراء: « عبد الله بن يخلف؛ بدل مني وأنا بدل منه! ».

توفي – رحمه الله – في السابع والعشرين من ذي القعدة عام اثنين وستين ومائة وألف، ودفن بزاوية شيخه المذكور، بأصل جدار قبتها الغربي، مقابلا لشيخه. قال في "التقاط الدرر": « وجعل عليه دربوز وثياب رفيعة كعادة ضرائح الأولياء – رحمه الله » .هـ. ترجمه في "النشر" على ما في بعض نسخه، وكذا في "التقاط الدرر"، و"سلوك الطريق الوارية".

[301– سيدي محمد بن عبد الله ابن يخلف]
(ت: 1188)

وقد خلف – رضي الله عنه – ولدا؛ وهو: الفقيه الأجل، البركة الأفضل؛ أبو عبد الله سيدي محمد . كان قارئا حافظا لبعض القراءات، إماما في تراويح رمضان بمولانا إدريس، ولي ذلك بعد موت والده.

وكان من المحبين في الله الصادقين في محبتهم، يحب الخير وأهله، تقيا نقيا، عفيفا حسيبا نسيبا، زكيا صالحا، ذاكرا متواضعا، يحب الاجتماع للذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويتواجد عند ذلك، وتحصل له الغيبة الطويلة، وظهرت عليه علامات الخير؛ خصوصا في آخر عمره.

أخذ عن الشيخ سيدي مَحمد ابن الفقيه، وعن والده سيدي عبد الله، ولقي غيرهما من أهل الخير وتبرك بهم.

توفي أوائل المحرم فاتح سنة ثمان وثمانين ومائة وألف ترجمه في "سلوك الطريق الوارية" ولم يذكر له مدفنا.

[302– الشيخ المربي الشريف سيدي عبد الله بن أبي طالب الكتاني]
(ت: 1163)

ومنهم: الشريف الأجل، الأرضي الأفضل، الصالح البركة، الراجي فضل مولاه في كل سكون وحركة؛ أبو محمد سيدي عبد الله ابن الشريف الأكرم الجليل، الفاضل الأثيل، مولاي أبي طالب بن علي بن مَحمد (فتحا) بن علي الحسني الإدريسي، المعروف بالكتاني [299].

رأيته محلى في صداق ابنته السيدة الهاشمية بـ: « الشريف الزكي الأنزه، الخير الدين الأوجه، الفاضل الأسعد، الماجد الأعضد، المرعي المحفوظ، الفائز من خير الدارين بأوفر الحظوظ، الحاج الأبر، العفيف الأطهر » .هـ.

وكان – رحمه الله – ممن أخذ عن الشيخ سيدي مَحمد ابن الفقيه المذكور، واقتبس من أنواره، واستفاد من أخباره، وكان السبب في أخذه عنه: أنه ذهب في أول أمره إلى الشيخ الصالح سيدي علي عزوز بزغوان، قرب تونس، بقصد زيارته والأخذ عنه، فلما دخل عليه؛ قال له: « لست بصاحبي وشيخك هو سيدي محمد ابن الفقيه بفاس ». فرجع إلى فاس؛ فوجد الشيخ قد شرع في بناء الزاوية التي بها ضريحه، فوجهه الشيخ إلى البناء، وقدمه عليه؛ لكونه كان له رأي وفهم، وكان يطلب من الشيخ شيئًا من الدنيا لكونه كان قليل ذات اليد؛ فناداه الشيخ يوما وأمره باتباعه؛ فخرج وتبعه؛ فلم يشعر وقد ذهب قليلا حتى وجد نفسه في فدان من باذنجان لا يدري في أي أرض الله هو؟، فجعل الشيخ يطوف في الفدان ويلتفت إليه، ويقول له: « كَشوف يا سيدي عبد الله هذه الدنيا ؟!! »، ويكرر ذلك، وسيدي عبد الله يقول له: « نعم يا سيدي »، حتى إذا عزم الشيخ على الخروج من الفدان؛ عمد سيدي عبد الله المذكور إلى باذنجانة واحدة وقطعها وخبأها في جيبه، ثم خرج الشيخ وتبعه سيدي عبد الله؛ فلم يشعر حتى وجد نفسه بباب الزاوية؛ فلما مد يده إلى الباذنجانة وأخرجها؛ وجدها قطعة من ذهب، فقدم وجاء إلى الشيخ؛ فقال له رضي الله عنه: « ذلك الذي أعطاك الله، ألم أقل لك: كشوف هذه الدنيا يا سيدي عبد الله وأكررها عليك؟! ».

وكان بعد ملاقاته مع الشيخ وأخذه عنه؛ مشتغلا بشيء من علم النار؛ المسمى بعلم التدبير فناداه الشيخ ذات يوم وقال له: « أنت مشتغل بكذا وكذا؟ »، فقال له: « نعم يا سيدي »، فقال له رضي الله عنه: « دع عنك ذلك؛ يغنك الله. وصنعتنا وتدبيرنا هو كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم »، فامتثل وترك ذلك ولم يعد إليه، ولم يكن يملك بفاس ولو آجرة واحدة؛ فوسع الله عليه وملك الدار بعد أن كان اشتراها من مال الشيخ، والطراز وغير ذلك من الأصول والدراهم...

وفي "تحفة الإخوان" في ترجمة سيدي محمد ابن الفقيه ما نصه: « وحدثني أخونا الشريف الأجل، المرابط الأفضل؛ مولاي عبد الله بن مولاي أبي طالب الشريف الكتاني، وكان من أصحاب هذا الشيخ سيدي محمد ابن الفقيه، قال: كنت أعرف بعض الطلبة، وعلمني صنعة تقصيص أربع موزونات كل يوم وما أذكر من الأسماء عليها، وبخورها، وأحكمتها؛ فجئت إلى سيدي مَحمد وأعلمته بذلك رجاء أن يأذن لي في ذلك... قال: فنهاني عن ذلك؛ وقال لي: لا تفعل ذلك؛ فإن [300] آكل ذلك إنما يأكل الحرام، وطريقة شيخنا مولاي عبد الله هي كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فهي تدبيرنا وصنعتنا؛ لأن من يدبر لا يحل له أكله حتى يقول له: هذه صنعة يدي، وليست من المعدن، والتقصيص من أكل أموال الناس بالباطل؛ لأن الجني الذي يأتيه بذلك لا يؤمن، ولعله يختطفه من أموال المسلمين، ويطعمه الربا والحرام... ».

« وذكر لي مولاي عبد الله هذا قال: علمني هذا الشيخ سيدي محمد المذكور هذه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهي: *اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تخرجني من ظلمات الوهم، وتكرمني بنور الفهم، وتوضح لي ما أشكل حتى يفهم، إنك على كل شيء قدير*. وقال: إنه أخذها عن شيخه سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا؛ مولانا عبد الله الشريف. وقال: من داوم على قراءتها سبعة أيام خمسمائة مرة في اليوم؛ رأى لذلك سرا عظيما في دينه ودنياه ».

ولم أقف على تاريخ وفاته؛ إلا أنه وقفت على رسم إيصاء له على أولاده في مرض له، وأظنه الذي توفي فيه؛ وهو مؤرخ بسادس عشري رجب الفرد عام ثلاثة وستين ومائة وألف، وأخبرني بعض أحفاده من أبناء عمنا أنه لم يزل يسمع أنه دفن بزاوية شيخه المذكور والله أعلم.

[303- العارف الشريف مولاي مَحمد بن أحمد الكتاني]
(ت : 1198)

قلت: وبالزاوية المذكورة ضرائح كثيرة لأبناء عمنا ممن أخذ عن الشيخ المذكور وممن لم يأخذ عنه، وهي نحو من ستة وعشرين ضريحا؛ فيما أخبرت؛ من جملتها: ضريح الشريف الصالح البركة العارف مولاي مَحمد (فتحا) بن أحمد بن عبد العزيز بن أحمد بن علي بن قاسم الكتاني؛ والد الوليين الصالحين: المجذوب البركة سيدي محمد - المدعو: الحمدوشي، والعارف الكبير؛ مولاي الطيب دفيني مصلى باب الفتوح.

قد ذكره في "الدرة الفائقة" وقال: « أخبرني بعض أعيان هذه الشعبة الكتانية ممن يوثق به؛ أنه: كان من الصالحين العارفين، مستجاب الدعوة ». هـ. ولم أقف على تاريخ وفاته؛ إلا أنها أواخر القرن الثاني، أو أوائل الثالث. . . والله أعلم.

[304- سيدي صوال]

ومنهم: الولي الصالح، الشهير الواضح؛ سيدي صوال. بعقبة ابن صوال، بالدار الثانية عن يسار الطالع. لم أقف له على ترجمة. نعم: أورده في "التنبيه"، وكذا الشيخ المدرع في منظومته؛ فقال:

وسيدي صوال ذو الإفادة   يعرف عند الناس بالسيادة

وفي تأليف للشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، ذكر فيه بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم؛ ما نصه: « ومنهم: بيت بني صوال. بفتح الصاد المهملة، وفتح الواو المشددة. بيت فقه وثروة، ولهم زقاق بفاس يعرف بعقبة ابن صوال، ولا عقب لهم »... انتهى [301].

[305- الشيخ سيدي الحسن الصنهاجي]
(ت: 1146)

ومنهم: الشيخ الجليل، البركة الحفيل، السني الصالح، العلم الواضح؛ أبو علي سيدي الحسن الصنهاجي، نسبة إلى صنهاجة؛ القبيلة المعروفة.

كان – رحمه الله – أول أمره بمدينة تازا مقيما للعبادة في خلوة بجامع الزيتونة منها، ويحكى أنه كان مع ذلك كثيرا ما يشاهد بمكة. ثم إنه قدم على فاس؛ فصارت له خير كناس، وكان من جملة من صحبه بها وسكن إليه، وانحاش إلى جانبه، وعول عليه: الفقيه الفاضل، الشريف الواصل؛ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الصقلي الحسيني، أبو السادات أهل رحبة الزبيب، فقال له صاحب الترجمة بعد مدة، عند ما قرب أجله: « إذا كنت أنت أو واحد من أولادك في شدة؛ فادعوني أخلصكم منها ».

ولازالت عنايته فيهم عند الأزمات واضحة، ولا برحت هذه المنقبة لهم من المتاجر الرابحة؛ فمما شاع من ذلك أن أخوين من أبناء هذا الشريف خرجا مسافرين في زمن قل فيه أَمْنُ السبيل؛ لتوالي الفتن، فاستقبلهما الليل في بعض الفلوات المخوفة، والوقت نهاية في اشتداد الظلمة بتراكم السحاب وانهمار الأمطار؛ فذهبا في طلب العمران كل مذهب، فلم يجدا أثرا لإنسي بجال، فوقعا في شدة عظيمة تذكرا معها مقالة صاحب الترجمة لأبيهما؛ فحينئذ دعياه: « يا سيدي الحسن الصنهاجي »، مرتين أو ثلاثا، وكان قد توفي بسنين، فبينما هما قد فرغا من دعائهما؛ أبصرا خيمة في القرب منهما بمحل كانا قد مرا به مختبرين قبل ذلك، فلم يكن به شيء، فذهبا إذ ذاك إليها؛ فإذا هي مفروشة بحصير، فحطا بها رحلهما، ووجدا من أنفسهما الأنس الذي لا خوف معه، ثم بعد ساعة؛ آتاهما رجل بعشاء طيب من طعام الحاضرة، ولا يعهد مثله في البادية، سيما في ذلك المحل؛ فأكلا وعليهما النوم؛ فلما استيقظا عند إسفار الصبح، حملا أثقالهما وأرادا الانصراف عن الخيمة وما فيها، فبقيا في رجاء رب الخيمة، وركبا في طلبه ظهر كل شومه؛ فلم يقفا له على خبر ولا أثر؛ فلم يمكنهما إلا ترك الخيمة وما فيها من الحصير وإناء الطعام والشراب عن يقين بأن ذلك إنما أتيح لهما من عناية صاحب الترجمة تحقيقا لما قاله لوالدهما ».

أخذ – رحمه الله – عن الشيخ الكبير، الولي الشهير؛ أبي العباس سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، وبه تربى وتهذب، وعلى يديه تكمل وتأدب.

وأخذ عنه هو وتبرك به جماعة؛ منهم الشيخ سيدي التاودي ابن سودة المري؛ وقد أورده في فهرسته، وعده فيها فيمن لقي من صلحاء المغرب؛ فقال: « ومنهم: السيد الجليل، المشهود له

بالتفضيل، أبو علي سيدي الحسن الصنهاجي، دفين روضته برحبة الزبيب [302]، بين مسجدها ومسجد العقبة الزرقاء، من أصحاب الولي سيدي أحمد بن ناصر، قدم مدينة فاس وأكب عليه الناس، وسمعنا عنهم في شأنه أمورا؛ فلقيته وتبركت به، وصافحني كأن كفه حرير وخلقه نسيم. توفي – رحمه الله – قبل سنة الخمسين – يعني من القرن الثاني بعد الألف)). هـ.

وأورده في "نشر المثاني"، وفي "التقاط الدرر" فيمن توفي في سنة ست وأربعين ومائة وألف؛ قائلا في "النشر" ما نصه: ((ومنهم: سيدي الحسن الصنهاجي؛ دفين رحبة الزبيب بفاس، سمعت من بعضهم أنه: كان دينا خيرا، منتسبا للطريقة الناصرية – رحمه الله)). هـ.

ويوجد في بعض نسخه ما نصه: ((ومنهم: سيدي الحسن الصنهاجي؛ لا معرفة لي به ولا بحاله، دفن في دار براحا زعموا أنها له، على يد صاحبه سيدي أحمد بن محمد الوراق الصقلي الحسيني برحبة الزبيب، بين مسجد الرحبة ومسجد عقبة الزرقاء المعلق الأسفل، واتخذت الدار التي دفن بها مقبرة ويتبرك به الآن)).

وضريحه – رحمه الله – هو المتصل بالقوس المقابل للداخل من الباب المفتوحة الآن، عليه مقبرية من رخام، وهو مزار متبرك به. وممن ترجمه: صاحب "الروضة المقصودة" فراجعه.

[306- الشريف مولاي أحمد بن محمد الصقلي]
(ت: 1150)

ومنهم: الشريف الأسمى، اللوذعي الأحمى، الفقيه الفاضل، البركة الكامل؛ أبو العباس سيدي أحمد ابن الفقيه القارئ الفصيح أبي عبد الله سيدي محمد – المدعو: الوراق؛ لتوليه سرد كتب السير بالقرويين – ابن العربي بن مَحمد (فتحا) الصقلي الحسيني، جد السادات الصقليين الحسينيين أهلَ رحبة الزبيب.

كان – رحمه الله – يسكن بدار بقعر درب سَتّور من حومة رحبة الزبيب، وله بها غرفة عالية معروفة إلى الآن، يقال: إنه كان يتعبد بها، وكان من جلة أصحاب سيدي الحسن الصنهاجي المذكور، السالكين على يديه، المعولين في طريق التربية والوصول إلى الله عليه، وتقدم أنه: قال له بعد مدة من صحبته له عندما قرب أجله: ((إذا كنت أنت أو واحد من أولادك في شدة؛ فادعوني أخلصكم منها)).

ووفاته – رحمه الله – فيما يغلب على الظن – بعد وفاة شيخه المذكور، وضريحه بروضته أمامه، متصلا به، عليه مقبرية من رخام أيضا، ولم أقف له على ترجمة.

[307- الإمام سيدي المهدي بن الطالب ابن سودة المري]
(ت: 1294)

ومنهم: شيخ شيوخنا الإمام الماهر، العلامة الباهر، الطود الأمجد، والهمام الأصعد، حامل ألوية التحقيق، وسالك سبل التدقيق، قاضي مكناسة الزيتون ونواحيها، الحاج الأبر؛ أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: المهدي - ابن الطالب ابن سودة المرّي.

ولد - رحمه الله - سنة عشرين ومائتين وألف، وكان فقيها محدثا أصوليا بيانيا، منطقيا نحويا مشاركا، درس فأفاد، ونفع العباد، وكان بديع الدقائق والفهومات، غريب الأبحاث والإشكالات، مع اتساعه في العلم وتبحره [303] والغوص على نفائسه وإشاراته، وتدبره.

وألف تآليف عديدة؛ منها "حواش على مختصر السعد"، وأخرى على "المحلي" على "جمع الجوامع"، وأخرى على "شرح السُلم" للعلامة بناني، وأخرى على "الخرشي"... وتقاييد كثيرة في أوضاع مختلفة.

وكان أخذه بفاس عن سيدي عبد السلام الأَزَمي، وسيدي علي بن إدريس قصارة، قرأ عليه النحو والحساب والعروض، وسيدي بدر الدين الحمومي، وشيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي... وغيرهم.

وارتحل للحج في ثامن ربيع النبوي عام تسعة وستين ومائتين وألف؛ فحج وزار، ولقي هناك جماعة من الفضلاء والأخيار، ودرس بمصر والحرمين، وأقر له بالفضل والتقديم دون مين، ووقع له هناك ظهور كبير، أخبر به الجم الغفير، وفي أوائل صفر الخير عام اثنين وسبعين؛ ولي قضاء مكناسة الزيتون، وبقي واليا بها إلى وفاته.

وكان يقرأ البخاري في الأشهر الثلاثة مع السلطان مولانا عبد الرحمن، ثم مع ولده السلطان سيدي محمد، ثم مع ولده السلطان مولانا الحسن، إلى أن توفي في حياته بفاس عشية الخميس رابع رمضان، وصلي عليه من الغد بعد صلاة العصر بجامع القرويين سنة أربع وتسعين ومائتين وألف، ودفن برحبة الزبيب بمحل اتخذ له زاوية بين مسجد العقبة الزرقاء المعلق الأسفل، والمكتب الكائن أسفل منه.

[308- سيدي طلوق]
[309- سيدي اللجائي]

ومنهم: الولي الشهير: سيدي طَلوق. أورده في "التنبيه" مع رجل آخر يقال له: سيدي اللجائي، وقال: « ضريحهما بجامع سيدي طلوق عند أساس الصومعة داخلها ».هـ. وفي منظومة الشيخ المدرع:

وسيدي طلوق بين رُفقته	ضريحهم بالقرب من صومعته
معه اللجائي الرضى الأواه	وسيدي الصنهاجي ما أولاه

ولم أقف لهما على ترجمة.

[310- الفقيه سيدي عبد الرحمن بن سليمان اللجائي]
(ت: 772)

تعمٌ: ترجم غير واحد، كابن القاضي، وأبي العباس السوداني. وابن قنفذ للشيخ الفقيه الصالح المفتي العالم العلامة المتفنن أبي زيد سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ الفقيه أبي الربيع سليمان اللجائي الفاسي، وذكروا أنه أخذ عن أبي العباس أحمد بن البنا الأزدي المراكشي علومه التعليمية.

وأخذ عنه هو: أبو العباس بن قنفذ القسمطيني، والده سليمان من فقهاء فاس، وهو من تلامذة القرافي وهو أول من أدخل مختصر ابن الحاجب في الأصول إلى المغرب، وعنه أخذ.

توفي أبو زيد هذا – على ما ذكره ابن قنفذ في وفياته – سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة إحدى وسبعين، وقيل: سنة اثنين وسبعين وسبعمائة، وذلك بمدينة فاس – رحمه الله ورضي عنه.

[311- الفقيه سيدي أحمد بن محمد اللجائي]

وترجم في "الجذوة" أيضا لأبي العباس أحمد بن محمد [304] ابن عيسى اللجائي؛ من فقهاء مدينة فاس، ومعاصري الإمام أبي عبد الله العبدوسي. نقل عنه ابن غازي في "تكميل التقييد" والونشريسي في "معياره"، وأخذ عنه الإمام العلامة محمد بن محمد ابن مرزوق الكفيف.

[312- سيدي علي اللجائي]

وترجم في "أنس الفقير" لرجل من أهل فاس يقال له: سيدي علي اللجائي؛ فقال: « ورأيت منهم - يعني من الصالحين بفاس - الشيخ الصالح أبا الحسن عليا اللجائي، ولي به معرفة ويفتقدني، ويسأل عن حالي كثيرا، وهو ألين الفقراء معاملة، وأعذبهم كلاما، إذا جلست معه لا تريد أن تفارقه، وله سعي في حوائج المسلمين، وتفريق في الصدقات على الفقراء والمساكين، وكان يأخذ في إيصال الحقوق ونصر المظلوم، ويُدْعَى له الغريم كما يدعى إلى الحاكم، ولا يتخلف بوجه، والعلماء ينتابونه - أي: يرجعون إليه مرة بعد أخرى - وكان يُجْري على المحتاجين منهم النفقة المرتبة اليومية ».

« قلت لبعض الصالحين: من أين عيشك؟، فقال لي: من نفقة أجراها لي اللجائي، يأتي بها في عشية كل يوم. وكذلك كان مع غيره ويوفي بما يلتزم في ذلك، وييسر الله له في قصده، ومازال يعين من احتاج منهم إلى التزويج. وصناعته: الخياطة، وكان كثيرا ما يحبس الأجباء ».

« ولباسه: جبة صوف أبيض إلى أنصاف ساقيه، وله مجاهدة وعبادة، وإذا رأيته تعرفه بسيمته، وكان يمشي في بعض الأوقات حافيا في الطين في حوائج الناس، أو في تغيير منكر، ويدخل مجالس الأمراء بحالته، فإذا قضى حاجته؛ غسل رجليه وانتعل. وكان محسودا فيما سناه الله له من طاعة الأمراء، وخضوع الوزراء، مقولا فيه كثيرا بسبب ذلك، ضاعف الله أجره ونفع به ». هـ.

ولم أدر هل اللجاني المذكور مع صاحب الترجمة واحد من هؤلاء أو هو رجل آخر؟. ورأيت في بعض الطرر أنه ذكره صاحب "السلسل العذب"، و"ابن القاضي"، والذي ترجم له صاحب "السلسل العذب" هو الأخير المترجم له في "أنس الفقير"؛ ونصه: « ومن الطبقة الثانية: الشيخ المتحقق المتواضع، الحسن الهدْي الخائف الخاشع، الناسك المبارك؛ أبو الحسن اللجائي، تلميذ الشيخ أبي عبد الله الحلفاوي، وأحد أعلام مشاهير الوقت، والظاهرين بطريقة الخير، المنتصبين لأفعال البر، لقي عدة من الأكابر وفضلاء المشايخ؛ مثل: الشيخ الزيات شيخ شيخه الحلفاوي ونظرائه، ومن كان في وقته. فاقتبس من أنوارهم، واستفاد من فوائدهم، وتأدب من آدابهم، وانتفع بخدمتهم وموالاتهم، وظهر عليه ما نال من بركاتهم. فما زال بعد مثابرا على الخير ملازما لطريقة البر مشتغلا بزكاة نفسه وطهارة قلبه حافظا لكتاب الله عز وجل،[305] وكانت له بداية اجتهادية، وحالة مرضية ».

« فمن ذلك؛ أنه كان يجلس بعد صلاة الصبح ذاكرا الله تعالى، متوجها في المسجد، فلا يزال على حالته تلك إلى وقت الزوال، فإذا رام القيام؛ يؤثر الحصير في لباسه، وكان - مع ذلك - شديد الخدمة لشيخه، كثير المراقبة لأحواله، دائم الملازمة له، وسلك نوعا من طريقته في القيام على مصالح المسلمين، والنظر في أحوال المساكين، والوساطة في الصدقات عليهم، والمبالاة بأمرهم، وله في حسن المحاولة في صلاح ذات البين بين الناس قدم، وفي زوال الشحناء والتباغض بينهم »... والله أعلم.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء
حومة جزاء ابن زكون وسيدي العواد وما هو مضاف إليها

[313- الفقيه أبو علي الحسن بن إبراهيم ابن زكّون]
(ت: 553)

منهم: الشيخ الفقيه، المحدث النبيه، أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله ابن أبي سهل المكنى بأبي علي والمعروف بابن زكون.

قال في "الجذوة": « أصله من تلمسان، ونزل بمدينة فاس، وكتب بها عن أبي موسى عيسى بن يوسف ابن الملجوم، ودخل الأندلس؛ فسمع بقرطبة من أبي محمد ابن عتّاب، وبمرسية من أبي علي ابن سُكرة، وأبي محمد بن أبي جعفر، وله تأليف في الرأي ».

« مولده في شعبان سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وتوفي في ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. قال ابن الأبار: استفدته من عبد الرحمن ابن الملجوم ». هـ.

وفي تأليف لأبي زيد الفاسي ذكر فيه "بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم" ما نصه: « ومنهم: بيت ابن زكون. بيت فقه وثروة وترف، أظنهم من البربر، منهم: الفقيه حسن ابن زكون، والفقيه قاسم ابن زكون، وإليهم ينسب جزاء ابن زكون بفاس بإزاء جسر الصباغين ». هـ.

وفي بعض التقاييد بخط بعض الفضلاء ما نصه: « أبو علي الذي ينسب إليه جزاء ابن زكون، هو: حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل، أبو علي ابن زكون، تلميذ الصدفي، وابن عتّاب: أصله من تلمسان. توفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. ذكره ابن الأبار ». هـ.

وفي تقاييد أخرى في صلحاء فاس عند عد صاحبها لأولياء داخل المدينة ما نصه: « أبو علي ابن زكون، صاحب جزاء ابن زكون؛ أصله من تلمسان ». هـ.

والعامة اليوم تسميه بسيدي زكون. وهو بداره من الحومة المذكورة، بالدرب الكبير الكائن بقنطرة الصباغين يسار الذاهب لسيدي العواد، ثم بالدرب الصغير منه عن يمين الداخل فوق المسجد هناك، يسار الداخل إليه. . . والله أعلم.

[314- سيدي العواد]

ومنهم: الولي الصالح سيدي العواد؛ بالمسجد المعروف به الآن [306]، عن يسار الآتي من ناحية جزاء ابن زكون لناحية الطرافين، قبالة الوادي هناك، مجاورا لباب النخالين.

أورده في "التنبيه" فقال: « ومنهم سيدي العواد، بقنطرة العوادين، بداره. وضريحه تحت المسجد ». هـ.

وداره المذكورة: هي التي بنيت عليها الآن مسجدا مع ما أضيف إليها، ومحل ضريحه منها تحت سقف مسجد باب النخالين، وهو الآن غير معروف، وعامة الناس يظنون، بل يعتقدون أنه صاحب الدربوز الذي بالمسجد المذكور، وليس هو قطعا، بل صاحب الدربوز المذكور من أبناء بعض الرؤساء، جعل الدربوز على ضريحه غلطا، ظنا من الجاعل لجهله أنه قبر صاحب الترجمة. وقد رأيت مكتوبا في رخامة بوسطه ما نصه: الحمد لله وحده؛ هذا ضريح المرحوم بكرم الله سبحانه أبو الرو (كذا) بن المرحوم بكرم الله تعالى وزير العالي بالله، السيد عبد الله ابن حَمٌ. رحمة الله عليهما، توفي في ربيع النبوي عام سبعة وثلاثين ومائة وألف ».

وأشار أيضا لصاحب الترجمة الشيخ المدرع في منظومته؛ فقال:

والسيد العواد عند القنطرة   أخباره مأثورة مشتهرة

ولم أقف له على ترجمة.

[315- سيدي أنوار]

ومنهم: الشيخ الشهير، المعظم الخطير، مطلع الإشراق والأنوار، وبحر المعارف والأسرار، الولي الصالح سيدي أنوار. بمسجد درب سيدي العواد، ببيت صغير بفنائه عن يسار المحراب، عليه دربوز كبير، يزار به. ولم أقف له على ترجمة.

والدرب المذكور: هو المعروف قديما بحومة برزخ، وهذا المسجد كان يقال له: جامع الأنوار، وبه كان يجتمع أهل الخواطر. وفي "رياض الورد" أن الشيخ أبا الفيض حمدون ابن الحاج أول ما صرفه والده عند كمال فطنته، إلى مؤدب كان بداخل روضة صاحب الترجمة؛ وهو: الفقيه الأجل سيدي علي الهواري. . . والله أعلم.

[316- العلامة سيدي مَحمد بن طاهر الهواري]
(ت: 1220)

ومنهم: الشيخ العلامة، والحبر الفهامة، واسطة العقد في العلوم الأدبية، ورابطة الحكم في القضايا الشرعية، الجميل المشاركة، الثابت الملكة، حلو الشمائل، وفخر الأواخر على الأوائل؛ القاضي أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن طاهر الهواري.

كان - رحمه الله - علامة فهامة، يتقد ذهنه ذكاء وفطنة، كثير المباحث في كل فن مع ملكة التعبير وجودة الخط، وإحكام الشكل والضبط، موصوفا بالإتقان، معلوما بالتحقيق والإيقان، واعيا لما يقول، مستحضرا لغريب النقول، جامعا لأشتات العلوم، على الخصوص والعموم.

أخذ عن عدة أشياخ منهم: العلامة سيدي أحمد الزبادي، أخذ عنه الأدب والعروض، وأخذ العربية والتفسير والحديث عن العلامة مولاي عبد الرحمن المنجرة، والفقه والأصول والمنطق والبيان عن العلامة أبي حفص الفاسي.

وأخذ عنه السلطان مولانا سليمان: النحو والأدب والمنطق والبيان، وهو [307] عمدته فيها.

وقلد القضاء بهذه الحضرة الإدريسية في شعبان سنة خمس وتسعين ومائة وألف؛ فاستحسنت سيرته، وحمدت سريرته.

وألف تآليف عديدة؛ منها: حاشية على شرح سيدي سعيد قدورة سماها "باليواقيت المنثورة"، و"أرجوزة في علم الكلام"، وأخرى في المنطق، وأخرى في أنواع الجناس؛ سماها "تحفة الجلاس في جمع ما جاء من الجناس"، وأخرى فيما انفرد به ابن عاصم في تحفته من الصور عن مختصر خليل؛ بحيث لا توجد فيه لا منطوقا ولا مفهوما، وكم له من أنظام في فنون علمية، وأشعار أدبية، ومكاتبات وأسجاع، تستحسنها الطباع.

توفي - رحمه الله - صبيحة يوم السبت عشري محرم الحرام فاتح سنة عشرين ومائتين وألف، ودفن بضريح سيدي أنوار معه في بيته. ترجمه العلامة الكوهن في فهرسته، ذاكرا له من جملة شيوخه، وكذا ألم بشيء من ترجمته غيره... والله أعلم.

ذكر من اشتهر ووقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة الرصيف والقلقليين
وما هو منضاف إليها

[317- المجذوبة السيدة منانة البستيونية]
(ت: 1164)

منهم: الولية الجليلة، المجذوبة البهلولة، المولهة في الجلال، الهائمة في الجمال، المتبرك بها من الخاص والعام، المقصودة لزيارة الأنام؛ السيدة آمنة؛ ويقال لها: منانة البستيونية، من رهط بفاس يعرفون بأولاد البستيون.

كانت من الصالحات الغائبات، دائمة الغيبة، ساقطة التكليف، تنطق بإشارات، وتلهج بعبارات، يستفاد منها أخبار بمغيبات، فتكون كما أخبرت. وكانت مقبولة عند العامة والخاصة، والعلماء والرؤساء، يعتقدونها ويتبركون بها. وكانت لها لحية كلحية الرجال، وكلامها مع من يجيء عندها: « أين كنت؟، ومن أين جئت؟، وإلى أين ماش؟، وأين أمك؟ »؛ فقيل لبعض العارفين: « إنها تقول كذا وكذا! ». فقال: « إنه كلام حسن؛ تعني: كنت في العدم، وجئت من العدم، وماش إلى العدم، وأمك الأرض ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾. [طه : 54] ».

كان لباسها دائما: قشابة خضراء فقط، ويرد الناس عليها في كل يوم وساعة على الدوام، رجالا ونساء، فكانت تشير لكل واحد منهم بحاجته؛ فمنهم من يفهم معناها وإشارتها، ومنهم من لا حتى يقع ما يقع، وفي بعض الأحيان يضيق خاطرها؛ فلا تتكلم مع أحد إلا بالشتم والدعاء القبيح، وترد الناس عنها، وتسد الباب في وجوههم.

وقد أوردها الشيخ التاودي في فهرسته فيمن لقي من صلحاء المغرب؛ فقال: « ومنهم: السيدة منانة البستيونية. دفنت [308] بدارها قبالة جامع السمارين من فاس القرويين - أي: وهو المعروف الآن بجامع البستيونية، بإزاء فندق الملح من سوق الرصيف - قال: دخلت عليها عام واحد وستين والمدينة محصورة؛ فكلمتها ومعي القاضي أبو محمد عبد القادر بوخريص، فأشارت بزوال الحصار، وصرحت لي بالحج، فكان بين قولها وحجتي عشرون سنة. توفيت سنة أربع وستين ومائة وألف ». هـ.

وهذا الذي ذكره في وفاتها مخالف لما في "النشر" و"التقاط الدرر"، وكذا في "الروضة المقصودة" من أنها: توفيت سنة سبع بالموحدة وستين ومائة وألف، وذكر في "سلوك الطريق الوارية" أنها: توفيت سنة اثنين وسبعين. . . والله أعلم. ودفنت بدارها المقابلة لميضأة مسجد السمارين من الرصيف، وقبرها معروف إلى الآن، عليه دربوز تزار به، وحولها مقابر عديدة. . . ترجمها غير واحد.

[318- شيخ الإسلام سيدي عبد القادر بن علي الفاسي الفهري]
(ت: 1091)

ومنهم: الشيخ الإمام، قدوة الأنام، إمام الأئمة، وشمس الأمة، ركن الإسلام، وعلم الأعلام، أستاذ الأستاذين، وتاج العارفين، العلامة القدوة الحجة المشارك، المحصل من العلوم ما تقصر عنه المدارك، العارف الرباني، والوارث الثاني، المتحد بالتوحيد الذي عليه المدار، وإليه تتوجه جميع الأسرار، الكامل علما وعملا، وخلقا وأدبا ومقاما وحالا، ودينا وتقى ومحبة ومعرفة وجلالا وجمالا، البصير بنوعي العلم النافع واللدني وطود العلم الراسي؛ أبو محمد وأبو السعود سيدي عبد القادر الفاسي ابن الشيخ الفقيه أبي الحسن سيدي علي ابن الشيخ الكبير، العارف الشهير، مربي السالكين، ومنقذ الغرقى والهالكين، ذي الأحوال الربانية، والمقامات الكاملية، والفتوحات العرفانية، الموسوم بالقطبانية؛ أبي المحاسن سيدي يوسف القصري أصلا ومولدا، الفاسي دارا وشهرة.

ولد - رحمه الله - عند زوال يوم الاثنين ثاني رمضان سنة سبع وألف بالقصر الكبير، وبه نشأ في حجر أبيه؛ فتعلم القرآن والعربية، والفقه والحديث. . وغيرها على أبيه وغيره.

ثم رحل لفاس برسم القراءة في حياة أبيه، وذلك في أوائل رجب سنة خمس وعشرين وألف، ونزل بالمدرسة المصباحية، وأكب على التعلم والجد والاجتهاد وتحصيل الفوائد، حتى إنه كان كثيرا ما يجد نفسه سائرا في الطريق من غير قصد؛ لتعلق قلبه بمجالس العلم، وحنينه إلى أماكن القراءة؛ فانتفع في أقرب مدة، وحصل في الزمن اليسير، من العلم ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير.

وأخذ عن عم أبيه: العارف علوما كثيرة من تفسير وحديث، وفقه وعقائد، و بيان ونحو، وأصول ومنطق، ولغة وتفسير وتصوف. . .، وسائر الفنون، وأخذ أيضا جميع ذلك [309] عن عمه سيدي العربي الفاسي، وأجازه في كل ما تجوز له روايته باللفظ والخط. وأخذ أيضا الأصول والفقه عن القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني، والشيخ أبي مالك عبد الواحد ابن عاشر، والنحو عن أبي الحسن ابن الزبير، والفقه أيضا عن أبي العباس المقري، وأبي عبد الله الجنان. . . وغيرهم.

ثم إنه خرج من فاس قاصدا لوطنه؛ فلما انفصل عنها بنحو نصف مرحلة؛ خرج عليه اللصوص وعلى رفقته، واستلبوا ما عندهم؛ فرجع لفاس. فقال له عم أبيه العارف: « هذه إشارة لك في استيطان فاس وعدم الخروج منها! ». فعمل بتلك الإشارة، وتزوج بفاس، ملازما لعم أبيه المذكور، مقتبسا من أنواره، معتمدا عليه في طريق القوم، ومتصدرا لبث العلم ونشره بها؛ فانشقت في المغرب أسراره، وانفلقت بالعلم والعرفان أنواره، وشاع في شاسع الآفاق خبره، وتناقل حديثه الركبان وتواتر لديهم أثره، وتنافس في الراوية والأخذ عنه الأئمة الكبار، وأعملوا الرحلة إليه من بعيد الأقطار، ووقع الإطباق من مشايخ عصره على تبحره في علمي الباطن والظاهر، وأنه الحجة في ذلك والإمام في ذلك العصر الغابر، فلا تجد عالما أو متعلما بإفريقية والمغرب إلا وهو من تلامذته أو تلامذتهم.

وأما أهل فاس؛ فكان لهم فيه اعتقاد عظيم، ومحبة صادقة، من عامتهم وخاصتهم، حتى كان بعضهم يقول: « إنه عند أهل فاس كالحسن البصري عند أهل البصرة ».

وكان – رضي الله عنه – من كبار العلماء الأفاضل، والصلحاء الأخيار الأماثل، ممن قاد المعالي بالزمام، وحوى الفضائل والفواضل بالتمام؛ ملجأ للخاصة والعامة في عويص مسائلهم الدينية والدنيوية، تنفصل المجالس عن قوله، ولا يخاف في الله لومة لائم، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، قوالا للحق يواجه به الكبراء والملوك، قد أعطي قوة على التلطف في توصيل ذلك وإبلاغه على أجمل صورة حتى تنفعل له النفوس.

وكان زاهدا في الدنيا معرضا عنها كل الإعراض، لا يأكل الأحباس، ولا يلتفت إلى ما في أيدي الناس، بل كان يعرض عليه التجار العطايا الجزيلة فلا يقبلها، ولا يتقوت إلا من النساخة ينسخ البخاري كثيرا وغيره، فيبيعه ويأكل ثمنه، وكان الناس يرغبون في النسخ التي تكون بخط يده للبركة والإتقان.

ولما تولى الشريف الرشيد – رحمه الله، وهو حينئذ كبير السن – أراد أن يمده بشيء من الدنيا؛ فبلغه ذلك؛ فقال: « قولوا له يشغل نفسه بغيري، فالذي رزقني من المهد إلى أن ابيضت لحيتي هو يرزقني ».

وكان كثير الأذكار، مواظبا على قراءة القرآن، لا يكاد يفتر لسانه من الذكر والتلاوة، وله همة عالية [310] في قيام الليل، لا يدعه إلا لضرر.

وله كرامات: منها ما أخبر به جمع من الحجاج المجاورين للحرمين الشريفين من حضوره للصلوات الخمس في المسجد الحرام بمكة أو بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم. وحكى بعض الثقات أنه: رآه يطوف بالبيت جهارا. قال: « وكنت معرضا عنه؛ فجاء وأخذ بمنكبي، فصرفت وجهي إليه؛

فناداني باسمي؛ فقال لي: هذا الحطيم موضع الإجابة. . . قال: فدعوت بما شاء الله ثم رجعت أطلب الشيخ؛ فوجدت تلميذه سيدي أحمد بن موسى الزرهوني وعهدي به تركناه بفاس مع الشيخ. قال: فعلمت أنها كرامة ثانية. . .)). وكراماته – رضي الله عنه – أكثر من أن تحصى.

وانتسابه في طريق الصوفية لعم أبيه سيدي عبد الرحمن الفاسي – رضي الله عنه – وهو عمدته في علمي الظاهر والباطن، وكان كثيرا ما يلهج به، ويستشهد بكلامه، ويقتفي آثاره. ولما توفي ارتبط بعده بالشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي، ولقي قبل ذلك جماعة من الصوفية وتبرك بهم.

وفي "تحفة الأكابر" أنه في آخر أمره كان يشير إلى اتساع دائرته وإرثه من غير أشياخه، زيادة عليهم، واستمداده ما لم يكن لهم، وسمع يوما رجلا يقول: ((ما كنا نفعل هذا مع سيدي عبد الرحمن!)). فقال: ((هذا شغل آخر – أو: شيء آخر – لا يعرفه سيدك عبد الرحمن ولا سيدك يوسف. . .)). وكان الشيخ سيدي عبد الرحمن الزناتي بمكة يقول: ((السادات كثيرون، وسيدهم الشيخ عبد القادر الفاسي))، وكان يقول فيه إذا ذكر عنده: ((لا إله إلا الله؛ الناس يأتون إلى الكعبة، والكعبة تطوف معهم، ويقول: الناس يأتون السلطان، والسلطان معهم!)). يعني: صاحب الترجمة.

ورأى الشيخ البهلول سيدي عنتر الخلطي – دفين القليعة قرب سيدي أبي غالب الصاريوي – رجلا من أصحاب صاحب الترجمة يضحك مرة بحضرته؛ فقال له: ((أتضحك بمحضر السلطان؟!)). قال في "تحفة الأكابر": ((وكان الأخ الصالح أبو سالم العياشي يشير ببلوغه مقام القطبانية، وينقل ذلك عن بعض أكابر الوقت، وشاع ذلك في الألسنة، ولهج به العموم والخصوص، ولم ينكر ذلك الشيخ رضي الله عنه)).هـ. وفي "عناية أولى المجد" أنه: ((يقال شائعا: إنه مكث في القطبانية سبع سنين)).

وفي "تحفة الوارد والصادر" لحفيد ولده سيدي محمد؛ سيدي أبي القاسم الفاسي أنه كان كثيرا ما يقول: ((ما شقي من رآني ومن رأى من رآني. . .)). ويكثر من ذلك؛ ولا سيما في آخر عمره.

ورأى مرة النبي صلى الله عليه وسلم بين الدار والزاوية؛ فأوصاه بالخلق، وألزمه الصبر عليهم والقيام بحقهم، وكان بعض من لازم الصلوات معه وخدمته يذكر [311] أن الخضر عليه السلام يحضر صلاة الصبح عنده كل يوم. وفي "الرحلة العياشية" أثناء ذكره في موضع منها أنه ممن تحقق بحال الشيخ أبي العباس المرسي وسلك على قدمه، وورث علومه؛ قال: ((ومن علم أحوال الشيخ المرسي، وأحاط خبرة بكلامه وسيرته، وشاهد ما عليه شيخنا وهديه؛ علم صحة ما ذكرنا)).هـ.

ولم يتصدر – رضي الله عنه – لتأليف كتاب مخصوص، ولا لشرح متن من المتون، وإنما كانت تصدر منه أجوبة عن مسائل كان يسأل عنها فيجيب، فيبدئ ويعيد، وهي موجودة الآن، جمعها بعض أصحابه، فجاءت في مجلد؛ وهي من الفتاوى المعتمدة. نعم له: "العقيدة" المشهورة التي وضعها للنساء والصبيان، و"الفقهية" المشهورة أيضا وضعها للعامة.

وأما تآليف عم أبيه العارف: فأكثرها جمعه هو من تقاييده، منها ما هو بحضرته وزيادته ونقصانه، ومنها ما هو بعده.

ولما مرض – رضي الله عنه – مرض موته؛ دخل عليه بعض الفقهاء يعوده، ومعه رجل من الأشراف آل البيت، فوجدوه في علية له؛ فسلموا عليه، فرد عليهم السلام، ثم سأل عن الشريف الداخل، وقال: « أهو مولاي فلان؟ »، فقيل له: « نعم »، فقال: « ما كنا نرجو إلا محبة أهل البيت »، ثم قال: « تشهدوا لنا بأنا ما ادعينا دعوى؛ وإنما كنا نتعاطى حروف العلم مع أصحابنا ؟! »، فخرجوا عنه مودعين، وفي الغد توفي – رضي الله عنه.

وكانت وفاته بعد زوال يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان المعظم سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن من الغد بالزاوية المنسوبة إليه الآن بحومة القلقليين من عدوة فاس القرويين، في موضع تدريسه العلم بها، وهو ما فوق المحراب بنحو الذراعين عن يمين الواقف فيه. وكان دفنه بها بوصية منه. وجعل على قبره دربوز وكسوة.

ورثاه بعد وفاته جماعة؛ منهم تلميذاه: العلامة اليوسي، والعلامة البركة سيدي الحاج علي بن محمد بركة التطواني، وأنشد فيه بعضهم متمثلا من بحر الطويل:

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر

وفي "نشر المثاني": « إن من الجاري على الألسنة قولهم: لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي؛ لكثرة الفتن التي ظهرت فيه وهم: سيدي محمد ابن ناصر في درعة، وسيدي محمد بن أبي بكر الدلائي في الدلاء، وسيدي عبد القادر الفاسي بفاس ».هـ.

تنبيه: المخترع لبناء هذه الزاوية التي دفن بها؛ هو شيخه العارف سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي، وكانت طرازا؛ فاشتراها وبناها. قال في "الدر النفيس": « أخبرني غير واحد [312] من الثقات أنه قال بعد فراغه من بنائها: والله الذي لا إله إلا هو؛ لا أعلم درهما من حرام بنيت به هذه الزاوية ».هـ.

وبعد وفاة العارف المذكور؛ اتخذها صاحب الترجمة محل عنايته بالتدريس والعبادة، وجدد بناءها له ووسعها مع التأنق البديع: سلطان وقته مولانا أبو النصر إسماعيل، ولما دفن صاحب الترجمة بها بعد موته؛ صارت تنسب إليه. قال في "النشر": « وهي من أعظم مزارات فاس، وبها عدة مقابر للسادات الفاسيين، رهط صاحب الترجمة وغيرهم من أصحابهم، وخدامهم. . . وغيرهم، ويحترم بها أهل الجنايات ومن طولب بالتكاليف المخزنية ». هـ.

وقال في "عناية أولي المجد": « هي الآن مزارة عظمى، من أنفع المزارات، في نيل البركات، وظهور الكرامات. ولقد دفن معه ولداه: الشيخ أبو زيد والشيخ أبو عبد الله محمد وأعقابهما إلى هلم جرا ». هـ.

ترجمه غير واحد؛ منهم: أبو العباس الدلائي في "مباحث الأنوار". أورده فيمن لقي. وكذا في "الصفوة"، و"النشر"، و"عناية أولي المجد". . . وغيرها.

وألف فيه بالخصوص: ولده أبو زيد تأليفين؛ أحدهما يسمى "تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبد القادر"، والآخر "بستان الأزاهر في أخبار الشيخ عبد القادر". وألف في تلامذته الذين قرؤوا عليه تأليفا مستقلا سماه "ابتهاج البصائر فيمن قرأ على الشيخ عبد القادر" رضي الله عنه ونفعنا به. . . آمين.

[الزلزلة وسببها]:

فائدة: وقعت زلزلة يوم السبت عاشر رمضان سنة خمس وسبعين وألف، وصاحب الترجمة بمجلس البخاري يقرأ، فقام كل من في المجلس حتى الشيخ ظنا منهم أن السقف أراد أن يسقط؛ لأن خشبه صوتت، وخرج الناس سراعا يطلبون الخبر، فأخبروا أن كل من كان راقدا أو مضطجعا أو جالسا، حتى النائم انتبه لذلك، ومن كان ماشيا لم يعلم بذلك. فسئل الشيخ عن ذلك، وهل هو كما تزعم العامة من أن الثور الذي عليه الدنيا والحوت يتحرك لتبديل القرن أو لإعياء يحصل له؟!.

فأجاب: بأن ذلك باطل لا أصل له، وتلا قوله تعالى ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾. [الإسراء : 59]. وقال أيضا: « ذكر بعض الحكماء أن ذلك يقع من اختلاف الرياح في جوف الأرض. . . والله أعلم ». وهذا البعض من الحكماء هو: ابن سينا، وقد ذكر ذلك في كتابه "النجاة" الذي اختصر فيه "الشفا" وهو باطل أيضا كما صرح به غير واحد، مبني على تأثير الفلك في العناصر. قال في "الصفوة": « والصحيح - إن شئت ذلك - ما ورد من أن لكل أرض عرقا يتصل

بجبل قاف المحيط بالدنيا، فإذا أراد الله عز وجل زلزلة أرض؛ أمر الملك فحرك عرقا من تلك العروق؛ فتزلزل تلك الأرض. . . قال: وقد ألف في هذه المسألة [313] بالخصوص الحافظ السيوطي - رحمه الله - تأليفا سماه: "الصلصلة في الزلزلة". فليراجعه من أراده ».

قلت: اختلف العلماء في سببها على أقوال عديدة:

أحدها: ما أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" وجماعة بمعناه عن ابن عباس وغيره أن الله تعالى: خلق جبلا يقال له: قاف. محيط بالأرض، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض؛ فإذا أراد الله أن يزلزل قرية؛ أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية؛ فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تتحرك القرية دون القرية.

الثاني: ما في تفسير ابن المنذر عن ابن جريج، أنها من تحرك الحوت - يعني: للتخويف لا لإعياء يلحقه.

الثالث: أنها من تحرك الثور الذي عليه الأرض؛ بسبب أن الله خلق بعوضة وسلطها عليه؛ فهي تطير أبدا بين عينيه، فإذا أراد تعالى أن يزلزل أرضا تأديبا لأهلها وتخويفا؛ أمرها فدخلت أنفه، فحرك رأسه من ناحية تلك الأرض؛ فتزلزل.

الرابع: قول الحكماء: إنها من كثرة الأبخرة الناشئة عن تأثير الشمس واجتماعها تحت الأرض بحيث لا تقارنها برودة حتى تصير ماء، ولا تتحلل بأدنى حرارة. . . إلى آخر ما نقل عنهم، وهو قول فاسد لأنه لا دليل عليه، بل ورد الدليل بخلافه.

الخامس: قول ابن سينا: إنها من اختلاف الرياح في جوف الأرض. وهو فاسد أيضا.

السادس: ما ورد في كثير من الأحاديث وعن جماعة من الصحابة أن سببها ارتكاب المعاصي، وكأن هذا سبب مهيج لوقوعها، لا أنه سبب للوقوع بالفعل.

السابع: ما ورد عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا، ونقله محمد بن علي الترمذي عن عكرمة أنها من تجلي الرب تعالى للأرض لتخويف عباده، وهذا هو ما ذكره في "الإبريز" نقلا عن الشيخ مولانا عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه. وعن أبي كعب قال: « الزلزلة لا تخرج إلا من ثلاثة: إما لنظر الله بالهيبة إلى الأرض، وإما لكثرة ذنوب بني آدم، وإما لتحريك الحوت الذي عليه الأرضون السبع تأديبا للخلق وتنبيها ». . . والله أعلم.

[فائدة أخرى]:

سئل صاحب الترجمة أيضا عن المرآة التي يجتمع عليها النساء فتقرأ عليهن الكتب وبشحنها ؟!. فأجاب بما حاصله: إن ذلك لا يخلو من المنكر والفساد في الأرض، لما اشتمل عليه من المفاسد العظيمة، ويجب على من ولاه الله أمر المسلمين تغييره وقطعه، وما يأخذنه على ذلك من المال من السحت الذي لا يحل أكله، ولا يعيش صاحبه إلا في الحرام المحض. . . انظر "الصفوة".

[319- الإمام سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري]
(ت: 1096)

ومنهم: ولده الإمام، الحافظ الهمام، المشارك في العلوم التي لا تحصى، والأدرى بالإدراكات [314] التي لا تستقصى، والمطلع الذي يقصر عن تحصيله الأدنى والأقصى، العلامة الكبير الشان، المشتهر على ألسنة شيوخه الأقران، أنه أسيوطي الزمان؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن.

كان - رحمه الله - مشاركا في الفنون، قوي الإدراك، جم التحصيل، منفردا بتحقيق التعاليم، من هيئة وطب، وتوابع ذلك، فاق أهل وقته في ذلك، أعرف بكل فن من أهل كل فن، إذا حضر في مجلس فهو الصدر، وإذا تكلم في مسألة شفا فيها الغليل، مكبا على التأليف، ولم تكن له مسودة، ولا وقع له تشطيب ولا ضرب على شيء؛ إلا أن يكون إلحاق. فيضع التأليف في زمن يسير، من غير احتياج إلى مراجعة.

وكان والده يقول فيه: « إنه سيوطي زمانه ». ويشهد له بالعلم؛ لسعة حفظه، وكثرة تآليفه، واتساع مشاركته في العلوم، وشيوع براعته في المنثور والمنظوم، حتى إنه قرأ عليه كثير من أشياخه وأقرانه، ويحكى عنه أنه: حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وجوده للسبعة في أقرب مدة.

أخذ عن عدة شيوخ؛ منهم: والده وغيره من علماء فاس من قرابته وغيرهم؛ كعمه الحافظ سيدي أحمد بن علي، والمفتي القاضي أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي، والحافظ سيدي أحمد، المدعو: حمدون الأبار، وأبي العباس سيدي أحمد بن محمد الزموري، وأبي عبد الله الشريف البوعناني، وأبي محمد سيدي عبد الوهاب بن العربي الفاسي، والقاضي أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة، والشيخ ميارة الأكبر. . . وغيرهم.

وله إجازات عن مشايخ مشارقة ومغاربة، ولقي جماعة من الأخيار والصلحاء، وتبرك بهم وانفرد بحفظ الغرائب العجائب.

وألف تآليف جمة تنيف على السبعين ومائة؛ منها: "تذييل الشفا". المسمى "بمفتاح الشفا". الذي كان يكتب فيه إلى أن دخله الموت. و"أزهار البستان في أخبار الشيخ عبد الرحمن"، و"ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب"، و"الأقنوم في مبادئ العلوم". اشتمل على مائة علم واثني عشر علما؛ بدأه بعلم العقائد، وختم الموجود منه بعلم أحكام النجوم، وفي "الصفوة: « انه ذكر فيه أزيد من ثلاثمائة علم »، وفي "النشر" و"عناية أولي المجد": « إنه أتى فيه بنحو مائة وخمسين علما وأزيد ».

قلت: ولعل سبب هذا الاختلاف: اختلاف نسخه بالزيادة والنقص، كما يقع ذلك في عدة كتب والله أعلم. وكانت له معرفة بعلم الأسماء والأوفاق، وله فيه تأليف.

وكان – رضي الله عنه – لين الجانب دمث الأخلاق، فاق أهل عصره بحسن خلقه وتواضعه وإنصافه، متجلدا في الحق لا يخفي شيئا مما اطلع عليه، ولو خالفه الناس وامتلأوا [315] عليه، لا يحابي مربيا، ولو كان قريبا.

وقد أثنى عليه علماء وقته؛ كأبي سالم العياشي وله قصيدة في مدحه، اشتملت على عشرين بيتا؛ مطلعها:

ما في البسيطة طرا من يباريكا ... يا أطيب المنتمى سبحان باريكا

وقد سبرتُ الورى فلم أجد أحدا ... ممن يروم العُلا منهم يوازيكا

شرقا وغربا فلم يَطرُق مسامعنا ... من في سنين الصبا يَجري مَجاريكا

وكالعلامة أبي مروان عبد المالك التاجَموعتي، ومدحه بقطعة؛ منها قوله:

يَحُل سلامي أن تـزيده الكتب ... إلى من زها فخرا به الشرق والغرب

ولد بفاس عند زوال يوم الأحد سابع عشر جمادى الأخيرة عام أربعين بعد الألف، وبها نشأ في حجر أبيه، وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى سنة ست وتسعين وألف، بعد أن بقي مقعدا في فراشه لا ينهض بحال نحو ستة أعوام. قال في عناية أولي المجد: « وكان يقال: إن ذلك بسبب استخدامه الجان ». هـ.

ودفن بزاوية أبيه، عند رجليه، ملتصقا بحائط يمين محرابها، وجعلت عليه مقبرية من خشب. ترجمه في "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، وعناية أولي المجد"... وغيرها.

[320- شيخ الجماعة سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي الفهري]
(ت: 1116)

ومنهم: أخوه الشيخ الإمام، حسنة الليالي والأيام، نجم الأمة، وتاج الأئمة، العالم الكبير، العلامة الشهير، مصباح أهل زمانه، ونور عين أعيان عصره وأوانه، من جمع بين العلم والدين، وسار بسيرة أسلافه المهتدين، وحاز ورعا وعلما، وديانة وعقلا وفهما، وهمة عالية، ونفسا أبية، وأخلاقا سرية، وأحوالا مرضية سَنية، وسيرة سُنية، الولي الصالح، النفاع لعباد الله الناصح، العارف بالله، الدال على الله، مذكر الغافل والناسي؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن سيدي عبد القادر الفاسي.

كان – رحمه الله – من أفراد الرجال، وممن بلغ في العلم والعمل مرتبة الكمال، إماما في المعقول والمنقول، ثبتا فيما ينقل أو يقول، زاهدا ورعا خاضعا، متواضعا خاشعا، متين الدين، سالكا سبيل الأئمة المجتهدين، أحرز قصبات السبق في النحو والبيان، والمنطق والحديث، والسير والتصوف والأصول والفقه. . . وغير ذلك من العلوم، واشتهرت فضائله اشتهار النجوم، وكان له المرجع في الحوادث الوقتية، والنوازل الدينية والدنيوية، ومدار كل المهمات عليه، وأمر جميعها راجعا إليه، مع القيام بالحق، وبذل النصيحة للخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ – ما أمكن – بالسنة وصحيح الأثر، لا يخشى [316] صولة ظالم، ولا يخاف في الله لومة لائم، حتى كان يضرب به المثل في الورع والتوجه إلى الله تعالى، ونشر العلم ولزوم العبادة، والتحري عن الشبه وإخماد البدع التي جرت بها العادة.

وكان معظما عند خاصة الناس وعامتهم، مقدما على علماء أهل فاس وصلحائهم، وإذا حضر في مجلس لا ينصت إلا له، ولا يسمع إلا منه، وعرضت عليه الخطط؛ فاستنكف عنها، يدرس في جميع العلوم المعتبرة في الوقت بغير أجر ولا مرتب، رافضا أسباب المعيشة كلها، مقتصرا على ما يعنيه، يتواضع للضعيف، ويسلم على الملوك كما يسلم على الرعية، ولا تجد له تصرفا إلا رأيت التحري يحيط به، ويمرض أمراضا طويلة ولا يشكو لعواده، ولا يظهر له جزع ولا اهتمام ما بأمر الرزق.

وكان في أول أمره يكثر من إقراء علوم العربية؛ لكونه بلغ فيها الغاية، ثم في آخر عمره اقتصر على التفسير، والحديث، وكتب القوم.

وكان الناس يستشفون بآثاره من العلل والأمراض، ويتوسلون بجاهه في دفع العوارض وتحصيل الأغراض، وشوهدت له الكرامات، وظهرت له خوارق العادات، بل ذكر في "سلوك الطريق الوارية" أنه وصف بالقطبانية. . . والله أعلم.

ولد – رحمه الله – بفاس ليلة الجمعة الخامس عشر من ربيع النبوي عام اثنين وأربعين وألف، ونشأ بها في حجر أبيه في عفاف وصيانة، وأخذ القرآن عن أبي زيد ابن القاضي وغيره، والنحو عن أبيه وعن أبي العباس الزَّمُّوري وأبي الحسن علي الزرهوني. . . وغيرهم، وتلقى الفقه وغيره عن والده وعن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن جلال، وأبي العباس الأبار. . . وغيرهم، وأخذ بالإجازة عن عم والده سيدي العربي الفاسي.

وحج: فأجازه الزين الطبري، والشَهرَزوري، والبابلي، والشبراملسي، والخرشي، والزرقاني، وغيرهم.

وانتفع به هو خلائق: منهم: سيدي عبد السلام القادري، وشقيقه سيدي العربي، وسيدي محمد بن عبد السلام البناني، وأبو عبد الله المسناوي، وسيدي إدريس المنجري. . . وغيرهم.

وقد قال سيدي إدريس المذكور في ترجمته من فهرسته ما نصه: « ما رأت عيناي مثله فيمن لقيت من العلماء شرقا وغربا، في حسن الخلق والخلق، والحرص على العلم وبثه، والاجتهاد في نصح عباد الله وحب الخير لهم، كلهم عنده سواء القريب والبعيد، وكان – رحمه الله – يعتريه ألم البواسير، ويهيج عليه غاية حتى يتحمل من ذلك أمرا إمرا، ومع ذلك لا يمتنع من تدريس العلم وتحمل مشاق الخلق وتسليتهم، والذب عنهم. اختص دون علماء وقته بالصبر والسخاء، والإيثار والخشية، وحسن المروءة. بلغ في علم النحو والمعاني والبيان مبلغا لم يصله أحد من أترابه ولا من أشياخه، [317] يدل على ذلك تصانيفه البديعة "كشرح الشواهد"، و"شرح حصن الحصين". . . وغير ذلك ».هـ. والشواهد التي شرحها هي: "شواهد" ابن هشام.

ومن جملة تآليفه: "شرح نظم نخبة ابن حجر في اصطلاح الحديث" لعم أبيه سيدي العربي، و"شرح الطالع المشرق في سماء المنطق" له أيضا؛ لكنه لم يكمله، و"المباحث الإنشائية في الجملة الخبرية والإنشائية"، و"رسالة بديعة في مسألة خلق الأفعال" رد بها على الشيخ إبراهيم الشهرزوري المدني، ونظم في التوسل بالصحابة. . . إلى غير ذلك.

وأما تقاييده في كل مشكل من أكثر الفنون وفتاويه في نوازل الفقه، فمما لا تسعه الدفاتر لو جمع وهو الذي جمع "حاشية العارف الفاسي على المختصر"، و"حاشيته على المحلي"، وأكمل حاشيته على "الجلالين"؛ بالجمع لكون والده جمعها إلى سورة طه.

وكانت له الحرمة الكبيرة عند السلطان وجميع أكابر الدولة، لا يشفع في شيء إلا شفعوه في الحال، وكان قد لازم داره نحو سبع سنين حتى تبادر للعامة أنه زمن، وكان يأتيه الكبراء والرؤساء فيخضعون بين يديه، وقد يستأذنون عليه، فلا يأذن لهم ويرجعون.

ولم يخرج من داره حتّى توفي ابنه أبو عبد الله سيدي محمد الطيب؛ فخرج من يومه، وكان إماما بالزاوية. وبقي جالسا للإفادة مؤتما به إلى أن توفي، وذلك بداره المعروفة بوادي الشرفاء عند زوال يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب سنة ست عشرة ومائة وألف، ودفن من الغد غدوة يوم الجمعة في موضع تدريسه بصدر زاوية والده عن يسار محرابها، وجعل على قبره دربوز وكسوة يزار بهما، وسمع في آخر عمره ينشد:

الغياثَ الغياثَ يا أحرار | نحن خلجانكم وأنت بحار

إنما تحسن المواساة في الشدة لا حين ترخص الأسعار

ترجمه: أبو العباس الولالي في "مباحث الأنوار" أورده فيه فيمن لقي، وفي "النشر"، و"الصفوة" و"المورد الهني"، و"عناية أولي الجد"، و"فهرسة أبي العلاء المنجري"، و"حاشية شرح الحصن" للتماق... وغيرها.

[321- العلامة سيدي محمد الطيب بن مَحمد الفاسي الفهري]

(ت: 1113)

ومنهم: ولده الإمام العلامة المتفنن، المحقق المحصل المتقن، الحافظ الحجة، السالك أوضح طريق وأبين محجة؛ أبو عبد الله سيدي محمد الطيب بن أبي عبد الله مَحمد بن أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي.

ولد – رحمه الله – بفاس سنة أربع وستين أو ثمان وستين وألف، وبها نشأ في حجر أبيه وجده وقرأ القرآن وجوده تجويد أهل الضبط والإتقان، واشتغل بقراءة العلم بذهن ثاقب وفهم صائب؛ حتى صار رأس المحققين، وقدوة المدققين، أحد أعاجيب الزمان، في التحقيق والإتقان [318]، مع المشاركة والتحرير، والجلوس على منصة التصدير، علامة حافظا، متبحرا متقنا، ماهرا في العربية، متضلعا بالفقه والحديث، والأصول والبيان، والمنطق والتصوف، بصيرا بالتاريخ وملح النوادر، مع الإقدام على حل المشكلات، وفهم المعضلات.

أخذ عن والده، وعمه أبي زيد سيدي عبد الرحمن، وجده أبي محمد، وعن ولد عم أبيه سيدي محمد المهدي بن أحمد الفاسي، وأبي سالم العياشي... وغيرهم. وأجاز له الشيخ أبو عبد الله الخرشي.

وله تآليف؛ منها: شرح مقدمة جده في الأصول، وفهرسة والده المسماة بـ:"أسهل المقاصد لحلية المشايخ ورفع الأسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الوالد"، وكتاب "مطمح النظر ومرسل العبر بالذكرى بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر" بلغ فيه إلى السنة الثالثة عشر، ثم إنه شرع في السنة التي بعدها ولم يزد، وقد وقفت عليه بخطه، وله تقاييد وأجوبة في غاية الإجادة، وأخذ عنه خلائق، وتخرج به أئمة.

وكان له مجلس حفيل في التفسير والفقه؛ قام فيه مقام أبيه مدة، وذلك حين لازم داره متخلفا عن الجمعة والجماعة؛ لأمراض وعوارض اعترته نحوا من سبعة أعوام، فكان ولده المذكور هو القائم بإمامة زاويتهم وتدريسها.

ثم إنه توفي في حياة والده ليلة الخميس تاسع عشر ربيع الثاني سنة ثلاث عشرة ومائة وألف ودفن وراء جده سيدي عبد القادر الفاسي بزاويته. ترجمه في "النشر" و"التقاط الدرر" و" عناية أولي المجد"... وغيرها.

[322- العلامة سيدي مَحمد بن عبد الرحمن الفاسي الفهري] (ت: 1134)

ومنهم: ولد عمه الإمام الفقيه، العلامة المشارك النبيه، الولي الصالح الأخْيَر، المؤرخ الحيسوبي الأخبر؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) ابن الحافظ أبي زيد سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي.

ولد - رحمه الله - بفاس تاسع عشر جمادى الثانية سنة ثمان وخمسين وألف، وقرأ على جده المذكور، ولازمه سنين في الصحيحين وغيرهما، وسمع عليه التفسير والنحو، والأصول والتصوف... وغير ذلك، وأجازه إجازة عامة سنة ثمانين، وكان يصلي به في الدار، ثم لازم عمه أبا عبد الله سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي مدة، وتخرج على أبيه في فنون التعاليم والأوفاق والأسماء، وأجازه أبو سالم العياشي، وحج؛ فأجازه الخرشي، والزرقاني، والشهرزوري... وغيرهم.

وكان - رحمه الله - فقيها متضلعا، ذاكرا للحديث، بصيرا بفنونه، عاكفا على خدمته، مكبا على التقييد، ثقة عدلا، عارفا بأيام الناس، منقطعا زاهدا مائلا للتصوف، كثير الذكر، سريع الدمعة، متسما بالوقار، له معرفة بعلم الجدول عنده سره، وقد ظهر مصداق ذلك في بعض ولاة [319] الأمر بفاس؛ بعث له يشفع في رجل فأبى؛ فهدده بالعزل، فما لبث إلا أياما يسيرة وعزل.

وله من التآليف: "كشف الغيوب عن رؤية حبيب القلوب صلى الله عليه وسلم"، و"الكوكب الزاهر في سير المسافر"، و"المنح البادية في الأسانيد العالية"... وغير ذلك.

وأخذ عنه الناس علوما: من الحساب والتوقيت، وغير ذلك، وكان قد تَقَعَّد كأبيه سنين إلى أن توفي.

وكانت وفاته - على ما ذكره في "الصفوة" - أواسط شعبان سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، وذكر في "النشر" و"التقاط الدرر" و"عناية أولي المجد" أنه: توفي خامس جمادى الثانية من العام المذكور، ورأيت بخط تلميذه وقريبه الحافظ النسابة أبي عبد الله سيدي مَحمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي أنه توفي صبيحة يوم الخميس خامس عشر جمادى الثانية عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، ودفن من يومه بداخل محراب زاوية جده سيدي عبد القادر الفاسي، ويظهر - والله أعلم - أنه الصواب. ترجمه جماعة؛ منهم: تلميذه العلامة اليفرني في "الصفوة" وهو آخر من ترجم فيها، وكذا ترجمه في "النشر" وفي "التقاط الدرر"، و"عناية أولي المجد"...

[323- السيدة آمنة بنت سيدي عبد الرحمن الفاسي الفهري]
(ت: 1139)

ومنهم: أخته المسنة المقعدة، الصالحة البركة المسددة؛ السيدة آمنة بنت سيدي عبد الرحمن بن سيدي عبد القادر الفاسي.

كانت - رحمة الله عليها - صالحة قانتة، ذات عقل وزهد ودين، وهيبة وسكينة ووقار ولين، وكان لها من النساء أتباع يخدمنها ويلازمنها. وكانت كثيرة الذكر، قليلة الكلام، لها سبحة كبيرة من ألف في طبق بين يديها دائما، لا تفارقها في صحة ولا مرض، وإذا اجتمع النساء عندها وأكثرن من الكلام؛ أمرتهن بالخروج عنها.

وكانت تشير بإشارات لما يُستقبل، وكلها كانت، وكانت تقرأ دائما بعد صلاة المغرب حزب الفلاح للجزولي، والذكر بعده لمولانا عبد القادر الجيلاني، وبعده صلاة مولانا عبد السلام ابن مشيش، وبعد صلاة الصبح كل يوم حزب الفلاح المذكور، وبعده المسبعات العشر، والحزب الكبير للشاذلي، وتختم بالهيللة، والاسم المفرد، كما هو ذلك في زاوية جدها، ولا تترك ذلك في صحة ولا مرض، ولا في أي محل كانت.

توفيت – رحمة الله عليها – أوائل الحجة الحرام متم سنة تسع وثلاثين ومائة وألف – وهي سنة وفاة السلطان مولاي إسماعيل – في التاسع والعشرين من رجب الفرد منها، ودفنت بزاوية جدها عند الباب النافذة لروضة سيدي الحاج الشعير، عن يمين المحراب. ترجمها في "سلوك الطريق الوارية".

[324– سيدي أحمد بن محمد الفاسي الفهري]
(ت: 1164)

ومنهم: الفقيه الوجيه، الفاضل النبيه، البركة الأوحد [320]، الماجد الأعمد: أبو العباس سيدي أحمد بن العلامة سيدي محمد بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي.

ولد – رحمه الله – بفاس سنة ثلاث وتسعين وألف، ونشأ بها في حجر أبيه، وقرأ القرآن ثم أخذ في طلب العلم؛ فقرأ على أبيه، وأخيه الشيخ أبي عبد الله الطيب، وحضر مجالس أخر لغيرهما، غير أنه تقاعس عن اجتهاده في الطلب بعد وفاة أبيه؛ فلم يشعر أن فاته الإبان، وندم على ما فرط حين لا ينفع الندم.

نعم؛ كان لا يخلو من الاستفادة بمباحثة الأشياخ، ومطالعة الكتب، والتقييد، مع الحفظ والإدراك والتحصيل، وكان متحليا بالتقوى، متنزها عن الكبر والدعوى، عالي الهمة والنجدة، والسمت والكرم، والفضل والجود والسخاء، قائما بأمور الدين، ساعيا في مصالح المسلمين، محبا لأولياء الله الصالحين، محسنا إلى المساكين، له معرفة بتاريخ فاس وعلمائها وصلحائها، ونسب أهلها وأخبارهم.

وكان يستعمل الرحلة لزيارة بعض أكابر الأولياء في كل عام؛ كالشيخ أبي يعزى والشيخ مولانا عبد السلام، ويحب السماع وينفعل له ويتواجد، ولا سيما ما كان منه منطبعا على أحد طبوع الموسيقى، حتى لا يكاد أحد يحسن الطبوع على كثرتها مثله، ولم يحطه ذلك لمجالسة السفهاء، ولا منعه مما كان عليه من مخالطة الكبراء.

ولم تزل تخضع له العظماء، وتتبرك به من أثر آبائه العلماء، إلى أن توفي بالشوم فجأة بين وادي سبو وورغة، راجعا من زيارة القطب مولانا عبد السلام؛ فحمل إلى فاس ودفن بزاوية جده بظهر والده سيدي محمد بعدما صلى عليه ولده سيدي أبو مدين، وذلك في شوال سنة أربع وستين ومائة وألف ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، وفي "عناية أولي المجد". . .

[325- الخطيب المؤرخ سيدي مَحمد بن أحمد الفاسي الفهري]
(ت: 1179)

ومنهم: ولده الفقيه العلامة، المشارك الدراكة الفهامة، الخطيب البليغ اللافظ، المؤرخ النسابة الحافظ؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي.

ولد بفاس سنة ثمان عشرة ومائة وألف، ونشأ في حجر أبيه، وتطارح على حلق العلم؛ فقرأ على ابن عم أبيه أبي عبد الله مَحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، والشيخ المسناوي، وأبي العباس الوَجاري، وأبي العباس ابن مبارك، وأبي عبد الله التاق، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن الدلائي، وأبي عبد الله بن عبد السلام بناني، وأبي عبد الله ميارة الصغير، وأبي عبد الله الجندوز المصمودي. . . وغيرهم، حتى تمت مشاركته في الفنون، واتصل بحبل من الإتقان والضبط غير ممتون.

وكان عالما بالحساب [321] والفرائض وصناعة التوثيق، عارفا بالنوازل ومطالعة الرسوم، حافظا للتواريخ والأنساب وأحوال العلماء والصلحاء والأعيان، وتاريخ وفياتهم، صالحا متواضعا خاشعا محبا في آل البيت، زوارا للصالحين عارفا بضرائحهم ومشاهدهم، بارع الخط، صادق الفراسة، مؤيدا بالتوفيق، ملحوظا بالعناية.

وولي الشهادة في أوقاف القرويين سنين، والخطابة بجامع الأندلس العتيق، فكان مثلا مضروبا في البلاغة وانتقاء الموعظة النافعة، ودرس وأجاد، وقيد وأفاد.

وألف تآليف؛ منها: شرح فقهية جد والده، وشرح "درة التيجان" لشيخه أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدلائي في أشراف فاس، وشرح "المورد الهني في مناقب الشيخ عبد السلام بن الطيب القادري الحسني"، وتأليف جمع فيه أعيان الأعيان الذين ألفوا، ومعهم أعيان المدرسين الذين لم يؤلفوا، لم يؤلف في فنه مثله، مع الاختصار، وكناش اشتمل على مقيدات وغرائب قليلة الوجود في شرفاء المغرب.

وقد رأيت بخط بعضهم ما نصه: « الحمد لله؛ توفي سيدي مَحمد بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي عشية يوم الجمعة عشرين من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة وألف، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بزاوية جده القلقليين وسط الحزب[1] الذي يقرأ ». . . ترجمه في "النشر" وفي "عناية أولي المجد". . .

---

[1]. أي: وسط المحل الذي يقرأ فيه حزب من القرآن بعد الفجر، وآخر بعد المغرب؛ كما جرت به العادة في جميع مساجد المغرب وزواياه إلى الآن.

[326- العلامة الخطيب سيدي محمد أبو مَدين بن أحمد الفاسي الفهري]
(ت: 1181)

ومنهم: أخوه الفقيه الأديب، العلامة الأريب، خاتمة الخطباء، والأئمة البلغاء الفصحاء، ذو الأخلاق الحسنة، والأوصاف البديعة المستحسنة؛ أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: أبو مدين - ابن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي.

ولد بفاس سنة اثنتي عشرة ومائة وألف، ونشأ في حجر أبيه، وقرأ القرآن، وامتطى طفلا متن الفضل والإحسان، ثم اشتغل بالعلم مجتهدا في تحصيله على ابن عم أبيه سيدي مَحمد (فتحا) بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، ثم لزم غيره من أكابر المشايخ؛ كالقاضي بردلة، أبي عبد الله المسناوي. . . وغيرهما.

واشتدت عنايته بالعلوم الأدبية محررا أدواتها على الشيخ أبي عبد الله محمد العراقي الحسيني، والشيخ أبي العباس الوَجاري، ولزم الشيخ أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدلائي؛ فانتفع به في صناعة الإنشاء وبراعة الإلقاء، فكان ينظم وينثر بقريحة وقادة، تدخل به في جملة فحول الأدباء أهل الإفادة. وكانت له مشاركة في الفقه والحديث، والتفسير والتصوف والبيان.

ولي الخطابة بالقرويين والتدريس به سنين طويلة، وكانت له وجاهة عند الكبراء وأعيان الدولة، ملحوظا [322] عند الملوك بعين الوقار، وكان حسن الأخلاق كريم المعاشرة، لين الجانب، عذب المفاكهة، مليح الدعابة، يستحضر النوادر القديمة والحادثة، منصفا متواضعا، كريما جوادا، رفيع الهمة متورعا، خطيبا فصيحا باكيا مبكيا، هاديا مهديا، انتفع به قوم كثيرون من نجباء وقته، واهتدوا به في جميل سمته.

وألف تآليف عديدة؛ منها: شرح "النصيحة الكافية"، و"شرح توحيد "الرسالة"، و"المحكم في الأمثال والحكم"، و"تحفة الأريب"، و"شرح سيرة ابن فارس". . . وغير ذلك. وقد جُمعَت خطبه في مجلد رحيب لازال لأعقابه الشغوف بها على غيرهم من كل خطيب.

وقد رأيت بخط بعض أولاده ما نصه: « الحمد لله؛ توفي سيدنا الوالد يوم الجمعة بعد صلاة العشاء الحادي عشر من شعبان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر في زاوية جده بالقلقليين قرب الخزانة ». هـ. أي: التي كانت قريبة من رأس الشيخ سيدي عبد القادر، بالمحل الذي دفن فيه سيدي عبد الواحد الفاسي.

ومن خط العلامة سيدي سليمان الحَوات ما نصه: « توفي سيدي أبو مدين الفاسي في شعبان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، ودفن بزاوية جده سيدي عبد القادر، عند رأسه بانحراف يسير، أدركته حيا بنحو العام، ولم آخذ عنه لقلة إقرائه، وكانت له مع والدي صحبة تامة أعربت لي عنها مكاتبات بينهما، وله تآليف غريبة الوضع في الأدب؛ لوالدي تقريظ على بعضها ». هـ.

ترجمه في "عناية أولي المجد"، وسبقه إلى ذلك في "نشر المثاني" إلا أنه ذكر في وفاته أنها سنة اثنين وثمانين، والصواب ما قدمناه، وهو الذي ذكره في "عناية أولي المجد" أيضا.

[327- الخطيب سيدي محمد الطيب بن أبي مدين الفاسي الفهري]
(ت: 1213)

وخلف - رحمه الله - ولده الأرضى، العدل المرتضى، الفقيه الأجل، الخطيب البليغ الأمثل؛ أبا عبد الله سيدي محمد الطيب.

كان - رحمه الله - خطيبا بمسجد القرويين عَمَّرَه الله بذكره، فصيحا بليغا، أديبا عدلا مرضيا وجيها زكيا، أخذ عن والده وغيره.

وتوفي في رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف. ودفن بهذه الزاوية بالقوس الذي عن يسار الداخل من البويبة الصغرى المقابلة لدار جده الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي.

[328- العالم سيدي محمد أبو القاسم بن أحمد الفاسي الفهري]
(ت: 1164)

ومنهم: أخوهما العلامة الفاضل، الفقيه المشارك الكامل؛ أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: أبا القاسم - بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

ولد - رحمه الله - بفاس سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، وبها نشأ مرضي الحال، نعيم البال، وقرأ القرآن وجوده، وأخذ في قراءة العلم على جماعة؛ كابن عم أبيه سيدي مَحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وأبي عبد الله [323] التماق، وأبي العباس الوَجاري، وأبي العباس ابن مبارك اللمطي، وأبي عبد الله بن عبد السلام بناني. . . وغيرهم.

حتى حصل على علم كبير، وحظ من المشاركة غزير، ودرس فاستفاد وأفاد وأجاد، وكان ذا خلق حسن، وسمت مستحسن، كثير التقييد، والاعتناء بكل مفيد، وشرح عقيدة جد أبيه شرحا جيدا سماه "تحفة الوارد والصادر، في شرح العقيدة الوحيدية للجد سيدنا عبد القادر"، وقفت عليه بخطه، وبظهر أول ورقة منه عدة خطوط لعلماء وقته بالثناء عليه وعلى شرحه المذكور.

ولم يزل بدره ينمو، وقدره على الأقران يسمو، إلى أن توفي أواخر شعبان عام أربعة وستين ومائة وألف، ودفن بزاوية جده. ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، وفي "عناية أولي الجد".

ولبعض الأدباء مخاطبا له ومادحا لرهطه من السادة الفاسيين:

آل فهر آتاكم الله جاها	وعلا مجدكم ففاق الغزالة
حزتم العلم والولاية والجا	ه وناهيك رفعة وجلالة

ونحوه: قول الشيخ المحقق أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي بكر البازغي مادحا حالهم أيضا:

خليلي إن الفاسيين لجوهر	على جيد هذا الدهر لاح وأبرقا
صغيرهمُ للمجد يسرع يافعا	وأكبرهم فوق السماك قد ارتقى
أزاهرهم عن يمن فهر تفتقت	وغصنهمُ لازال باليمن مورقا

وقول القاضي العلامة المشارك أبي عبد الله سيدي محمد التهامي بن حمادي المكناسي مخاطبا لهم ومادحا:

أبى الجود إلا أن يكون لهم عبدا	ولا العرف إلا من أناملكم يُسدَا
ملكتم ملاك الفضل قدما وحادثا	فأضحت إليكم كل مكرمة تهدى
ولو نسبَتْ يوما لغيرَ جنابكم	لكان على وجه المجاز هوى بُعدا

[329- العالم سيدي أبو جيدة بن أحمد الفاسي الفهري]
(ت: 1188)

ومنهم: أخوهم العلامة الكامل، البركة الفاضل؛ سيدي أبو جيدة بن أحمد الفاسي، توفي - رحمه الله - ضحى يوم الأربعاء سابع عشر رمضان عام ثمانية وثمانين ومائة وألف، ودفن من يومه بعد العصر بظهر والده بالزاوية المذكورة.

[330- العالم سيدي أحمد بن أبي جيدة الفاسي الفهري]
(ت: 1194)

ومنهم: ولده الفقيه العالم العلامة، القائم على قدم الجد والاستقامة؛ أبو العباس سيدي أحمد بن أبي جيدة بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي.

ولد - رحمه الله - بفاس سنة خمس وستين ومائة وألف، وبها نشأ في حجر أبيه، وقرأ كتاب الله ثم العربية، والأصول والبيان [324] والمنطق والكلام، والفقه والحديث. . . وغيرها على جماعة من الأئمة؛ كأبي حفص الفاسي، وأبي عبد الله محمد بن الحسن البناني، وأبي عبد الله محمد بن الطيب القادري الحسني، وأبي محمد عبد القادر ابن شقرون، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي، وأبي الحسن زين العابدين العراقي الحسيني، و أبي زيد عبد الرحمن حسين. . . وغيرهم.

فحصل في الزمن اليسير على حظ من العلم الكثير، وكان على صغره يحب الصالحين، ويجالسهم لاقتباس أنوارهم حينا بعد حين، حتى قوي إيمانه، وسرى عرفانه؛ فكان يدعى في قومه بالعارف، جامعا للمجد التالد والطارف، وأخذ في التدريس باجتهاد، فأقبل عليه العباد، قائما على قدم الاستقامة، ناشرا في مجال العبادة أعلامه، سمحا وقورا، حييا صبورا، قانعا شكورا، بعيدا من التصنع والرياء، جميلا عفيفا، بريئا من الدعوى صينا نظيفا.

غير أنه استعجله الأجل قبل كمال إهلاله؛ فصار إلى رحمة الله ورضوانه سنة أربع وتسعين ومائة وألف، ودفن بزاوية جده المذكورة. ترجمه في "عناية أولي الجد".

[331- الخطيب سيدي عبد الواحد بن مَحمد الفاسي الفهري]
(ت: 1213)

ومنهم: ولد عمه الفقيه، العالم العلامة النبيه، الضابط الخطيب، البليغ الأديب؛ أبو مالك سيدي عبد الواحد بن مَحمد (فتحا) بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي.

ولد بفاس سنة اثنين وسبعين ومائة وألف، وبها نشأ في حجر أبيه، وقرأ القرآن مشتغلا بما يعنيه، وحفظ المتون، واجتهد في تحصيل الفنون؛ فأخذ عن جماعة؛ منهم: أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني، وأبو محمد عبد القادر ابن شقرون، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي، وأبو الحسن زين العابدين العراقي الحسيني. . . وغيرهم. بقريحة نافذة، ووجهة صادقة، وهمة عالية، ورتبة سامية.

فحصل على علم نافع، في قلب خاشع، جميل المشاركة في العلوم، شديد الحرص على إحياء الرسوم، درس أعواما دروسا مباركة، يشهدها جمع حفيل من طلبة العلم، في العربية والفقه والحديث، وكان فصيح العبارة، مليح الهيئة والشارة، يحاضر في الأدب، وينظم الشعر، وينثر الرسائل والخطب.

وهو أول من خطب بجامع الرصيف الذي شيد مبانيه السلطان مولاي سليمان؛ فكان يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويفرع الأسماع بزواخر وعظه.

وله من التآليف: "غاية الأمنية، وارتقاء الرتب العلية، في ذكر الأنساب الصقلية، ذات الأنوار السنية البهية".

توفي - رحمه الله - بالطاعون، قال في "عناية أولي المجد": «منسلخ ذي القعدة سنة ثلاث [325] عشرة ومائتين وألف»، وفي كتابة عند رأسه بالحائط الموالي له أنه: توفي في الثاني من ذي الحجة متم السنة المذكورة. والله أعلم، ودفن بزاوية جده قريبا من رأسه بالقبر لذي بداخل القوس الذي بينه وبين الباب المفتوح لسيدي الحاج الشعير، عن يمين المحراب. ترجمه في "عناية أولي المجد".

[332- الخطيب سيدي الجذوب[1] بن عبد الحفيظ الفاسي الفهري]
(ت: 1260)

ومنهم: الفقيه النبيه، البركة النزيه، الخطيب الأمثل، الوجيه الأفضل؛ أبو البركات سيدي الجذوب بن عبد الحفيظ بن أبي مدين الفاسي.

كان - رحمه الله - كثير الجلوس بزاوية جده سيدي عبد القادر الفاسي، وكان من أهل الخير والبركة والذكر، وإطعام الطعام، والمحبة في جانب أهل البيت النبوي، وجيها نزيها.

أخذ عن جماعة من شيوخ فاس في وقته، وولي خطابة مسجد القرويين حتى توفي خطيبا به يوم الخميس الثامن أو التاسع من شهر جمادى الثانية عام ستين ومائتين وألف، ودفن من الغد - وهو يوم الجمعة - بعد الصلاة عليه بمسجد القرويين، عقب فراغ الناس من صلاة الجمعة، بالزاوية المذكورة، بإزاء محرابها.

---

[1] المقصود: سيدي عبد الرحمن الجذوب، نسبة للولي الشهير شيخ جدهم الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي الفهري.

[333- الوجيه الشريف مولاي مسعود الطاهري]
(ت: 1150)

ومنهم: الشريف الفقيه، الوجيه النزيه، الصوفي البركة، الملتمس فضل مولاه عند كل حركة، الحاذق الأخباري؛ أبو سَرحان مولاي مسعود الطاهري الجوطي الحسني.

كان - رحمه الله - فقيها متعففا، يحب الصوفية ويأوي إليهم، ويلتمس آثارهم، قرأ على أبي عبد الله المسناوي، وسيدي محمد ابن زكري. . . وغيرهما، وكانت له مآثر؛ منها: أنه كان يجري في عمارة المساجد التي تقرب منه، وفي إصلاحها، وتدوين العلم بها، وحبس كتبه، وحبس الأوقاف على حزب القرآن الذي أحدث بعد وفاته بهذه الزاوية الفاسية.

توفي - رحمه الله - في العشرة الخامسة بعد مائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بزاوية سيدي عبد الرحمن الفاسي التي بالقلقليين من فاس القرويين، ولم يخلف ولدا ذكرا ». هـ.

وضريحه - رحمه الله - هو الذي عن يمين الباب المفتوح الآن لضريح سيدي الحاج الشعير، يسار محراب الزاوية المذكورة، عليه دربوز يزار به، بوسطه مقبرية من رخام.

ويذكر شائعا عند بعض الناس أنه كان بين كتفيه شبه خاتم النبوءة، وأنه كان يدعى بالشبيه، ولم يذكر ذلك في ترجمته من "النشر". وفي "الدر السني"، و"الإشراف" وغيرهما: نسبة هذه المنقبة للفقيه الجليل أبي محمد سيدي عبد الله بن محمد الطاهري أحد فضلائهم وخيارهم. . . والله أعلم.

[334- الشريف سيدي محمد بن التهامي الطاهري]

ومنهم: الشريف الأرضى، البركة المرتضى؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن التهامي الطاهري الجوطي الحسني. . .

ضريحه [326] بالزاوية المذكورة، بالقوس الذي عند رأس صاحب الترجمة قبله، عليه دربوز صغير يزار به. ولم أقف له على ترجمة.

[335- العارف الشريف سيدي محمد بن عبد الحفيظ الدباغ (بوطربوش)]
(ت: 1291)

ومنهم: شيخنا وبركتنا: الشيخ الصالح، المرشد الناصح، الدال على الله، القاصد في طريق توجهه جناب مولاه، الذاكر القدوة، الموتى عند الخلق وعند الخالق رفعة الجناب وعظيم الحظوة،

العارف بالله تعالى، أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: بوطربوش؛ لكونه كان يجعل على رأسه طربوشا لا يزيد عليه - ابن الشريف البركة سيدي عبد الحفيظ الدباغ الحسني الإدريسي.

كان - رحمه الله - من أكابر العارفين، وأماثل الصالحين، تشهد بولايته أحواله، وتحكم بعرفانيته أقواله وأفعاله، إذ كان - رضي الله عنه - أميا، وكان مع ذلك يتكلم في حقائق التصوف وأسرار السنة والكتاب؛ فيأتي في ذلك بما يدهش العقول ويحير الألباب، وكان نجما يهتدى به في حل المشكلات، وكشف حجاب المعوصات والمعضلات، يتكلم عليها بكلام أهل الفتح الرباني، والنور الإيقاني.

وقد حلاه في "الإشراف" في ترجمة رهطه الشرفاء الدباغيين بقوله: « صالح ناسك، مشهود له بالعناية الربانية، والفتوحات العرفانية ».هـ.

وكان - رضي الله عنه - كثير الرؤية والاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام، وكذا بمن عداه من الصحابة والأولياء الكرام، حدثني شيخنا العلامة البركة مولاي عبد الله ابن العلامة الأستاذ مولاي إدريس البكراوي الحسني قال: حدثني الشريف سيدي محمد بوطربوش الدباغ قال: « كنت آتي والدك سيدي إدريس عند هبوط الظهر بظهر الصومعة من مسجد القرويين لأسمع منه تلاوة القرآن الذي كان يتلوه هناك مع الطلبة في هذا الوقت، فأتيت يوما من قعر المسجد المذكور من ناحية باب الخلوة، فلما كنت عند الثريا الكبيرة؛ رأيت هناك النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة وهم قاصدون نحو ظهر الصومعة المذكور »، قال شيخنا المذكور: « فقلت له: أرأيتهم يقظة أو مناما؟ ». قال: « يقظة »، قال: « فقلت له: يا رسول الله؛ أين تريد؟! ». قال: « أريد أن أسمع القرآن من ولدي هذا »، وأشار إلى سيدي إدريس بالناحية التي هو بها، ثم قال عليه السلام وهو يستمع لقراءته ويسمعها: « هكذا أنزل علي ».

وكان أيضا يصرح بولايته، ويخبر عن عظيم رفعته ومكانته، ويحدث بكثير من نعم الله عليه، ويذكر شيئا [327] مما أكرمه به وأسداه إليه.

حدثني شيخنا المذكور - أيضا - قال: « قلت له يوما وقد سمعت منه كلاما حسنا في معنى حديث كنا نتذاكر فيه: آأنت من الصالحين؟، فقال لي: نعم!؛ فقلت له: آأعتقد ذلك وأجزم به؟، فقال: نعم؛ اعتقده واجزم به. أو كلاما هذا معناه. قال: ورأيته بعد وفاته على حالة حسنة شريفة، ولبسة رفيعة منيفة، لم أر مثلها قط، فعلمت بذلك أنه كان من الأولياء، وأنه من المحبوبين ».

وكان - رضي الله عنه - أيضا يجتمع بسيدنا الخضر عليه السلام كثيرا، وبمولانا إدريس الفاسي، وكان يسأله عن كثير مما يعرض له من الأمور؛ فيجيبه عنها بما يشفي الصدور، من ذلك أن

جماعة من أصحابه طلبوا منه أن يأذن لهم في بناء زاوية يجتمعون فيها عليه، فأخرهم عن ذلك في ذلك الوقت، ثم أخبرهم أنه: رأى مولانا إدريس – رضي الله عنه – واستأذنه في ذلك؛ فقال له: « يا ولدي محمد الدباغ؛ لا تعمل لك زاوية، اترك الكون يكن لك زاوية، كثرت الزّواوي، وقل من يداوي »، ولم يعمل زاوية، وبقي يجتمع معهم في بعض المساجد، وفي الدور والبساتين ومواضع النزهة لا غير.

وكان الناس يقصدونه في حوائجهم المهمة؛ فتقضى لهم بطريق الغيب والهمة، وظهرت له كرامات، وخوارق عادات، وتلمذ له الكثير، وظهر على يديه الخير الكبير، ولقي كثيرا من الأخيار، والصلحاء الأبرار، بفاس وبغيرها، وتبرك بهم، واستفاد منهم ومن أخبارهم؛ كالشيخ الصالح العارف سيدي أبي القاسم بن أحمد التادلي السجدالي دفين مصلى باب الشريعة، والشيخ الولي الكبير العارف الشهير سيدي عبد القادر العلمي صاحب المزارة العظيمة بكتاسة الزيتون، والولي العارف سيدي الطيب بن محمد الكتاني دفين مصلى باب الفتوح، والولي الأشهر سيدي أحمد الغوان دفين باب الحمراء من داخل باب الفتوح. . . وغيرهم ممن يكثر.

إلا أنه كان يشير إلى أن حصول الفتح الأكبر له إنما كان على يد مولانا إدريس الأنور، وكان كثير التعظيم لجنابه، كثير التّرداد إلى أعتابه، يلهج كثيرا به، ويشير إلى عظيم ما منحه الله به من قربه، ومن الكمالات العظيمة، والمناقب الجسيمة، ويجل أمره، ويعظم قدره، ويقدمه على كل من هو بالمغرب من أوليائه، وخواصه وعلمائه، ويشير – أيضا – إلى أنه يتصرف في جميع هذا المغرب الأقصى بجملته؛ وأنه لا تصرف لأحد فيه إلا عن إذنه ومشورته، وإلى استمداد جميع أهله منه أفرادا وأوتادا ، وأقطابا وعبادا [328]. وكان قبل لزومه له كثير التطواف على غيره من الأولياء الأموات، زوارا لهم ولأضرحتهم، ملازما للمقام في أمكنتهم. وكان يُسْرَدُ عليه البخاري كل عام في الأشهر الثلاثة بزاوية سيدي عبدالقادر الفاسي، بالركن الذي عن يمين المحراب؛ وحضرت معه فيه في السنة الأخيرة، وكنا نجالسه؛ فنسمع منه في الكلام على الأحاديث وآيات القرآن وكلام القوم ما يبهر العقول، إلا أني كنت صغير السن إذ ذاك، فلم أعقل على كثير مما كنت أسمع منه.

وأخذت عنه الحديث المسلسل بالمصافحة النبوية، وبالمشابكة؛ فصافحني وشابكني، وذلك بالضريح الإدريسي، وكان له اجتهاد في الذكر والتلاوة والعبادة، خصوصا في رمضان، وأكثر ما كان يأوي إلى مسجد القرويين قريبا من الخلوة، وإلى ضريح مولانا إدريس بإزاء الكرسي الذي يقابل خصة الصحن يسار المتوجه إلى القبة.

وأخبرني بعض الناس من الثقات أنه قصد زيارة مولانا إدريس - رضي الله عنه - أربعين يوما، على أن يلاقيه الله تعالى بقطب الوقت، قال: « فبعد تمام الأربعين يوما؛ اتفق لي أن اتخذت حانوتا للبيع والشراء، وكنت قبل ذلك طالبا للعلم، فبمجرد ما طلعت إليها؛ جاءني سيدي محمد الدباغ وطلع معي إليها وجلس، وقال لي: الناس يأتون إلى القطب، ومنهم من يتفضل الحق تعالى عليه؛ فيأتيه القطب! . . . قال: ولم أتفطن لكلامه وأنه يشير لي بذلك إلى أنه القطب وأنه أتى إلي، إلا بعد حين!! »، ثم ذكر لي هذا المخبر حكاية أخرى أتى فيها صاحب الترجمة إلى بعض الناس؛ فقال له ذلك البعض: « يا سيدي؛ سألتك بالله إلا ما أخبرتني أين هو القطب في هذا الوقت؟ »، وكلاما هذا معناه؛ فقال له: « حَوزي ». قال: « فظن ذلك الرجل أنه أخبره بأنه من أهل الحوز، وإنما أشار له بذلك إلى أن القطبانية في حوزه وملكه، وأنه هو صاحبها، والله أعلم ».

وترجمته - رضي الله عنه - واسعة جدا.

توفي يوم الثلاثاء سابع محرم الحرام فاتح سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية المذكورة، بالركن الذي عن يسار محرابها، يسار الخارج منه لضريح سيدي الحاج الشعير من الباب المفتوح به.

[336- سيدي محمد بن الحسن الفالتي]
(ت: 1109)

ومنهم: العلامة الفقيه، المشارك النبيه؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن. عرف بالفالتي.

أخذ عن الشيخ ميارة الأكبر، ولازمه، ثم عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، وكان يقوم على "مختصر خليل " و"الرسالة"، وكان سريع الدمعة.

توفي - رحمه الله - سنة تسع ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بباب زاوية سيدي عبد الرحمن [329] ابن محمد الفاسي، الكائنة بحومة القلقليين ».هـ. ترجمه فيه، وفي "التقاط الدرر".

[337- شيخ الجماعة سيدي مَحمد بن قاسم جَسُّوس]
(ت: 1182)

ومنهم: الفقيه العالم العلامة المحقق، المحدث الصوفي المدقق، المشارك الحجة، الموضح لمن بعده طريق المحجة، الخاشع المتواضع الوجيه، الورع الزاهد المنصف الحاذق النبيه، ذو التصانيف العديدة،

والتآليف المفيدة، شيخ الجماعة في وقته: أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد جَسوس.

كان - رحمه الله - بحرا لا يجارى في مجاري العلوم، ومُهَنَّدا يفري أديم المشكلات بماضي الفهوم، حافظا ضابطا متقنا، ماهرا محصلا متقننا، عارفا بالأصول والفروع، حاضرا للأفراد والجموع، مشاركا في معقول العلم ومنقوله، بنظر يؤدي إلى تحصيل معلومه ومجهوله، في منطق وبيان، وعربية وأصلين، وتصوف وفقه، وحديث وتفسير، مع استغراق الأزمان، في الاعتناء بالمطالعة والتقييد، والمدارسة والحفظ، والحرص على الاستفادة والإفادة بكل وجه حسب الإمكان.

ذا أخلاق حسنة، وأوصاف مستحسنة، جامعا للسنة المحمدية حائزا لها، سالكا من الطرق المبّينة وعرها وسهلها، حتى أشرقت عليه أنوار المحبة الإلهية، وتوفرت فيه شروط الأوصاف المحمدية الكمالية؛ من الخشوع والتواضع والخضوع، والصيام والقيام وغلبة الدموع.

وكان كثير الدوام على "مختصر" خليل تدريسا وإقراء، وأخذه عنه غالب نجباء الوقت، وكذلك رسالة ابن أبي زيد، وحكم ابن عطاء الله، والبخاري، و"الشمائل".

وكان على مجلس تدريسه طلاوة، وفي كلامه فصاحة وحلاوة، لما أعطاه الله من التواضع واللطافة، والحنانة والسكينة والفصاحة، والحفظ الوهبي، وتمكن المحبة من سويداء قلبه، حتى كان تقرير مجلسه في كل علم ممزوجا بالتصوف امتزاجه بدمه ولحمه، وانتهت إليه المشيخة في الجماعة في وقته، وأكب الناس عليه لانفراده بالاجتهاد وجودة القريحة، وحسن الطوية، والأخذ بآثار السلف الصالح من التخلق بالدين والعرفان، والقناعة والصمت، والزهد والورع؛ والنسك والذكر، والتلاوة والتنزه عن الأسباب المخلة بالمروءة.

بل تفرغ للإفادة عنه والانتفاع به نهارا، وللعبادة بالتهجد نافلة ليلا، فبورك له في العمر بامتداده، ممتعا ببعض القوى التي يقدر بها على الكثير من أنواع الطاعات، حتى كثر الآخذون عنه من جميع الأقطار، كثرة لا يأتي عليها الانحصار، وكان يقرأ صحيح البخاري بعد صلاة الصبح بضريح [330] سيدي أحمد ابن يحيى - نفعنا الله به.

وكان قد أخذ عن أبي عبد الله المسناوي، وأبي عبد الله سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي، وولده سيدي الطيب، وسيدي العربي بُرْدُلة، وعمه أبي محمد سيدي عبد السلام جسوس، وأبي عبد الله ابن زكري، وأبي عبد الله القسمطيني الشريف الحسني، وأبي عبد الله ابن عبد السلام بناني، وسيدي محمد بن حمدون بناني، وسيدي أحمد الجرندي، وسيدي علي الشرادي، وسيدي علي الحريشي، وسيدي مَحمد ميارة الصغير، وأبي عبد الله المشاط، وابن عمه أبي العلاء إدريس المشاط... وغيرهم، وعمدته في جميع الفنون: المسناوي، وعمه جَسُوس، وابن زكري.

وأخذ عنه هو جماعة لا تحصى؛ من جملتهم: الشريف العلامة سيدي عبد المجيد المَنالي الزبادي، والشيخ سيدي التّاودي ابن سودة المري؛ وقد أورده في فهرسته من جملة شيوخه.

وألف - رحمه الله - كتبا جليلة؛ كشرح خليل في تسعة أسفار ضخام، والرسالة في أربعة أسفار، وشرحين اثنين على حكم ابن عطاء الله، وشرح توحيد ابن عاشر، وتصوفه، وشرح "الشمائل"، وفقهية سيدي عبد القادر الفاسي... وغير ذلك.

وكان - رحمه الله - كثيرا ما يتمثّل بأبيات لعمه أبي محمد سيدي عبد السلام جسوس؛ سيما في مرض موته، وهي:

سلام على أهل الحمى حيث ما حلوا	هنيئًا لهم يا حبذا ما به حلوا
لهم أظهر المولى شموس بهائه	فياليت خدي في التّراب لهم نعل
متى يا عُريب الحي يأتي بشيركم	فتبتهج الدنيا ويجتمع الشمل
صلوني على ما بي فإني لوصلكم	إذا لم أكن أهلا فأنتم له أهل

ولد سنة تسع وثمانين وألف، وتوفي ضحوة يوم الأربعاء الرابع من رجب الفرد سنة اثنين وثمانين ومائة وألف. قال في "الروضة المقصودة": « ودفن من يومه بعد صلاة العصر بزاوية الشيخ أبي محمد عبد القادر بن علي الفاسي - رضي الله عنه - من حومة القلقليين عدوة فاس القرويين ».هـ. ونحوه في "سلوك الطريق الوارية"، وزاد: « وكنت المباشر لغسله وإنزاله في قبره بإيصاء منه على ذلك وقبره يسرة الداخل للزاوية من البويبة الصغرى المقابلة لدار الشيخ عبد القادر ».هـ.

وهو - فيما أخبرت به - المتّصل بالقوس الذي عن يسار الداخل من البويبة المذكورة، الذي دفن به أبو عبد الله سيدي محمد الطيب بن العلامة سيدي أبي مدين الفاسي. ترجمه في "النشر"، و"سلوك الطريق الوارية"، و"الروضة المقصودة"... وغيرها.

[338- الأديب الرئيس سيدي أحمد بن المهدي الغزّال]
(ت: 1191)

ومنهم: الفقيه الأديب، الكاتب الرئيس الأريب؛ السيد أحمد بن الأديب الكاتب الفقيه السيد المهدي الغزّال.

كان - رحمه الله - فقيها أديبا، بل كان [331] آخر أدباء الوقت، وبعثه السلطان سيدي محمد ابن عبد الله سفيرا لجزيرة الأندلس مثل أبيه من قبله، وألف في سفره رحلة ذكر فيها عجائب تلك الأرض، وله غيرها من التآليف في الأدب.

توفي - رحمه الله - سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ودفن بصحن الزاوية المذكورة.

[339- الشيخ الختم سيدي أحمد بن مسعود الشاوي
المعروف بـ: سيدي الحاج الشعير]
(ت: 1115)

ومنهم: الولي الصالح، ذو الهدي الواضح، صاحب الحقائق والمعارف، والإشارات الدقيقة واللطائف، الشيخ الرباني، والعارف الصمداني، خاتم أولياء زمانه، ومصباح عصره وأوانه؛ أبو العباس وأبو الصفاء وأبو العطاء والوفاء سيدي أحمد بن مسعود الشاوي أصلا، الفاسي دارا ومنشأ. المدعو: سيدي الحاج الشعير.

كان - رحمه الله - من أهل الفيض والعرفان، والقدم الراسخ في المواهب اللدنية، وكان في ابتداء أمره يعاني نسج الكتان، معدودا من العوام، إلا أنه ملازم لكراسي الوعظ والتذكير بجامع القرويين، محافظا على أوقاته.

ولما دنا أجله؛ أظهر أمره، وكشف سره، وأبدى من العلوم الربانية ما لم يكن يظن به؛ فكان يقول: إنه يعرف الجنة موضعا فموضعا، ويعرف السماء مكانا فمكانا. ويطلق لسانه بوصف ذلك؛ فيتكلم بما يحير الألباب، ويدهش الفكر؛ فانكب الناس عليه، وقصدوا زيارته. وذكر أمره لأبي عبد الله سيدي مَحمد بن عبد القادر الفاسي، فاستدعاه وفاوضه فيما نسب إليه فوجده بحرا زاخر العباب، وسلم له حاله. وكان - رحمه الله، فيما ذكره غير واحد؛ كالشيخ أبي عبد الله سيدي مَحمد بن عبد الرحمن الفاسي في "المنح البادية" - خاتم أولياء زمانه. أخذ عن روحانية كثير من الأنبياء والصحابة كما هو حال الختم.

الختم ختمان:

والختم - كما أشار إليه ابن عربي في "الفتوحات" - ختمان: ختم الولاية العامة. وختم الولاية المحمدية.

فالأول: يكون على يد عيسى عليه السلام، لا يوجد بعده ولي.

والثاني: يكون في كل زمان، يختم الله به الولاية التي تحصل من الإرث المحمدي؛ فلا يكون في الأولياء المحمديين أعلى مقاما منه. وإليه الإشارة بقوله في "الفصوص": « وخاتم الأولياء الوارث الآخذ عن الأصل، المشاهد للمراتب، وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. . . ». انتهى المراد منه. ونحوه في "الإنسان الكامل".

وفي فهرسة الشيخ أبي العلاء سيدي إدريس المنجرة أثناء عده لبعض من لقي من الأولياء ما نصه: « ومنهم: الولي المتمكن الراسخ أبو الصفا سيدي الحاج أحمد بن مسعود الشاوي الأصل، الفاسي الدار والمنشأ؛ كان ظاهر التقشف، يتعاطى حرفة الحياكة، ولا يبالي بالدنيا وأربابها. سألته عن ابتداء أمره؛ فحدثني أنه: خالط بعض الناس؛ فتضرر منه؛ فتركه، وآخر كذلك. . . قال: فتركت الناس [332] جملة؛ وحبب الله إلي سماع أحوال القوم وحديثهم؛ فجعلت أتردد إلى مجالس الوراق من جامع القرويين؛ فكنت كلما سمعت شيئا استقر في صدري، وانكببت على العمل به؛ ففتح علي. حتى إنه أخبرني بلقاء الخضر عليه السلام مرارا، تبركت به - رحمه الله - وانتفعت منه، ودعا لي، توفي - رحمه الله - سنة خمس عشرة ومائة وألف، وكثير من معاصريه لا يسلمون له ». هـ.

وقال في "التقاط الدرر": « وصفه بعض أكابر عصره بالرسوخ والتمكين، وكانت تعتريه أحوال، ونسبه بعضهم للأخذ عن سيدي أحمد بن يوسف الشريف العلمي اليونسي عن سيدي علي بن أحمد دفين صرصر ». هـ.

وفي "النشر": « شهد له الشيوخ بالخصوصية، ووصفوه بالرسوخ والتمكين، وكانت تعتريه الأحوال قبل بلوغه، وعند بلوغه، ونزل به حال عظيم، وربما سجنوه لذلك وسلسلوه، ثم سكن حاله وسافر للحج ورجع، فكان يلازم سرد بعض الكتب التي تقرأ بالقرويين. وفي بعض المقيدات: إنه أخذ عن سيدي أحمد بن يوسف الشريف العلمي اليونسي عن سيدي علي بن أحمد دفين صرصر، والله أعلم بحقيقة ذلك، ولد سنة خمس وثلاثين وألف، وتوفي في ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف ». هـ.

وضريحه - رحمه الله - بالروضة المتصلة بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي قبلة منها، مواليا لمحراب الزاوية المذكورة، متصلا بحائطه، عليه دربوز يزار به ويتبرك، ترجمه في "الصفوة"، و"النشر"، و"التقاط الدرر"، وفهرسة سيدي إدريس المنجرة. . . وغيرها.

تنبيه: نقل في "المرآة" عن أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي أن: ما يكاشف به الولي في هذه الدار من الجنة والنار أو غيرهما؛ هو مثال. بخلاف النبي؛ فإنه يرى ذلك حقيقة.

وفي "المعزى" ما نصه: « واعلم أن الأولياء حيث قالوا: شاهدنا اللوح أو الجنة، أو النار. إنما ذلك المثال لصفاء سريرتهم، وإشراق بصيرتهم، ولا يشاهد حقائق الأشياء من اللوح وغيره إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال: وقد نبه على هذا المعنى، شيخ الوقت في عصره، وإمام من بعده: أبو العباس المرسي، كما ذكره التاج في لطائفه - رضي الله عن جميعهم ». هـ.

[340- الأستاذ المقرئ سيدي محمد بن العربي ابن مغلب]
(ت: 1129)

ومنهم: الفقيه الأستاذ الصالح، البركة الناصح، المحقق المجود المقري؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن العربي - المدعو: ابن مغلب الفاسي.

كان - رحمه الله - أحد الكبراء دينا وخشية، وكان سريع البكاء، عند تلاوة القرآن، أخذ العلم عن سيدي عبد القادر الفاسي، وانتفع به، وأخذ عنه عامة طلبة فاس قراءة السبع، وكان مشهورا بها.

قال في "النشر": « وحدثني بعض [333] العارفين أنه كان من الأولياء، وإنما ستره العلم والقراءة ». هـ.

توفي - رحمه الله - بفاس في ثالث وعشري ربيع النبوي عام تسعة وعشرين ومائة وألف، ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر"، ولم يعين فيهما محل دفنه. ورأيت بعضهم قيد وفاته كما ذكرت وقال عقبها ما نصه: « ودفن بروضة سيدي الشمير المجاورة لزاوية الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، نفعنا الله بهم ». هـ.

[341- المجذوب سيدي احساين بن محمد القَوَّاس]
(ت: 1111)

ومنهم: الولي الصالح الشهير، المجذوب الكبير؛ أبو محمد سيدي الحسين - المدعو: احساين - ابن محمد - المشهور بالقواس. بوزن: دَرَّاك من أهل فاس.

كانت تتوارد عليه أحوال، وكان أولا يخدم شَرَّاطا، ثم غلب عليه الوجد والحال واشتهر. نسبه بعضهم للأخذ عن الشيخ العلامة الصالح أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي، وكان له أصحاب وأتباع، ولم يزل يُتبرك به، مقصودا للزيارة، وكان مشهودا له بالخصوصية من صلحاء فاس في وقته.

وحكي أن سيدي أحمد بن عبد الله مَعَنْ الأندلسي. كان بسوق الرصيف من فاس القرويين؛ فأبصره صاحب الترجمة؛ فرجع من الطريق إلى طريق أخرى على رحبة الزبيب، على عقبة العيون إلى داره وهو يقول: « طريق السلامة ولو دارت ».

توفي – رحمه الله – سنة إحدى عشرة ومائة وألف، ودفن بداره بالقلقليين، وهي الثانية عن يسار داخل الدرب الكائن أسفل الفرن الثاني هناك، بإزاء باب جنان بوعمارة، وصارت زاوية عليه بعد ذلك معظمة من مزارات فاس، وجعل على قبره بها دربوز يزار به ويتبرك. ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر". وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس؛ فقال:

والسيد الغائب في الشهود	مُولَه في الملك المعبود
الهائم المتيم الحيران	الشائق المهيم السكران
حُسَيْنٌ القواس ذو الكرامة	والفائض الراموش قل أمامة

[342- الإمام العارف سيدي عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي الفهري]
(ت: 1213)

ومنهم: الشيخ الإمام، الحبر الهمام، حجة الإسلام، ومصباح الظلام، العارف الكامل، المحقق الواصل؛ أبو محمد سيدي عبد القادر بن أبي جيدة بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

ولد بفاس سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، وبها نشأ في حجر أبيه، وظهر عليه في صباه أثر الفتح؛ فكان لا يلاعب الصبيان، ولا يسأل عما يكون وكان. وأخذ في قراءة العلم عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن الطيب القادري، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام الفاسي، والشيخ عبد الكريم اليازغي [334]، والشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني، والشيخ زين العابدين العراقي، والشيخ أبي زيد عبد الرحمن حسين. . . وغيرهم.

حتى ظفر منهم بحظ من المشاركة غير قليل، واجتهد في العمل الذي يقربه من الرب الجليل، ثم رحل للحج والزيارة مرتين، ولقي هناك أشياخا من أهل الشريعة والحقيقة؛ فسلكوا به مسلك أهل العرفان، وظهرت عليه بركتهم، واشتغل بالعبادة، وآثر التقشف في اللباس.

قال في "عناية أولي المجد": « ولازم آخر عمره الشيخ العالم الصالح، العارف الناصح، أبا عبد الله محمد الهادي ابن الشيخ العلامة النحوي زين الدين العراقي الحسيني – رحمه الله – في خدمة الطريقة النقشبندية، وانقطع إليه كالانقطاع إلى شيخ التربية ». هـ.

وذكر صاحب "النور القوي" أنه: « أخذ أولا طريق النقشبندية عن الشيخ مولاي إدريس ابن مولاي علال الدباغ. . . »، ونقل عن صاحب الترجمة أنه قال فيه: «شيخنا وعمدتنا، ووسيلتنا».
وبعد وفاته أخذ الطريقة الشاذلية عن مولاي العربي الدرقاوي، وحصل له ظهور كبير على يده حتى

عمر زاوية بداخل حومة القلقليين من هذه الحضرة، وكان له فيها أتباع يعتقدون فيه حسن الاتباع. . . والله أعلم.

ومن أخذ عنه هو أولا: مولاي عبد الواحد الدباغ؛ أخو مولاي إدريس المذكور.

وكان – رضي الله عنه – لا يرى لذة العيش إلا في صحبة الفقراء، وخدمة العارفين الكبراء، وحصل له فتح كبير في علم القوم نظما ونثرا، حتى كان يدعى بـ: حاتمي الوقت، وكان يرجع إليه في حل مشكلاته، وفتح رموز الكتاب والسنة، ويتكلم في الحقائق الربانية، ويعبر عن بعض الأسرار الإلهية، ويجيب عن أغمض المسائل بديهة، ويعبر عنها فورا بأحسن عبارة.

وكانت له يد في التصرف وخرق العوائد، وكان كثيرا ما يخرج من داره في نصف الليل؛ فيذهب إلى الحمام؛ فيتوضأ، ثم يقصد زيارة مولانا إدريس، وكان كلما وجد بابا مغلقا يقرأ على قفله ما تيسر، ثم يفتحه بإذن الله حتى يزور الولي المذكور، ثم يعود إلى داره، وكان ليلة من الليالي يزور في الطريق قبالة الشباك المتوجه لقبره؛ فإذا بالخضر عليه السلام جاء إليه وجعل يعبث بلحيته وهو واقف يدعو، فلم يتكلم معه حتى انصرف، وبقي هو على حاله حتى أتم غرضه من الزيارة وذهب.

ولما حضرته الوفاة؛ قال له بعض الإخوان ممن كان عنده: « يا سيدي؛ أتذكر شيئا من الاسم المفرد؟ »، فقال له: « ويحك؛ نحن في الاسم الآن أم في المسمى؟ ». ثم خرجت روحه من حينه، وكانت وفاته شهيدا بالطاعون منسلخ ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، ودفن بدار اشتريت لجمع فقرائه؛ واتخذت [335] زاوية لهم بأقصى حومة القلقليين بالدرب الثاني، فوق الجنان المعروف ببوعجارة، وهي الرابعة عن يسار الداخل إليه، وجعل على قبره بها دربوز، وهو مزار متبرك به إلى الآن.

وترك كتابا غير مكمول في علم الحقائق، عز نظيره وقل مثيله، سماه: "بذوق البداية ولمحة الهداية". وترك أيضا حكما في التصوف، وتقاييد كثيرة في علم القوم، وأرجوزة في سلسلة أشياخه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتائية غير مكملة، وتخميسا على عينية الجيلي لم يكمل أيضا. ترجمه في "عناية أولي الجد"، وكذا في "النور القوي".

[343– سيدي محمد (حَمُّ) الراموش]
(ت: 1123)

ومنهم: البهلول الأبله، الولي الصالح المتبرك به؛ أبو عبد الله سيدي محمد – المدعو: حَمُّ – الراموش الفاسي.

كان معظما عند عامة أهل فاس، ينسبونه للصلاح ويتبركون به، وكان يسيح في الأزقة والأسواق، ولا يحسن التصرف في شيء.

توفي – رحمه الله – أول يوم من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف. قال في "النشر": « ودفن بموضع دار له بأقصى حومة القلقليين من فاس القرويين، واتخذوها عليه روضة ومقبرة لدفن الأموات ». هـ.

وروضته هي التي بالدرب المقابل لدرب سيدي عبد القادر بن أبي جيدة، بانحراف يسير إلى فوق، وضريحه بها مشهور، عليه دربوز يزار به. ترجمه في "النشر"، وفي "التقاط الدرر".

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به من صلحاء وعلماء حومة جزاء ابن برقوقة والمخفية وما هو منضاف إليها

[جامع سيدي خليل، وذكر أول من أدخل مختصر خليل إلى فاس]
[344 - الفقيه سيدي محمد بن عمر ابن فتوح التلمساني]
(ت: القرن التاسع)

اعلم أن بجزاء ابن برقوقة من هذه الحومة مسجدا يقال له: سيدي خليل. أطلق عليه هذا اللقب؛ لأن مختصر خليل لما قدم به إلى فاس ابتدئ تدريسه بهذا المسجد، وقد نبه على هذا صاحب "نشر المثاني" في ترجمة أبي عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري.

وكان القادم به إليها: الفقيه الصالح الزاهد أبا عبد الله محمد بن عمر بن فتوح التلمساني ثم المكناسي، نص على ذلك في "كفاية المحتاج" في ترجمته، ونصه: « لحق بفاس، وهو أول من أشاع بها مختصر خليل، وأول من أدخله بها عام خمسة وثمانمائة ». وفي "الروض الهتون" لابن غازي في ترجمة أبي عبد الله المذكور ما نصه: « أصله من مدينة تلمسان، وانتقل منها إلى فاس، ثم إلى مكناسة، فأقام بها حتى مات هناك... ثم قال: وحدثني أبو زيد المزوار أنه من أدخل مختصر خليل لهذه البلاد عام خمسة من القرن التاسع ». [336].

[345- المجذوب الشريف مولاي المهدي بن الطيب اليونسي الشلوشي]
(ت: 1157)

ومن أولياء هذه الحومة: الولي الصالح، الشريف البركة المنيف، المجذوب الهائم في حضرة الحي القيوم الدائم؛ أبو عبد الله مولاي المهدي بن مولاي الطيب اليونسي؛ المدعو: الشلوشي. الحسني العلمي، القاطن بجزاء ابن برقوقة.

كان - رحمه الله - غائبا غيبة جذب واتصال، وصاحب عناية وذكر متصل، مجاب الدعوة، كلما أقسم على الله أبره.

ومن كراماته: أنه تعطل المطر على الناس عام خمسة وأربعين، وخرج الناس يستسقون، فخرج هو معهم في حالة خشوع وخضوع وتضرع؛ فما رجعوا حتى رجعوا ممطرين من غير صلاة. ببركته.

أخذ – رحمه الله – عن القطب مولاي الطيب الوازاني، ولقي مولاي قاسم ابن رحمون. وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة وألف، ودفن بداره بجزاء ابن برقوقة من عدوة فاس الأندلس، وهي التي تجاور جامع سيدي خليل يمين الداخل إليه، وقبره بها مشهور إلى الآن، عليه دربوز يزار به ويتبرك، وحوله مقابر عديدة. . . ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[346- العالم الشريف مولاي عبد الله بن الطيب اليونسي الشلوشي]
(ت: 1163)

ومنهم: أخوه الشريف الأجل، البركة الصالح الأفضل؛ أبو محمد مولاي عبد الله اليونسي الشلوشي العلمي.

كان – رحمه الله – صاحب سمت حسن، وخُلق مستحسن، سني المذهب، خامل الذكر، قليل الكلام إلا فيما يعنيه، وكانت تعتريه الأحوال؛ فيغلبها ولا تغلبه، وتظهر عليه بقرائن أحواله باحمراره واحمرار عينيه، واسترسال العرق على وجهه.

أخذ – أيضا – عن الشيخ مولاي الطيب الوازاني، وكان ملازما لسيدي قاسم ابن رحمون، وتوفي سنة ثلاث وستين ومائة وألف، ودفن مع أخيه مولاي المهدي بداره المذكورة. . . ترجمه في "سلوك الطريق الوارية" أيضا.

[347- الإمام سيدي عمر بن عبد الله الفاسي الفهري]
(ت: 1188)

ومنهم: الشيخ الإمام العلامة، الدراكة المشارك الفهامة، سلطان المحققين، ورأس الجهابذة المدققين، آخر أهل التحرير درسا وتصنيفا، مع بيان المشكلات بسطا وتعريفا، المستنبط للأحكام بالاستدلال المحقق، على طريقة أهل الاجتهاد المطلق، العارف بالله، المحب لأولياء الله؛ أبو حفص سيدي عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي ابن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي الفهري.

ولد بفاس، وكان لا يذكر تاريخ ولادته اقتداء بالسلف كمالك والشافعي، وكثيرا ما كان ينشد في ذلك لنفسه:

المرء يسأل دائما عن سنه	والرأي والمال المسوّد من يسود
فإذا سئلت فلا تجب عن واحد	خوف المكذب والمكفر والحسود

وبفاس نشأ في حجر أبيه، مقبلا على ما يعنيه؛ فقرأ القرآن، ثم أخذ في العلوم؛ فقرأ شيئا [337] منها على أبيه، وعلى قريبه الشيخ أبي عسرية محمد بن أحمد بن يوسف بن أبي عسرية بن علي بن يوسف الفاسي، ثم لما خامرته نشوة التحصيل؛ انثال في طلب التحقيق إلى مجلس كل شيخ جليل، فاعتمد في العربية: أبا العباس الوَجّاري، وأبا عبد الله العراقي الحسيني. وفي الكلام والأصلين والبيان والمنطق والتفسير: أبا العباس ابن مبارك، وفي الفقه والحديث والتفسير أيضا وغيرها: أبا عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، وأبا عبد الله جَسُّوس. كما اعتمد في رواية الحديث بأقرب أسانيده: أبا الحسن عليا الحريشي، وكتب له بالإجازة المطلقة محقق الشافعية وشيخ الطريقة الخلوتية: أبو عبد الله مَحمد (بالفتح) بن سالم الحفناوي، وجه بها إليه من مصر.

ولما تضلع بالعلوم، وتبحر في الفهوم، اقتصر على شيخ الجماعة أبي العباس ابن مبارك؛ فلزمه إلى أن صار علامة الدنيا، ويده في المشكلات هي العليا، بحرا زخارا، حبرا نظارا، جامعا لأدوات الاجتهاد، مائلا إليه في الحكم والاعتقاد، يرد على أئمة المذاهب، بالدليل الواضح والاعتبار المناسب، بالغا غاية الأرب، في تحقيق العلوم الشرعية وغيرها من علوم الأدب، وكان علمه منوطا بالاستقامة، مؤسس البناء على الخشية والاستكانة، كأنه الشمس في سماء اللطائف، تنبعث عنها أنوار المعارف، يحسن الظن بالناس، ويُغلب الرجاء على اليأس، ويلتمس الخير في المنسوبين، من السالكين والمجذوبين.

زوارا للأولياء، من الأموات والأحياء، فانتفع بجملة منهم في مداواة القلوب، مما يداخلها من أمراض العيوب؛ كالقطب مولاي أحمد الصقلي الحسيني، والعارف بالله سيدي العربي ابن عبد الله مَعَن الأندلسي، والغوث سيدي علي الجمل. . . وغيرهم ممن يكثر جدا في فاس وغيرها.

وكان كثير المودة لآل البيت الكريم، قائما بما يجب لهم من الإجلال والتعظيم، ناصحا في الدين أمينا، قويا في حب الخير متينا، ذا هيبة وسكينة ووقار، مظهرا لجلالة العلم وماله من الرفعة والفخار، منقبضا عن مخالطة الأمراء، مباعدا عن الرؤساء والكبراء والوزراء، جميل الصفح، ظاهر الفتح، فمن ثم تطارح القوم عليه، في الأخذ والانتساب إليه، فكانت تلامذته في نفوذ الملكة خالص الإبريز، كل واحد منهم منصوب في التحقيق على التمييز.

وبالجملة: فهو آية الله الكبرى، في همم لا ترضى الجواز بالجوزاء ولا العبور مع الشعرى، عمل فيما تركه أسلافه من تراث الفضائل، فأجاد الله عليه بالأرباح فيها ما استغنى به عن الأواخر والأوائل [338].

ومما يحكى عنه أنه: كان يخرج من مدينة فاس ثم يتوجه إليها ويخاطبها ويقول: « تيهي يا فاس بوجودي، والله ما فيك مثلي!!! ».

وقد ألف تآليف بديعة، وتصانيف رفيعة: كحاشية شرح الكبرى للسنوسي، وحاشية شرح المختصر المنطقي له أيضا، وشرح رجز ابن عاصم في سفرين، وشرح لامية الزقاق. . . وغير ذلك.

وأخذ عنه من العلماء من لا يحصى؛ كقريبه سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي، وسيدي زيان العراقي، وسيدي عبد الكريم اليازغي، وسيدي عبد الرحمن ابن الخياط حسين، وسيدي العربي بن علي القسنطيني، وسيدي مَحمد بن طاهر الهواري، وسيدي عبد القادر ابن شقرون، وسيدي محمد بن عبد الصادق ابن ريسون، وسيدي محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي وسيدي سليمان الحوات، وسيدي الطيب بن عبد المجيد ابن كيران. . . وغيرهم.

وتوفي - رحمه الله - ضحوة يوم الخميس تاسع وعشري رجب الفرد الحرام، وكان آخر يوم منه سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن بعد صلاة العصر من يومه بزاوية جده أبي المحاسن بأقصى الدرب السفلي من محلة المخفية، وكانت له جنازة عظيمة، حضرها عامة الناس وخاصتهم، وقبره بها عن يمين المحراب، عليه دربوز يزار به.

وللشعراء في رثائه ومدحه شيء كثير، ولتلميذه أبي الربيع مولانا سليمان الحوات في تاريخ وفاته:

هذا ضريح شيخنا الذي عَمَر ... رَبْع المغارب أبي حفص عُمرْ
وارث كنز السر بعد جده ... أبي المحاسن الإمام المعتبر
حط الرحال حول بابه وسل ... به تفز عما قريب بالوطر
وانشد بما أنشده تاريخه ... *في جنة النعيم بان كالقمر*[1]

ترجمه في "عناية أولي المجد"، و"سلوك الطريق الوارية"، و"طبقات" أبي العباس ابن عجيبة.

تنبيه: الزاوية المذكورة بناها أبو المحاسن بعد قدومه إلى فاس، وسكناه بحومة المخفية بالدار التي بإزائها، وكان الشروع في تأسيسها يوم الأحد خامس شوال سنة أربع وألف، وأتم بناءها من مال تحرى حليته، وأول صلاة صلاها فيها: ظهر الأحد، تاسع ذي الحجة متم ذلك العام، ورتب فيها إماما ولده الشيخ أبا العباس، ورتب فيها أوقافا على كرسي هنالك، وكتبا بخزانة في شرقيها، ذكر ذلك في "المرآة" وغيرها.

---

[1] أي: مجموع حروف هذا الشطر بأرقام الجمل هو: 1188.

[348- المجذوب سيدي المهدي بن الجيلاني الفاسي الفهري]
(ت: 1288)

ومنهم: الولي الصالح، المجذوب السائح؛ أبو عيسى سيدي المهدي بن الجيلاني بن المهدي بن عبد المجيد بن الجيلاني بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي.

كان - رحمه الله - أولا سالكا يؤدب الصبيان بمكتب درب بوحاج، وكان كثير [339] الصيام والقيام، وتلاوة القرآن وزيارة الأولياء، ثم غلب عليه الوجد والحال، وصار مجذوبا يطوف بالأسواق، ويسف الهواء آناء الليل والنهار، وظهرت له كرامات وخوارق عادات، وكان الناس يتبركون به، ويرجون من الله الفضل بسببه. أدركته ورأيته، وكان ينحو في بعض أحواله منحى الملامتية.

توفي - رحمه الله - عن سن عالية تزيد على السبعين، قبل فجر يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة، متم سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف، وصلي عليه بعد العصر بجامع الأندلس، وحضر جنازته السلطان أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن فمن دونه، ودفن بالزاوية اليوسفية المذكورة، وضريحه بها يسار المحراب ملاصق لحائطه.

[349- الصالح سيدي الخضر بن قدور (x) السجعي الخليفي]
(ت: 1295)

ومنهم: السيد الفقيه، الوجيه النزيه، البركة الصالح، المهدى بهديه القويم ونهجه الواضح؛ أبو محمد سيدي الخضر بن السيد قدور بن حدو السجعي الخليفي المزواري.

كان - رحمه الله - ممن قرأ القرآن برواية نافع وغيره، ثم أخذ في طلب العلم؛ فقرأ منه ما تيسر بهذه الحضرة الإدريسية، ولما قدم إليها الشيخ سيدي محمد الحراق وفتح التفسير بزاويته التي بأقصى محلة المخفية؛ ذهب إليه بقصد القراءة عليه، فأخذ بلبه وانحاش إليه، وأخذ عنه ملازما خدمته، وطريقته ومحبته، منجمعا عليه كل الجمع، حتى انتفع به غاية النفع.

وكان من بعده كبير الفقراء بزاويته، قائما بهم، مذكرا لهم، مؤدبا مؤنسا مواسيا، وكانوا ينقادون لأمره، ويجلسون بين يديه كجلوسهم بين يدي شيخ التربية، وكان مفتوحا عليه في الذكر والمذاكرة، وآثار الولاية والصلاح ظاهرة عليه، وعلامات الخير والفلاح متوجهة بوجهها إليه.

(x) أي: عبد القادر.

وسمعت بعض من ينسب إلى الخير في هذا الوقت يثني عليه كثيرا، ويحكي عنه عجائب، ويقول: « إنه كان موسوي المقام ». وسمعته مرة أخرى يقول: « إنه كان من أكابر الأولياء، وممن يحضر الديوان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم »، وأصحابه إلى الآن يحكون عنه كرامات، وينسبون له خوارق عادات.

وأخبرني بعض الثقات أنه: دخل عليه مرة وهو مريض يعوده؛ فقال له: « إن الله عز وجل قد أطلعني على أمور منها ما يحكى ومنها ما لا يحكى »، قال: « ثم أشار لي إلى أن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن الحسني العلوي - رحمه الله تعالى - قد دنا أجله؛ فكان كذلك توفي عقب ذلك بزمن يسير ».

قلت: وكانت وفاته عند زوال يوم الخميس، ثامن عشر شهر الله رجب عام تسعين ومائتين وألف بمراكش، ودفن بها بقبة [340] الأشراف.

وقد أدركت صاحب الترجمة وزرته مرارا، وجالسته وتبركت به، وعدته مرة مع بعض الإخوان في مرض مَرضه؛ فأحضر لنا طعاما، فقلنا له: « ورد في الحديث أن من عاد مريضا وأكل عنده كان ذلك حظه من الأجر ». فقال لنا: « أنا لا أعرف هذا الحديث، وإنما أعرف حديث: من عاد مريضا ولم يأكل عنده؛ فكأنما عاد ميتا » . **قلت:** والأول: ذكره السيوطي في جامعيه، وعزاه للديلمي في "مسند الفردوس" عن أبي أمامة الباهلي، ولفظه: « إذا عاد أحدكم مريضا؛ فلا يأكل عنده شيئا، فإنه حظه من عيادته »، قال المناوي في "التيسير": « وسنده ضعيف ». أي: لأن فيه موسى بن وردان؛ أورده الذهبي في الضعفاء؛ وقال: « ضعفه ابن معين ».

والثاني: وقفت عليه في كناش الفقيه الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد اللطيف جَسُّوس بخطه، لكنه لم يعزه لأحد، ولم يذكر له مخرجا، والله أعلم به.

نعم: أخرج الطبراني في "الأوسط" عن حميد الطويل عن أنس أنه: دخل عليه قوم يعودونه في مرض له؛ فقال: يا جارية؛ هلمي لأصحابنا ولو كسرا؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « مكارم الأخلاق من أعمال الجنة ». أورده المنذري في "الترغيب والترهيب"، وصدره بعد، وقال عقبه: إسناده جيد. وهو شاهد صحيح لما فعله صاحب الترجمة، وقرر المناوي في "شرح الجامع" حديث أبي أمامة على ظاهره، وقال في معنى: « فإنه حظه من عيادته »، أي: « فلا ثواب له فيها »، قال: « ويظهر أن مثل الأكل: شرب نحو السكر، فهو محبط لثواب العيادة »، ونقله العزيزي وأقره.

والظاهر: تقييده بما إذا كان المقصود من العيادة هو الأكل، فإذا كان هو الحامل له عليها، ودخل على المريض؛ فينبغي له الرجوع عن هذا القصد، وتصحيح النية، واجتناب الأكل؛ ليتم له ذلك، فإذا أكل؛ كان ذلك علامة على كذبه وبطلان ما ادعاه من هذا القصد الثاني، وبطل أجره؛ لأنه قاصد

الأكل لا العيادة، والأعمال بالنيات، فإن قصد مجرد العيادة فقط، واتفق أن أحضر له المريض شيئا فأكل؛ كان أجره تاما، سيما لو كان ممن يأنس بهم المريض، وقصد بالأكل مؤانسته وتطييب خاطره، وإدخال السرور عليه، فهذا أيضا يضاعف أجره.

وعلى هذا: فالحديث المذكور خرج مخرج النهي عن تكليف المريض بالطعام، والتشوف له حال العيادة، لأن ذلك يشق على المريض ويحرجه مع أنه ليس بصدده. . . والله أعلم.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - يوم الأحد الموفي عشرين من رجب سنة خمس وتسعين ومائتين وألف، ودفن بأقصى حومة المخفية، بداره القريبة من سيدي المخفي [341]، ببيت منها، وقبره به ظاهر مزار متبرك به.

[350- الإمام المرشد الشريف سيدي محمد بن محمد الحراق]
(ت: 1261)

تنبيه: شيخ صاحب الترجمة السابق؛ هو الشيخ العلامة، القدوة الفهامة، مصباح الظلام، وحجة الإسلام، شيخ الطريقة، ولسان الحقيقة، شرف النسبتين، ومفتي المذهبين، القطب الرباني، والعارف بربه الصمداني: أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الحَراق بن عبد الواحد بن يحيى بن عمر الحسني العلمي الموسوي، ينتهي نسبه إلى سيدي موسى بن مشيش أخي القطب مولانا عبد السلام - رضي الله عنهم.

كان - رحمه الله - إماما جليل القدر، متضلعا في علمي الظاهر والباطن، انتهت إليه فيهما الرياسة، مشاركا في فنون العلوم من تفسير وحديث، وفقه وتصوف، ومعقول بجميع فنونه، وأما الأدب والشعر؛ فقد كاد أن ينفرد بهما في عصره.

أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ، وطريقة التصوف عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وكان أخذه عنه سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف، وهو إذ ذاك ابن أربعين سنة أو نحوها.

وتوفي في الحادي والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين ومائتين وألف، ودفن بتطوان بزاويته الشهيرة به، وضريحه بها مشهور معروف مزار، وترجمته - رحمه الله - واسعة، وقد أفردها بعض تلامذته بتأليف مستقل، وقد رأيته.

[351- الصالح سيدي المخفي]

ومنهم: الولي الصالح سيدي المخفي. بمسجده الكائن بدربه المشهور به، بأقصى حومة المخفية عليه به دربوز يزار به، أورده في "التنبيه". ولم أقف له على ترجمة.

ذكر من اشتهر من صلحاء
حومة درب الشيخ وما هو منضاف إليها

[352- الإمام الشريف سيدي إسحاق بن أحمد الإدريسي (عبد العلا)]

(ت: أواخر القرن الثالث)

منهم: الولي الصالح، الشهير الواضح، الشرف البركة الهمام، الخاشع الخاضع الإمام: سيدي إسحاق – الملقب بعبد العلا. كهدى – ابن أبي العباس أحمد – دفين جرواوة قريبا من باب سيدي أبي جيدة بن السلطان أبي عبد الله محمد – دفين جامع الشرفاء مع أبيه بفاس – بن القطب أبي العلاء مولانا إدريس باني فاس – رضي الله عنهم، هكذا ذكر نسب صاحب الترجمة غير واحد، وهو والد سيدي يَعْلى دفين طالعة فاس.

وفاته بتقريب أواخر القرن الثالث، وضريحه بداره المجاورة لمسجده الذي عن يسار الخارج من درب الدرج، طالعا لناحية باب الفتوح، وهو شهير مزار متبرك به إلى الآن، وكان عليه قبل دربوز فاحترق وأورده في "التنبيه" ولم يذكر له ترجمة، بل ولم ينسبه، وتبعه الشيخ المدرّع في منظومته ؛ فقال : [342]

وسيدي إسحاق نعم الخاشع   بداره مجاور للجامع

ذكر من اشتهر من صلحاء
حومة الجزيرة وما هو منضاف إليها

[دار الشرفاء الطاهريين التي بها نعله عليه السلام]

اعلم أن من مزارات هذه الحومة: دار الشرفاء الطاهريين الصقليين التي بدرب أبي بكر. وهي الأولى عن يمين الداخل إليه من جهة مصمودة، لأن بها الآن نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفة بعينها وذاتها، وكانت قبل بدار أخرى كانت لهم بدرب الدوح من حومة درب الشيخ، ثم نقلوها إلى هذه، وهي في ربيعة في جوف صندوق في مكان مرتفع، في غرفة بأعلى الدار المذكورة، معظمة محترمة، وعندهم الشهادة بخطوط أئمة كبار أنها نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي "الإشراف" في ترجمة الشرفاء المذكورين ما نصه: « بأيدي أصحاب الترجمة من الآثار النبوية، والمتبركات المصطفوية: نعلا الرسول صلى الله عليه وسلم الكريمتان، اللتان كانتا بقدميه الشريفتين، شاع خبرهما منذ أعوام، ولهج بذلك الخاص والعام. قال الوالد – قدس سره – في نظمه: "عقود الفاتحة":

ومنهمُ سـادة أبـدت صقليّـــة مَجْلاهُمُ وغدت من بعدُ في ظلم
وشُـعبـة منهـمُ للشـمِ نَعْلهـــمُ يـرى هلال السمـاء فاتحـا لفـم

وفي تأليف للشيخ الإمام الأوحد، أبي مالك سيدي عبد الواحد بن مَحمد الفاسي في السلالة الصقلية سماه: "غاية الأمنية، وارتقاء الرتب العلية، في ذكر الأنساب الصقلية، ذات الأنوار البهية السنية"، لما تعرض لذكر بني طاهر، عقب الشريف الولي الجليل، الأحظى الكفيل الأثيل، ذي القدر السامي، والفضل الجلي؛ أبي العباس أحمد بن علي، المتوفى سنة ثلاث وتسعين وألف ما نصه: « وسيدي أحمد بن علي المذكور، هو الذي كان حائزا بداره التي بدرب الدوح من عدوة فاس الأندلس، النعلين الكريمتين اللتين لبسهما جده مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدميه الشريفتين، كما شاع خبرهما منذ أعوام، ولهج بذكرهما الخاص والعام، أعاد الله علينا من بركتهما . . . آمين ». هـ.

وقد رآهما وتبرك بهما بالدار المذكورة جماعة من أعيان العلماء؛ منهم الشيخ الحافظ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن شيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، وذلك سنة سبع وستين وألف، هو وجماعة من الأئمة الأعيان، وقيس النعل الشريف بمثال [343] بشهادة عدلين، وكان المقيس له على الأصل الشريف: الفقيه العلامة سيدي حمدون المزوار، ونظم ذلك أبو زيد المذكور في أبيات كتبت على ذلك المثال المحذو عليه.

وفي "نشر المثاني" في ترجمة الشيخ الفقيه البركة أبي عبد الله سيدي مَحمد بن الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن المذكور ما نصه: « ووجدت بخط صاحب الترجمة: نسب لوالده هذه الأبيات الخمس، كتبها في مثال مقّاس على النعل الذي بيد مولاي أحمد طاهر الشريف الحسيني الصقّلي نزيل درب الدرج من عدوة فاس الأندلس، الذي عنده الشهادة بخطوط أئمة أنها نعل المصطفى مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي هذه الأبيات:

نعال بها إذ مست الأرض شُرفت ... بها الأرض عن أفق السماوات في الفضل

فما مثلها ذخر وهذا مثالها ... طباق الذي للمصطفى كان في الرجل

وعند الصقّليين من شرفائنا ... بفاس وجدتها، فقيست بذا المثل

وفي السبع والستّين والألف صنعه ... محكّم إتقان بشاهدي العدل

وشاهده العمراني وهو محمد ... وأحمدٌ المزوار قاسه بالأصل» . انتهى.

وفيه أيضا ما نصه: « ومن خط بعض أشياخنا رحمه الله: رأيت نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم التي بدار الشرفاء الطاهريين الحسينيين الصقّليين، القاطنين بعدوة فاس الأندلس، فتبركت بها ومسحت بها على أعلى البدن، والحمد لله، وتوسلت بها إلى الله في حوائج؛ فما رأيت أسرع على الإجابة منها في بعضها، وأنا أرجو الله في الباقي، أوائل سنة أربع وأربعين ومائة وألف » . هـ.

ومن عاينها وتبرك بها من المتأخرين: شيخ الجماعة أبو عبد الله سيدي محمد التاودي ابن سودة المري، وفي ذلك يقول:

دار بمصمودة المكارم والوفا ... فيها رأت عيناي نعل المصطفى

ولثمته حتى شبعت، وقلت: يا ... نفسي انعمي أكفاك؟ . قالت لي: كفى

قال في "الإشراف": « ولعله تمثّل بهما مع تغيير في الشطر الأول؛ إذ هما من جملة أبيات للشيخ الإمام المحدث ابن جابر الوادي آشي. نظمها بدار الحديث الأشرفية من دمشق المحروسة، وقد رأى فيها نعل النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقبّلها وقال:

دار الحديث الأشرفية لي الشفا ... فيها رأى عيناي نعل المصطفى

ولثمتها حتى قنعت، وقلت: يا ... نفسي انعمي أكفاك؟ . قالت لي: كفى

لله أوقات وصلت بها المنى ... من بعد طيبة ما أحل وأشرفا[344]

لك يا دمشق على البلاد فضيلة ... أيامك الأعياد لازمها الصّفا» . هـ.

ومن نسبها لابن جابر المذكور: المقري في "أزهار الرياض" وزاد في آخرها بيتا وهو:

ولكم بجيرون جررتُ ولم أخف ... ذيلا وبَرْحُ هواي فيها ما اختفى

وقد قال الشيخ التاودي في حاشيته على البخاري في باب: الشرب من قدح النبي صلى الله عليه وسلم. من كتاب: الأشربة. ما نصه: « وقد من الله علي، مع حقارتي وضعف تعلقي بالسنة والحديث، بأني رأيت فردا من نعلي النبي صلى الله عليه وسلم، ومسحت به وجهي وعيني، وذلك في العشرة الأخيرة من المائة الثانية عشر، وهذا النعل بدار الأشراف الطاهريين بعدوة الأندلس قرب مصمودة هناك، معروف جدهم بصاحب النعال، وكان السلطان مولاي إسماعيل جَبَر على أخذه؛ فأعطوه واحدا وكتموا الآخر، فمن ثم لا يطلعون عليه أحدا، وهو عندهم في ربيعة في صندوق في مكان معظم محترم، ورأيت حوله خط واحد من العلماء ممن أدركته لا غير، وكتبت حوله فلله الحمد وله المنة ». هـ.

وقد ذكر في "نشر المثاني" قضية جبر السلطان المذكور على أخذه، حيث قال فيه ما نصه: « وفي عام أربعة عشر ومائة وألف؛ شدد في المغرم على أهل فاس السلطان المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني، فطلب أهل فاس من الشرفاء الطاهريين أن يعطوهم النعل النبوي يستشفعون به للسلطان؛ فحمله بعض الشرفاء المذكورين، وساروا معهم إلى السلطان؛ فأحضروه بين يديه، ودفعوه له بمكناسة؛ فعفا عن أهل فاس في تلك القضية، وأخذ السلطان النعل؛ وأدخله لداره بقصد التبرك، وبنى قبة بداره معلومة إلى الآن؛ تسمى: قبة النعال. ووضع فيها النعل في كوم، وبقي النعل عند السلطان مدة حياته، ولا أدري ما وقع به بعد وفاته؟! ». هـ.

ومن خط بعضهم ما نصه: « الحمد لله، ومما وجدته مطوقا بجديْ بيت دار ساداتنا الشرفاء الطاهريين الكائنة بالعدوة المجاورة لمصمودة، الموضوع فيها نعلا النبي صلى الله عليه وسلم:

يا بني الزهراء يا من في الورى ... لهم الجاه الأعز الأشرف

دمتمُ في نعم لا تنقضي ... وسرور عنكم لا يصرف ». انتهى

وها هنا تنبيهات

الأول: بحث صاحب "النشر" المذكور في كون النعل المذكورة نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن: « الذي يغلب على الظن أن نعاله [345] عليه السلام قد أهلكهم الدهر وطول العهد، وبأن المقري في "فتح المتعال" ذكر في النعل روايات وأمثلة مما عند السخاوي والزين العراقي وغيرهما، ولم يعرج على مثال هذه النعل التي بيد الشرفاء المذكورين، مع أنه معاصر له بالزمان والمكان، وليست مما يخفى عليه، ومنتهى الأمثلة التي ذكر: سبعة، ومثال ما عند الشرفاء المذكورين أصغر منها كلها . . . ».

ونحوه: قول بعض المتأخرين من الشرفاء القادريين - أيضا - في تأليف له في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوازاني: « لم يصح استمرار طول مكث نعليه صلى الله عليه وسلم إلى الآن بعد المائتين وألف؛ لأن الدنيا وجميع ما فيها يفنى إلا أشياء استثنوها من ذلك، وقد سألت عن ذلك أهل حرفة الدباغة؛ فقالوا لي: إن كانتا من الجلد النيء غير المدبوغ؛ فإنه يسوس. وإن كانتا من الجلد السبتي المدبوغ الذي ليس فيه شعر؛ فإنه يكرَفُ وييبس ويتمزق. وإن كانتا من الجلد الإفرنجي العنان؛ فإنه يكرف ويتمزق أيضا. ولا أثر لبقاء وجودهما إلى الآن ومن ادعى شيئا من ذلك؛ فلا يصدقه العرف في دعواه » . هـ.

قلت: وفي هذا الذي ذكره نظر:

أما أولا: فقد تقدم أنه شهد لهم بأنها نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم أئمة علماء، ويبعد كل البعد أن يشهدوا على غير يقين أو ظن قريب من اليقين.

وأما ثانيا: فإن ما استدلا به على فنائهما لا ينهض؛ لأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولا يبعد أن ينسحب ذلك أيضا على بعض ما حل بأجسادهم الكريمة من النعال وشبهها، معجزة لهم، وقد وقع لمولانا إدريس الأكبر دفين زرهون، أنه ظهر جسده الشريف بكفنه عام ثمانية عشر وسبعمائة، ولم تعد الأرض على شيء من الجسد، ولا من الكفن المصاحب له، وكان بين وفاته وظهور جسده على الحالة المذكورة: خمسمائة سنة وإحدى وأربعون سنة وثمانية أشهر.

وأما ثالثا: فإن الجلد إذا كان محفوظا مصونا من الماء والشمس ونحوهما؛ لا يسرع إليه البلى بالكلية، ولا يبعد بقاؤه هذه المدة وأزيد منها، وقد رأينا من الكتب المكتوبة ماله نحو من سبعمائة سنة مع كون كتابته في أوراق من الكاغد، ويحل بأيدي كثير من الناس؛ وتطرأ عليه أنواع من التغيرات كثيرة فكيف بجلد البقر أو الإبل الغليظ المصون عن الأيدي والتغيرات؟!.

وعدم ذكر المقري وغيره لهذه النعل لا ينفيها؛ إذ لم يستوعب ذكر النعل التي مشى بها عليه الصلاة والسلام في عمره، وإنما ذكروا منها ما حصلت لهم به رواية أو نقل لهم فيه أثر، وما بقي أكثر. مما [346] ذكروا بكثير. وقد عد جماعة من الأئمة - وهم علماء صلحاء - رؤيتهم لهذه النعل التي بيد هؤلاء الشرفاء من أعظم نعم الله تعالى عليهم، وتبركوا بها، وشاهدوا بركتها. ووجدوها، وأي دليل أقوى من هذا؟!، فلا يعدل عنه إلى التجويزات العقلية التي لا مستند لها إلا الوقوف مع العادة إن سلمت.

الثاني: ما زال الناس يتبركون بمثل النعل والقلنسوة والعكازة والسبحة. . . ونحوها، ممن ترجى بركته؛ فأحرى بمرات عديدة ما كان من سيد الأولين الآخرين صلى الله عليه وسلم، ومازالت حوائجه وآثاره عليه السلام بيد الصحابة فمن بعدهم على وجه الحفظ والأمانة والتبرك بها، لا على سبيل الميراث وذلك معلوم عند من طالع السير والتواريخ.

الثالث: ذكروا لمثال النعل الشريفة خواص عديدة؛ ذكر بعضها في "التقاط الدرر" تبعا للمقري في "فتح المتعال"؛ ونصه: « ولصورة هذا النعل الكريم خواص وبركات؛ فمنها: أن من وضعه على محل وجع - يعني: بنية صادقة - شفاه الله من حينه، وإن أمسكه متبركا به؛ كان له أمانا من بغي البغاة وحرزا من الشيطان ومن عين كل حاسد، وإن أمسكته صاحبة الطلق بيمينها وقد اشتد عليها الطلق؛ تيسر أمرها في الحين، ومن لازم حمله: كان له القبول التام ولابد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم أو يراه مناما، ومن سافر به في بر أو بحر فعرضت له آية خوف أو هلاك؛ نجاه الله وأمنه. ذكر هذه الأشياء الحافظ المقري في "فتح المتعال" منقولة عن الأئمة بسندها، وذكر قضايا وقعت من ذلك له ولغيره فانظره ». هـ.

الرابع: كثير من الناس اليوم يتطيرون من رؤية هذه النعل التي بيد هؤلاء الشرفاء، ويزعمون أن من رآها مات بعد أيام يسيرة، ويذكرون لذلك قضايا اتفاقية، ولا صحة لهذا؛ وإنما هو من تخيلات الأوهام التي لا معول عليها. وقد عاش أبو زيد الفاسي بعد رؤيتها قريبا من ثلاثين سنة، والشيخ التاودي أزيد من عشرة أعوام. نعم: هذا أمر جعله الله في نفوس العامة ليصون به هذه النعل الكريمة من الابتذال والوقوع في يد من لا يرضى حاله. ولله تعالى فيما بيديه حكم وأسرار لا يعلمها إلا هو سبحانه... والله أعلم.

[353- سيدي عبد الرحمن المليلي]

(ت: أواخر القرن الثامن)

ومن اشتهر من صلحاء هذه الحومة: الشيخ الصالح الشهير، الولي الجليل الكبير؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن المليلي.

ضريحه بمسجده المعروف به من هذه الحومة، بالمحل المشهور به منها، وكان قبل معروفا برحيبة ابن زروق، عليه به دربوز وكسوة واعتيد تحليف الخصوم عنده لما يعلم من سرعة [347] انتقام الله عز وجل ممن يحلف عنده كاذبا. أورده في "التنبيه"، وكذا الشيخ المدرع في منظومته حيث قال:

ومنهم الفخار ذو الإجلال	بفرن سرادة إذ يوالي
ثم يليه سيدي المليلي	من الشيوخ الجلة الفحول

ولم أقف له على ترجمة، غير أن في تأليف لأبي زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ذكر فيه بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم ما نصه: « ومنهم: بيت بني المليلي بفتح الميم وكسر اللام. الصنهاجي الحميري، أولهم: الفقيه الصالح عبد الرحمن بن أحمد المليلي من صنهاجة، الذين

بحوز مدينة آزمور، من فرع بني تَامَرْأَ بسكون الراء المهملة. ومولده بين أظهرهم، ثم انتقل منهم أيام الموحدين ملوك مراكش إلى مدينة مليلية واستوطنها، وبها عرف بالمليلي. وكان فقيها صالحا ورعا مجاب الدعوة » . هـ. ونحوه لابن القاضي في "الجذوة" في ترجمة الفقيه العالم سيدي أبي بكر بن الشيخ سيدي عبد الرحمن المليلي المذكور.

فظن بعض الناس أن سيدي عبد الرحمن هذا هو صاحب الترجمة. وفي ذلك عندي بعد من جهة أنهم ذكروا أنه استوطن مليلية، ولم يذكروا له انتقالا عنها، ولذلك لم يترجمه في "الجذوة"، وذكره استطرادا في ترجمة ولده أبي بكر المذكور، وذكر أن ولده هذا ولد بمليلية، وأخرجه عنها إلى فاس السلطان أبو يحيى بن عبد الحق المريني. فيكون أول من نزلها منهم.

والظاهر أن صاحب الترجمة هو: الفقيه الصالح، الواعظ الناصح؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن أحمد المليلي رجل آخر من عقب سيدي عبد الرحمن المذكور. وقد ذكره بعض العلماء من أهل القرن التاسع في تأليف له ذكر فيه بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم؛ ونصه: « ومنهم – يعني: من بيت بني المليلي – الفقيه الوراق القارئ عند باب محراب مسجد القرويين، بعد صلاة الصبح كل يوم، لأربعة كتب: الأولى: تفسير الثعالبي. والثاني: الشفا لعياض. والثالث: البخاري. والرابع: الحريفشي، أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله العطار بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أحمد المليلي. كان حسن الصوت، يحسن القراءة بالطبوع، يؤثر بها في النفوس بطيب نغمه. وكان فقيها، بصيرا بالعربية، شاعرا، محسنا لغويا »... ولم يذكر وفاته. والظاهر أنها في أواخر القرن الثامن، أو أوائل التاسع... والله أعلم.

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء [348] وعلماء
حومة القوادس وما هو مضاف إليها

[354- الشاعر سعيد بن حَنين]

(ت: 463)

منهم: الفقيه الشاعر أبو الطيب سعيد بن حُنين. من بيت بني حنين (بفتح الحاء) كما في "الجذوة". من أهل مدينة فاس من بني كنانة.

وكان أهله أهل ترف وفقه، ولهم زقاق بفاس يقال له: ميزاب ابن حنين، وكانوا أهل جمال وحسن، الرجال منهم والنساء، وكان يضرب بهم المثل في ذلك. قال في "الجذوة": « توفي بمدينة فاس سنة ثلاث وستين وأربعمائة » .هـ.

وفي تأليف لبعضهم في بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم ما نصه: « ومنهم بيت بني حَنين - بفتح الحاء المهملة وكسر النون - وهم من العرب من كنانة، بيت فقه وثروة، ولهم زقاق بفاس، أخذوا به أرحى يقال له: ميزاب ابن حنين. وكانوا أهل جمال وحسن. ومنهم: الفقيه الشاعر أبو الطيب سعيد بن حنين، توفي بفاس في سنة ثلاث وستين وأربعمائة ودفن في داره » .هـ. ويغلب على الظن أنها بهذه الحومة حيث صاحب الترجمة بعده أوقربه. . . والله أعلم.

[355- الفقيه المقرئ سيدي علي بن أحمد ابن حنين[1]]

(ت: 569)

ومنهم: الشيخ الفقيه، الأستاذ المجود النبيه، المحدث الفاضل، الصوفي الكامل، الولي الصالح، المهدى بهديه الواضح؛ سيدي الحاج أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكنَاني؛ المعروف بابن حنين. بفتح الحاء المهملة وكسر النون على ما تقدم، وهو الجاري على ألسنة العامة. وفي "الروض" نقلا عن ابن ليون في "اختصار شعب الإيمان" للشيخ عبد الجليل القصري أنه بالتصغير.

---

[1] ترجمه ابن الزبير في "صلة الصله" ص. 102، وابن الأبار في "التكملة"، رقم 1865. بخط الشيخ محمد المنتصر الكتاني.

أصله - رحمه الله - من طليطلة، وولد بقرطبة ونشأ بها، ولقي الشيوخ بقرطبة وجيان، وأخذ عنهم، وسمع منهم، ومما أخذ عنهم: القراءات السبع، وسمع موطأ مالك، والسير، ثم رحل حاجا؛ فأدى الفريضة في سنة خمسمائة، ثم حج بعدها مرتين، ولقي الشيوخ، وكان ممن لقي: الشيخ أبو حامد الغزالي، وصحبه وسمع منه أكثر الموطأ برواية ابن بُكير، وجملة من وعظه وكلامه وفوائده. . . ولم يستجزه. ويحكى عنه أنه دعا له أن يمتعه الله ؛ فكان كذلك.

وأقام ببيت المقدس يعلم القرآن نحوا من تسعة أشهر، ثم انصرف إلى المغرب واستوطن فاسا في سنة ثلاث وخمسمائة أو نحوها، واشترى دارا وبنى بها مسجدا وتزوج، وذلك كله عام قدومه فاسا، والتزم الإمامة بمسجده، وتصدر لإقراء القرآن والتدريس فيه ستا وستين سنة إلى أن توفي.

وكان مقرئا للقرآن العظيم، كثير الاعتناء برواياته، مجودا متقنا، وحدث وأخذ عنه الناس[1] وعُمِّر وأسَنَّ.

وممن روى عنه: الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري دفين سبتة، أعادها الله دار إسلام، وهو مؤلف كتاب "شعب الإيمان"[349] وغيره، وأبو القاسم بن بقا، وأبو زكرياء التادلي. . . وغير واحد.

وكان فاضلا صالحا مشهورا بإجابة الدعوة، كريم المجالسة، مولده بقرطبة، في رجب سنة ست - وقيل: سبع وسبعين وأربعمائة.

وتوفي بفاس سنة تسع وستين وخمسمائة، واحتفل الناس لشهود جنازته، وأتبعوه ثناء حسنا، وذكرا جميلا، وتهافتت العامة على نعشه وقبره متبركين بهما. وروضته هي الثانية عن يسار الداخل للدُريب الصغير الذي بإزاء باب الصفاح مجاورة للأرحى هناك. وضريحه بوسطها يقابل الداخل، عليه دربوز يزار به.

ترجمه جماعة؛ منهم: ابن الأبار في "الصلة"، وصاحبا "الجذوة" و"الروض"، وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس بقوله:

وسيدي حنين ما أحَنَّه	أعْظِمْ به شيخا جزيل المنه
بداره دفن بالصفاح	مشتهر العلوم والصلاح

---

[1] وذكره الذهبي في "تذكرة الحفاظ"، وحلاه بـ: "مسند المغرب". انظر ج. 4، ص. 121. بخط الشيخ محمد المنتصر الكتاني.

[356- سيدي مغيث]

ومنهم: الولي الصالح سيدي مغيث. بدربه الصغير المشهور به، بإزاء الفندق الذي فوق السقاية المقابلة لباب درب الغرابلي، بالدار الأولى منه عن يمين الداخل، عليه دربوز وكسوة، وهو مشهور مزار متبرك به. أورده في "التنبيه"، وتبعه الشيخ المدرَّعُ في منظومته؛ فقال:

وسيـدي مغيـثٌ الشيـخ الشهيـد   دفـن أيضـا عنـد دربه الجديـد

ولم أقف له على ترجمة. . .

ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به
من صلحاء وعلماء حومة شيبوبة وجامع الأندلس
والسكدان والرميلة وما هو مضاف إليها
وهي آخر حومات فاس الثمانية عشرة

[357- سيدي محمد بن يوسف الحمدوشي الحسناوي]
(ت: 1156)

منهم: الشيخ الصالح، والنور اللائح، القوي الإمداد، والإصدار والإيراد؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف الحمدوشي الحَسناوي؛ نسبة على غير قياس للقبيلة المعروفة بالمغرب في ساحل وادي سلا، التي هي من عرب الحجاز سُلَيْم وهلال الذين أدخلهم للمغرب السلطان يعقوب المنصور الموحدي.

كان – رحمه الله – شيخا مملوءا أسرارا، تتلألأ طلعته أنوارا، يخبر بالمغيبات، وتقضى عند دعائه الحاجات، وكان له أتباع، ظهرت عليهم منه آثار الانتفاع.

أخذ عن الشيخ الأشهر، الولي الأكبر، أبي الحسن علي [350] ابن حمدوش؛ دفين جبل زرهون، وإليه ينتسب، بل هو وارث سره اللدني، وفارس مضماره المحلي.

وقد ترجمه في "سلوك الطريق الوارية" فقال: « فمنهم – يعني: من الطائفة الحمدوشية – الشيخ المسن البركة، ذو الأحوال الربانية، والمواهب العرفانية؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف. كان – رحمه الله – ذا همة حسنة، وأحوال مستحسنة، وأخلاق كريمة، صاحب جد وأحوال ربانية، ومواهب عرفانية ملكوتية، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، سالكا سنيا، غالبة أحواله عليه، لا يقف عند صحو ولا سكر، وله أتباع من أعيان الناس. توفي – رحمه الله – عام أربعة وخمسين ومائة وألف، ودفن بزاويته الآن بشيبوبة، عدوة فاس ». هـ.

وقال الشيخ التاودي في "فهرسته" أثناء عده فيها لمن لقي من صلحاء المغرب ما نصه: « ومنهم: الولي الصالح، والمتجر الرابح؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف الحسناوي الحمدوشي، دفين الزاوية الكائنة بشيبوبة، بقرب درب اللمطي من عدوة فاس الأندلس، أول ما عرفته – رحمه الله – كنت بقبة مولانا إدريس – رضي الله عنه – أقرأ شيئا من القرآن ببعض الجهر، فإذا أنا أحسست باحتراق في ظهري كأنه اتصلت به نار؛ فالتفت فإذا الرجل المذكور، وإذا عيناه كأنهما جمرتان موقدتان؛ فعلمت أنه من أهل الله تعالى، وكرهت أن أقوم إليه قبل أن أكمل ما نويت قراءته،

فلما فرغت؛ طلبته فلم أجده، فتأسفت على ذلك، وبقيت مدة أطلبه لا أدري ما اسمه ولا أين أجده، إلى أن وجدته يوما بمدرسة العطارين وهو يتوضأ من خصتها، فجلست أتوضأ معه، وقصدي أن أكلمه، فإذا هو يتوضأ وضوءا لا يجزي شرعا، ولا تصح الصلاة به إجماعا، فقمت عنه وتركته، فلما وصلت المعدة وأردت الصعود - يعني إلى بيت المدرسة - قلت: ما هذا الذي صنعتُ بشيء، بل أرجعُ حتى أرى هل يصلي بذلك الوضوء أو لا فرجعت فلم أجده فتأسفت أكثر من المرة الأولى. ثم يسر الله بعد ذلك في لقيه؛ فعرفته، وكان يفرح بي ويدعو لي، إلى أن قال لي يوما: إنه لا يسكن خاطري حتى أدخل القرويين وأراك تقرأ)).

((دخلنا عليه زمن الوباء وهو مريض في داره؛ فعدناه وقلنا له: ادع للمسلمين؛ فإن هذا الأمر كاد يفنيهم. فقال: هذا أمر الله وليس بأيدينا شيء. فقال له بعض الأصحاب ممن كان معنا: إنا نخاف على فلان وفلان، وأما نحن فلا علينا. وسماني وسيدي عمر الفاسي. فقال له - نفعنا الله به: هذان لا تخف عليهما. يعني: وخف على نفسك. فمات الرجل وسلمنا [351] من ذلك الأمر معا)).

((وحدثني الثقة أنه كان معه يوما بزاوية الشيخ سيدي محمد اسسى الخير بالشراطين وهو يعاتب بعض الفقراء من أصحابه في تغيبه عنه، واعتذر له بعذر كاذب؛ فقال له الشيخ: سبحان الله؛ تكذب علي وقد أطلعني الله على قلب كل من يمر بهذه الحجة؟!)).

((مات - رحمه الله - في حدود الستين - يعني: من القرن الثاني بعد الألف - ودفن بالموضع المذكور، وبنيت عليه الزاوية المذكورة)). هـ.

وقال في "الروضة المقصودة" في ترجمته ما نصه: ((توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - سنة ست وخمسين ومائة وألف، ودفن بزاويته الكائنة بشيبوبة، قرب درب اللمطي من عدوة فاس الأندلس، ولازال أصحابه يجتمعون بها - نفع الله به)). هـ.

وضريحه - رحمه الله - بزاويته المذكورة، يسار الداخل وسط البلاط الثاني، يقابل المحراب، عليه دربوز وكسوة، وهو مزار متبرك به إلى الآن. ترجمه من نقلنا عنهم.

[358- الشريف سيدي طاهر المنجرة]

ومنهم: الشريف الصالح، البركة الواضح؛ أبو محمد سيدي طاهر المنجرة. ضريحه بالزاوية المذكورة بين الساريتين اللتين عند رأس سيدي محمد بن يوسف، عليه مقبرية من رخام، وهو مزار

متبرك به، وينسب للأخذ عن سيدي علي بن حمدوش، ويحتمل أن يكون من تلامذة تلميذه سيدي محمد بن يوسف المذكور، أو ممن أخذ عنهما معا، ولم أقف له الآن على ترجمة.

[359- المجذوب سيدي أحمد الأغصاوي]

ومنهم: الولي المجذوب، الهائم المتيم المحبوب؛ أبو العباس سيدي أحمد الأغصاوي. من أصحاب الشيخ أبي الحسن علي بن حمدوش أيضا.

وقد ترجمه في "سلوك الطريق الوارية": فقال: « ومنهم - يعني: من الطائفة الحمدوشية - الشيخ الكامل، المجذوب جذبة اتصال؛ أبو العباس أحمد الأغصاوي. كان - رحمه الله - غائبا غيبة اتصال، يكثر الكلام جهرا وبالمعاني، حتى قال مرة مقالة كبيرة وهو في ناحية الجبل، وقامت عليه الحجة بها، حتى أفتى فيه بعض قضاة الجبل أن يحرق، وأمر القاضي الناس أن يجمعوا الحطب لحرقه وقال لهم: كل من جاء بحزمة من حطب أضمن له الجنة. حتى جمع حطب كثير قرب السوق. . . ».

« ويوم السوق عزم القاضي على حرقه فيه، ثم أصبح الشيخ سيدي أحمد جالسا بالسوق ومعه بعض أصحاب الشيخ ابن حمدوش والناس يجتمعون؛ فقال له الجليس المذكور: يا سيدي؛ إن الناس عزموا على حرقك. فقال له: يعملون ما بدا لهم. وكلما أعادها عليه يقول له: يعملون ما بدا لهم. حتى جاء القاضي راكبا على بغلته فقال له: جاء القاضي إليك ومعه كثير من الناس، والآن إن لم تتحزم أنت معه؛ فأنا أتحزم[1] معه. فقال له: ومن قدر على شيء فليفعله. . . ».

« فلما قرب القاضي من الشيخ قاصدا له؛ جفلت به بغلته [352] وحدها من غير سبب، ورمت به إلى الأرض؛ فانكسر ظهره وعنقه، وتفرق الناس في كل ناحية وسيدي أحمد جالس في موضعه مع جليسه المذكور لم يتحركا. هكذا سمعناه من تلميذه الشيخ سيدي علي المتقدم ذكره ». هـ. يعني به: سيدي علي بن علي المجذوبي.

وقال في ترجمة سيدي علي المذكور ما نصه: « أخذ - رحمه الله تعالى - أولا عن الشيخ سيدي علي ابن ناصر المتقدم ذكره - يعني: الورياجلي؛ دفين باب الجيسة - وعن الشيخ المجذوب الجذب الكامل سيدي أحمد الأغصاوي؛ دفين زاوية سيدي محمد بن يوسف، وهما معا عن الشيخ ابن حمدوش ». هـ.

---

[1] أي: أقوم بالواجب من الحزم تجاهه.

وقال في ترجمة سيدي علي ابن ناصر المذكور ما نصه: « أخذ - رحمه الله - عن شيخه وعمدته: القطب الكامل سيدي علي ابن حمدوش؛ رئيس الطائفة الحمدوشية. ثم ثانيا بعده: عن الشيخ سيدي قاسم أبقار. دفين بني مسارة. ثم أيضا عن الشيخ المجذوب الغائب غيبة اتصال: سيدي أحمد الأغصاوي؛ دفين شيبوبة بزاوية ابن يوسف المتقدم، وكلهم - رضي الله عنهم - عن الشيخ ابن حمدوش ». هـ. وضريحه - رحمه الله - بالبلاط الكائن وراء سيدي محمد بن يوسف، عليه دربوز يزار به.

[360- الشريف سيدي محمد بن عطية التلمساني]

ومنهم: الشريف الأجل، المسن البركة الأفضل، الخامل المتقشف الصابر، المتواضع الناسك الذاكر؛ أبو عبد الله سيدي محمد - المدعو: ابن عطية التلمساني.

كان - رحمه الله - سنيا خامل الذكر، مواظبا على قراءة "دلائل الخيرات"، ولا تجده ثلث الليل الأخير نائما قط صيفا ولا شتاء، بل يخرج لضريح مولانا إدريس رضي الله عنه، ويشتغل بقراءة الدليل هناك.

وكان زوارا للأحياء والأموات، ملازما لكراسي العلم والوعظ، وكانت له حانوت بالرصيف يبيع فيها الخضر، ويسكن بجزاء ابن برقوقة.

وكان من أصحاب الشيخ سيدي محمد بن يوسف الحسناوي، ملازما له لا يفارقه قط، وبلغ به - رحمه الله - عام الخمسين الجهد الجهيد من الجوع، حتى ظهر به أثره، ولم يسأل من أحد شيئا لكثرة صبره وشكره.

توفي عن سن عالية، ودفن بزاوية شيخه سيدي محمد بن يوسف المذكور، وكانت له جنازة عظيمة حفيلة، حضرها أهل الخير والصلاح، والأشراف والعلماء، وجميع المنتسبين، ورأى بعض أهل الخير رؤيا تدل على حضور النبي صلى الله عليه وسلم لموته.

ترجمه في "سلوك الطريق الوراية"، وتعرض فيها لذكر سنة وفاته؛ إلا أنه وقع فيها في النسخة التي وقفت عليها منها تحريف؛ فتركته ورأيت بالزاوية المذكورة قبرا يعظم ويزار ببلاط سيدي أحمد الأغصاوي بالركن الذي عن يمين المستقبل منه، ورأيت مكتوبا في زليج عند رأسه ما نصه: « الحمد لله هذا قبر المرحوم بكرم الله سيدي محمد بن الخير [353] الأجل سيدي محمد السليماني. توفي - رحمه الله - أواخر رجب سنة ثلاثة وستين ومائة وألف. . . ». هـ. ولم أدر هل هو صاحب الترجمة أو غيره؟ . . . والله أعلم.

[361– سيدي مسعود بن علي برّادة]
(ت: 1162)

ومنهم: السيد الفقيه، البركة النزيه، الخاشع الخاضع، السني المتواضع؛ سيدي مسعود بن علي برادة.

كان – رحمه الله – من أهل العلم والخير، والفضل والدين، إماما بمسجد السانية بعين علون من عدوة فاس القرويين. وسمعت غير واحد من الأخيار يثنون عليه، وينسبون الفضل العظيم إليه، ويصفونه ببلوغ المقامات العالية، والأحوال الربانية، ورأيت بخط بعضهم ما نصه: « توفي الصوفي البركة الفقيه، صاحب الأخلاق الحميدة، الخاشع الخائف؛ سيدي مسعود بن علي برادة في تاسع عشر المحرم ليلة الأحد عام اثنين وستين ومائتين وألف. ودفن بزاوية سيدي محمد بن يوسف الحمدوشي بالعدوة ». هـ. وضريحه معروف إلى الآن بالزاوية المذكورة ببيت صغير منها يقابل محل الوضوء.

[362– الشيخ العارف سيدي علي ابن حمدوش وزاويته]
(ت: 1135)

تنبيه: هذه الزاوية تعرف الآن بزاوية حمادشة، وهم أصحاب الولي الشهير، العارف الكبير، المتبرك به لدى جم غفير، الشيخ الكامل، المجذوب الواصل؛ أبي الحسن سيدي علي بن حمدوش. دفين جبل زرهون، من ناحية مكناسة الزيتون.

كان – رحمه الله – من مشايخ أهل الجذب، قوي الحال، يحب السماع والحضرة، والمدح والثناء، وآلة الطرب، وفي بعض الأحيان يكون كالأسد يضرب الناس بما وجد من عصا أو حجر أو آنية أو غير ذلك، ولا يقدر أحد أن يقرب منه. وكانت له خوارق كثيرة، وكرامات شهيرة، وله أصحاب وأتباع يؤثرون عنه أحوالا ومقامات، وهم كثيرون في أقطار كثيرة، يشدون الرحلة لزيارته كل سنة.

وله زوايا في كل بلدة، وتخرج على يديه كثير من أهل الخير والصلاح، وجلهم مجاذيب أو مشوبون بالجذب، وكان في ابتداء أمره يجلس بباب القرويين الكبرى، المقابلة لباب الشماعين من هذه الحضرة، بقي يجلس بها سنين، ثم انتقل لزرهون وتوفي به سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، على ما ذكره في "النشر"، وفي "التقاط الدرر"، وفي "سلوك الطريق الوارية" أنه: توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف. والله أعلم.

وكان أخذه عن الشيخ سيدي مَحمد؛ المدعو: الحفيان، وهو عن والده الشيخ سيدي مَحمد؛ المدعو: أبا عبيد الشرقي، عن والده سيدي أبي القاسم الزعري الجابري الرتمي، عن التباع.

وأخذ سيدي مَحمد الشرقي أيضا أخذ إرادة وانتساب عن الشيخ سيدي عبد الله بن ساسي عن الغزواني عن التباع. . . نفعنا الله بجميعهم.

[363- الفقيه المقرئ سيدي إبراهيم بن أحمد اللمطي]
(ت: 988)

ومنهم [354]: الشيخ الفقيه، الأستاذ البركة النبيه؛ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد اللمطي.

ترجمه في "جذوة الإقتباس" فقال: « إبراهيم بن أحمد اللمطي. الفقيه الأستاذ المقرئ أبو إسحاق. من أهل مدينة فاس، كان رجلا صالحا فاضلا، يعلم أولاد المسلمين القرآن والنحو بمكتب عقبة السبطريين، تعلم عليه القرآن أبو العباس المنجور وغيره، وانتفع على يده خلق كثير. توفي بمدينة فاس سنة ثمان وثمانين وتسعمائة ».هـ.

وفي بعض التقاييد المقيدة في صلحاء فاس عند تعرض صاحبها لأولياء داخل المدينة ما نصه: « سيدي إبراهيم بن أحمد اللمطي؛ بدرب اللمطي ».هـ. وبحثت عن ضريحه بالدرب المذكور، فلم أجد من يعرفه. . . والله أعلم.

[364- سيدي خلف الله بن عبد القادر الشريف الورتدغيري]

ومنهم: الشيخ الجليل، الشريف الأثيل، الولي الصالح، المهتدى بهديه القويم الواضح؛ سيدي خلف الله بن عبد القادر بن الطاهر بن عبد الله بن عبد الله (مرتين) بن الشيخ سيدي عيسى بن الولي الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن - الملقب بالورتدغيري - ابن علي - الملقب بيعلى، دفين طالعة فاس - ابن إسحاق - الملقب بعبد العلا، دفين مصمودة من عدوة فاس الأندلس - ابن أحمد - دفين كرواوة منها أيضا - ابن محمد بن إدريس باني فاس - رضي الله عنهم.

هكذا رفع نسبه في بعض الرسوم، وفيها أيضا أنه: دفين حومة أشنيخن من عدوة فاس الأندلس، وحومة أشنيخن هي المتصلة بجامع الأندلس حيث مدرستا الصهريج والسبعيين، وسألت عن ضريحه هنالك؛ فقيل لي: إنه بدرب مدرسة السبعيين، ثم من الناس من يقول: إنه بالدار الأولى منه عن يمين الداخل، ومنهم من يقول: إنه بقوس اللحد الذي بحائط جامع الأندلس، تحت بابها الذي بالدرب المذكور. ويؤيد الأول: ما رأيته في بعض التقاييد من أنه حول جامع الأندلس. والثاني: بعيد. ولم أعثر له على ترجمة سوى هذا لذي نقلته فيه من بعض الرسوم القديمة.

ورأيت في "التنبيه" لابن عيشون ما نصه: « سيدي خلف الله قرب جامع الجنائز بجامع الأندلس، وإليه ينسب درب خلف الله. توفي سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة ». هـ؛ وهو يوهم أن سيدي خلف الله هذا هو خلف الله المجاصي المالكي، الذي ذكر ابن القاضي وغيره في ترجمته أنه ينسب إليه بفاس درب خلف الله، وأنه توفي سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة، بتقديم السين لا التاء، خلافا لما يوجد في بعض نسخ "التنبيه" المذكور من تقديمها، والظاهر أنه ليس كذلك، وأن صاحب الترجمة شريف إدريسي ولي صالح، بدليل ما في الرسوم التي وقفت عليها، وهذاالمترجم له عند ابن القاضي وغيره مجاصي، عالم فقيه [355]، ولم يذكروا له نسبا، وهو - والله أعلم - دفين عقبة سيدي علي المصالي داخل باب الجيسة، وقد تقدمت ترجمته هناك.

وقد أخبرني بعض الثقات ممن له مطالعة لبعض الرسوم القديمة المتعلقة بداخل باب الجيسة المذكور وخبرة بها، أن درب العقبة المذكورة: كان قبل دفن سيدي جلول ابن الحاج به يقال له: درب سيدي خلف الله. وبعد دفنه به صار يدعى بدرب: سيدي جلول. والله أعلم...

[365- الإمام الفقيه سيدي جبر الله بن القاسم الأندلسي]

(ت: القرن الرابع)

ومنهم: شيخ فاس وفقيهها وعالمها، وأحد الذين أدخلوا علم مالك إليها، الصالح الزاهد الورع؛ أبو القاسم جبر الله بن القاسم الأندلسي، ثم الفاسي.

ذكره عياض في "المدارك"؛ فقال: « جبر الله بن القاسم الفاسي. من مشاهير فقهائها ومتقدميهم، سمع منه عيسى بن سعادة الفاسي ». هـ.

وذكره أيضا الجزنائي في كتابه "جنا زهرة الآس" قائلا بعد ما ذكر أن جماعة من الصلحاء والعباد التزموا جامع الأندلس وتفرغوا فيه للعبادة بعد تحصيل العلم ويقصدهم الناس للفتاوي وطلب العلم والأدب، والتماس الدعاء؛ ما نصه: « كالفقيه الولي الصالح الورع جبر الله بن القاسم الأندلسي؛ نزيل عدوة الأندلسيين من فاس، وهو ممن أدخل علم مالك إليها، وهو من مشاهير فقهائها ومتقدميهم، لقي أصبغ بن الفرج، وسمع منه، كذا قال صاحب "المدارك"، حدث عنه أن رجلا: رأى في النوم كأن قائلا يقول له: إن شئت أن ترى نظير معاذ بن جبل؛ فصل في الجانب الغربي من جامع الأندلس؛ فالذي يدخل وعليه برنس، وصفته: كذا وكذا، هو ذلك. ففعل الرجل؛ فإذا بجبر الله بن القاسم - رضي الله عنه - على الصفة التي ذكر له القائل في النوم... ».

« وهو ممن لحقَ دراس بن إسماعيل – رحمه الله – ويذكر أن دراسا لما قدم بكتاب محمد بن المواز؛ قال له جبر الله: ما الذي جئتَ به؟. فأخبره بالكتاب المذكور. فقال له: اذكر منه. فجعل دراس يذكر المسائل وجعل جبر الله يجيبه بما حفظ، وما لم يحفظ قاسه على أصول مذهب مالك – رحمه الله – فما خالف كتاب محمد بن المواز إلا في مسألة الثور إذا اشتراه في أوان الدرّاس ولم يشترط أنه درّاس، فوجده لا يدرس. فهل هو عيب يرد به أم لا؟!. كذا ألفي بخط الفقيه أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي العباس أحمد بن الميمون الفشتالي رحمة الله عليهم أجمعين ». هـ. . .

وذكره أيضا في "الجذوة" فقال: « جبر الله بن القاسم الأندلسي؛ الفقيه الصالح الورع، نزيل عدوة الأندلس، من مدينة فاس، أبو القاسم وهو ممن أدخل علم مالك إليها، ومن مشاهير فقهائها ومتقدميهم لقي أصبغ بن الفرج وسمع منه. ذكره في "المدارك" وسمع [356] منه عيسى بن سعادة الفاسي. حكى عنه أن رجلا رأى في المنام. . . ». إلى آخر ما مر عن كتاب "جنا زهرة الآس". ولم يذكروا له وفاة.

ويؤخذ من معاصرته لدراس بن إسماعيل أنها في القرن الرابع في وسطه أو آخره. ورأيت في بعض التقاييد المقيدة في صالحي المدينة ما نصه: « سيدي خلف الله حول جامع الأندلس، وسيدي جبر الله قريب منه ». هـ. والله أعلم.

[366– سيدي عبد الله ابن حبس القروي]

ومنهم: الشيخ الفقيه الفاضل، الولي الصالح الكامل؛ أبو محمد سيدي عبد الله بن حبَس القروي.

كان مشهور الخير، ذا أوصاف جميلة، وكان مستجاب الدعوة، إماما بجامع الأندلس، يحكى أنه كان له زرع في أندراه؛ فبالت فيه دابته، فتصدق بجميعه تحريا وورعا.

ترجمه صاحب "المستفاد"، وتبعه في "الجذوة"، ولم يذكر له وفاة ولا مدفنا، وفي بعض المقيدات أنه حول جامع الأندلس. . . والله أعلم.

[367– السيدة عائشة الكَرْنية]

ومنهم: المرأة الصالحة المتبرك بها؛ السيدة عائشة الكَرنية، من نسل الشيخ سيدي مَحمد بوكَرن اليازغي. ضريحها بالكدان بالدرب المقابل لمزارة مولانا إدريس – رضي الله عنه – هناك ويعرف بدرب خلوف بالدار الرابعة منه، عن يمين الداخل. عليها دربوز تزار به. ولم أقف لها على ترجمة.

[368- سيدي خلوف]
(ت: 457)

ومنهم: سيدي خلوف بدرب خلوف المذكور، بأقصاه، بالروضة الكائنة به عن اليسار. اشتهر عند الناس.

ورأيت في تأليف أبي زيد الفاسي في "بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم" ما نصه: « ومنهم: بيت بني خنوسة من البربر، من المصامدة؛ بيت علم قديم من عهد مغراوة؛ منهم: خلوف بن طاهر ابن خنوسة المصمودي، توفي بفاس سنة سبع وخمسين وأربعمائة. ومنهم: الفقيه الخطيب القاضي أبو محمد عبد الخالق بن عبد الرحمن، تولى قضاء مدينة فاس سنة ثلاث وستين وخمسمائة في أيام يوسف بن عبد المومن بن علي »، هـ.

وفي تأليف آخر لبعض علماء القرن التاسع، فيه - أيضا - ما نصه: « ومنهم: بيت بني خنوسة؛ من المصامدة، من سوس، بيتهم بيت علم قديم من عهد مغراوة. منهم: الولي الصالح خلوف بن طاهر ابن خنوسة المصمودي. توفي بفاس في سنة سبع وستين (كذا) وأربعمائة. ومنهم: الفقيه القاضي الخطيب أبو محمد عبد الخالق بن عبد الرحمن. تولى قضاء مدينة فاس سنة ثلاث وستين وخمسمائة، في أيام يوسف بن عبد المومن بن علي، ولهم درب بفاس يقال له: درب خلوف. من حومة الكدان ». هـ. وما أظن خلوفا المذكور إلا صاحب الترجمة. . . والله أعلم.

[369- سيدي إدريس بوكرين]
[370- وسيدي محمد بوكرين]

ومنهم: السيد الصالح، البركة الواضح؛ أبو العلاء سيدي إدريس بوكرين. (بضم الكاف المعقودة وسكون الياء بعد الراء المفتوحة)، البازغي [357]. من نسل الشيخ الجليل، الولي الصالح الحفيل، ذي الكرامات الكثيرة، والمآثر الشهيرة، السني العابد، السني الزاهد، آية الله تعالى في مداواة الجذمى وغيرهم، حتى أورث ذلك عقبه؛ أبي عبد الله سيدي محمد (فتحا) بوكرين البازغي. دفين بني بازغة. أحد أصحاب الشيخ سيدي عبد الله الخياط الزرهوني، والأولياء الأكابر والصلحاء المشاهير، المترجم له في "ممتع الأسماع"، و" جواهر السماط". . . وغيرهما.

وضريحه بالدرب المقابل لجامع التانرجة من حومة الكدان فوق مزارة مولانا إدريس، بأقصاه، وسط المسجد الصغير الذي به، عليه دربوز يزار به ويتبرك، ولم أقف له على ترجمة.

[371- الإمام المربي الشريف سيدي علي (الجمل) بن عبد الرحمن العمراني]
(ت: 1194)

ومنهم: الشيخ العارف بالله، الدال على الله، شيخ الطريقة، وإمام أهل الحقيقة، معدن المواهب الربانية، ومنبع المعارف الإلهية، قطب الأنام، وغياث الإسلام، الغوث الجامع، والبحر الواسع، الكبريت الأحمر، والحجة الأشهر؛ أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن إبراهيم بن عمران الشريف الحسني الإدريسي العمراني من شرفاء بني عمران أهل قبيلة بني حسان؛ الملقب بالجمل لكونه وجد ناقة أو بعيرا راقدا ببعض طرق بفاس؛ فرفعه ووضعه خارج الطريق. فرآه بعض الناس فقال: هذا هو الجمل. فاشتهر بذلك، وهو ملقب عند ملائكة الرحمن بالجمال.

كان - رحمه الله - أولا بفاس متصلا بالمخزن[1]، ثم خرج منها إلى تونس على عهد السلطان أبي عبد الله محمد؛ المدعو: ابن عربية. ابن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل خوفا على نفسه من أشرافها، إذ كان ممن تولى أمرهم من قبل السلطان ولحقتهم الإذاية منه. فلقي بتونس مشايخ انتفع بهم، وبعثوه إلى وازان عند الشيخ مولاي الطيب الوازاني رضي الله عنه؛ فلقيه بوازان عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف، ثم بعثه مولاي الطيب إلى فاس، فقدم عليها؛ وذلك في السنة المذكورة، وقرأ بها ما شاء الله من التصوف على الشيخ أبي عبد الله جسوس، وصحب العارف الأكبر أبا الحامد سيدي العربي بن أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، ولزم خدمته مدة من ستة عشرة عاما، حتى انتفع به غاية النفع، وسمع منه من الأسرار ما لا يكيف ولا ينحصر.

وكان قد فتح له أولا على يد شريف كبير السن حسن الوجه من ناحية المشرق؛ يقال له: عبد الله. وجده بتطوان وصحبه بها سنتين، ثم لما توفي شيخه سيدي العربي؛ بنى لنفسه زاوية بالرميلة حيث ضريحه الآن، وكثر أتباعه وخدامه.

وكان - رضي الله عنه - آخذا بالشريعة في جميع [358] أحكامها، لا يتعدى أمرها، ويلبس تارة فاخر الثياب، وتارة رثها، وينتعل تارة بالنعل المعروف بالشربيل[2]، وتارة يحفي قدمه بالكلية، ويمد يده بالسؤال لقوم مخصوصين بلا إلحاح ولا إلحاف.

وأكثر ما تراه جالسا في القرويين بالباب المظلم لناحية باب فندق سيدي عبد المجيد، دائم الفكرة، كثير العبرة والعَبرة، وإذا كلمته؛ وجدت منه بحرا زخارا بالعلم والعرفان، وكان من أجل شيوخ الطريق من أهل تجريد الظاهر والباطن معا؛ متقشفا ذاكرا خاضعا متواضعا، خاليا عن الدعوى محيدا عن أهلها، مولعا بالوحدة وكتبها، وقوانين أهلها، وله اليد الطولى في أصولها وفروعها وحقيقتها، على طريقة الشيخ أبي الحسن الششتري ونظرائه من الأكابر.

---

1. أي: حاشية القصر الملكي. أو: من رجال السلطة.
2. نعل مدبب الرأس مرفوعه ملون، غالي الثمن، أشبه بنعال سكان باكستان ووسط آسيا.

وكان مستغرق الأوقات في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما حتى كان يقول: « مهما خطر ببالي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته هو وأصحابه العشرة الكرام البررة حاضرين بين يدي؛ حسا لا معنى، وتكلم معهم، ونأخذ العلم والعمل من عين العلم والعمل صلى الله عليه وسلم ».

وكان تلميذه العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي يقول فيه: « والله ما كان شيخنا مولاي علي الجمل إلا أكبر استغراقا في ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي العباس المرسي! ». وقال في رسائله: « ترجح لي - والله أعلم - أنه أقوى من سيدي المرسي بما رأيت منه من الاستغراق في رؤيته صلى الله عليه وسلم ومخاطبته إياه ».

وكان من أهل التصريف في وقته، حتى قيل: إنه كان يُزَطِّطُ[1] القوافل بهمته، وربما كان يخرج لباب المدينة ويأخذ من أرباب القافلة درهما لكل جمل من أجمالها، فيذهبون ويرجعون في سلعتهم ويرجعون للبلد سالمين غانمين. واتفق في يوم من الأيام أن بعض أرباب القافلة تشطر[2] معه في جمل؛ فلم يعطه عليه شيئا. فخرج فيهم اللصوص ونهبوا لهم ذلك الجمل وحده، لم ينهبوا لهم غيره، وشاع ذلك في البلد، ولم يتشطر معه بعد ذلك أحد.

وأدرك - رضي الله عنه - القطبانية العظمى، بل عاش فيها جل عمره؛ على ما ذكره تلميذه مولاي العربي في رسائله؛ ونصه: « وأستاذنا - رضي الله عنه - قد كان يسأل القواريط بفاس البالي عمره الله من حانوت إلى حانوت كالمضطر الكبير، مع أنه قد عاش غوثا جل عمره، وقد تعدى عمره ثمانين سنة ». هـ.

وكان - كما ذكره أيضا - تلميذه المذكور يعرف أربعا وعشرين طريقا في الحكمة، كل طريق منها تقيم الساعي لدار الملك، ومع ذلك كان يسأل القواريط من الناس بالأسواق ويده ترتعش من [359] شدة الكبر، ومن أراد أن يعرف مقامه في التحقيق، وينطق في علو مرتبته في الطريق؛ فليطالع كتابه الذي ألفه؛ فإنه عزيز الوجود، وفيه من الفوائد، خرق العوائد.

وقد كان الشيخ سيدي عبد الواحد الدباغ - رضي الله عنه - يقول: « لا يعرف سيدي عليا إلا من كان هو سيدي علي! »، أي: من كان في مقامه. ويقول أيضا: « كان سيدي علي فقيها كبيرا، عالما شهيرا في علم الضدين »، يعني: الحقيقة والشريعة، والحرية والعبودية، والجمع والفرق، والسكر والصحو، والسلوك والجذب، والفناء والبقاء... وما أشبه ذلك.

---

[1] يزطط: يكون سببا في الربح والسلامة. ويسلك بقوافل المسافرين مسالك النجاة، ويبعد عنها الأخطار.
[2] تشطر: ساومه في الثمن. واللفظة وسابقتها من العامية المغربية. ولهما أصل في اللغة.

وقد تربى به وتأدب، وتخرج وتهذب، جماعة من الأكابر؛ أجلهم: الفقيه الأستاذ الأنور، القطب العارف الأشهر؛ أبو الحامد مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الحسني الزروالي. وقد بالغ في الثناء على شيخه المذكور في مواضع من رسائله - رضي الله عنهما، ونفعنا بهما.

توفي صاحب الترجمة - رضي الله عنه - بفاس عشية يوم السبت تاسع وعشري ربيع الأول سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، عن مائة وستة أعوام، أو خمسة؛ على ما في فهرسة الكوهن. وحكى بعضهم عن ولده سيدي محمد الشريف أنه ولده وهو من مائة وثمان عشرة سنة... والله اعلم.

ودفن من الغد - وهو: يوم الأحد - بزاويته التي بحومة الرميلة من عدوة فاس الأندلس، قرب مسجد الشيخ سيدي أبي مدين الغوث نفعنا الله به، وبنيت عليه هناك قبة، وقبره بها مشهور معروف مزار، عليه دربوز من خشب، ودفن معه بها وبما اتصل بها جماعة من أصحابه وأصحابهم - رضي الله عنهم.

ترجمه في "الروضة المقصودة"، و"سلوك الطريق الوارية"، و"إمداد ذوي الاستعداد"... وغيرها.

[372- سيدي أبو القاسم الحلو]
(ت: 1196)

ومنهم: المحب الجليل، المشار إليه بالولاية والتفضيل؛ سيدي أبو القاسم لحلو.

كان من أصحاب صاحب الترجمة قبله، وهو الذي كان يتولى خدمة داره في جميع ما يحتاجون إليه، واشترى موضع ضريحه وأوقفه عليه وعلى أولاده. توفي بعد وفاة شيخه المذكور، ودفن بقبته وراءه متصلا به.

[373- سيدي محمد الشريف بن علي الجمل العمراني]
(ت: 1250)

ومنهم: السيد الشريف، البركة المنيف، أبو عبد الله سيدي محمد الشريف بن الشيخ سيدي علي الجمل الحسني العمراني.

أخذ - رحمه الله - عن تلميذ والده: الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وتربى به وتأدب، وتخلق وتهذب، وتوفي أواسط القرن الثالث بعد الألف، ودفن بقبة والده أمامه متصلا به.

[000- العارف الشريف سيدي عبد الواحد بن علال الدباغ][1]

ومنهم: الولي الصالح الرباني، العارف الصمداني، المربي [360] النفاع، الكامل الاقتداء والاتباع؛ أبو المواهب مولاي عبد الواحد بن علال بن إدريس؛ الشهير بالدباغ. تقدمت ترجمته عند التعرض لصلحاء حومة السياج، وتقدم أنه دفن أولا بزاوية شيخ شيخه مولاي علي الجمل يسار الداخل لقبتها من ناحية الصحن بالقوس الذي بني عليه هناك، ثم نقل بعد ذلك إلى المحل الذي جعل زاوية له من السياج، ولازال قبره الذي كان به قبل النقل بالزاوية المذكورة معظما مزارا مكتوبا عليه اسمه ونسبه وحليته ووفاته.

[374- سيدي المهدي بن محمد ابن القاضي]
(ت: 1271)

ومنهم: الفقيه الأرضى، الصوفي البركة الأحظى؛ أبو عبد الله سيدي محمد المهدي بن محمد ابن القاضي. من أولاد ابن القاضي المعروفين بفاس.

أخذ - رحمه الله - عن الشيخ سيدي عبد الواحد الدباغ سنة خمسين ومائتين وألف، وسلب له الإرادة، وعول في طريق الوصول إلى الله عليه، ثم في العام الثالث والخمسين تجرد على يديه، ولبس المرقعة، وأدرك الشيخ مولاي العربي وهو صغير ابن سبع سنين أو ثمان سنين، وزاره ودعا له بخير.

وقرأ شيئا من بعض العلوم الظاهرة على الشريف العلامة البركة سيدي عبد السلام بوغالب، وله شرح على تائية الحراق، وتأليف في مناقب شيخه المذكور، وشيخه مولاي العربي الدرقاوي.

وتوفي فجر يوم الاثنين عاشر شوال عام إحدى وسبعين ومائتين وألف بالطاعون، عن نحو من أربعين سنة، ودفن بقبة سيدي علي الجمل، بينه وبين القبر الذي كان به شيخه مولاي عبد الواحد ثلاثة قبور.

[375- العارف سيدي عبد السلام بن عبد القادر ابن نونة]

ومنهم: الولي الأجل، العارف الأفضل؛ سيدي عبد السلام بن عبد القادر ابن نونة الفاسي.

أخذ - رحمه الله - أولا عن الشيخ سيدي علي الجمل، وبعده عن تلميذه مولاي العربي، ولم يفارقه إلى أن مات، وبه انتفع وعليه عول، وعلى يديه نال الخصوصية وتكمل.

---

[1] انظر الترجمة رقم: (252).

وكان - رحمه الله - كثير الفائدة، كريم المائدة، حسن الخلق والشمائل، سمي الخلال والمحامد والفضائل، صاحب عزم وحزم، وقريحة وعلم، وذوق صريح وفهم، وكان أصحاب الشيخ مولاي العربي يستشهدون بفعله وكلامه، ويتمنون إدراك حاله ومقامه.

وقد وقفت على رسالة لشيخه مولاي العربي المذكور بخطه كتبها إليه يقـول له فيها ما نصه: «الأخ النظيف، الصادق العفيف، الولي الصالح، الشهير الواضح، محبنا في الله، سيدي عبد السلام ابن نونة؛ سلام عليكم [361] ورحمة الله وبركاته؛ وبعد؛ فكل من سميته باسم؛ فله ما لاسمه. من سميته: النظيف. حتما يكون نظيفا، ومن سميته: الصادق. حتما يكون صادقا، ومن سميته: العفيف: حتما يكون عفيفا، ومن سميته: العالم. حتما يكون عالما، والحليم يكون حليما، والكريم يكون كريما... وهكذا. ونرجو الله أن تسمى في الناس الوَرِع، إذ الورع في الشاذليين كالكبريت الأحمر قل أن يوجد، إذ هم أهل بسط، والمبسوط قل أن يتورع »... انتهى ما أمكن كتبه من الرسالة المذكورة، وباقيها منع من إتمامه محو وتقطيع.

توفي - رحمه الله - في حياة شيخه الثاني المذكور، ودفن بزاوية شيخه الأول، خارج قبته عن يمين الداخل من الباب الكبرى، التي بالصحن، وبني عليه قوس جيد ملتصق بالحائط.

[376- سيدي عبد الرحمن بن عبد السلام ابن نونة]
(ت: 1265)

وخلف بعده ولده: سيدي عبد الرحمن ابن نونة. كان - رحمه الله - أيضا من أصحاب مولاي العربي المذكور، وكان مولاي العربي يكاتبه برسائل بخطه وقفت على بعضها، وفيه ثناء عليه حسن.

توفي في ذي الحجة عام خمسة وستين ومائتين وألف. ودفن أمام والده المذكور متصلا به.

[377- العارف سيدي محمد ابن إبراهيم]

ومنهم: الولي الصالح، الشهير الواضح، العارف بالله تعالى؛ أبو عبد الله سيدي محمد ابن إبراهيم الفاسي.

كان - رحمه الله - خليفة مولاي العربي الدرقاوي في فاس حال حياته، وكان من العارفين بالله تعالى، المستغرقين في حضرة الله. وكان يغلب عليه السكر في بعض الأحيان حتى لا يدري ما به يتكلم، ولا إلى أين يذهب، وكان يُدعى بقطب الأحوال في وقته؛ لاشتهاره بها. وكانت له اليد الطولى في العلم بالله، وكان باطنه أقوى من ظاهره، وحاله أكبر من مقاله، وكانت له أحوال عجيبة، وخوارق غريبة، وكان شيخه مولاي العربي إذا أراد أن يذكر أحدا بالحال يرسله إليه.

أخذ عنه جماعة؛ منهم مولاي عبد الواحد الدباغ بعد وفاة شيخه قبله سيدي عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي، ولم يزل في خدمته وصحبته إلى أن قدم إلى فاس مولاي العربي من بني زروال فجدد عليه العهد وسلب له الإرادة، وتولى هو تربيته.

وتوفي صاحب الترجمة في حياة شيخه مولاي العربي، ودفن بالزاوية المذكورة خارج قبتها مجاورا لضريح مولاي عبد الواحد، ما بينهما إلا جدار القوس المبني.

[378- سيدي الحسن بناني]

وتوفي بعده بقريب: رفيقه البركة الصالح سيدي الحسن بناني. من أكابر أصحاب مولاي العربي أيضا، وفضلاء مقدمي أصحابه، ودفن بإزائه متصلا به، ليس بينه وبينه إلا جبهة بناء. وقبراهما مُزَدَّجَان، وهما مرتفعان عن الأرض. [362].

[379- سيدي أبو بكر بن محمد زويتن]
(ت: 1281)

ومنهم: السيد الصالح، ذو النور اللائح، والحال القوي، والمدد الروي، الملامتي؛ سيدي أبو بكر ابن محمد بن أحمد بن أبي جيدة بن عبد الكريم؛ الشهير بزويتن. الدرقاوي طريقة.

أخذ - رحمه الله - في حال الصبا عن الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي، وأمره أن يستغفر الله في كل يوم عشرا، ويهلله عشرا، ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم عشرا، ولم يعطه من الورد ما كان يعطي أصحابه؛ لصغره إذ ذاك. ثم بعد ذلك لما كبر أمره بالتجريد، فكان على قدم أهل التجريد، ولم يكن يتسبب بشيء من الأسباب، وكان حاله كحال الملامتية، تصدر منه أقوال وأفعال ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقتها.

وله كلام عال في الطريق، وأحوال خارقة، وكرامات شاهدها بعض من خالطه. وقد أخبرني بعض أولاده أنه مرض في بعض الأيام مرضا شديدا؛ فأحدقوا به وجعلوا يبكون؛ فقال لهم: «مالكم تبكون؟!»، ثم حلف لهم لا مات من ذلك المرض، وقال لهم: «إني وعدت من الله تعالى بأمر قبل وفاتي؛ وإني إلى الآن ما أدركته، ولا أموت حتى أدركه!»، فكان الأمر كما قال. ولم يمت من ذلك المرض.

وسمعت بعض من أدركته من الأخيار يقول: «إنه كان من الأولياء أهل التصريف؛ إلا أنه كان يتطور على طريق الملامتية»، ويكفي في علو شأنه أن العلامة الصالح البركة سيدي عبد السلام

بوغالب كان يتلمذ له ويقبل يديه كلما لقيه، ويجلس بين يديه للاستفادة منه، وينوه بقدره؛ ويقول: « إنه جُنَيد وقته ». وكان – رحمه الله – آية من آيات الله في الأجوبة المسكتة، لا يجادله أحد في شيء إلا غلبه.

ومن إنشائه – على ما قيل – صلاة كان يصلي بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهي: « اللهم صل على سيدنا محمد بَهَمُوت عظمتك، الذي عجز الأولون والآخرون عن معرفة كنه صفاته، وعلى آله وصحبه وسلم »...

توفي – رحمه الله – بعيد ظهر يوم الثلاثاء الموفي عشرين من رجب سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف، ودفن بصحن الزاوية المذكورة وجاه الباب الكبير الذي يدخل منه إليه، قريبا من الحائط رجلاه إلى الباب، ورأسه إلى الحائط، وقبره مزدوج مرتفع عن الأرض بشيء يسير.

[380– العارف الشريف سيدي بُوعَزّى التلمساني]

(ت: 1277)

ومنهم: الشيخ النزيه، المعظم المحترم، الوجيه الشريف الأصيل، البركة النبيل، العارف بالله تعالى؛ أبو عبد الله سيدي بوعزى التلمساني المهاجي. من مهاجة: وهي قبيلة من بني عامر بقرب تلمسان، له زاوية بوجدة، وأخرى بتلمسان، له فيهما أصحاب وأتباع.

وكان هو من [363] أصحاب الشيخ العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي، إليه ينتسب، وكان من أهل الحقائق والعرفان، وجلالة القدر وعظم الشان، يتكلم بما يبهر العقول، وبما لا يقدر عليه إلا الفحول، ويقول: « لو نزل إلينا الملائكة من السماء؛ لتذاكرنا معهم ».

وكان إذا جالس العلماء؛ أفحمهم، ولم يقدر أحد منهم أن يجادله في شيء، ويقال: إنه كان في أول أمره ممن يغلب عليه الصمت؛ حتى قال له شيخه المذكور يوما من الأيام: « تكلم! ». فانطلق حينئذ لسانه. وتنسب له تصرفات عديدة، وأحوال صادقة وخصال حميدة.

توفي – رحمه الله – يوم الجمعة، وكان موافقا للخامس عشر من شهر شتنبر[1] عام سبعة وسبعين ومائتين وألف، ودفن بمسجد سيدي أبي مدين الغوث المعروف بأقصى حومة الرميلة من عدوة فاس الأندلس، بقوس منه عن يمين المحراب، وهو مزار متبرك به.

---

[1] من العجيب أن المؤلف – رضي الله عنه – يؤرخ لوفاة المترجم، بالشهر الإفرنجي بدل العربي، على خلاف عادته. وهو يوافق أواخر شهر ربيع الأول.

[381- سيدي أبو مدين الغوث]
(ت: 594)

تنبيه: هذا المسجد من المساجد المباركة، وهو من مزارات هذه الحومة، وبه كان الشيخ سيدي أبو مدين المذكور لما كان قاطنا بفاس، وبهذه الحومة منها يدرس العلم ويربي المريدين.

وهو: الشيخ الكامل، المحقق الواصل، الأستاذ الأعظم، العارف الأفخم، عظيم الأكابر والأفاضل، ورأس الصوفية الأماثل، القطب الغوث، ولي الله تعالى: سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الإشبيلي القطنياني. دفين عباد تلمسان.

شيخ المشايخ الأفراد، وإمام الزهاد والعباد، وسيد العارفين، وقدوة السالكين؛ قال المناوي في "طبقات الصوفية": « ولد ببجاية، ونشأ بها واشتهر حتى ملأ ذكره الآفاق، وصار إمام الصديقين في وقته بلا شقاق، وأخذ عنه الكبراء كالعارف ابن عربي، وقال: كان سلطان الوارثين. ومكث في بيته سنة لا يخرج، فاجتمع الناس ببابه وسألوه أن يتكلم عليهم، وألزموه؛ فخرج؛ ففرت منه عصافير على سدرة بداره؛ فرجع وقال: لو صلحت للحديث عليكم ما فر مني الطير ولا الوحش!. فقعد عاما؛ فأتوه؛ فخرج فلم تفر منه؛ فتكلم عليهم وترك الطير تضرب بأجنحتها وتصفق حتى مات منها كثير، ومات رجل ممن حضر... ».

وقال في "النجم الثاقب، فيما لأولياء الله من المناقب": « كان - رضي الله عنه - فردا من أفراد الرجال، وصدرا من صدور الأولياء الأبدال، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، وأنار به معالم هذه الطريقة، وأقامه ركنا من أركان الوجود، وأظهره بالبلاد المغربية هاديا وداعيا الخلق للملك المعبود، فقصد بالزيارة من جميع الآفاق والأقطار [364] واشتهر بشيخ المشايخ في جميع الأمصار ».

وذكر التادلي وغيره أنه: « خرج على يده ألف شيخ من الأولياء أولي الكرامات »، وذكر في "المنح البادية" أنه: « خرج من دائرته ثلاثمائة قطب دون الصالحين »، وقال أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي - كبير مشايخ وقته: « كان أبو مدين زاهدا فاضلا عارفا بالله ». وقال أيضا: « كان مقبوضا بالزهد والورع، مبسوطا بالعلم، قد خاض من الأحوال بحارا، ونال من المعارف أسرارا، وخصوصا مقام التوكل لا يشق فيه غباره، ولا تجهل آثاره »، وقال أيضا: « كان مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبة، كثير الالتفات إلى الله تعالى بقلبه، حتى ختم الله تعالى له بذلك ».

وفي "نيل الابتهاج في ترجمته" ما نصه: « واختلف أهل مجلسه: هل الخضر ولي أو نبي؟؛ فرأى رجل صالح منهم معروف بالولاية تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال له: الخضر نبي، وأبو مدين ولي! ».هـ. والذي رجحه جماعة من أهل الكشف ونسبه بعضهم إلى الجمهور؛ هو: أن الخضر ولي أيضا. والله أعلم بالصواب.

وفي فهرسة أبي زكرياء السراج بسنده إلى أبي مدين قال: « رأيت رب العزة في النوم؛ فأوقفني بين يديه، وجعل حسناتي عن يميني وسيئاتي عن شمالي، وقال: ما هذا يا شعيب؟!، فقلت: يارب؛ هذا عطاؤك وهذا قضاؤك؛ فعمّا سؤالك؟! . قال: يا شعيب؛ إن لكل شيء مرآة، فما مرآة ربك؟ . قال: فقلت قلب عبدك شعيب. قال: ادن؛ طوبى لمن رآك ومن رأى من رآك ». هـ.

وعن سيدي أبي العباس المرسي قال: « جلت في ملكوت الله تعالى؛ فرأيت سيدي أبا مدين متعلقا بساق العرش، وهو يومئذ أشقر أزرق؛ فقلت له: ما علومك؟ . وما مقامك؟ . فقال: علومي أحد وسبعون علما، وأما مقامي؛ فرابع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال. . . ».

وفي "أنس الفقير" نقلا عن الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي قال: « ولم يمت - يعني: الشيخ أبا مدين - حتى تقطب قبل أن يغرغر بثلاث ساعات ». هـ.

وسئل - رضي الله عنه - عما خصه الله به؛ فقال: « مقامي العبودية، وعلومي الألوهية، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية، ملأت علومه سري وجهري، وأضاء بنوره بري وبحري ».

رحل - رضي الله عنه - إلى المشرق، وأخذ به عن غير واحد من الأكابر؛ كالشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره، ورجع إلى المغرب وتبرك فيه بأبي يعزى وغيره.

وقرأ بفاس بعد قدومه إليها من الأندلس على الشيخ الحافظ أبي الحسن ابن حرزهم، وعلى الفقيه العلامة الحافظ أبي الحسن ابن غالب دفين القصر، وأخذ التصوف عن غير واحد من المشائخ؛ منهم: الشيخ الولي [365] الصالح أبو عبد الله محمد الدقاق السجلماسي، ولبس منه الخرقة. وأبو عبد الله هذا هو دفين خارج باب الجيسة، كما ذكره في "الجذوة"، و"الروض". . . وغيرهما. خلافا لما يتوهمه كثير من العامة من أنه بمسجد سيدي أبي مدين هذا، ونشأ لهم هذا الوهم من كون الرخامة التي كانت عند رأسه بقبره؛ زالت عن محلها لتخربه، فأخذها بعض الناس وجعلها بحائط باب المسجد المذكور، موالية للقوس الذي به قبر سيدي بوعزى التلمساني، قاصدا بذلك حفظها هناك فوقع للناس بها من الوهم ما وقع.

ولما خرج الشيخ أبو مدين من فاس؛ استوطن بجاية، وكان يقول: « إنها معينة على طلب الحلال »، ولم يزل بها إلى أن بعث إليه يعقوب المنصور في القدوم عليه، فسار إليه؛ فلما بلغ حوز تلمسان وبدت له رابطة العبّاد؛ مرض هناك مرض موته، فلما بلغ وادي يسر؛ اشتد به المرض. ونزلوا به هناك، فكان آخر كلامه: « الله الحق ». وتوفي على الصحيح سنة أربع وتسعين وخمسمائة عن نحو خمس وثمانين سنة، فحمل إلى جبل العبّاد خارج تلمسان مدفن الأولياء والأوتاد، ودفن هناك.

ونقل المعتنون بأخباره أن الدعاء عند قبره مستجاب مجرب. وترجمته - رحمه الله - واسعة، ذكر شيئا منها في "النيل" وغيره، وأطال فيها التادلي في "التشوف"، وأفردها ابن الخطيب القسمطيني بتأليف سماه: "أنس الفقير وعز الحقير"، وذكر فيه أن بعض الفضلاء ألف في كراماته رضي الله عنه ونفعنا به.

[382- العارف الشريف سيدي يحي بن محمد الزكاري]
(ت: 1090)

ومنهم: الولي الصالح الشهير، العارف الكبير؛ أبو زكرياء سيدي يحيى بن الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن منصور الشريف الحسني الإدريسي؛ الشهير بالزكاري (بالكاف المعقودة)، من الشرفاء الأدارسة المعروفين بالزكاريين، وهم من ذرية القاسم بن إدريس باني فاس رضي الله عنهما، يقال له: سيدي يحيى بن أحمد. فينسب إلى جده، ووالده المذكور هو المدفون قربا من جامع الأندلس بينه وبين الفخارين.

كان صاحب الترجمة - رحمه الله - وليا كبيرا، وعارفا شهيرا، له كرامات عديدة، وبركات حميدة، ومما سمعنا من كراماته وحدثني به بعض الثقات من العلماء عن أمه، وكانت خيرة دينة، أنها: ((باتت في ضريحه بعض الليالي؛ فبينما هي هنالك إذ سمعت رجفة؛ فنظرت؛ فإذا صاحب الترجمة قد خرج من قبره ومعه عمود من نور يكاد يخطف الأبصار، وبقي كذلك هنيئة ثم رجع لقبره. قالت المحدثة المذكورة فمرضت عيناي من رؤية ذلك النور، وصارتا [366] كأنهما قطعة دم مدة من شهرين أو ما يزيد عليهما . . .)).

وضريحه - رحمه الله - بحومة الرميلة قربا من ضريح سيدي علي الجمل، عن يسار الطريق الذاهبة منه إلى ناحية بين المدن، وهو مشهور مزار متبرك به، ولم أقف الآن على تاريخ وفاته، ويغلب على الظن أنها في أواخر القرن الحادي؛ لأن والده توفي عام ستين وألف، ورأيت رسم تحبيس على حفيده سيدي محمد بن محمد بن يحيى، وهو مؤرخ بأواخر رمضان عام عشر ومائة وألف.

[383- سيدي محمد بن سعيد الدبدوبي]
(ت: 1036)

ومنهم: الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد الدبدوبي. أورده في "التنبيه" وذكر أنه أخذ عن سيدي الحسن الجزولي دفين خارج باب الفتوح، وذكره غيره ممن أخذ عن أبي الحسن الهيري دفين مسجد الفخارين داخل باب الفتوح، وهو من أصحاب سيدي الحسن الجزولي المذكور.

ويمكن أن يكون أخذ عن سيدي الحسن أولا، ثم بعده عن سيدي علي الهيري. . . والله أعلم.

توفي – رحمه الله – سنة ست وثلاثين وألف، ودفن بروضة مقابلة لجامع الشوك من بين المدن، وهي المدفون بها بعده سيدي علي التواتي المترجم له بعد.

وترجمه في "التنبيه"، وكذا صاحب كتاب "التفكر والاعتبار"، وأورده في "التقاط الدرر" فيمن توفي في السنة المذكورة. . .

[384– سيدي علي بن الحاج التواتي]
(ت: 1058)

ومنهم: الولي الصالح، المجذوب السائح، أبو الحسن سيدي علي التواتي، ترجمه في كتاب "التفكر والاعتبار"؛ فقال: « ومنهم: الشيخ المجذوب الموله؛ سيدي أبو الحسن علي بن الحاج التواتي. دفين بين المدن، عدوة فاس، بقرب مسجد الشوك. توفي – رضي الله عنه – سنة ثمان وخمسين وألف ».هـ. وأورده في "التنبيه" ولم يذكر له وفاة و لا غيرها، وكذا الشيخ المدرع في منظومته؛ فقال:

وسيـــدي علـــيٌ التـــواتـــــي   بجـامـع الشـوك من السَّـــرات

وضريحه – رحمه الله – مشهور إلى الآن مزار متبرك به.

[385– الشيخ العارف سيدي علي بن محمد الحارثي]
(ت: 1004)

ومنهم: الشيخ الشهير، العارف الكبير، الولي الصالح، الصوفي الناسك الناصح، إمام الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة؛ أبو الحسن سيدي علي بن محمد الحارثي الشيظمي السوسي. نزيل زواغة، الفاسي الدار والمزار.

كان – رحمه الله – من الأولياء الصالحين، والكبراء العارفين، أخذ عن الشيخ الشهير أبي العباس سيدي أحمد بن موسى السملالي الشريف الحسني الجزولي السوسي، دفين يليغ من سوس الأقصى، عن سيدي عبد العزيز التباع، عن سيدي محمد بن سليمان الجزولي، ولقي قبله جماعة؛ منهم: سيدي عبد الله بن حسن المصلوحي دفين تامصلوحت. . . وغيره من مشايخ أهل زمانه، وكلهم انتفع بما سمع منهم حتى ظهرت عليه بركاتهم، وكان – رحمه الله – يحض على زيارة الأولياء [367] كثيرا، ويقول: « إنها شفاء القلوب ونورها ».

وكان له أتباع وزاوية حيث ضريحه الآن، وشوهدت له خوارق وكرامات، قال في "التنبيه": « وبركته وكراماته لم تزل ظاهرة مشهورة ». وفي "الصفوة": « إن مما يؤثر من كراماته: أن بعض الأولياء قال – أظنه: سيدي مسعود الدراوي، يعني: دفين خارج باب الفتوح – لما أتى فاسا في أول أمره ودخلها، تصرف فيه صاحب الترجمة بالحال، فلم يمكنه إلا الخروج من فاس والفرار منها، وآلى أن لا يسكن فاسا إلا إن كان على رغم صاحب الترجمة، بإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم، فتوجه للحجاز وبقي بالمدينة المنورة مدة إلى أن أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه للغرب وسكنى فاس، فلما بلغ فاسا: هو داخل باب الفتوح وصاحب الترجمة خرجت روحه.. والله تعالى أعلم ». هـ.

وممن أخذ عنه هو وانتفع به: الشيخ الشهير الزاهد المتقشف أبو الحسن سيدي علي الشريف الحسني دفين جبل سلفات، المتوفى عام سبعة وأربعين وألف، والشيخ الفقيه العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن محمد ابن عطية السلوي الأندلسي الفاسي، وأخوه الولي الصالح العلامة الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد ابن عطية المترجم لهما بالإثر.

ومن كلام للشيخ سيدي محمد ابن عطية المذكور قال: « دخلت يوما مع أستاذي سيدي أبي الحسن علي بن محمد الحارثي إلى دار رجل من الإخوان، وكان بتلك الدار ختمة[1] القرآن، فنظرت إلى الدار وما فيها من التعليق والتزويق، وطعام الأشراف، والأواني الطراف... فأخذتني في ذلك سنة، فنظر إلي الشيخ وقال لي: اقرأ يا ولدي. فألهمني الله سبحانه من بركته لقوله تعالى: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه. ورزق ربك خير وأبقى ﴾. [طه: 129، 130] ، وقوله: ﴿ من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ﴾. [الشورى: 18]. وقوله: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾. [الأحزاب : 28، 29]. قال: فلما استحضرت هذه الآيات وقرأتها في باطني؛ تبت إلى الله تعالى واستغفرته، وعاهدت الله وآليت على نفسي أن لا أحضر وليمة أبدا ». هـ.

توفي – رحمه الله – منتصف ربيع النبوي عام أربعة وألف، هكذا ذكر وفاته في "النشر"، ويوافقه قوله في "التنبيه": « توفي سنة أربع وألف ». هـ. وذكر في "المنح البادية" أنه: « توفي عام تسعة وألف »، وفي كتاب "التفكر والاعتبار" أنه: « توفي عام أربعة عشر وألف ». وقال في "الصفوة" ما نصه: « توفي سنة عشر ». وقيل: أربعة عشر. وقيل: سنة أربع وألف.

[1] أي: أناس يختمون القرآن الكريم.

وفي خزانة مكتوبة عند رأسه ما نصه: « توفي – رحمه الله – يوم الأحد بفاس سادس عشر ربيع [368] النبوي عام أربعة وألف ». ولعله الصواب والله أعلم. ودفن بزاويته التي بالجبيل من حومة الرميلة متصلة بزاوية تلميذه سيدي محمد ابن عطية، وضريحه بها مشهور، عليه دربوز، وهو مزار متبرك به إلى الآن. ترجمه في "الصفوة"، و"النشر"، و"التنبيه"، وكتاب "التفكر والاعتبار"... وغير ذلك.

[386- العلامة الفرضي سيدي أحمد بن محمد ابن عطية]
(ت: 1015)

ومنهم: الشيخ الفقيه العلامة، الحبر الفهامة، الإمام الفرضي؛ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد ابن عطية الزناتي الأندلسي السلوي، ثم الفاسي، أخو سيدي محمد المذكور بعده وشقيقه.

كان – رحمه الله – من العلماء الأعلام، وأحد جهابذة الإسلام، أخذ عن سيدي علي الحارثي المذكور، وكان يتردد في كل جمعة لزيارة الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، وسمع منه واستفاد، وتعاقد هو وأخوه سيدي محمد ابن عطية معه على الأخوة في الله والمحبة، وكذا مع سيدي عبد الرحمن العارف، وقرأ عليه أخوه سيدي مَحمد المذكور "الرسالة"، و"المختصر"؛ فكان من أشياخه.

وأخذ عنه أيضا: أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي وغيره.

وتوفي – رحمه الله – في ربيع الأول سنة خمس عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وألف. قال في كتاب "التفكر والاعتبار": « ودفن بإزاء شيخه سيدي علي الحارثي المذكور ».

[387- الإمام المفسر سيدي مَحمد بن محمد ابن عطية]
(ت: 1052)

ومنهم: شقيقه الشيخ الشهير، الإمام الصوفي الكبير، العلامة الدراكة المتقن، الفقيه المشارك المتفنن، الولي الصالح، المذكر الناصح، العارف بالله تعالى؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي عبد الله محمد بن علي ابن عطية الزناتي نسبا، الأندلسي أصلا، السلوي ثم الفاسي.

قرأ – رحمه الله – القرآن في حال صغره على والده، ثم قرأه بالروايات على الفقيه الأستاذ أبي عبد الله سيدي محمد الفلالي، وأجازه في قراءة السبع، ثم قرأ "الرسالة" و"المختصر" على شقيقه سيدي أحمد، وكان يحضر مجلس القصار إلى أن توفي، ثم قرأ بعده على الإمام المقري، والشيخ الجنان الأكبر، والعلامة ابن عاشر، وهما عمدته.

ولقي جماعة من فقهاء فاس وانتفع بهم؛ كالشيخ سيدي الحاج ابن القاضي، والفقيه أبي الحسن علي بن عمران، والفقيه أبي عبد الله سيدي محمد الجزولي، أخذ عن كل واحد منهم جزءا من مروياته، وانتفع بدعائه.

وكان في صغره يتردد مع والده لزيارة الشيخ سيدي أبي الطيب ابن يحيى دفين ميسور، ودعا له مرة وقد غسل له لمعة من الدم كانت في ثوبه؛ فقال له: « طهر الله قلبك من الدنس، وفقهك في مذهب الإمام مالك بن أنس ».

ولما خرج لطلب العلم والزيارة بحضرة مراكش؛ لقي بها جماعة من العلماء والصلحاء أصحاب الشيخ الغزواني، وانتفع بهم وبما سمع منهم من كلام الشيخ الغزواني، ولقي في ابتداء أمره: سيدي [369] الحسن الدراوي، وقرأ عليه علم الاعتقاد؛ وكذلك على الشيخ أبي زكرياء سيدي يحيى بن عاشور التلمساني، وهما عمدته في التوحيد.

ولقي في زيارته للقطب مولانا عبد السلام بن مشيش جماعة من العلماء والصالحين؛ منهم: أبو عبد الله سيدي محمد بن علي ابن ريسون، ودعا له بالعلم والصلاح والبركة في عقبه، ولما أراد الانصراف؛ قال له: « زودك الله التقوى ».

وكذلك لقي الشيخ سيدي عبد الله ابن حسُّون، وكان بفاس يتردد لزيارة أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي في كل جمعة، مع أخيه سيدي أحمد، وسمعا منه واستفادا.

وعمدته في الطريق هو: الشيخ أبو الحسن سيدي علي الحارثي، وهو الوارث له - كما ذكره بعضهم. وكان - رضي الله عنه - مواظبا على زيارة الصالحين الأحياء والأموات، ويقول لتلامذته: « اعلموا - أيها الإخوان - أن الزيارة منها ربحنا نحن وكل من دللناه عليها، والزائر لله لا يرجع من زيارته خائبا قط؛ إذا لم يضيع حق الله، ولم تصحبه دنيا ولا سمعة ولا رياء ».

وكان صواما قواما، شاكرا تاليا، ذاكرا ناصحا لعباد الله لا يدل تلامذته إلا على الله، ولا يلهج إلا بذكره، ولا يرقد إلا باسمه، ولا ينتصر قط لنفسه، ولا يبخل بديناره وفلسه، يقنع باليسير من الرزق، ولا يطمع في أحد من الخلق، تاركا للفضول، سالكا سبيل الرسول، لا يلتفت لشيء من السمعة والرياء، وليس عنده شيء من الدنيا، زاهدا متقشفا متوكلا على ربه، يطلب الدعاء ممن لقي من المؤمنين، ويحسن الظن بسائر المسلمين، ويقول لتلامذته وقصاده: « كل من رأيته فالخضر اعتقد، وكل الليالي ليلة القدر فاجتهد ».

وكان مجتهدا في تدريس العلم والقراءة، وانتفع به خلق كثير من الطلبة والعامة، إماما فقيها صوفيا حافظا مفسرا محدثا، مسندا راوية، ذا فنون وعلوم، وله معرفة بعلم الأوفاق والجدول، وأسرار الحروف والخواص، واتساع في التصوف وكتب القوم.

وله تأليف في الطريق، و"فهرسة" ذكر فيها مقروآته ومسموعاته، ومناولاته ومعروضاته، وغير ذلك، وقد استجازه في جميع ما احتوى عليه تلميذه القطب مولاي عبد الله بن إبراهيم اليملحي الحسني الوازاني؛ فأجازه، وكان من جملة من أخذ عنه وانتفع به.

وقد رأيت بخط بعضهم ما نصه: « كانت أم مولانا عبد الله – يعني: الشريف الوازاني – نفعنا الله به رحمونية عَلمية، وتركه والده طفلا لم يبلغ عشرة أعوام؛ فقرأ القرآن على بعض شرفاء بني رسون بتازروت، ثم بعد ذلك رحل إلى فاس وقرأ النحو والحديث والتفسير والفقه على محمد بن محمد بن عطية السلوي الأندلسي دفين ضفة الوادي بالجبيل عدوة فاس الأندلس »... انتهى المراد منه. وممن أخذ عنه أيضا: أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي.

وكان – رحمه الله – يستعمل السماع، ويأمر [370] أصحابه الفقراء به، ويحضره معهم، ويحصل لهم من لذة خطاب ما ينشدونه بينهم وجد وشوق ونفحات؛ فيرقصون ويتواجدون، ويصيحون، وربما يغشى على بعضهم من ذلك.

توفي عن سن عالية عشية يوم الجمعة ثامن عشر ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وألف، ودفن بالجبيل من حومة الرميلة، بزاويته الشهيرة به، يسار الطالع لناحية سيدي أبي جيدة، وهي متصلة بروضة شيخه سيدي علي الحارثي، وقبره بها معروف مشهور، عليه دربوز يزار به، وفوقه كتابة نصها: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾. [آل عمران: 185]، هذا ضريح الولي الصالح، العالم العلامة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، أبي عبد الله سيدي محمد ابن عطية، السلوي الأصل الفاسي الدار، أخذ عن شيخه سيدي أبي الحسن علي بن محمد الحارثي عن شيخه سيدي أحمد بن موسى السوسي عن شيخه سيدي عبد العزيز التباع عن القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي – نفعنا الله به، وكانت وفاته يوم الجمعة ثامن عشر القعدة سنة اثنين وخمسين وألف ». هـ.

ترجمه في "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الصفوة"، و"التنبيه"، و"كتاب التفكر والاعتبار"... وغيرها، وعده في "الابتهاج" فيمن أخذ عن أبي المحاسن من الفقهاء.

[388– المؤرخ سيدي أحمد بن محمد ابن عطية]
(ت: 1129)

ومنهم: حفيده الفقيه النبيه، الصوفي الأخير النزيه، الناسك البركة، الولي الصالح؛ أبو العباس سيدي أحمد ابن الفقيه الأستاذ المؤدب سيدي محمد الحارثي ابن الولي الصالح العلامة سيدي محمد ابن عطية السلوي الأندلسي الفاسي.

أخذ – رحمه الله – عن جده سيدي محمد ابن عطية، ولقي بعده سيدي علي ابن عبد الرحمن الدرعي التادلي دفينها، وأخذ عنه أيضا، وانتفع به، وكان من أهل الصلاح والخير، والبركة والنسك، عارفا بطريق التصوف.

وله تأليف سماه بـ "كتاب التفكر والاعتبار، في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار، ومن اتبعهم من العلماء السادات الصوفية الأبرار" فرغ منه عشية يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الثاني سنة إحدى عشرة ومائة وألف، وهو في سفر صغير، وقد وقفت عليه، وله آخر أكبر منه سماه بـ"كتاب سلسلة الأنوار، في ذكر طريقة السادات الصوفية الأخيار"، ولم أقف الآن عليه، وكلامه كلام من ليس له باع في العربية، إلا أنه يوصل المقصود غالبا، ويميل فيه لطريقة التصوف.

توفي – رحمه الله – بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الثاني عام تسعة وعشرين ومائة وألف، ودفن بزاوية جده المذكور. كذا ذكر بعضهم، وأورده في "التقاط الدرر" في خاتمة الجزء الأول، في ذكر من لم يقف له على وفاة وهو من أهل القرن الحادي، ونصه: « ومنهم: الصالح البركة سيدي أحمد بن محمد ابن عطية السلوي، له تأليف سماه: "سلسلة الأنوار في طريقة الصوفية الأخيار". فرغ من مبيضته عام ستة وتسعين ». هـ.

[389– سيدي أحمد بن علي الدرك]

ومنهم: الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن علي الدرك. ممن أخذ عن الشيخ سيدي علي الحارثي، وتوفي سنة تسع وخمسين وألف [371]، ودفن بزاوية أخيه في الشيخ سيدي محمد ابن عطية المذكور. ترجمه في "التنبيه" وكذا في كتاب "التفكر والاعتبار".

[390– الولي الصالح الشريف سيدي عمر بن محمد الشريف]

(ت: أواسط القرن السادس)

ومنهم: الشريف الأشهر، الولي الأكبر، العارف بالله تعالى؛ أبو حفص سيدي عمر – المدعو: الشريف – بن محمد بن داود بن عمران بن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن إدريس باني فاس رضي الله عنه.

وهو والد الولي الصالح والقطب الواضح مولاي علي بن عمر دفين غزوان قرب وادي كير، جد الشرفاء الشغروشنيين بفاس وغيرها، المتوفى سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

ولم أقف له الآن على ترجمة ولا على وفاة، إلا ما يؤخذ من وفاة ولده المذكور من أنها أوائل القرن السادس أو أواسطه. ورأيت في كتاب "تحفة الحادي المطرب في رفع نسب المغرب" عند تعرضه لأولاد عبد الله بن إدريس ما نصه: « ثم - يعني من أولاده - الشغروشنيون؛ أولاد علي بن عمر دفين غزوان، ووالده دفين باب بني مسافر من فاس ». هـ.

وضريحه - رحمه الله - هو الذي عن يمين الخارج من باب سيدي أبي جيدة قريبا من الباب، يدور به الكرْمُ المعروف بكرم النصارى، عليه قبة، وهو مشهور مزار متبرك به إلى الآن.

[391- العلامة سيدي عبد الرحمن بن محمد السلاسي]
(ت: 1118)

ومنهم: الشيخ العلامة الإمام، الفاضل المدرس الهمام، الحاج الأبر، النحوي الأبهر؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمران السلاسي الأصل، الفاسي المولد والدار.

كان - رحمه الله - مداوما على تدريس "ألفية" ابن مالك، ويحفظ توضيح ابن هشام، وله مشاركة في البيان وغيره، ومحل تدريسه: مدرسة الصهريج من عدوة فاس الأندلس وغيرها.

قرأ على أبي العباس ابن الحاج، وسيدي عبد السلام بن الطيب القادري، وأبي عبد الله القسمطيني، وأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي عبد الله محمد العربي الفشتالي وغيرهم.

وأخذ عنه النحو وغيره جماعة من الأئمة بفاس؛ منهم الأستاذ أبو العلاء إدريس المنجري، وقد عده في فهرسته من شيوخه؛ قائلا: « قرأت عليه "الجرومية"، و"ألفية" ابن مالك مرارا قراءة تحقيق، وباحثته في علم العروض واللغة، وكان له تحصيل في مهمات العربية والتصريف، وله طريقة في التدريس؛ حتى إنه يأتي بنص "الدرر" في تقرير أبواب النحو، ويحدث أن ذلك دأب شيخه سيدي العربي الفشتالي، وكان كثيرا في تقريره - بعد تحصيل المسائل وتبيينها - غاية يقول: والله أعلم. لا يدعها عند كل تقرير، وكان يباشر مهنته بيده، ويبادر من يلقى بالسلام أيا كان، ويسيد كل من يلقي، اختص بأخلاق انفرد بها في وقته ». هـ.

وله شرح على أبيات البطليوسي في تصريف الفعل المحذوف الفاء واللام في صيغة الأمر، التي أولها:

إني أقول لمن ترجى وقايته ... والمستجير: قياه قوه في قينا

إلى آخرها، وهي مشهورة، واستدرك عليه كثيرا.

توفي – رحمه الله – بفاس عام ثمانية [372] عشر ومائة وألف، قال في "النشر": « ودفن داخل باب بني مسافر بروضة سيدي عمران ».هـ. وقال في "التقاط الدرر": « مدفنه داخل باب المسافرين بروضة سيدي عمران هنالك ».هـ.

[392- سيدي عمران ابن الشيخ]
[393 – سيدي عبد الله ابن الشيخ]

وسيدي عمران هذا: أورده في "التنبيه"؛ فقال: « ومنهم – أي: من صلحاء داخل باب بني مسافر – سيدي عمران، بروضة عن يسار الجامع التي هنالك ».

ثم قال: « منهم: سيدي عبد الله ابن الشيخ. ضريحه بروضة سيدي عمران ».هـ. ولم أقف لواحد منهما على ترجمة.

[394- الولي الصالح سيدي علي النحام الحجام]
(ت: 1132)

ومنهم: الشيخ الصالح، المربي الناصح، الولي الكامل، العارف بالله الفاضل؛ أبو الحسن سيدي علي النحام، المدعو: الحجام.

كان – رحمه الله – شيخا كاملا، مربيا خاملا، ذا هيبة ووقار، وذكر واعتبار، أخذ عن الشيخ سيدي أحمد السوسي المراكشي، دفينها، عن الشيخ سيدي قاسم بوعسرية، دفين وادي أرضم.

وكان له – رحمه الله – أصحاب وأتباع، وتلامذة وأشياع، يجتمعون عليه بزاويته التي بداخل باب بني مسافر، وهي التي بها ضريحه، وظهرت له كرامات، وخوارق عادات؛ منها: أنه طلب من رجل أن يبيته عنده، وكان الزمن زمن المسغبة؛ فقال له الرجل: « إذا كنت أنت وثلاثة أو أربعة من أصحابك؛ فنعم ». فأجابه الشيخ إلى ذلك، فلما صلى العشاء وخرج من الزاوية؛ تبعه كل من صلى بها معه، ولما بلغوا باب الدار ورآهم ربها؛ دهش من ذلك وقال للشيخ: « ما هذه الحشومة[1] التي عملت لنا؟! »، فقال له: « لا حشمة عليك، فما عندك يكفيك ». ثم أمره بأن يطلعه على ما عنده من الطعام؛ ففعل، فأمره بتغطيته، ولما أرادوا العشاء قام الشيخ وجعل يأخذ الكسكس بيده

[1] الحشومة: العيب والعار. باللهجة المغربية.

ويجعله في الأواني، ويجعل عليه اللحم، ويُمَرِّقه[1]، ويأمره بدفعة للناس، فيدفعه لهم، حتى أكلوا كلهم، وفضل الطعام في القصع.

كان - رضي الله عنه - مجاب الدعوة، دعا للسيد أحمد ابن شقرون أن يخرج الله من صلبه عالما؛ فكان كذلك، تزايد عنده ولد؛ فسماه عبد القادر، وكان فقيها عالما، وولي القضاء بفاس، وهو المدفون بضريح مولانا إدريس رضي الله عنه.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - ليلة الخميس ثامن ذي القعدة الحرام عام اثنين وثلاثين ومائة وألف، ودفن بزاويته المذكورة داخل باب بني مسافر، وهي التي تقابل بابها وادي الحريقي هناك بالبيت الكبير بها، وهو الذي يقابل الداخل، وهو مشهور مزار متبرك به. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية".

[395- الولي الصالح سيدي محمد غازي (عزيزي القنيت)]
(ت: 1196)

ومنهم: الشيخ السالك المجذوب، المقرب المحبوب، خديم الفقراء السالكين والمجذوبين ورفقيهم: أبو عبد الله سيدي الحاج محمد غازي، المدعو: عزيزي القنيت، الدباغ حرفة.

كان - رحمه الله - في ابتداء أمره يتبع المجاذيب والبهلاء أين ما كانوا، وكيف ما كانوا، وعلى أي حالة كانوا؛ كسيدي أبي عياد ابن جلون، وسيدي علي بن ناصر الورياجلي... وغيرهما، وكان يشرب معهم الدخان ونحوه، ويأكل الحشيش، ولا يبالي في شيء من ذلك بأحد، وكان له أخ اسمه: سيدي محمد غازي. يتألم من ذلك، ثم إنه لقي بعد ذلك الشيخ القطب مولاي الطيب الوازاني [373] الحسني، وزاره وتبرك به.

ولقي - أيضا - الشيخ سيدي أحمد العباس بن الشيخ سيدي أحمد السوسي ومعه جماعة من أهل الخير والصلاح؛ منهم سيدي عبد المجيد المنالي، وسيدي محمد الطيب بصري المكناسي، وسيدي عبد المالك البهلول البوعصامي راجعين من زيارة سيدي أبي جيدة، فقرؤوا له الفاتحة ودعوا له، وأمروه بالحج، فخرج للحج، ولما بلغ مصر لقي بها الشيخ محمد كشك القاهري المالكي الشاذلي الجزولي، وكان السادات المذكورون قد كتبوا له إليه، فأنزله عنده، وأخذ عنه؛ فانتفع به، وشرط عليه شروطا من الخير كثيرة؛ فقبلها، ثم بعد رجوعه ظهرت عليه علامات الخير، وكبر صيته في أقطار المشرق والمغرب.

---

[1] أي: يضع عليه المرق. والكسكس: طعام مغربي معروف.

وكان – رحمه الله – يحلف بلفظ الحرام حتى يكون كذا وكذا؛ فيكون. أو لا يكون كذا وكذا؛ فلا يكون، وظهرت له كرامات، وأخبر بأمور مغيبات فوقعت كما أخبر، وكان بين جذب وسلوك، وتقدم فيه الجذب على السلوك، من مخالطته أهل الجذب وملازمته لهم، ثم بعدها لقي السالكين؛ فسلكوه شيئا ما.

وبقي على حاله إلى أن توفي أواخر القعدة الحرام سنة ست وتسعين ومائة وألف، وأوصى أن تكون جنازته بالقراءة والذكر والحضرة، وأن يخرج من الدار بنوبة الطبالين؛ ففعل ذلك، ودفن بزاوية سيدي علي الحجام المذكورة بين باب المسافرين وجامع الأنوار، بالبيت الصغير بها، عن يمين الداخل. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية"، وذكر له فيه عدة كرامات؛ فانظرها فيه إن شئت.

[396– سيدي الحاج مسعود المراكشي]
(ت: 1193)

ومنهم: الفقيه المحب المتجرد السيد الحاج مسعود المراكشي. به عرف.

كان – رحمه الله – يخدم صنعة الحياكة في أول أمره، وكان حافظا لكلام الناس، محبا في أهل جانب الله، بكاء متواجدا عند الذكر والذكرى، ثم إنه أخذ عن الشيخ سيدي أحمد السوسي المراكشي وانتفع به، ولقي أيضا الشيخ سيدي علي بن عزوز الزغواني وخدمه، وسيدي عليا الحجام، وسيدي أحمد العباس بن أحمد السوسي.

وتوفي عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف، ووقعت له كرامة عند تكفينه؛ وهي أنه: تبسم تبسما كبيرا ظاهرا شاهده كل من حضر، حتى فتح عينيه وفاه، مع كون غاسله لم يتمكن من مضمضته عند الوضوء إلا بكلفة، ودفن بوسط صحن زاوية سيدي علي الحجام المذكورة، بيسرة الداخل لها. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية" أيضا.

[397– العلامة الشريف سيدي محمد الهادي بن محمد العراقي]
(ت: 1163)

ومنهم: الشيخ الفقيه، العلامة المدرس النبيه، النحرير المشارك الحجة، السالك أوضح طريق وأبين محجة، الشريف المنيف، الماجد الغطريف، البركة الصالح، العلم الواضح، الراقي من المكارم أحسن المراقي: أبو عبد الله وأبو الفضل سيدي محمد الهادي[1] ابن الفقيه المسن البركة سيدي محمد ابن عبد الرحمن الحسيني العراقي.

---

[1] ويدعى بـ: سيدي عبد الهادي. مؤلف.

كان – رحمه الله – ممن حفته العناية، وظهرت عليه بركة أهل الولاية، أحد العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين، مشوبا علمه بالصلاح، والدين واتباع طريقة المهدين، ذا أخلاق حسنة، وأوصاف مستحسنة، عالي الهمة، كريم النفس، يحب الصالحين [374] ويميل إلى الفقراء، ويحسن الظن بهم، تاركا لما في أيدي الخلق، غير حريص على متاع الدنيا، مع مروءة وفتوة، وسخاوة ونجدة، وكرم وهيبة ووقار، وتؤدة وحياء، وجد وإقدام في المضايق.

وكان مشاركا في العلوم، سيما في النحو والبيان والفقه، ويقوم على مختصر خليل، ويجيد درسه تحقيقا وفهما، دؤوبا عليه، معتنيا أيضا بتدريس "ألفية" ابن مالك، وكانت له ثلاثة مجالس للتدريس: من الصباح إلى الضحى، ومن الزوال لصلاة الظهر، ومن صلاة العصر إلى الغروب، وكان جهير الصوت فصيح اللسان، وله قلم بارع في النوازل وحل المشكلات وبيان المعضلات، وأفتى في الحوادث النازلة في وقته، وكان مقداما على الحق لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان – أولا – إماما بمسجد سيدي أبي الشتاء بحارة قيس، ثم ولي الإمامة والخطبة بمسجد باب الجيسة، ثم ولي الإمامة بمسجد الأبارين من حارة قيس، وحج وزار ولقي بمصر والحرمين وغيرها غير واحد من الأخيار، وممن لقي بهم: الشيخ الحفناوي وأخذ عنه وتبرك به، هو ومولاي أحمد الصقلي وسيدي عبد المجيد المنالي، إذ كان في رفقتهما، وكان خروجهم للحج من فاس ثاني رجب سنة ثمان وخمسين ومائة وألف.

وأخذ النحو عن جماعة؛ منهم: سيدي أحمد الوجاري، وأبو عبد الله الجندوز، وولد عم أبيه سيدي مَحمد العراقي، والفقه وغيره عن سيدي مَحمد جسوس، وسيدي أحمد بن مبارك، وأبي عبد الله المسناوي. وله سند في المصافحة والمشابكة عن سيدي أحمد بن أحمد السوسي المراكشي، وأخذ عنه هو – رحمه الله – أقوام؛ منهم: ابن عمه العلامة سيدي زيان العراقي.

توفي من غير عقب بالطاعون غروب شمس يوم الأحد، ثامن، أو ثاني، أو تاسع رجب الفرد الحرام عام ثلاثة وستين ومائة وألف، ودفن ضحوة غد وفاته. قال في "النشر": « بروضة، وهي القديمة لأهله، بباب المسافرين من فاس، وبنيت عليه قبة، وكان في جنازته مشهد عظيم من الخلائق، وكانت عليه لوائح الحرمات، وشواهد الخيرات، وتقدم للصلاة عليه شيخنا الإمام سيدي الكبير السرغيني بإيصاء منه، رحم الله الجميع بمنه وكرمه ». هـ.

وقال في "سلوك الطريق الوارية": « توفي هو وزوجته في ساعة واحدة بالوباء، وأقبرا معا متجاورين في شهر ربيع الثاني عام ثلاثة وستين ومائة وألف، ودفن هو وزوجته عدوة الأندلس بروضة بين مسجد الأنوار وباب المسافرين قرب الشيخ سيدي علي الحجام، وكانت له جنازة عظيمة جميلة، حضرها العام من الناس والخاص، وبنيت عليه قبة هنالك ». هـ.

ورأيت بخط بعض الأعلام ما نصه: « توفي سيدي محمد الهادي الحسيني العراقي شهيدا بالطاعون يوم الأحد تاسع رجب الفرد الحرام عام ثلاثة وستين ومائة وألف، ودفن ضحوة العاشر - وهي من غد وفاته - في روضته المقابلة للولي الصالح سيدي علي الحجام، داخل باب المسافرين من أبواب فاس، وصلى عليه بالناس العلامة القدوة سيدي الكبير السرغيني بوصية له منه ». هـ.

والقبة التي كانت عليه قد سقطت في هذه الأزمان، ولم يبق لها أثر. قال في "الدر النفيس" لسيدي الوليد العراقي: « وقد كان الشيخ الشهير أبو عبد الله محمد التاودي ابن سودة - رحمه الله - إذا ذهب يوم الجمعة لزيارة رجال باب الفتوح ابتدأ بزيارته ». هـ. ترجمه فيه وفي "النشر"، و"التقاط الدرر"، و"الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج"، وكذا في "سلوك الطريق الوارية"، وفي "الإشراف"... وغير ذلك، وبالغ أبو السعد الشريف سيدي عبد المجيد المنالي في الثناء عليه في رحلته، وله مقطعات فيه. [375].

[398- الشريف سيدي العربي بن عبد الكريم العراقي]

(ت: 1177)

ومنهم: السيد الناسك، العابد الزاهد السالك، العارف بالله، والراغب فيما عند الله، الولي الصالح؛ أبو حامد سيدي العربي بن سيدي عبد الكريم العراقي الحسيني.

كان - رحمه الله - عظيم القدر، عمدة الأشراف، رأسا فيهم، صلبا في الحق، لين الجانب للمساكين، متين الدين، يصوم النهار ويقوم من الليل، مع إدمان الذكر والتلاوة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويختم "دلائل الخيرات" في اليوم مرات، خاشعا خاضعا، زوارا للصالحين، محبوبا عند العارفين، ملازما للمسجد، خصوصا ضريح مولانا إدريس رضي الله عنه، لا يكاد يفارقه عامة أوقاته.

ولقي كثيرا من أهل الخير وانتفع على أيديهم؛ منهم: الشيخ العارف الولي أبو العباس سيدي أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي؛ فإنه لقيه وانتفع به، ونال من بركته، إذ كان أبوه مولاي عبد الكريم في عداد الخاصة من أتباعه.

وامتحن - رحمه الله - أيام السلطان مولاي إسماعيل بالضرب والسجن في قصة وقعت له، وانتقم الله ممن فعل به ذلك إلى أن قطع رأسه، نعوذ بالله من الجرأة على آل بيت نبيه عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وقد ذكره الشيخ التاودي ابن سودة المري في تقييد له في الشعبة العراقية؛ قائلا ما نصه: « ومن هؤلاء السادات العراقيين: محبنا وحبيبنا الشريف الأرضى، الذاكر الناسك المرتضى، مولاي العربي ابن عبد الكريم. كان هو السبب في قراءتي للتفسير، ولما اعتذرت إليه في ذلك قال لي: إني مرسَل إليك ولم آتك من قبل نفسي. فأجبته بعد الاستخارة، وكان في ذلك خير والحمد لله، أخبرني صديقنا الشريف الفقيه النزيه، الوجيه الناسك، المحدث سيدي أبو مدين ابن ريسون أنه خرج ليلة بعد العشاء على عادته بقرية تازروت ينظر هل هناك أحد من الضيفان والزوار؟!، فوجد صاحبنا مولاي العربي المذكور، فأضافه وأحسن إليه من غير معرفة به، قال لي: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة وأكرمني لذلك ». هـ.

توفي – رحمه الله – عن سن عالية قريبا من التسعين، في شعبان سنة سبع وسبعين ومائة وألف، قال سيدي الوليد العراقي في "الدر النفيس": « ودفن داخل باب المسافرين بالروضة القديمة ». هـ. وقال في "الروضة المقصودة": « دفن بروضة آبائه داخل باب المسافرين، جوار روضة الشيخ أبي الحسن علي الحجام رضي الله عنه ». هـ. وترجمه في "الروضة" المذكورة، وفي "الدر النفيس" لسيدي الوليد العراقي، وفي "الإشراف" لسيدي الطالب ابن الحاج.

[399- الشريف أبو القاسم بن العربي العراقي]
(ت: 1211)

ومنهم: ولده الوجيه المعظم، النزيه البركة الصالح، والنور اللائح؛ سيدي أبو القاسم.

كان – رحمه الله – رفيع القدر عند الخاص والعام، ومن أكابر الشرفاء الكرام، معظما وجيها، محترما نزيها، ذا همة عالية، وشيم مرضية، وهيبة ووقار، وعز وفخار، كلمته مسموعة، ووساطته مرفوعة، وأمره عظيم، وخطبه جسيم.

توفي في صفر سنة إحدى عشرة ومائتين وألف، ودفن إزاء والده المذكور بالروضة المذكورة. ترجمه في "الدر النفيس" لسيدي الوليد العراقي.

[400- رجل مجهول]
(ت: 1163)

ومنهم: رجل لم أعرف الآن اسمه، كان مؤذنا بضريح سيدي موسى بن علي من حومة جرنيز وقراره دائما بقبة مولانا إدريس رضي الله عنه. وكان من أصحاب الشريف العلامة الصوفي سيدي عبد المجيد المنالي، المحبين له والآخذين عنه، والمجتمعين عليه، وكان مواظبا على قراءة المصحف الكريم، و"دلائل الخيرات"، لا حرفة له إلا ذلك، ذاكرا [376] متقشفا، صابرا متجردا عن الدنيا، مولعا بالمدح النبوي، ويحصل له عند سماعه حال ووجد، عارفا بتغسيل الموتى، ومشتهرا بذلك.

توفي - رحمه الله - عن سن عالية بالطاعون عام ثلاثة وستين ومائة وألف، ودفن بالروضة المذكورة. ترجمه في "سلوك الطريق الوارية"، ولعلك تجد في نسخة صحيحة منها - إن وقفت عليها - ما جهلته الآن من اسمه.

[401- الصالح سيدي عبد القادر الزموري]
(ت: 1231)

ومنهم: الرجل الصالح، والبركة الواضح، الملامتي؛ أبو محمد سيدي عبد القادر الزَّمُّوري.

كان - رحمه الله - صالحا متبركا به، حاله حال الملامتية، وكان ممن وضع الله له القبول في الأرض، تلتمس منه البركات، وتطلب منه صالح الدعوات، وهو من المشايخ الذين لقيهم الشريف العلامة مولاي الوليد العراقي وتبرك بهم وانتفع.

توفي - رحمه الله - يوم الاثنين ثالث صفر الخير عام أحد وثلاثين ومائتين وألف، قال في "الدر النفيس" لسيدي الوليد المذكور: « ودفن بروضتنا الكبرى داخل باب بني مسافر - رحمه الله تعالى ورضي عنه - وكانت له جنازة عظيمة الأنوار، والبركات عليها لائحة ». هـ.

تم انتهى الجزء الأول بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل بتصحيح مؤلفه أطال الله بقاءه، وأدام النفع به.

ويليه الجزء الثاني؛ أوله: ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به من صلحاء وعلماء داخل باب الفتوح نفعنا الله بهم .

الفهرس

فهرس الموضوعات للجزء الأول

العنوان الصفحة



الإيداع القانوني رقم : 2004/1198

ردمك 7-543-02-9981